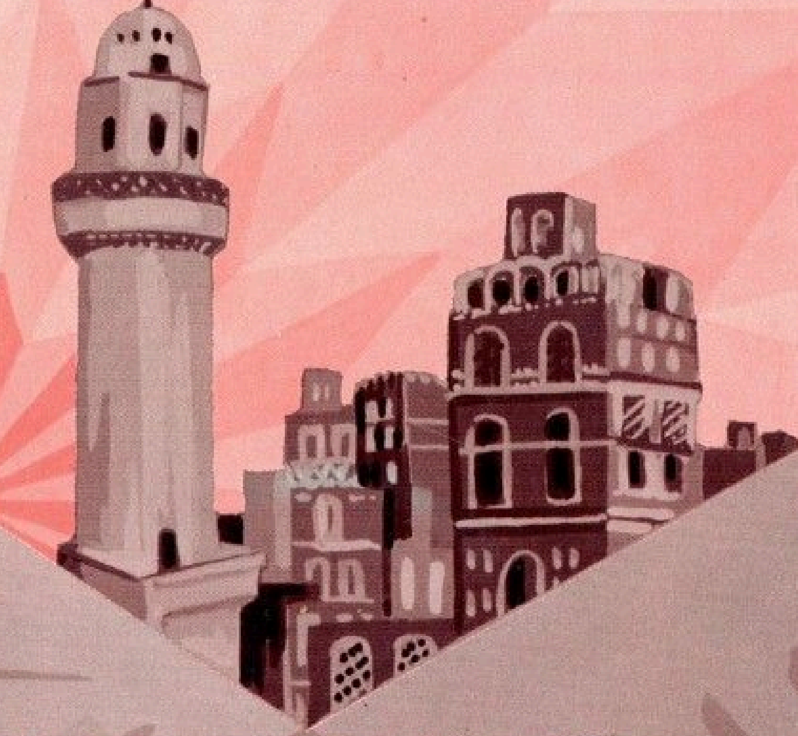
الدكتور حسين بن عبد الله العمري

المنار واليمن

(١٣١٥ - ١٣٥٤ هـ / ١٨٩٨ - ١٩٣٥ م)

دراسة ونصوص



المكتبة التاريخية اليمنية

دار الفكر
دمشق - سورية


بسم الله الرحمن الرحيم


المنار واليمن

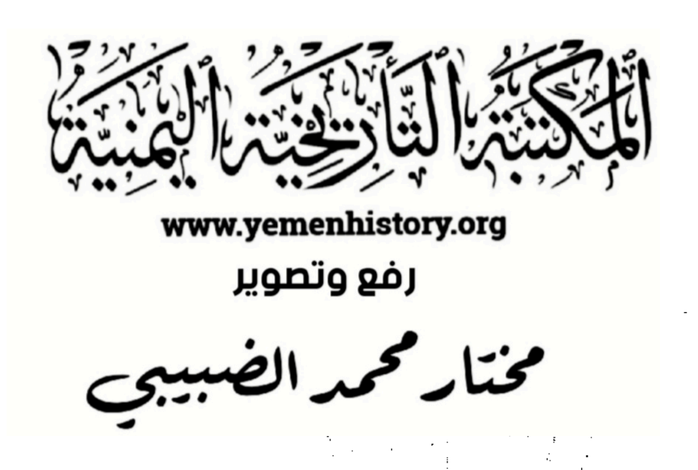
الدكتور حسين بن عبد الله العمري

المنار واليمن

(١٣١٥ - ١٣٥٤ هـ / ١٨٩٨ - ١٩٣٥ م)

دراسة ونصوص

دار الفكر





الكتاب ٧٥١
الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٧ م

سورية - دمشق - شارع سعد الله الجابري - ص.ب (٩٦٢) - برقياً: فكر
س . ت ٢٧٥٤ هاتف ٢١١٠٤١ ، ٢١١١٦٦ - تلكس FKR 411745 Sy

قال عليه الصلاة والسلام :

« إنّ للإسْلامِ صُوىً و (مَنَاراً) كَمَنارِ الطَّريق »

(شعار المنار)

☆ ☆ ☆

« إنّ الله بَعثَ بِهذَا الشّابِّ لِيكونَ مَدداً لحياتي ، ومزيداً من عمري ، إن في نفسي أمُوراً كثيرةً أريد أن أقولها وأكتبها للأمّة ،وقد ابتُلِيتُ بما شغَلني عَنْها ، وهو يقوم بِبَيانها الآن كما أعْتَقِدُ وأُريد » .

شهادة الإمام الشيخ
الأستاذ مُحمّد عَبْده
لِصاحب المنار



بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

بدعوة كريمة من الأخ الدكتور محمد الرميحي رئيس تحرير مجلة « العربي » أتيح لي مع الأخوين الدكتور عبد الكريم الإرياني والأستاذ محسن العيني ، المشاركة (عن اليمن) في ندوة العربي بمناسبة (**عيدها الفضي**) والتي عقدت في الفترة ١٥ ـ ١٧ جمادى الآخرة ١٤٠٤ هـ / ١٧ ـ ١٩ مارس (آذار) ١٩٨٤ م ..

ولم يكن نجاح تلك الندوة بسبب ذلك الحشد الكبير لنخبة من المفكرين العرب الذين تقاطروا إلى الكويت العزيز من مغرب الوطن العربي ومشرقه فحسب ، بل كان أيضاً لأهمية الموضوع ، محور الندوة (**المجلات الثقافية والتحديات المعاصرة**) وبما أضافه المشاركون ـ على اختلاف آرائهم ومشاربهم ـ من مداخلات ومناقشات أثْرَتِ الندوة وأخرجت مواضيعها من غطية الندوات التقليدية إلى رحابة الفكر وديمقراطية الحوار ، وكانت بحق « من الظواهر الثقافية الجديدة وغير المسبوقة » كما اعتبرها المشاركون فيها .

فكرة هذا الكتاب

كان موضوع « العروة الوثقى والمنار ـ التوفيق بين الأصالة والمعاصرة » للباحث الأستاذ الدكتور محمد جابر الأنصاري ، أحد محاور تلك الندوة[1] وكنت

---

(١) سيأتي الحديث عنها ص (٢٠) فيما يأتي من الكتاب .

كغيري من المشاركين قد تسلمت المبحث قبيل موعد الندوة ، وأعددت بعض الملاحظات والتساؤلات المتعلقة بدور مجلة « المنار » وصاحبها السيد محمد رشيد رضا فيما كانت تنشره من أخبار وآراء ومقالات خاصة بقضية اليمن في ظل الحكم العثماني أولاً ، ثم اهتمامها بقضايا الجزيرة العربية ـ واليمن منها ـ بعد الحرب العالمية الأولى وما تلاها من أحداث ومؤامرات استعمارية لازالت أقطارنا في المشرق والمغرب من الأمة العربية الواحدة تجتر آثارها المتعددة الأشكال والجوانب ، ويحصد الغرب والشرق ثمار ما بذروه في جوانب الأمة من تجزئة وتفرقة ، واعتماد عليهم في معظم شئون الحياة الاقتصادية والعلمية والفنية .. وذلك بعد أكثر من نصف قرن على كتابات صاحب « المنار » وتنبيهاته المتكررة حول ذلك وغيره .

وحين غادرت الكويت كنت قد وعدت صديقنا الكريم الأستاذ الباحث الدكتور الرميحي بأن أبعث « للعربي » بمقال حول الموضوع ، بيد أنني وجدت نفسي إزاء عمل مادته موزعة في (أربعة وثلاثين مجلداً) صدرت في خمسة وثلاثين عاماً هي شباب صاحب « المنار » وكهولته حتى وفاته عام (١٣٥٤ هـ / ١٩٣٥ م) .

ولم يعد الوفاء بكتابة مقال أو أكثر يفي بحق « المنار » وصاحبه ، ولا بحق تاريخ اليمن السياسي الثقافي المستفاد من « المنار » بصفته أحد المصادر الهامة لتاريخنا العربي والإسلامي المعاصر . ومع رحلتي التي طالت مع « المنار » لم أرَ أنه سيكون من النافع لو فعلت ماسبق للباحث الكبير الأستاذ يوسف إبش أن صنعه حين انتزع أو استل من « المنار » رحلات صاحبه فأصدرها في كتاب[1] دونما

---

(١) إبش (الدكتور يوسف) : رحلات الإمام محمد رشيد رضا ، بيروت ١٩٧١ (المؤسسة العربية للدراسات والنشر « ط ٢ » ١٩٧٩ م) .

حاجة تمليها طبيعة الموضوع إلى دراسة أو تحليل ، فذلك عمل محدد كان مناسباً لغرضه مفيداً للباحثين والقراء في بابه ومنه استلهمت فكرة أن ألحق بدراستي المتواضعة هذه كل مانشره « المنار »[1] عن اليمن ليكون أيضاً مادة خاماً (بعجرها وبجرها) يستطيع أن يرجع إليها من يتعذر عليه إمكانية الاطلاع عليها أو من يرغب في مزيد من التفاصيل التي اختصرتها أو أشرت إليها .

☆ ☆ ☆

بقي أن أشير في هذا التمهيد إلى أمرين :

الأول : أنني جعلت من مادة « المنار » سياقاً تاريخياً منذ تأسيسها عام (١٣١٥ هـ / ١٨٩٨ م) لتاريخ اليمن نفسه مع ماهو ضروري من تمهيد أو إيضاح ، حتى تسارع الأحداث ونهايتها بالحرب اليمنية ـ السعودية عام ١٣٥٣ هـ / ١٩٣٤ م ومن ثم وفاة السيد محمد رشيد رضا في العام التالي ودوره في كل ذلك . وعندما ندرت أو انعدمت أخبار اليمن بسبب سنوات الحرب العالمية الأولى وما تلاها فقد عرضت لفصل متعلق بشؤون الثقافة والحضارة ـ بعيداً عن التاريخ والسياسة ـ أجملت فيه اهتمامات « المنار » وكتابته عن هذا الجانب ، تاركاً لنصوص الملحقات كبقية الفصول المزيد من التفاصيل .

أما الأمر الثاني : فمتعلق بعدد من الإخوة الأصدقاء والأساتذة المختصين (كل في مجاله) ممن كان لهم الفضل بالتشجيع في استمرار إنجاز هذا الكتاب ومن ثم أخذي بالتصويب والملاحظات المفيدة التي تفضل بعضهم بها عند اطلاعهم على الكتاب قبل طبعه ، فبالإضافة إلى الأخ الصديق الأستاذ الدكتور عبد الكريم بن علي الإرياني ، والوالد العالم الفاضل القاضي إسماعيل بن علي

---

(١) هي « ملاحق الكتاب » من صفحة (٢١٧) إلى (٦٢٤) حيث تأتي الفهارس ، وربما أهملت أشياء صغيرة لم تكن لها علاقة مباشرة ، أو سقط مني سهواً مثلها .

الأكـوع ، فمن حـق إخـوة آخرين عليّ أن أذكر أسماءهم هـاهنـا مـع آيـات الشكر والثناء :

- الأستاذ أحمد قائد بركات .
- الأستاذ إسماعيل بن أحمد الوزير .
- الأستاذ القاضي علي بن أحمد أبو الرجال .
- الأستاذ (العِزي) محمد بن حسن اليريمي .
- الأستاذ الدكتور محمد الخضر .

ولصـديقي الكريم الأخ الأستـاذ الـدكتـور عـدنـان درويش شكر وتقـديـر خاص فقد راجع الكتاب وناب عني في مراجعة تجـاربـه الأولى ، ووحـدي أتحمل القصور والخطأ .

ومن الله العلي القدير التوفيق وخالص الجزاء

صنعاء في ١٤٠٧/١١/٥ هـ
١٩٨٧/٧/١ م

الدكتور حسين بن عبد الله العَمْري

1

« المنار » و « اليمن »
« السَّنوات العَشْر الأولى »

١٣١٥ ـ ١٣٢٥ هـ / ١٨٩٨ ـ ١٩٠٧ م

ـ التّعريف برشيد رضا صاحب « المنار » .

ـ تأسيسُ « المنار » (١٣١٥ هـ / ١٨٩٨ م ،) .

ـ نتاج ونشاط آخر .

ـ مجلّة « المنار » في نَدوة « العربي » .

ـ اتجاهان متصارعان .

☆ ☆ ☆

ـ أخبار اليَمَن في المنار (السنة الأولى) .

١ ـ الثورَة في اليمن .

٢ ـ الإصلاح في اليمن .

٣ ـ إصلاح ميناء « المخآء » ومَنْع تهريب الأَسلحة .

محمد رشيد رضا

صاحب المنار

في سنة ١٢٨٢ هـ / ١٨٦٥ م وُلد محمد رشيد بن علي رضا ، البغدادي الأصل ، الحُسيني النَّسب ، في القلمون ـ من أعمالِ طرابُلْسِ الشام ـ وتعلم فيها وفي طرابُلْس وبَيْروت ، واستطاع أن يستفيد من التربية الحديثة ، فاستقى شيئاً من العلوم الجديدة ، وتعلّم اللغة الفرنسية في مدرسة حكومية تركية ، ثم في مدرسة الشيخ الأزهري حسين الجسر (١٨٤٥ ـ ١٩٠٩ م) في طرابُلْس ، والمعاصر للشيخ محمد عبده[1] وكان له نفس التوجه والاهتمام في حياته وتآليفه بالتوفيق بين التعاليم الإسلامية والحديثة .

ثم تعرف رشيد رضا على أفكار جمال الدين الأفغاني (ت ١٣١٥ هـ / ١٨٩٧ م) ومحمد عبده (ت ١٣٢٣ هـ / ١٩٠٥ م) واطلع على مجلتهما (العُروة الوثقى) للمرة الأولى بين عامي ١٨٨٤ م و ١٨٨٥ م ، أي في أوائل عهد صدورها ، وكذلك التقى في حوالي ذلك التاريخ بمحمد عبده عندما زار طرابلس[2] بعد أن نفاه الإنجليز إلى بلاد الشام على إثر ثورة

(١) معجم المؤلفين لكحالة : ٣١٠/٩ ، أعلام الزركلي : ٣٦١/٦ .

(٢) حوراني : الفكر العربي في عصر النهضة : ٢٧١ ـ ٢٧٢ .

عُرابي ولم يسمح له بالعودة إلى مصر إلا سنة ١٣٠٦ هـ / ١٨٨٨ م ، وعاد الشيخ محمد عبده لزيارة طرابلس عام (١٣١٢ هـ / ١٨٩٤ م) ، فلقيه رشيد رضا للمرة الثانية « وتحدث إليه طويلاً ، وغدا من تلك البُرهة حتى مماته تلميذه الأمين ، وشارح أفكاره ، وحامي سمعته ، ومؤرخ حياته .. »[1] .

---

(١) حوراني : الفكر العربي في عصر النهضة : ٢٧١ ـ ٢٧٢ .

تأسيس المنار

١٣١٥ هـ / ١٨٩٨ م

يذكر رشيد رضا في « تـاريخ الأستـاذ الامـام الشيخ محمد عبده »[١] مدى وقع مقالات (العُروة الوثقى) وأثرهـا في عقلـه ونفسـه ، وأن فكرة الذهاب إلى اسطنبول للالتحاق بالشيخ جمال الـدين الأفغـاني قـد راودتـه كثيراً قبل تأثره الكامل فيما بعد بأستاذه الامام محمد عبده ، غير أنه في عام (١٣١٥ هـ / ١٨٩٧ م) قرر حين كان عمره اثنتين وثـلاثين سنـة مغـادرة سـوريـة إلى مصر ، فـوصـل إلى القـاهرة في ١٣ ينـاير ، كانـون الثـاني ١٨٩٨ م ، ولا بد أنه قد بحث مع أستاذه الشيخ محمد عبده رغبتـه الملحـة في إصدار مجلة تعكس آراءه وأفكار شيخه الإصلاحية والسياسية .

وكان الأمر كـذلـك فصـدر العـدد الأول من « المنـار » في (٢٢ شوال ١٣١٥ هـ / ١٥ مارس ، آذار ١٨٩٨ م) واستمرت عـامهـا الأول أسبوعيـة . واستقبلت بنجـاح ليس في مصر وحـدهـا بـل وفي بقيـة الأقطـار ، قـال صاحبُها ومحرّرها في خاتمة السنة الأولى للمنار : « .. وأكثر الـذين اشتركوا في أثنـاء هـذه السنـة حتى في الشهرين الحـادي عشر والثـاني عشر طلبـوا الجريدة من أولها ، حتى احتجنا لإعادة طبع ما نفد من أعدادها » .

(١) رشيد رضا : تاريخ الأستاذ الإمام ٣٩٠/١ .

ولأنه مهتم بخارج مصر أيضاً فقد أضاف « ولو أن وكلاء يسعون في نشرها لكان نموها أسرع وانتشارها أعم .. »[1] .

وإذ أرضت « المنار » في عامها الأول العلماء والمتنورين ، فهي أيضاً واجهت انتقادات حول ما نشرته عن إصلاح التعليم في الأزهر : « والموضوع مما تبناه وعمل من أجله الشيخ محمد عبده » ، ولأن المنار تيار تحديثي إصلاحي لغته جديدة ، فقد أشار بعض الكتاب على المحرر بأن يُقلَّ « من الألفاظ الغريبة والاصطلاحات العلمية ، ويختار السهولة في الأسلوب ليتسنى لكل الطبقات أن تفهم ما يكتب ، ولذلك نرى أن الأعداد الأولى من المنار أرقى في الغالب أسلوباً ،وأكثر غريباً »[2] .

وكان من مواضيع السنة الأولى انتقاد المنار لبعض الفرق وخلافاتها في مصر ، وأشار السيد رشيد رضا إلى رد الفعل في تقويمه لأعداد تلك السنة قائلاً بهذا الخصوص : « وأما غوغاء الناس فقد قام جماعة من سفهائهم فسلقونا بألسنة حداد في جرائد البذاء والنفاق لنبذة نشرناها في سبب الخلاف الذي وقع بين الرفاعية والقادرية ، وإنما ساقهم إلى هذا حب التقرب من صاحب السيادة والسماحة أبي الهدى أفندي الرفاعي ، وذلك أن عطوفة مخدومه حسن بك خالد كتبت مقالة في الموضوع ينهى أتباعه فيها عن الرد على المنار ، ولكن طاش سهمهم وخاب ظنهم ، وقد علمت سماحته أننا لم نقصد بما كتبناه إلا خيراً .. »[3] .

---

(١) المنار : (السنة الأولى) مجلد ٤٩/١ ، ص : (٩٥٤) .

(٢) المنار : (٤٩/١ : ٩٩٥) .

(٣) نفسه .

ودرجت المنار بعد ذلك لتصبح شهرية ، إلا أنها ـ باعتراف صاحبها ـ لم يتسع انتشارها ويبدأ رواجها إلا في السنة الخامسة (١٣٢٠ هـ / ١٩٠٢ م) « فمنذ ذلك العهد صار بعض طلاب الاشتراك يطلبون مجموعات السنين الماضية ، كما يطلبها بعض المشتركين السابقين رغبة في حفظ المنار من أوله .. »[١] .

وهكذا أصبحت المنار ـ بحق ـ « منبراً للدعوة إلى الإصلاح ، وفقاً لمبادىء محمد عبده[٢] ، وقد استمر السيد رشيد رضا في إصدارها بانتظام شبه كامل حتى وفاته عام ١٩٣٥ م [١٣٥٤ هـ] .

ويمكن القول : إن المنار كانت منذ تأسيسها بمثابة سجل لحياة رشيد رضا ، ففيها كان يفرغ تأملاته في الحياة الروحية ، وشرحه للعقيدة ، ومجادلاته اللامتناهية والعنيفة في هجومها ودفاعها على السواء ، وينشر الأخبار التي كانت تأتيه من أطراف العالم الإسلامي ، وآراءه في سياسات العالم ، وشروحه الكبرى ، وهي الشروح التي سماها « تفسير المنار » وبناها على محاضرات محمد عبده وكتابته ، وقد واظب على كتابتها في المنار حتى وفاته دون أن يتمكن من إنهائها »[٣] وأصدرها بالاسم نفسه « تفسير المنار » في اثني عشر مجلداً .

☆ ☆ ☆

---

(١) مقدمة الطبعة الثانية للمجلد الأول من المنار ، ص (٤) .

(٢) توفي في سنتها السابعة .

(٣) حوراني : ٢٧٢ ـ ٢٧٤ .

نتاج ونشاط آخر

لم تكن « المنار » في مجلداتها الأربع والثلاثين (مدة ٣٥ عاماً) هي النتاج الفكري والعلمي الوحيد للأستاذ رشيد رضا ـ وإن كانت أهمها ومنبره الواسع الانتشار لبّث آرائه في الإصلاح الديني والاجتماعي والسياسي ، فمن آثاره : « تاريخ الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده » في ثلاثة مجلدات ، ولعلها أهم مصدر لتاريخ الفكر الإسلامي في أواخر القرن الماضي ، و « الوحي المحمدي » ، « يسر الإسلام وأصول التشريع العام » ، « الخلافة والإمامة » ، « الوهابيون والحجاز » ، « محاورات المصلح والمقلد » ، « شبهات النصارى وحجج الإسلام » وغيرها مما هو مطبوع[1] .

وكان ـ بالإضافة إلى ذلك ـ جَمَّ النشاط فقد نهض بدور بارز في السياسات العربية والإسلامية ، فحين امتطى الأمير ـ الملك ـ فيصل بن حسين موجة الثورة العربية ودخلت جيوشها دمشق قصدها رشيد رضا وانتخب رئيساً للمؤتمر السوري فيها ، وغادرها على أثر دخول الفرنسيين إليها سنة ١٣٣٨ هـ / ١٩٢٠ م إلى وطنه الثاني (مصر) ، ثم شارك بعد

(١) الأعلام : ٣٦١/٦ ـ ٣٦٢ ، معجم المؤلفين ٣١٠/٩ ، حوراني : ٢٧٣ ـ ٢٧٤ ، وانظر : كتاب سيرته لصديقه الأمير شكيب أرسلان : « السيد رشيد رضا أو اخاء أربعين سنة » .

ذلـــك في المـؤتمرين الإسـلاميين المنعقـــدين (الأول في مكـــة سنـــة ١٣٤٤ هـ / ١٩٢٦ م ، والثـاني في القـدس سنـة ١٣٤٩ هـ / ١٩٣١ م) وفي اللجنـة السيـاسيـة في القـاهرة عنـد وقـوع الثـورة السـوريـة عـامي (١٩٢٥ و ١٩٢٦ م) ، واهتم بمسـائل الجزيرة العربيـة ، وراسـل ملـوكهـا وتوسط في خلافاتهم ، وقـام برحلات إلى الهنـد والحجـاز وأوربـة ، وعـاد فاستقر بمصر ، إلى أن توفي فجأة في سيارة كان راجعاً بهـا من السويس إلى القاهرة في ٣ جمادى الأولى عام ١٣٥٤ هـ / ٢ أغسطس ، آب ١٩٣٥ م .



مجلة « المنار » في ندوة « العربي »

دعت مجلة العربي الكويتية إلى ندوة ثقافية كبيرة عقدت في الكويت من ١٧ ـ ١٩ مارس ، آذار عام ١٩٨٣ بمناسبة العيد الفضي للمجلة وكانت دراسة الباحث الدكتور محمد جابر الأنصاري (العروة الوثقى والمنار ـ التوفيق بين الأصالة والمعاصرة) إحدى محاور الندوة الأربعة[١] ، وكانت بحثاً قيماً أثنى عليه المشاركون ،وأثار نقاشاً مفيداً وتساؤلات هامة أوردها (المحاوران : د. محمد يوسف نجم ود.حسام الخطيب) وغيرهما ممن شارك في النقاش العام ، ولما كان أمر (العروة الوثقى) لا يهمنا ها هنا كثيراً ، وسنجمل الحديث حول المنار وصاحبها محمد رشيد رضا ، فيمكن الإلماح أيضاً إلى تساؤل منهجي كان قد ورد في تعقيب الدكتور الخطيب حين تساءل قائلاً : « أليست هناك نواح منهجية لا بد من مراعاتها ، وأن تكون هناك فروق بين دراسة عن جمال الدين الأفغاني ورشيد رضا ، وأخرى عن العروة الوثقى والمنار ؟ »[٢] وكيفما كان منهج الدكتور الأنصاري فقد أوضح في بداية حديثه عن « تجربة المنار » أنه بالرغم من

---

(١) صدرت دراسات الندوة ومناقشاتها في سلسلة كتاب العربي « الكتاب الثالث » ، ١٥ يوليو ، تموز ١٩٨٤ م ، وسنشير إلى ذلك بـ « الندوة » .

(٢) الندوة : ٩٣ .

فروق فكرية وسياسية ـ أشار إليها فيما بعد ـ بين خط العروة وخط المنار (التي صدر عددها الأول في القاهرة عام ١٣١٥ هـ / ١٨٩٨ م) بعد توقف الأولى بأربعة عشر عاماً ، فإن المنار في سنواتها الأولى ـ على أقل تقدير ـ « كانت تمثل الاستمرار الأقرب إلى روح العروة ومنطلقاتها من واقع العلاقة الشخصية والفكرية الحميمة التي نشأت بين الشيخ محمد عبده ورشيد رضا الذي كانت له صلة مباشرة بالأفغاني أيضاً وبتطلعاته السياسية ، غير أنها صلة حجبها التأثير المتزايد لمحمد عبده على صاحب المنار »[1] .

ونستفيد ، في هذا الصدد ، من تعقيب الدكتور نجم أمرين توثيقيين ـ بالإضافة إلى أشياء أخرى ـ :

الأمر الأول : قوله : « حاول رشيد رضا أن يسافر إلى الآستانة لمقابلة جمال الدين ، وهو في نظره أقرب إلى فكره ، والأفغاني كان في الآستانة منذ سنة ١٨٩٢ م إلى سنة ١٨٩٧ م في القفص الذهبي الذي أعده له السلطان عبد الحميد ، ولكنه لم يذهب إلى الآستانة بل ذهب إلى مصر ، ولقد وصل مصر في ٣ يناير / كانون الثاني سنة ١٨٩٨ م وصدرت « المنار » في ١٥ مارس ، آذار سنة ١٨٩٨ م ، فهل كان ثمة اتصال بينه وبين محمد عبده بشأن إصدار المجلة ؟ وكان في نيته ـ كما قال ـ إصدار مجلة أسبوعية سياسية ، فناقشه محمد عبده في ذلك ، وقال له : « إن السياسة مهمة الدول الكبيرة ، والأفضل أن تصدر مجلة ثقافية أو دينية إصلاحية ،

(١) الندوة : ٨٢ .

ثم سألـه هـل تستطيـع أن تصـدر صحيفـة في مستـوى الأهرام والمقطم والمؤيد ؟.. مع ذلك فإن رشيد رضا لم يقتنع بهذا الكلام وأصدر « المنار » في السنة الأولى أسبوعية سياسية ، وفي هذه السنـة فقـط تجـد هجوماً من رشيد رضا على الإنجليز ، وبعد ذلـك لم يتعرض لهم إلا بعـد استقلال مصر المشروط في عام ١٩٢٢ م ، وفي السنة الثانية عين محمد عبده مفتياً للـديـار المصرية عام (١٨٩٩ م) فأصبحت المنـار لسـان حـال حركـة محمـد عبـده الإصلاحية ، ولسان حال دار الفتوى ..»[١] .

أمّا الأمر الثاني : فهو تسجيل الـدكتـور نجم لشهـادة الإمـام محمـد عبده في المنـار ، قـال : « إن الله بعث بهـذا الشـاب ليكون مَـدَداً لحيـاتي ومـزيـداً من عمري ، إنّ في نفسي أمـوراً كثيرة أريـد أن أقـولهـا وأكتبهـا للأمـة ، وقـد ابتليتُ بمـا شَغَلني عَنْهـا وهـو يقـوم بِبَيَـانهـا الآن كما أعتقـد وأريد »[٢] .

إن ما نرغب الإفادة منه ها هنا من بحث الدكتور الأنصاري ومحاوريه ليس تكرار أطروحاته ، والاختلاف أو الاتفاق معها ، فذلـك قـد كان في الندوة ثم في كتـابهـا المطبوع ، كما أن مجـال البحث بشكل عـام لا زال فيـه سعة .

وما نهدف إليه ـ بعد التنويه السالف بالندوة والبحث الخاص بالمنار ـ هو تعريف القارىء العربي بمجلـة « المنـار » وصـاحبهـا محمـد رشيـد رضـا للدخول بعد ذلك في الموضوع الذي عقـدنـاه عن « المنـار واليمن » بصفتـه

(١) الندوة : ٩٠ ـ ٩١ .

(٢) الندوة : ٩٢ .

حقلاً من حقول المجلة حاز على اهتمامها وقام صـاحبهـا في سنواتـه الأَخيرة بـدور أبرز فيـه سيـاسـاتـه العربيـة والإسلاميـة وتطلعـاتـه الـوَحْـدَويـة والإصلاحية ، واجتهاداتـه الشخصيـة بغض النظر عن النجـاح أو مجـانبـة الصواب .

☆ ☆ ☆

اتجاهان متصارعان

بيد أنه من المفيد مع ذلك ـ وقبل مغادرة تتبع بحث الدكتور الأنصاري والإفادة منه في رسم صورة واضحة عن صاحب « المنار » ـ أن نقتبس عنه تلك المفارقة التي دعانا للتأمل فيها ، على طول هذا الاقتباس ، وذلك : « أن العروة الوثقى ، أو مدرسة الأفغاني ـ محمد عبده بصفة عامة ، قد خرج من تحت مظلتها اتجاهان متصارعان هما : اتجاه المنار السلفي أو الأصولي ، والاتجاه النقيض الذي قاد معركة العَلمنة وهذه ازدواجية وإشكالية أخرى في تكوين هذه المدرسة التوفيقية الوسطية . فكما وقعت الازدواجية منذ البداية بين نهجها السياسي ونهجها الحضاري ظهرت مع مرور الزمن وتحت ضغط التناقضات والأحداث ، ازدواجية أخرى بين شطرها الأصولي وشطرها التحرري . وهذا قانون عام في رأينا ، بالنسبة لمدارس الفكر التوفيقي التي تقارب بين نظامين فكريين مختلفين فتنجح في ذلك لبعض الوقت ، عندما تكون الحاجة العامة للتوفيق والتقريب قائمة وممكنة التحقيق ، ثم لا يلبث أن يتباعد العنصران المختلفان في صيغتها التوفيقية ، ويتحول التوتر المضمر بينهما في تلك الصيغة إلى صراع مكشوف . وذلك ما حدث من قبل التوفيقية المعتزلية بين الإيمان والعقل عندما انشطرت إلى (ملاحدة وأشاعرة)

خرجوا جميعاً من تحت مظلتها الائتلافية المشتركة ، بعد أن أصبحت دوافع المجابهة والصراع والانشطار أقوى من دواعي التقارب والتصالح والتآلف » .

وهنا يرى صديقنا المحاور الدكتور الخطيب في تعقيبه ، أن الباحث قد « أحسن صُنْعاً بعقد المقارنات بين الماضي القريب والحاضر الراهن ، وكانت هذه المقارنات حية في ذهنه ، وينبغي أن تكون حية في ذهننا .. » وذلك حين يضيف الدكتور الأنصاري ـ مستمراً ـ : « وإذا كان المنار قد اصطدم بتيار العَلْمَنة في جيلٍ ، فإن تيار الإخوان قد اصطدم بتيار الناصرية في جيل لاحق ، رغم انتماء الجانبين أيضاً إلى فكر محمد عبده في إطاره العام ، فتلك ظاهرة نتوقع أن تتكرر في الحياة العربية [؟] ، مادامت تسودها الايديولوجية التوفيقية بقانونها المذكور ، وبنزعتها القابلة في شطر منها للعودة إلى المحافظة الشديدة ، كما جاء فكر رشيد رضا أكثر محافظة من محمد عبده وجاء البنّا أشد تصلباً من رشيد رضا .. وهكذا .. »[1] .

لقد طال ـ كما سبق القول ـ اقتباسنا هذا ، وليس ذلك في الواقع إلاّ لأهمية ماأراد أن يتوصل إليه الباحث وخطورته . فقد يكون صحيحاً أن الإمام البنّا ـ رحمه الله ـ على سعة أفقه وعلمه وفضله ، كان كذلك بالنسبة للعلامة رشيد رضا ، ولكنه سيصبح من بؤس الاجتهاد والفقر في علوم

(١) الندوة : ٨٥ ـ ٨٦ .

الدين بل ومحنة الأمة في هذا القرن لو صدق توقع الدكتور الأنصاري ، وبات تُعساء « التكفير والهجرة » أو « جَهلة المقلدة » كما يسميهم الإمام الشوكاني ، ونظراؤهم وأشباههم في وطننا العربي الإسلامي هم ورثة الإمام الشيخ الأستاذ ، أو تلميذه صاحب « المنار » .

☆ ☆ ☆

أخبار اليمن في المنار
(السنة الأولى)

١ ـ الثورة في اليمن :

حين صدرت « المنار » كانت اليمن (العثمانية)[1] تغلي بمراجل الثورة ضد الوجود التركي ، فبعد عشر سنوات من الاستقرار النسبي الذي تحقق بفضل دبلوماسية الوالي الجديد محمد عزت باشا ، وليس باستخدام القوة والبطش اللتين مارسها فيضي باشا وأمثاله من الولاة . اندلعت في شمال صنعاء ثورة سنة (١٣٠٨ هـ / ١٨٩٢ م) ، وهي أول حلقة في سلسلة الثورات العنيفة التي لم تنته إلاّ سنة (١٣٢٩ هـ / ١٩١١ م) عندما عقد الأتراك مع الإمام يحي حميد الدين صلح « دَعّان » الذي سنأتي على ذكره وكيف تناولته « المنار » في عامها الرابع عشر والخامس عشر .

---

(١) بعد إرغام قوات محمد علي باشا على الانسحاب من الجزيرة العربية (حيث كانت مسيطرة عليها باسم السلطان من ١٨٩٨ ـ ١٨٤٠ م) أمر الباب العالي القوات العثمانية في الحجاز باستعادة اليمن ، فتم لها السيطرة على الحُديدة وموانئ الساحل عام ١٢٦٥ هـ / ١٨٤٩ م ولكنها فشلت في الاستيلاء على العاصمة صنعاء وطُردت قواتُها منها بعد حصارها لمدة شهر ، فعادت إلى الانحسار في الساحل لعشرين عاماً تمكنت بعدها من الاستيلاء على صنعاء عام ١٢٨٩ هـ / ١٨٧٢ م ومن ثم توسعت شمالاً وجنوباً ودخلت في سلسلة من الحروب والاقتتال مع القبائل اليمنية تخللها فترات استقرار نسبي حتى كان اتفاق « دَعّان » عام ١٣٢٩ هـ / ١٩١١ م ، ثم الجلاء النهائي بنهاية الحرب الكونية الأولى (راجع : فترة الفوضى وعودة الأتراك للكاتب / دار الفكر ١٩٨٥ م ، د. السيد سالم : تكوين اليمن الحديث : ٣١ ـ ٣٦) .

جاء ذكر اليمن للمرة الأولى في « المنار » في عددها الرابع عشر من سنتها الأولى (١٣١٥ هـ / ١٨٩٨ م) على شكل خبر صغير بعنوان « **ثورة اليمن** » ونصه :

« من أخبار بريد أوربا أن الفريق حقي باشا عُيِّن مشيراً للفيلق الهمايوني [أي السلطاني] الخامس في دمشق الشام خلفاً لعبد الله باشا الذي تقرر إرساله إلى اليمن لإخماد (ثورة) فيها ، وقد زعمت بعض الجرائد الأَوربية أن عبد الله باشا أبى الذهاب إلى اليمن [!] ولكن بريد سورية الأَخير أفاد أن دَولته كان على أُهبة السفر ولعله قد سافر الآن »[1] .

☆ ☆ ☆

٢ ـ الإصلاح في اليمن[2] :

لقد وصل ، بالفعل ، عبد الله باشا خلفاً للوالي حسين حلمي باشا وقائداً للجيوش ، ولكن وصوله جاء متأخراً ، سنة (١٣١٩ هـ / ١٩٠١ م) ، وقد نشرت « المنار » بعد ثلاثة أشهر ونصف الشهر من خبرها السابق إطراءً لإصلاحات الوالي حسين حلمي في اليمن بَطّنته بنقدٍ لاذعٍ عن ولاية بيروت وغيرها ، فبعد أن نقلت عن « ثمرات الفنون » نص قرار معمم لوالي اليمن « رَقيم إلى ملحقات الولاية » ـ سنعود إليه ـ علّقت « المنار » : « نسأله تعالى أن يحسن على ولايتنا البيروتية

---

(١) المنار : ١/١٤ ص : ٢٥٤ ـ ٢٥٥ ؛ وراجع (الملحق ١) .

(٢) جاء العنوان في « المنار » : (اليمن ـ الاصلاح فيها) .

بوالٍ مثل والي اليمن ، عطوفتلو [أي صاحب العطوفة] حسين حلمي بك أفندي الموصوف بالديانة والعفة والاستقامة ، ونرجو مثل ذلك لجميع ولايات السلطنة السَّنِيّة »[1] .

أمّا ذلك « الرَّقيم » « التعميم » فربما كان إحدى محاولات تنظيم أعمال الجباية والضرائب الجائرة التي كان اليمنيون يشكون - بل يثورون - من ظلمها ، وقد جاء في ديباجته : « إنه قد استبان من التحقيقات المهمة أن جباية الأعشار وزكاة الغنم والخراج في الولاية ، هو على أصول غير مطردة مما حصل عنه غدر وخسارة للخزينة والأهلين .. » .

« فلهذا تقرر وضع تعليمات لجباية الخراج ، وهي تقسيم المبالغ المقيدة صفقة واحدة باسم العِزْلة بين أهالي القرى المؤلفة منها تلك العزلة بنسبة نفوسهم وثروتهم ، وتقييد حصة كل قرية على حِدَتِها في قلم المال ، وبعد إعطاء مضبطة لكل قرية بما عليها ، توزع تلك الحصة في القرية على المكلفين ثم تحصل منهم بمعرفة المختارين المنتخبين أي العُقّال . أمّا جباية الأعشار فهي قريبة من ذلك ... أمّا الأغنام فتعد بموجب تعليماتها اعتباراً من أول آذار [مارس] » وختم التعميم بقوله « ذلك ما نرجو أن يكون من ورائه حفظ أموال الخزينة وصيانة الأهلين من سوء المعاملة والمغدورية »[2] .

---

(١) المنار : ١/٣٠ ص : ٥٨٣

(٢) نفسه .

٣ ـ إصلاح ميناء « المخآء » ومنع تهريب الأسلحة :

وفي العدد نفسه ـ قبل الخَبَر السابق ـ جاء خبران هما مع « الرقيم » (من أخبار صنعاء اليمن « الرسمية ») .

الأول : فهو قرار الحكومة « بعد استئذان الباب العالي » ببناء ميناء « أمين » يتسع لست بواخر ومائة سفينة شراعية ، لأن الريح الجنوبية التي هَبَّت « في هذا العام ، قد خربت ميناءها [لعله الحديدة] ، ولأن هذه الفرضة من الفرضات تبلغ قيمة الصادر والوارد منها نحو (مليوني ليرة) سنوياً » .

وأضافت : « وفي النية إصلاح فرضة (مخا) من أعمال تعز التي أصبحت مأوًى لمئات الصيّادين ، بعد أن نزح سكانُها وتجارُها منها لضيق ذات اليد فيها ، وتقهقرها في العمران منذ خمسين أو ستين سنة ، على أنها من القابلية لأنواع الترقي بمكان » .

والخبر الثاني : ـ فبعد الإشارة إلى أنه تم الأخذ بإنشاء مخافر بين « الحديدة » و« صنعاء » ذكر أن السفينة « السلطانية » (ريودريا) قد وصلت إلى « الحديدة » وأنها :« إحدى السفن التي أصدر الباب العالي أمره بأن تحافظ على الثغور اليمانية متعاً لتهريب الأسلحة وكبحاً لجماح الذين اعتادوا تهريبها ! »[١] .

وإذا كان أول ذكر لليمن في السنة الأولى « للمنار » هو خبر « الثورة

---

(١) المنار : ١/٣٠ ص ٥٨٢ ـ ٥٨٣ .

فيها » ، فقد جاء في العدد قبل الأخير للسنة الأولى ما يلي :

« أرسلت الدولة العلية إلى اليمن ذخائر تساوي قيمتها « مليوني » فرنك ، وتفيد الأخبار الأخيرة أن الدولة العلية ظفرت بالثائرين »[1] .

ولا شك في أن ذلك التوافق هو من باب المصادفة وحدها ، ولكن هل كان صحيحاً أن الدولة « العلية » قضت على الثورة ؟ ذلك ما سنتابعه في السنوات القادمة « للمنار » نفسها . وكان ما تقدم هو كل ما نشر عن اليمن في السنة الأولى .



(١) المنار : ١/٤٦ ص : ٩٠٠



2

المنار واليمن

(السنوات العشر الأولى)

١٣١٥ ـ ١٣٢٥ هـ / ١٨٩٨ ـ ١٩٠٧ م

١ ـ فرصتان للإصلاح .

(إصلاح التعليم والإدارة) .

٢ ـ مدارس ثانوية ، وصناعية ، وفنية ، وحربية في اليمن .

٣ ـ ذو القرنين وإزالة وهم تاريخي .

٤ ـ « المنار » يشيد بمؤلفات علماء اليمن المجتهدين .

٥ ـ « المنار » يبحث عن وكيل له في « عدن » .

٦ ـ أوضاع عدن والجنوب لمراسل « المنار » .

٧ ـ حال الشمال « اليمن التركية » .

٨ ـ عودة إلى أوضاع الجنوب ومراسل « المنار » .

٩ ـ مسألة الحدود (لجنة الحدود التركية ـ الانجليزية) .

١٠ ـ الإمام يحيى يخلُف والدَه .

(وتسقط صنعاء في يده) .

١١ ـ وفد شريف مكة إلى « اليمن والثورة » .

١٢ ـ من عدن إلى حضرموت .

١٣ ـ الخطر الإيطالي .

المنار واليمن



السنوات العشر الأولى

١٣١٥ ـ ١٣٢٥ هـ / ١٨٩٨ ـ ١٩٠٧

١ ـ فرصتان للإصلاح :

صدر العدد الأول من المجلد الثاني (السنة الثانية) يوم السبت ٢٨ شوال سنة ١٣١٦ هـ / ١١ مارس ، آذار سنة ١٨٩٩ م .

وكانت افتتاحية العدد ٢٤ / ٢ بعنوان « الفرصتان » ويستهلها السيد رشيد رضا بحديث عن أهمية التعليم والإصلاح الاداري قائلاً :

« من المجمع عليه أن المسلمين في هذه الأزمنة متأخرون عن جميع الأمم في حياتهم الاجتماعية فما من ملة من الملل إلاّ وقد سبقتهم ، إما في بسطة المال والرزق وخفض العيش ـ فقط ـ كاليهود[1] ، وإما في هذا ، وفي العزة والسيادة والسلطان .... فوجب على المطالبين بالإصلاح أن يستصرخوا الحكومة والأمة معاً ، على أن تلبي الدعوة إحداهما أو كلتاهما ، ولكن كثيراً من المتنبهين لوجوب الإصلاح يائسون منه لما يرونه من تقدم أوربا السريع ، وتأخر شرقنا المريع بل موته الذريع !.. »[2] .

إصلاح التّعليم والإدارة :

وبعد أن يوضح أن ما يعنيه بموت الشرق هو « قيام الغربيين بأعماله »

(١) ماذا كان سيكتب رشيد رضا يرحمه الله لو عاش أو بعث حتى يشاهد حال اليهود وسلطانهم في فلسطين المحتلة ، وحال العرب والمسلمين بقدسهم اليوم ؟!...

(٢) المنار : ٣/٣٤ (ص : ٥٢٩ ـ ٥٣٠) .

ـ وهو أمر للأسف ما زال في أوجه كثيرة كما نبه إليه رشيد رضا قبل ٨٧ عاماً ـ يشير إلى أنه سبق له الكتابة بأن أمام مصر والدولة العثمانية فرصتين للإصلاح ، في الأولى علمية ودينية ، وفي الثانية سياسية وإدارية .

فمصر المتمتعة بحرية التعليم والتأليف والنشر ، وتأليف مختلف الجمعيات وهي الأمور التي اقتضت سياسة المحتلين الإنجليز عدم التعرض لها لأسباب منها السيطرة في البداية[١] على الشئون المالية والإدارية والسياسية ، ومهما كان السبب فإن هذه الحرية فرصة تغتنم » ، وإذ اكتفى المحرر بالإشارة إلى ضرورة إصلاح التعليم في الأزهر الشريف مؤجلاً بيان الإصلاح الأزهري حتى تفرغ اللجنة المشكلة من أكابر علمائه وتقدم تقريرها ، فقد ألح على ضرورة الإسراع « بتعميم المدارس الأهلية على الوجه المرضي » لكنه عاد موضحاً المستوى الضحل لخريجي الأزهر وبخاصة في علوم (العربية وآدابها) مستشهداً بشهادات عدد من علماء العرب والعالم الإسلامي ، وبأنه لا يرجى من فيض على الأمة في الحياة الدينية « الملية » مالم يتقن المتخرجون من الأزهر « لوظيفتهم التي أنشئ الأزهر ، وأوقفت الأوقاف لأجلها ، وهي **حفظ الدين ولغته** بحيث يقدرون على القيام بمنصب القضاء الشرعي على الوجه الصحيح العادل ... وإرشاد الخاصة والعامة ، والتعليم في المدارس النظامية ليثبتوا الدين في جميع طبقات الأمة ... لكنهم لن يقدروا على شيء من هذا إلاّ بتغيير أساليب التعليم ، وبالاطلاع على أحوال العصر وفنونه المتداولة ... »[٢] .

(١) احتلت بريطانيا مصر عام ١٢٩٩ هـ / ١٨٨٢ م .

(٢) المنار : ٢/٣٤ (ص : ٥٣١ ـ ٥٣٢) .

أما فرصة الدولة العثمانية (العلية) فهي في اشتغال الدول الكبرى عنها بالمسألة الصينية ، وبعد شرح للصراع الأوربي حول تلك المسألة يؤكد بأنه :

« يجب على الدولة العلية أن تشتنل بنفسها ما دام الطامعون في شغل عنها ، فقد مضى عليها نحو نصف قرن وهي مشغولة بالسياسة الخارجية عن الإصلاح الداخلي ... ومن أهَمِّه : تعميم التعليم العسكري وتقوية الأسطول ، ومساعدة الرعية على تعميم المعارف ، وانتقاء العمال والحكام من الأكفاء ، والدولة العلية وسلطانها الأعظم ... أعلم منا بما ينبغي ويجب » .

وينهي الافتتاحية مرغباً بأن « السلطان قد وجه اهتمامه مؤخراً بزيادة الجيش وآلياته ، كما أمر بإنشاء المكاتب والمدارس في بلاد اليمن وغيرها من الولايات المحروسة ... »[1] .

☆ ☆ ☆

٢ ـ مدارس ثانوية وصناعية وفنية وحربية في اليمن :

وفي آخر صفحة من العدد نفسه في « باب الأخبار » بعنوان (بعض التفاصيل) يلمع المحرر إلى « الافتتاحية » التي لخصنا فيما تقدم أهم فحواها بغرض عرض آراء صاحب المنار وشمولية نظرته العربية والإسلامية من ناحية ، ولربط ما جاء فيها مقتضباً عن اليمن مع تفصيله لما يمكن أن

(١) المنار : ٥٣٢ ـ ٥٣٣ .

يكـون أمـلاً وتمنيـاً منـه حـول إعـلان البـاب العـالي بعض الاصـلاحـات الجديدة :

« ... فمن ذلـك أن تجعل بلاد اليمن ثلاث ولايـات ينتخب لهـا العمال من خيار الأكفاء نزاهة وسياسة ... وأن تنشأ في كل مدينة كبيرة مدرسـة إعـداديـة ، وفي مركز كل ولايـة مـدرسـة ملكيـة (أي ثـانويـة عـاليـة) ومدارس للصنائع والفنون ، ومدارس حربية ابتـدائيـة ، وأن يختـار لهـذه المدارس وغيرهـا من المـدارس الابتـدائيـة التي ستكون عـامـة أمهر المعلمين وأحسنهم » .

ولما كان المحرر ـ صـاحـب المنـار ـ هو كاتب الافتتـاحيـة ومعظم مواد المجلة وأبوابها ، وبخاصة مايحمل خبراً معيناً أو رأيـاً يعبر عن وجهـة نظره ـ كهذا الخبر ـ فقد علق على الخبر :

« ... وقـد قلنـا من قبل : لـو أن الـدولـة العليـة سـاست بـلاد اليمن سيـاسـة دينيـة لمـا حصل فيهـا مـا حصل من الثورات والفتن ، فعسى أن يكون انتخاب العمال والمدرسين كما يشاء مولانا السلطان لا كما تشاء الأهواء والأغراض »[1] .

☆ ☆ ☆

٣ ـ ذو القرنين وإزالة وهم تاريخي :

إننا لا ندري ما إذا كان الخبر السابق عن اليمن قـد أوحى للسيـد رشيـد

---

(١) المنار : ٢/٣٤ (ص : ٥٤٤) .

رضـا أو ذكّره التعليق على مـا يبـدو أن مجلتي « المقتطف » و « الهلال »[1] قد نشرتا ـ في نفس الفترة حوله ـ أم أنـه كان قـد عزم على ذلـك حتى ولو لم يـأت على خبر الإصـلاحـات في اليمن . فقـد جـاء في نفس الصفحـة من « بـاب الأخبـار » بعنوان « إزالـة وهم تـاريخي » ، من أن بعض مؤرخي المسلمين وعلمائهم توهم بأن :

« ذا القرنين المـذكور في القرآن الكريم هو إسكنـدر المقـدوني ، وهـذا غلـط فـاحش ، ووهم لا شبهـة عليـه . فــذو القرنين من كنى ملـوك اليمن العرب المعروفين بـالأذواء[2] ، كـذي يزن ، وذي نواس ، وذي الكـلاع ، والإسكنـدر رجـل يـونـاني وذو القرنين ـ مختلف في نبـوتــه ـ واسكنــدر مقطوع بكفره وضـلالتـه ، وذو القرنين كان في زمن أحـوال العمران فيـه مخالفة لأحوالـه في زمن إسكنـدر المقـدوني كما يعلم ممـا قصـه الله علينـا من أخباره ، فإنه طاف مشارق الأرض ومغاربها بأسباب طبيعية كانت متبعة في ذلك العصر ، فإنه يقول : ﴿ فأتبع سببـاً ﴾ ، حتى إذا بلغ ، كـذا ، ثم أتبع سبباً ، حتى إذا بلغ ، كذا . والراجح أنـه كان قبل إسكنـدر المقـدوني بــآلاف من السنين بحيث طمس أثر ذلـــك العمران . فعسى أن لا يغتر الناس بما يرونـه في كتب التفسير والتـأريخ وفي الجرائـد من هـذا الوهم »

(١) أسس المقتطف في بيروت يعقـوب صروف وفـارس نمر عـام ١٨٧٦ م ، ثم نقـلاهــا إلى القــاهرة وتوقفت عن الصـدور عـام ١٩٥٢ م ، وكانت « المقتطف » أحـد محـاور نـدوة العربي في عيـدهـا الفضي (راجع : كتاب العربي الثالث ، المجلات الثقافيـة والتحـديـات المعـاصرة : ٩ ـ ٦٨) ... أما « الهلال » فهي المجلة العربية المشهورة التي أسسها جرجي زيدان في القاهرة سنة ١٨٩٢ م .

(٢) ذكر الهمـداني أذواء حمير ـ ومنهم ذو القرنين ـ فجـاؤوا (مـائـة وأربعـة وأربعين) انظر الاكليل ٢/٤٥٥ ـ ٤٦٠

ـ وهنا ولعله بيت القصيد من هذا النقد الحصيف والعميق يختم تعليقه :
« وإننا نتعجب من أمثال أصحاب المقتطف والهلال كيف يكنون إسكندر المقدوني بذي القرنين ، مع رسوخ أقدامهم في علم التاريخ (!) ولعلهم فعلوا ذلك لمجرد مجاراة بعض مؤرخي الإسلام ، أو لرأي لهم آخر في المسألة والله عليم بذات الصدور ! »[1] .

إن ما ذهب إليه السيد رشيد رضا في تصحيحه ليدل على فهم ودراية بالتاريخ العربي القديم من ناحية ، وبالتفسير القرآني بمختلف رواياته ومذاهب علمائه واجتهاداتهم من ناحية أخرى ، وهو نفس رأي أكثر المظان والمصادر التي منها « إكليل » لسان اليمن الحسن بن أحمد الهمداني (ت بعد ٣٦٠ هـ / ٩٧١ م) الذي يذكر فيه نسبه لأولاد كهلان بن سبأ أن عمرو بن عزى بن كهلان « أولد زيداً ، والهميسع وهو ذو القرنين السّيار ، ويكنى بالصعب بقول أهل السجل ... فأولد الحارث الأعلى مالك الصعب ذا القرنين السّيار بقول همدان ... » ، ونقل محقق الجزء الثامن من الإكليل عن شمس العلوم لنشوان بن سعيد الحميري (ت ٥٧٣ هـ / ١١٧٨ م) قولاً ثالثاً في نسب ذي القرنين عُزي للإمام علي وابن عباس أن ذا القرنين السّيار « هو الصعب بن عبد الله بن مالك بن سدد بن حمير الأصغر » وقد شرح في الحاشية بعض أسباب هذا الخلاف[2] .

---

(١) المنار : ٢/٣٤ (ص : ٥٤٤) وراجع الملحق ٣

(٢) راجع : الاكليل ١/١٠ ـ ٦ ؛ ٢١٨/٢ : ٤٥٥ ـ ٤٦٠

بقي الإشارة إلى أن نهاية تعليق السيد رشيد رضا لا يخلو من الغمز والتشكيك الواضح في أهداف جورجي زيدان صاحب الكتابات المعروفة في التأريخ العربي والإسلامي ، وكذلك في مدرسة يعقوب صروف (١٨٥٢ ـ ١٩٢٧ م) وفارس نمر (١٨٥٦ ـ ١٩٥١ م) صاحبي « المقتطف » المسيحيين .

☆ ☆ ☆

٤ ـ المنار يشيد بمؤلفات علماء اليمن المجتهدين :

إننا إذ لا نجد في أعداد السنة الثالثة[1] من المنار شيئاً ذا بال عن اليمن ، فكذلك الحال في سنتها الرابعة[2] ، باستثناء تقريظها وإشادتها بصدور كتاب من أوائل كتب العلماء المجتهدين اليمنيين التي طبعت بمصر منذ أوائل هذا القرن ، وكان هذا بداية تقليد المجلة أولته عنايتها ، وعرف من خلالها الكثير من قرائها في الوطن العربي والعالم الإسلامي كتب أعلام اليمن وآراءهم أمثال العلماء ابن الوزير (ت ٨٤٠ هـ / ١٤٣٦ م) وابن الأمير (ت ١١٨٢ هـ / ١٧٦٩ م) والشوكاني (ت ١٢٥٠ هـ / ١٨٣٤ م) وغيرهم ، بل وأصبح للسيد رشيد رضا اجتهادات واقتباسات تعتمد عليهم كما سيأتي معنا فيما بعد .

☆ ☆ ☆

---

(١) صدر عددها الأول في يوم السبت غرة ذي القعدة سنة ١٣١٧ هـ / ٢ مارس ، آذار ١٩٠٠ م ، وآخر أعدادها في ١٦ شوال ١٣١٨ هـ / ٦ فبراير ، شباط ١٩٠١ م .

(٢) (١٣١٨ ـ ١٣١٩ هـ / ١٩٠١ ـ ١٩٠٢ م) .

إيثار الحق على الخلق لابن الوزير :

كان العلامة محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى الوزير (٧٧٥ - ٨٤٠ هـ / ١٣٧٣ - ١٤٣٦ م) أحد كبار العلماء والمفكرين اليمنيين المجتهدين الذين توالوا بعده ولاقوا مثله من حملات المتعصبين والجامدين ، وله مؤلفات مشهورة منها « العواصم والقواصم » - طبع مؤخراً - ومختصره « الروض الباسم » (ط) و « إيثار الحق على الخلق » الآتي ذكره ، وغير ذلك كثير ، و « ديوان شعره » في مجلد ما زال كمعظم كتبه مخطوطاً ، وشعره : « غالبه في التوسلات والرقائق ، وتقييد الشوارد العلمية ، والمجاوبة لمن امتحن به من أهل عصره .. » ، كما يقول عنه شيخ الإسلام الشوكاني[1] .

وفي مطلع عام ١٣١٨ هـ / ١٩٠١ م طبع كتاب العلامة ابن الوزير « إيثار الحق » ، فجاء في العدد الأول من السنة الرابعة للمنار التنويه بطبع الكتاب وتقريظ له ، نصه :

« إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق : كتاب جليل وسفر كبير ألفه السيد أبو عبد الله محمد بن المرتضى اليماني أحد مجتهدي القرن الثامن الهجري ، وقد طبعته شركة طبع الكتب العربية في مطبعة الآداب والمؤيد بالإتقان والنظافة المعهودين في الكتب التي تطبعها .

---

(١) الشوكاني : البدر الطالع ٨١/٢ - ٩٣ ؛ صبحي (د. أحمد محمود) : الزيدية ٥٣٩ - ٦٢٥

الكتاب في أصول العقائد ، وقد اقتصر فيه على ما نطق به الكتاب والسنة غالباً ، وترك الخوض في النظريات الفلسفية التي زادوها في علم عقائد الدين ، ولكنه توسع كغيره فيما توسع فيه المتكلمون ، كمسألة خلق الأفعال ، ومسألة الصفات ، ونقل كثيراً من كلام النظار . والميزة الكبرى التي امتاز بها كتابه على كتب العقائد المتداولة ، أنه لم يتعصب لمذهب مخصوص ، ولم يخف اللائمة في تقرير ما يعتقده إن كان مخالفاً لما عليه الناس ـ لأنه آثر الحق على الخلق ـ وهو أقرب إلى أهل الأثر منه إلى أهل النظر ، وعهدنا بأكثر المتكلمين التقصير في علم الرواية ، ويمكننا أن نقول : ينبغي لكل مشتغل بعلم الدين الاطلاع على هذا الكتاب »[1] .

☆ ☆ ☆

٥ ـ المنار يبحث عن وكيل له في عدن واليمن :

في السنة السادسة « للمنار » كان صاحبها ومحررها يبحث عن وكيل لنشر « المنار » في « عدن » واليمن عموماً ، ولعل انتظام المواصلات بين قناة السويس و « عدن » جعل الأمر أكثر يسراً للتفكير في البحث عن ذلك الوكيل في « عدن » المحتلة منذ عام (١٢٥٤ هـ / ١٨٣٩ م) عنه في اليمن العثمانية ، والتي يجعل الاتصال بعاصمتها « صنعاء » في ظل الظروف الراهنة بالغ الصعوبة ، ومزية أخرى « لعدن » بالنسبة للمنار هي معرفة أوضاعها وما يحيط بها من الجنوب اليمني في ظل الاختلال الإنجليزي الذي

---

(١) المنار : ٤/١ (ص : ١٦) الصادر في غرة ذي القعدة ١٣١٨ هـ / ٢٠ فبراير ، شباط ١٩٠١ م .

كان يواجه الثورات والحروب من القبائل اليمنية رغم شراء بعض السلاطين وتوقيع الاتفاقات الخاصة معهم مقابل منح سنوية كانت تدفع لهم .

☆ ☆ ☆

٦ ـ أوضاع عدن والجنوب لمراسل « المنار » :

لا نعلم ماإذا كان التقرير الذي نشرته « المنار » في عددها التاسع عشر من عامها السادس هو لمراسل خاص قد أرسلته خصيصاً إلى « عدن » ، أم لمجرد صديق لصاحب المنار كان في طريقه إلى المنطقة في مهمة رسمية أو خاصة ، وطلب منه الكتابة لمشاهداته وما قد يراه (ويبدو أن له أصدقاء ومعارف في عدن) ، فقد جاء عنوان الموضوع « عدن وبلاد العرب لسائح محب للمنار »[1] ، غير أن أول الموضوع جملة تقريرية تتحدث عن البحث عن وكيل للمنار ، مما يجعل الظن أن ذلك كان مراسلاً خاصاً ، حيث يقول :

« وقد وصلنا عدن منذ عشرة أيام ، ولم نجد سبيلاً للسفر إلى حضرموت لعدم مصادفة ركب متوجه إليها والأمل أن نصادف عن قريب . وقد كررنا التوسم في معارفنا « بعدن » علّنا نهتدي لمن يقوم بنشر المنار ، فلم نجد كفؤاً لذلك إلاّ صاحبنا ... [أغفل اسمه] إذ هو خير الموجودين ، ويجتمع لديه كثير من أهل عدن يومياً ، فعسى أن يستفيد بعضهم » .

☆ ☆ ☆

(١) المنار : ٦/١٩ (ص : ٧٥٨) الصادر في غرة شوال ١٣٢١ هـ/٢٠ ديسمبر ، كانون الأول ١٩٠٣

الجهل ومجالس القات :

ثم يشرح ما أسماه « أهل هذا الطرف » : « الذين هم أناس عمهم الجهل وغمرهم ، ولهم اجتماعات على أكل القات » ، وبعد وصفه لنبت القات وبأنه ربما « مفرح » كما قيل له ، يصف طريقة الجلوس في « مقيل القات » وتناول الماء واستخدام مدائع التدخين التي وصفها « بآلات التدخين » وهو لا يرى في ساعات الاجتماع التي تتم بعد الظهر إلاّ مضيعة للوقت والمال ، فبعضهم يصرف « فيه يومياً من ثلاث ربيات إلى عشر ربيات بلا فائدة ،..... وتراهم في معيشتهم مقترين ، وبيوتهم وثيابهم وسخة إلاّ أناساً قليلين ! إلاّ أن معاملتهم سيما مع الغرباء حسنة إلاّ ماندر ، ولهم صبر على الضيوف بالنسبة لغيرهم في هذا الزمان ! »[1] .

☆ ☆ ☆

توسيع الإنكليز لنفوذهم وردود الفعل ضدهم :

ويذكر أنه وصل إلى « عدن » في الشتاء ومع ذلك فهي حارة بالنسبة لغير أهلها ، وأن أكثر شوارعها « وسخة قذرة سيما مع المطر ... » فقد ذكَّرَتْه والناس يخوضون في أوحالها إلى نصف الساق بحيّ « الجمالية بمصر » إلاّ أن « حركة التجارة فيها مشكورة ! » وهذا يجعلنا نظن أن المراسل ربما كان من المهتمين ـ أيضاً ـ بالتجارة وشئونها .

وينتقل ليشرح أوضاع الانجليز المحتلين وعدد قواتهم والمحاولة في « توسيع دائرة نفوذها ، ولها مركز يسمى « الضالع » ، يبعد عن عدن

(١) المنار : ٦/١٩ (ص : ٧٥٨) .

١٤٠ ميلاً .. ولها فيه نحو ستة آلاف عسكري ، ولها في عدن وما والاها أكثر من أربعة آلاف عسكري جلهم من الهنود ـ تستخدم ـ « نحو أربعة آلاف جمل » .

ثم يذكر أنها جرت المحاولة في الاستيلاء على « يافع » ، فتم رشو سلطانها الذي وصل إلى عدن بغرض دخوله تحت الحماية ، فلما بلغ الأهالي اجتمعوا وعزلوا الخائن وأهدروا دمه ، ومن ساعده :

« وأقاموا أميراً آخر ، فلمّا بلغ هذا الخبر عدن ضاق واليها به ذرعاً .. ثم عمل الانكليز على الانتقام من أهالي يافع فأرسلوا شرذمة من عساكرهم التي بالضالع .. فصمم عرب تلك الجهة على الهجوم على العسكر ليلاً ، وأنذر بهم الانكليز فانسحبوا راجعين إلى الضالع ...

والمناوشات بين العرب وعساكر الانكليز مستمرة لا يخلو منها أسبوع غالباً حتى فيما قارب عدن »[1] .

ثم يذكر حادثاً وقع قريباً ولا يبعد عن عدن سوى ٢٤ ميلاً ذهب فيه نحو أربعين من الإنجليز ، وتسعة من العرب وعدد آخر من الجرحى من الطرفين منهم قائد الفرقة الانجليزية .

والأمر نفسه في سواحل « حضرموت » حيث الحروب مستمرة ، والإنجليز يمدون أمير « المكلا » ببنادق « مارتين » ومدافع بمساعدته يقاتل ومرتزقته قبائل المنطقة ، وحدثت مناوشات انسحب بسببها صاحب

---

(١) المنار : ٦/١٩ (٧٥٩) .

« المكلا » غير أن الخسائر لا تذكر ، ويختم تقريره عن حضرموت « بأن أمير المكلا لم يزل يحشد الجنود وقد اجتمع له أربعة آلاف رجل للحملة على حجر ، واجتمع نحو ستة آلاف من البدو للدفاع عن أوطانهم » إلاّ أن هناك وساطة من « السادات » بين الطرفين « وستكون الحرب أو الصلح ـ وهو الأقرب ـ في أثناء رمضان »[1] .

☆ ☆ ☆

٧ ـ حال الشمال « اليمن التركية » :

ينتقل المراسل بعد ذلك إلى أخبار الثورة ضد الإنجليز في الصومال ومدى خسائرهم هناك ، ويعتذر بأن الأخبار عن ذلك كثيرة ولكنه لم يثق بصحتها ، ثم يضيف الخبر المفيد الآتي عن القتال في « **عسير** » :

« أما اليمن التركية **فحالتها تعيسة جداً** ، ولا بد أن يكون قد بلغكم ما فعل بعض قبائل عسير وأنهم غدروا بسبعة طوابير صغار من الترك فقتلوهم ، إلاّ نحو ثلاثين نفراً تمكنوا من الهرب . **والسبب في ذلك طغيان الترك وظلمهم المكرر وعَدم الإنصاف** ، وإذا لم تنتبه الحكومة التركية فإنها تتسبب في إهلاك الرعية والعساكر والبلاد والمال » .

ذلك هو كل الخبر ، وأهميته ـ خاصة في حينه ـ أن الدولة العثمانية كانت تعتّم على أخبار الثورات والقتال في اليمن ، وتمنع وصول الأجانب

---

(١) المنار : ٦/١٩ (٧٥٩) ؛ وسيأتي بعد خمسة أشهر (أي في ربيع الأول ١٣٢٢ هـ/١٦ مايو ، أيار ١٩٠٤ م) توضيح آخر للمنار فيا حدث بعد هذا .

والصحفيين أو المراسلين إليها ، ومن الطريف ـ والمفيد كذلك ـ ها هنا أن صاحب « المنار » قد كتب هامشاً شرح فيه معنى « الطابور » وعدده فقال :

« الطابور في العرف التركي : فرقة من العسكر نحو ٨٠٠ أو ألف ، ويظن أنها تركية ، ولكن في شرح القاموس أن (التابور) بالتاء : جماعة العسكر »[1] .

☆ ☆ ☆

٨ ـ عودة إلى أوضاع الجنوب ومراسل المنار :

مرت خمسة أشهر على نشر ذلك التقرير لمراسل « المنار » لم يأت خلالها بأي شيء عن اليمن وأخباره حتى صدر العدد الخامس من المجلد السابع (السنة السابعة) فإذا بها تشير إلى ما سبق أن نشرته في (رمضان من العام السابق) من محاولة « إنكلترا الاستيلاء على جهات جبل يافع ... » وإلى استمرار المناوشات ... الخ ، فإنه قد وصلها أخيراً من « عدن » كتاب مؤرخ في ١٢ صفر الماضي (١٣٢٢ هـ / ٢٧ إبريل ، نيسان ١٩٠٤ م) يقول فيه مرسله :

« قد رجع أمير المكلا عن محاربة حجر بدون نتيجة ، ووصل كثير من عساكره إلى « عدن » قافلين إلى جبل يافع ، ومن أجل ما خسره في تجهيز هذه الحملة والتي قبلها قد ابتدع ضرائب وضاعف المكوس ، وستؤثر

---

(١) المنار : ٦/١٩ (ص : ٧٦٠) .

هذه السياسة الخرقاء بزيادة الهلاك ، وربما عجلت تدخل الإنكليز في تلك النواحي .

وقد أرجع الإنكليز كثيراً من عسكرهم إلى الضالع لإتمامهم (**التحديد**) مع الترك ـ حسب زعمهم أو لترقب فرصة أحسن لهم حسب عادتهم ، ولهم عناية باستمالة صاحب نصاب والعوالق ، ويتحدثون بمد سكة حديد من عدن تخترق جزيرة العرب إلى الكويت .. »[1] .

وبقية الخبر عن الصومال ووصول بعض الجند منها إلى عدن ، ثم إن في عدن كثيراً من المبشرين « دعاة النصرانية » تعضدهم الحكومة (البريطانية) فتعليق للمحرر (السيد رشيد رضا) بعده : « ونقول : إن هذا من سوء السياسة والجهل بالأمم فإن العرب لا يتنصرون ، ودعاتهم للنصرانية لا ينتصرون »[1] هذا صحيح رغم إننا لا زلنا نسمع بمن يظن خطره في اليمن أو غيره بعد أكثر من ثلاثة أرباع القرن على هذا التعليق وألف وأربعمائة عام على رسوخ العقيدة السامية في قلوب مختلف أبناء الأمة وعقولهم ، بيد أن المؤسف حقاً أن حديث الانجليز عن مد تلك السكة كان مجرد حديث لم نعمل ـ نحن في دول الجزيرة المستقلة ـ من أجله شيئاً حتى ولو مجرد الحديث والأمل في تحقيقه !.

☆ ☆ ☆

---

(١) المنار : ٧/٥ (ص : ١٩٤ ـ ١٩٥ الصادر في غرة ربيع الأول ١٣٢٢ هـ/١٦ مايو ، أيار ١٩٠٤ م .

٩ ـ مسألة الحدود (لجنة الحدود الإنجليزية التركية) :

باستثناء الإشارة الواردة في التقرير السابق عن (التحديد) بين الإنجليز والأتراك ، لم تفصل المنار شيئاً في هذا الموضوع الهام ، بل ولم يرد عن اليمن عموماً أي ذكر في اثني عشر عدداً (ستة أشهر من السنة السابعة) حتى كان العدد ١٨ / ٧[١] حين ذكرت « المنار » في : « أهم ما يؤرخ من الأنباء .. » وبعنوان « الدولة العليّة والإنكليز ، الخلاف والوفاق والأسطول والمالية » إن الجرائد تكتب عن اهتمام الدولة بإنشاء أسطول عظيم ، وإن إنجلترا هي التي تحث الدولة على ذلك ، وقد زار أميرال أسطول البحر المتوسط الإنجليزي السلطان الذي بالغ في إكرامه كأنه من بيت الملك ! وتكلما في ذلك فأكد الأميرال للسلطان الوعد بأن إنكلترا :

« تساعده على تقوية البحرية حتى بالمال بشرط أن يهتم بإصلاح المالية فيعزل ناظرها [وزيرها] الذي كان يومئذ ، ويولي مكانه الناظر الحاضر ، ويؤلف لجنة للإصلاح المالي ، وبعد أن سمعنا هذا رأينا السلطان فعل ذلك » وتضيف بتعجب وتساؤل : « ومع هذا نرى الدولتين **مختلفتين على حدود « عدن »** ، ونرى إنكلترا لا تنفك تسعى في تقوية نفوذها في « الكويت » و « بلاد العرب » ، والسبب في هذا وذاك الخوف على زقاق [مضيق] البوسفور من روسيا ، وعلى الخليج الفارسي [العربي] منها ومن ألمانيا ، وتتمنى لو تقدر الدولة بقوتها على حفظ الخليجين »[٢] .

---

(١) صدر في ١٦ رمضان سنة ١٣٢٢ هـ/٢٤ نوفمبر ، تشرين الثاني ١٩٠٤ م .

(٢) المنار : ٧/١٨ (ص : ٧١٩ ـ ٧٢٠) .

ذلك هو كل الخبر المبطن بالتهكم على السياسات العثمانية إزاء الأطماع والأهداف الاستراتيجية البريطانية .

أما مسألة تحديد الحدود بين مستعمرة « عدن » والأراضي المحيطة بها من ناحية والمناطق اليمنية الأخرى التي تخضع للسيطرة التركية المشار إليها باقتضاب في المنار فربما كانت في حاجة إلى الإيضاح الآتي :

فبعد أن فشل الجنرال جوب المقيم البريطاني وقواته في عدن في وضع ترتيبات خاصة لمسح الأراضي الجنوبية طيلة عشر سنوات (١٨٩٢ ـ ١٩٠٢ م) وذلك نتيجة الثورات والهجمات المحلية على البريطانيين لجأت بريطانيا للتنسيق مع الأتراك العثمانيين الذين كانوا يساعدون القبائل الجنوبية بالأسلحة ، بل كانت قوات تركية تسارع في احتلال بعض المواقع التي كانت تحاول قوات مركز الضالع البريطانية الاستيلاء عليها ، وتم تشكيل لجنة الحدود الأنجلو ـ تركية في أواخر عام١٩٠١ م وعقدت أول اجتماع لها في يناير ، كانون الثاني ١٩٠٢ م ، لكنها لم تحرز أي نجاح حتى عام ١٩٠٧ عندما وضعت اللجنة خطاً وهمياً فاصلاً يبدأ من باب المندب بطول « ١٥٠ » ميلاً التزم بموجبه الأتراك لسوء أوضاعهم واضمحلال نفوذهم في اليمن « وفي النهاية أدرجت المداولات حول مسألة الحدود في اتفاقية تم توقيعها في إبريل ، نيسان سنة ١٩٠٩ م كما أدخلت في المعاهدة الأنجلو ـ تركية لسنة ١٩١٤ »[1] . بيد أن الإمام يحيى وريث الأتراك ـ فيما بعد ـ لم يعترف بذلك كله .

☆ ☆ ☆

---

(١) انظر : ماكرو (اليمن والغرب) تعريب الكاتب ، ص : ٨٩ ـ ٩١

١٠ ـ الإمام يحيي يخلف والده وتسقط صنعاء في يده :

تـوفي الإمـام المنصـور بقفلـة عـذر ـ شمال صنعـاء ـ سنـة ١٣٢٢ هـ / ١٩٠٤ م ، وخلفه ابنُه الإمام يحيي بن محمد حميد الـدين البـالغ من العمر « ٣٦ » عاماً واستمر حكمه قريب خمس وأربعين سنة حتى مقتلـه في ثورة ١٣٦٧ هـ / ١٩٤٨ م ، الدستورية .

واصل الإمام يحيي قيادة الثورة ضد الأتراك وشدد الضربات والحصـار على حاميـات المـدن الشماليـة حتى استولى عليهـا ، بل وتمكن بعـد حصـار صنعـاء ومن ثم تـوسـط أهلهـا وبعض قـادة الأتراك في الصلـح معـه ، من دخـولهـا في مطلـع سنـة ١٣٢٢ هـ / ٢١ إبريـل ، نيسـان ١٩٠٥ م ، ولم يغادرها حتى جيشت الدولة العثمانيـة الجيوش وعجلت بـإرسـال قـائـدهـا المشهور أحمد فيضي باشا لفك الحصار[١] .

---

(١) هذه هي المرة الثالثة لتي يكلف بها أحمـد فيضي بـاشـا بقيـادة حملـة على اليمن لصرامتـه وشـدتـه ومعرفته بالبلاد ، وكانت « المنار » المتحمسة للحركة الوهابيـة التي كانت تواجـه البـداوة والجهل البدائي والتعصب القبلي في شمال الجزيرة تَنشرُ في نفس الوقت بعض أخبار نجـد والحجـاز ، وفي العدد ٥/٨ بعد عدة أعداد لما نشرتـه عن اليمن نشرت تحت عنوان « انطفـاء فتنـة نجـد واستقرار الأمر في آل سعود » عدداً من « كتب المشير أحمد فيضي باشا » والي الحجاز إلى قبـائل « عنيزة » وغيرها .. وقد علقت على ذلك بالثناء على الرجل القـائـد الـدموي العجوز بقولهـا : « ... وقـد سرنا أن الدولة ـ وفقها الله ـ أرسلت إلى نجد هذا الرجل الـذي سلـك مسلـك الحكمـة ، وحفـظ كرامة الدولة وحقن دماء المسلمين [؟!] وأنام الفتنة التي كان أيقظها **ابن رشيد** ،وهذا ما كنـا أشرنـا بـه وتمنينـاه ، وليتهـا وفقت لمثل ذلـك في اليمن قبـل استفحـال الفتنـة ، واشتعـال نيران الثورة ، وليتها لم ترسل إلى اليمن أهل السلب والنهب المغرورين بقوة الدولة على رعيتها فالولـد الذي يربى بالقسوة والعنف لا ينشـأ إلا عـاقـاً ينتظر الفرصـة للانتقـام ممن ربـاه . فليت عمـال الدولة القساة في سورية وغيرهم يفهمون القاعدة الطبيعية » .

خلال تلك الأشهر العصيبة نشرت « المنار » في عددها قبل الأخير من سنتها السابعة بعنوان « **فتنة اليمن** » متابعاتها لأخبار اليمن ونصحها للدولة العثمانية ، وذلك قبل سقوط صنعاء بثلاثة أشهر ، حيث ذكرت :

« شاع من مدة أن ـ حميد الدين ـ مدعي الإمامة في اليمن قد توفي ، وكان يظن أنه هو الذي كان يثير الناس على الدولة ، ولكن الفتنة قد عظمت من بعده ، وقد استفاضت الأخبار بأن الثائرين في اليمن قد استفحل أمرهم ، حتى إنهم حاصروا صنعاء عاصمة الولاية . ويؤيد هذه الأخبار ما جاءتنا به أخبار « سورية » من اهتمام الدولة بجمع عسكر الرديف الذي لا يجمع عادة إلاّ في الحروب العظيمة لأجل اليمن بضرب القرعة العسكرية قبل أوانها . وقد كانت الدولة وفقها الله تعالى في غنى عن هذا كله لو أحسنت الإدارة والسياسة هناك ، فإن الأهالي لا يثورون إلا من الظلم والضيق ، وسبب الظلم أن عمّال الحكومة هناك أكثرهم من الأشرار الذين أرسلوا إلى اليمن عقوبة لهم وتأديباً ، ثم إنهم يكلفون بجمع المال وإرساله إلى « الآستانة » ولا يسمح لهم أن يأخذوا رواتبهم منه إلاّ في كل عدة أشهر مرة ، فيضطرونهم إلى الظلم والرشوة والنهب . والطريقة المثلى لذلك أن تختار الدولة جميع العمال لتلك البلاد من أهل العلم والدين ، وتعهد إليهم بأن يحكموا بالشريعة دون القوانين ، وتعطيهم رواتبهم في كل شهر ، وتعاقب من يشذ منهم أشد العقاب . ثم تجتهد في عمران تلك البلاد التي كانت لها مدنية لا تضارعها في وقتها مدنية »[1] .

(١) المنار : ٧/٢٢ (ص : ٨٧٧) الصادر في : الأحد ١٦ ذي القعدة سنة ١٣٢٢ هـ/٢٢ يناير ، كانون الثاني ١٩٠٥ م) .

ذلك كان الخبر ، وتلك كانت النصيحة والنقد ، وذلك يظهر بلا شك أن المصلح المخلص صاحب « المنار » السيد رشيد رضا كان في واد وجلالة السلطان وبابه العالي بل والامبراطورية العثمانية في واد آخر .

☆ ☆ ☆

١١ ـ « وفد الشريف إلى اليمن والثورة » :

بوصول أخبار الحملة الرهيبة التي جهزتها الدولة العثمانية بقيادة أحمد فيضي باشا ، انسحب الإمام يحي من العاصمة صنعاء خوفاً من شدة الحصار الذي قد يضربه عليها فيضي باشا ، ومن ثم النتائج الخطيرة التي ستحل بسكان المدينة وبالإمام نفسه وقواته عند سقوط المدينة في يد القائد التركي الذي أحرق في طريقه من الحديدة إلى صنعاء وقضى على أكثر من ثلاث مئة قرية وخسر الآلاف من قواته قبل الوصول إلى صنعاء[1] وبعيداً عن تفاصيل الانتصارات والخسائر عند الطرفين بعد دخول فيضي باشا صنعاء ومحاولاته استعادة هيبة الدولة بتوسيع عملياته العسكرية ، فقد تحقق لدى الباب العالي أنه لا مناص من مفاوضة زعيم الثورة الإمام يحي حميد الدين والتوصل معه إلى بعض الحلول بعد خسائرها الكبيرة وسوء السمعة الداخلية والعالمية حول المسألة اليمنية وثورتها العنيدة ، لكن المفاوضات فشلت برفض شروط الإمام يحي الخمسة عشر والتي بعث بها في كتابه المؤرخ ١٣ صفر ١٣٢٤ هـ / ١٩ إبريل ، نيسان ١٩٠٦ م[2] رغم تضمينها اعترافه بالسيادة العثمانية على

(١) ماكرو : اليمن والغرب : ٨٧

(٢) راجع تفاصيل ذلك في كتاب د. سالم « تكوين اليمن الحديث » : ٧٧ ـ ٨١

اليمن ، وهكـذا فشلت المفـاوضـات وانتهت شبـه الهـدنـة وتجـدد القتـال والثورة ، حتى كان منتصف العام التالي عندما قرر البـاب العـالي ضرورة العودة إلى التفاوض ، فأوعز السلطان عبد الحميد إلى شريف مكة بإرسـال وفـد من كبـار علمـائها للتوسـط بغيـة الصلح ، وعن هـذا الـوفـد نشرت « المنار » تحت العنوان الذي وضعناه لهذه الفقرة ، بعـد صمت عن أخبـار اليمن لأكثر من عام ، حين كتبت :

« بلغنا أن الشريف أمير مكـة المكرمـة ، أرسل وفـداً مؤلفـاً من أحـد الأشراف ، وأحد العلمـاء ، وثلاثـة نفر تـابعين لهما إلى زعيم الثورة في اليمن ليقنعه بالخضوع للدولة العليـة ، والـدولـة لا تزال ترسل الجيوش إلى اليمن تباعاً ، والثورة تزيد قوة وامتداداً ، وأن قليلاً من العدل والحكمـة خير من ذلك كله ، وأنى لنا بها »[1] .

أما موقف الإمام يحيى من هذه الوساطة وآراءه فقد وردت في خطاب رد طـويـل مـؤرخ ١٨ شعبـان سنـة ١٣٢٥ هـ / اكتـوبر ، تشرين الأول ١٩٠٧ م بسط فيه وجهة نظره ومقترحـاتـه من أجل الصلح وحل المعضلـة اليمنية ـ التركية[2] .

☆ ☆ ☆

---

(١) المنار : ٩/٦ (ص : ٤٨٠) الصادر في أول جمادى الثانية ١٣٢٤ هـ/٢٣ يوليو ، تموز ١٩٠٦ م .

(٢) انظر نص الكتـاب في « تكـوين اليمن » : ٥١٠ ـ ٥١٥ ، وراجـع تـاريـخ اليمن للـواسعي : ٢١١ ـ ٢١٨ .

١٢ ـ من عدن إلى حضرموت :

وفي العدد التـالي من « المنـار »[1] نشر في (بـاب الأَخبـار والآراء) ، « حضرموت واليمن » ملخص رسالة (تقرير) في قرابة أربع صفحـات من نفس المراسل السابق[2] قبل أكثر من عامين . والتقرير عبـارة عن تسجيل رحلـة لصـاحبـه استغرقت شهرين منـذ غـادر عـدن برّاً حتى وصـل إلى حضرمـوت واصفـاً جغرافيـة البـلاد التي مر بهـا ، وبعض المعلـومـات عن الحكام المحليين بـدءاًمن « أرض الفضلي ،.. وسلطـانهـا أحمـد بن حسن الفضلي .. الـذي لـه راتب سنوي من إنكلترا نحو (١٢٠٠٠) روبيـة .. إلى يافع فالعوالق ... فلحج التي ملكها [هكذا] أحمد فضل العبدلي قـد بـاع أرضـه من إنكلترا ولـه راتب منهـا ..» ، ثم يختم تقريره عن « حضرموت » ويصف أهلهـا بـأنهم « **في الجملـة قبوريّـة** » ولعـل هـذا النعت كان تحت تأثير الأفكار والدعوة الوهابية ـ ضد القبور ـ ثم يذكر أن واردات « المكلا خاصة : ٣٥٠,٠٠٠ جنيه يؤخذ عليهـا مكس بـاهـظ ، وأمـا الصـادر وهو التنباك والسمـك وغيره فنحو ١٠٠,٠٠٠ جنيـه ، ولا تزال أسـاطيل إنكلترا ومدرعاتها تطوف بهذه السواحل تتنسم الأَخبار » وأخيراً وهو هام بالنسبـة لنشر « المنار » يضيف :

« وعسى أن نوفق هنا للـدعوة فـإنـا وجـدنـا حزبـاً [هكـذا] يوافق مـا نحن عليـه وأنـاسـاً يعرفون « المنـار » أكثرهم ممن يتـاجرون إلى جـاوه

---

(١) المنار : ٩/٧ (الصادر في أول رجب ١٣٢٤ هـ/٢٣ اغسطس ، آب ١٩٠٦ م) .

(٢) راجع ماسبق (ص : ٤٤) .

ودولة المكلا [أي أميرها] غائب بالهند وسأوافيكم بما يتجدد » أ . هـ[1] .

ويلفت النظر استخدامه للفظ « حزب » بدلاً من « جماعة أومجموعة » فهل كان ذلك مجرد مرادف لغوي أم أنه قصد « حزباً » بالمفهوم السياسي الديني ؟ هذا ما لا نستطيع البت فيه الآن .

☆ ☆ ☆

١٣ ـ الخطر الإيطالي :

لم تنشر « المنار » أي خبر أو أي شيء ذي بال عن اليمن بعد تقريرها السابق لعشرة أشهر ، حتى إذا كان العدد الثامن من المجلد العاشر (السنة العاشرة) كتبت في نفس (باب الأخبار والآراء) تعليقاً بعنوان : (سياسة إيطاليا بمطامعها في بلاد المسلمين) ،كان نصفه الأول ذا علاقة مباشرة باليمن حيث جاء به :

« دولة إيطاليا تحاول مجاراة الدول الاستعمارية ،ولكنها تجهل الاستعمار فتسلك إليه غير طرقه ، وتأتيه من غير أبوابه . ومن المعروف المشهور أن لها طمعاً قديماً في ولاية طرابلس الغرب العثمانية ، وقد علمنا في هذه السنة أن أطماعها قد تعلقت **بولاية اليمن** ، وأنها منذ زمن غير قريب تدس الدسائس إلى إمام الزيدية فيها لتقوي عزيمته على محاربة الدولة العلية ، وتتوهم أنها تدخل اليمن في ظلمات هذه الفتنة فلا يفطن لها أحد ، وإن طمعها في اليمن لأدلّ على جهلها بطرق الاستعمار من طمعها

---

(١) المنار : ٩/٧ (ص : ٢٧٥ ـ ٢٧٨) .

في طرابلس الغرب ، ولا لأن الزعيم الديني الذي في اليمن سياسي حربي بالفعل ، والزعيم الديني (وهو السنوسي) الذي في صحارى طرابلس ليس كذلك ، بل لأن اليمن والحجاز صنوان ، فالدولة التي يستقر سلطانها وقوتها في اليمن تكون خطراً متصلاً بالحجاز ، فأول من يتألب عليها إذا كانت غير مسلمة عرب الجزيرة ، ويجب على جميع المسلمين في جميع أقطار الأرض أن يكونوا عوناً لهم بكل ما يستطيعون ، فكأن دولة إيطاليا بطمعها في اليمن تهدد المسلمين بهدم الكعبة والقضاء على الإسلام .. »[1] .

إن المحاولة الإيطالية في وجود موطىء قدم لها في اليمن (الشاطئ الآخر المقابل لوجودها في القرن الإفريقي) أقدم من ذلك بكثير ، لكن رأي الإمام يحي وموقفه بصدد ماذكرته « المنار » - أثناء الحرب الطرابلسية : « هو الرفض لأنه يعتقد أن تقدم إيطاليا في الجزيرة العربية كما قال : « ما هو إلاّ محاولة غربية لتحطيم الإسلام في الجزيرة »[2] وذلك - بالطبع - لم يمنع في وقت لاحق (١٣٤٥ هـ / ١٩٢٦ م) وإزاء الخطر البريطاني في الجنوب من أن يوقع الإمام يحي مع أول حاكم ممثل لموسوليني في أرتيريا الدكتور جاكوبو غاسبريني أول معاهداته مع أوربة اعترفت به ملكاً لليمن ، كما أن الأمر نفسه وبعد ذلك بأكثر من عقد كان مسعى القوميين العرب منهم المرحوم الشيخ أمين الحسيني في الاتصال بموسوليني للاستغاثة به إزاء الخطر الصهيوني والتآمر البريطاني .

---

(١) المنار : ١٠/٨ (ص : ٦٢٧) الصادر في شعبان ١٣٢٥ هـ/٨ اكتوبر ، تشرين الأول ١٩٠٧ م) .

(٢) سيد سالم : تكوين اليمن الحديث : ٣٠٦ .

3

« اليمن »

« سبب فتنتها وإمام « الزيدية » فيها »

١ ـ لمن الشرعية في حكم اليمن ؟

٢ ـ نص رد من الإمام المنصور على مفتي حَماة .

٣ ـ مقال لرفيق العظم عن أصول الإصلاح في اليمن .

٤ ـ صاحب المنار يُمضي عاماً في القسطنطينية .

٥ ـ اليمن ودماء العثمانيين المهدورة فيه .

٦ ـ حل مشكلة اليمن وسائر جزيرة العرب .

٧ ـ إرهاصات الصلح والسلام .

٨ ـ المنار تنشر مقالاً عن التايمز .

(حول حصار صنعاء) .

٩ ـ « المنار » وصلح دعّان .

١٠ ـ « المنار » والإدريسي .

١١ـ « المنار » ينعي وفاة الإدريسي .

« اليمن »
« سبب فتنتها وإمام الزيدية فيها »

١ ـ لمن الشرعية في حكم اليمن (للسلطان أم للإمام) ؟ :

رغم الستار الحديدي المضروب حول اليمن ، ونزرة الأخبار التي تبلغ العالم الخارجي عن أحداثها ، فقد واصلت « المنار » التذكير بقضية اليمن وبسوء الإدارة التركية فيها ، وكتبت تحت العنوان ـ أعلاه ـ أن اليمنيين « وسائر جزيرة العرب يحبون الدولة العثمانية محبة صادقة ، وزادهم حباً فيها وحرصاً على بقائها في هذا الزمن اعتقادهم أن دول أوربا تتربص بها الدوائر ، وتحاول إزالة سلطتها لإزالة سلطة الإسلام من الوجود ... » .

ولكن تستطرد ـ المنار ـ أو بالأصح صاحبها :

« ولكن الذين لا يطيقون احتماله ، ولا يصبرون عليه هو الظلم والجور والخيانة والغدر ، لأنهم ورثوا الاستقلال الشخصي والقومي ، وعزة النفس ، وإباء الضيم منذ آلاف السنين »[١] .

وبعد أن يذكر المحرر السيد رضا أنه سبق وأن بين في « المنار » من قبل أن القليل من الحكام العادلين العارفين بالشريعة يمكن لهم توفير الجهد

---

(١) المنار : ١١/٣ (الصادر في ٣٠ ربيع الأول سنة ١٣٢٦ هـ/أول مايو ، أيار ١٩٠٨ م) ص : ١٧٦ ـ .

والمال والرجال على الدولة العثمانية ، يوضح للمرة الأولى أن « الزيدية من عرب اليمن التي تدين بوجوب إقامة إمام لها .. هم أجدر العرب بعدم الخضوع للدولة العثمانية ، ولكنهم مع ذلك يتمنون لو تقيم الدولة في بلادهم العدل ، وتحكم بالشرع ، ويكون لها منهم ما يريدون ، فما بالك بغيرهم »[1] .

ثم يطرح صاحب المنار أمراً هاماً للجدل والبحث يتعلق بمسألة الشرعية فيمن يحكم اليمن ، أو بلغة الفقهاء : من الذي يجب طاعته وعدم الخروج عليه ؟ ويجيب :

« حاولت الدولة غير مرة أن تقيم الحجة الشرعية على هؤلاء بوجوب طاعة السلطان ، وتحريم الخروج والعصيان ، فأرسلت من خاطب إمامهم بذلك غير مرة ، فكانت حجة الإمام أنهض ، وحجة رسول السلطان أدحض ، لأن الظلم والبغي بغير الحق حجج عملية لا تبطلها الحجج القولية ،ولا تفيد معها شيئاً »[2] .



---

(١) المنار : ١١/٣ ؛ ص : ١٧٦ ـ ١٧٧

(٢) نشر المؤرخ المرحوم محمد زبارة نص كتاب الشيخ محمد بن علي الحريري الرفاعي **الحموي** السوري ، مفتي حماة الذي وصل إلى صنعاء في ربيع الأول سنة ١٣٠٩ هـ « عن أمر السلطان عبد الحميد » كما نشر رد الإمام عليه منوهاً أن صديقه صاحب المنار قد نشر الرد (زبارة أئمة : ٥٢/٢ ـ ٥٩) .

٢ ـ نص رد من الإمام المنصور محمد بن يحيي حميد الدين على مفتي حماة :

ولكي يدلل السيد رضا على صحة ما ذهب إليه قام بنشر نص رد جوابي طويل جاء في خمس صفحات[١] يرد فيه الإمام المنصور الذي كان في الواقع قد مات وخلفه ابنه يحي قبل هذا بأربع سنوات[٢] عما وجهه إليه الشيخ محمد الحريري مفتي حماة المندوب الذي أرسله السلطان إليه منذ سنين ، وعثر عليه المحرر حديثاً كما ذكر .

وبعد نص الخطاب الطويل الذي يذكر فيه الإمام أسباب الثورة ضد الأتراك لأن « المأمورين لم يؤدوا حقوق الله ، ولا راعوا حرمة ما حرّم الله ، ولا غضبوا يوماً على معاصي الله ، ولم يعملوا بشيء من كتاب الله ، ولا سنة رسوله (وشَرّعوا من الدين مالم يأذن به الله) ، وارتكبوا المعاصي ، ورموا إليها الناس بأطراف النواصي ، وجاهروا الله بشرب الخمور ، وارتكاب الفجور ، وظلموا كل ضعيف ، وأهانوا كل شريف ... » .

وغير ذلك كثير مستشهداً بالآيات الكريمة والأحاديث النبوية والشعر .

يعلق عليه صاحب « المنار » قائلاً « إن الدولة تسمع هذه الأخبار وتقرأ مثل هذا الجواب ، ثم هي توالي إرسال الجيوش إلى اليمن ، فإذا توالى

(١) المنار : ص ١٧٧ ـ ١٨١ وانظر نصه في الملحق (٨) من نصوص المنار .

(٢) راجع (ص : ٥٢ فيما سبق) .

انكسارها أرسلت من الرسل السلميين من يقيم الحجة على إمام الزيدية !!
لم تعتبر بإخفاق محمد الحريري وحسن خالد الصيادي فأرسلت في العام
الماضي وفداً من علماء مكة[1] فكانت حجتهم كحجة من سبقهم ... »
ويرى أن الدولة العثمانية لم تأخذ بنصائحه وأمثاله المخلصين بإرسال والٍ
حكيم عادل وعمال مستقيمين لتنطفىء الفتنة وتخضع اليمن للدولة ، ولما
كان الأمر كذلك فهو يحذر وينذر : « فلتعلمْ أنَّ جميع بلاد العرب ستتبع
اليمن في الخروج عليها أو الخروج من سلطتها »[2] .

وذلك ماحدث بالفعل ، ولم يكن منه بد حتى لو أخذت الدولة
العثمانية المحتضرة بمثل تلك النصائح .

☆ ☆ ☆

٣ ـ مقال لرفيق العظم عن أصول الإصلاح في اليمن :

كتب المؤرخ والمفكر العربي السوري رفيق العظم[3] مقالاً في العدد
العاشر من السنة الحادية عشرة للمنار بعنوان « **البلاد العربية والسكة
الحجازية** »[4] استهله بذكر مساحة بلاد العرب « أو شبه جزيرة
العرب » وعدد سكانها التقديري ـ آنذاك ـ « سبعة ملايين وعلى أكثره

(١) راجع (ص : ٦٢ والحاشية ٢) وانظر ص ٥٤ ـ ٥٥

(٢) المنار : ١١/٣ (ص : ١٨١) .

(٣) رفيق العظم (١٢٨٥ هـ/١٨٦٧ م ـ ١٣٤٤ هـ/١٩٢٥ م) عالم ، مؤرخ ، من رجال النهضة الفكرية في سورية ، ولد في دمشق وتوفي بالقاهرة ، له « أشهر مشاهير الإسلام في الحرب السياسية » و « الجامعة الإسلامية وأوربا » .

(٤) المنار : ١١/١٠ الصادر في ٢٩ شوال ١٣٢٦ هـ/٢٣ نوفمبر ، تشرين الثاني ١٩٠٨ م) .

عشرة ملايين »[1] ، وأرضها وخيراتها ، « ... واليمن أجود بلاد العرب بقاعاً ، وأكثرها سكاناً ، وأعظمها ثروة وخصباً ، ولهذا كانت تسمّى قديماً العربية السعيدة .. » .

وبعد أن ألمح إلى جغرافية اليمن واتساع وديانه وخصبها ، ونشاط السكان وجهدهم « بقدر ما يتسع لهم المجال وتساعدهم الحال » يوضح الكاتب حاجة البلاد إلى إصلاحات كثيرة وعناية كبيرة من الحكومة العثمانية لافتقاد وسائل الري الحديثة وإكثار البذور « واستنبات أنواع الزرع ، وفقد الراحة والأمن .. ونزاع بين الحاكم والمحكوم له كادت تفضي إلى خراب البلاد »[2] .

ثم يقدم ثلاثة مقترحات إصلاحية هامة تدل على فهم المؤرخ العظم وبعد نظره ، ومتابعته للمسألة اليمنية وتاريخ اليمن . فبعد التأكيد على أن إصلاح أحوال اليمن سيدر إيراداً للدولة « بضعة عشر مليوناً من الليرات » ، ولعل هذا بغرض الترغيب ولفت نظر المعنيين بمصادر وموارد مالية لخزينة الباب العالي المفلسة ، يسرد أصول الإصلاح كما يلي :

أولاً : الدعوة إلى الاستفادة من الأمطار والسيول بإقامة السدود والخزانات في الجبال والسفوح ، مشيراً إلى أن اليمن متعددة المناخات وأن بعضها « يزرع في السنة ثلاث مرات ، ويؤخذ منها ثلاث غلات ...

(١) سكان اليمن (ج.ع.ي) بناءً على التعداد الأخير المعلن في ربيع العام الماضي (١٩٨٦ م) (تسعة ملايين وثلثمائة ألف نسمة بما في ذلك أكثر من مليون يعيشون مغتربين في خارج الوطن) .

(٢) المنار : ١١/١٠ ص : ٧٦٥ ـ ٧٦٦

وإذا بلغ نظـام الري والزرع فيـه مبلغـه في الهنـد ومصر فـإنـه يكون بـلا ريب من أغنى البلاد العثمانية .. »[1] .

ثـانيـاً : لقـد كانت الـدعوة إلى التنظيم الإداري لليمن مستمرة فتقسيم ولاية اليمن إلى ثلاث ولايات إحداها صنعاء ، والثـانيـة عسير ، والثـالثـة تعـز لكي يتسنى بهـذا التقسيم إدارة شئـون اليمن إدارة منتظمـة تشرف بهـا الحكومة على أمور الرعية والبلاد إشرافاً حقيقيـاً ... وهـذا (التقسيم) قـد أجمـع عليـه كل العـارفين لأحـوال اليمن ... من إخـوانـنـا الأتراك .. ولا مندوحة للحكومة من ذلك ... »[2] .

ثالثاً : إصلاح مرفأ الحديدة[3] ... ومد خط حديـدي من الحـديـدة إلى صنعاء ، ثم تعميم السكة الحديد في البلاد بالتدريج .

وإذ يشرح العظم أهمية المواصلات في ربـط المنـاطق المختلفـة وتسهيل النقل الزراعي والتجاري يدعو إلى استخراج المعادن التي تعتمد على وجود المواصلات ، مؤكداً وجود معادن كثيرة منها **الذهب** الذي شاهد منه قطعاً بنفسه « كان استحضرها صديق لي من بعض أطراف اليمن لأجل تحليلها ، وتقدير النسبة بين الرمل والذهب فيها ، ليسعى بعد ذلك لتـأليف شركـة لاستخراجه ، فعاجلته المنون وأصبح مطوياً في التراب ! »[4] .

ويربط العظم الشق الثاني من موضوع المقـال وهو « السكـة الحـديـد

(١، ٢) نفسه : ص : ٧٦٦

(٣) راجع ص : (٣٠ فيما تقدم) .

(٤) المنار : ١١/١٠ ص : ٧٦٧

الحجازية » في نظرة عروبية متقدمة بموضوع المواصلات في اليمن ، فمدّ السكة من جدة إلى الحديدة سهل ، عن « طريق القنفذة أو طريق آخر أقرب منها ، وهناك تتصل بخط الحديدة الذي يتصل بصنعاء ، وبذلك تكون الدولة قد وصلت بين أقصى بلادها في الجنوب وأقصاها في الشمال والغرب ... وفي هذا العمل الجليل من الفوائد الاقتصادية والسياسية ما لا ينكر قدره ومنفعته .. »[1] .

ويستفاد من بقية الحديث عن سكة حديد الحجاز بأنها قد بلغت المدينة المنورة رابطة حيفا - درعا - دمشق - المدينة - بخط طوله (١٤٦٣) كم احتفل بافتتاحه في شهر أغسطس ، آب ١٩٠٨ م - أي قبل ثلاثة شهور من كتابة مقال العظم ، وقد بلغت تكاليفه « نحو ثلاثة ملايين ليرة عثمانية » ، أما طوله إلى مكة فهو (١٧٥١) كم وإلى جدة (١٨٣٠) كم ، ومعروف بعد ذلك قصة تعثر إكماله في الحجاز ، دع عنك وصوله إلى الحديدة فصنعاء ! ولو كان قد تم ذلك فلا شك أن أموراً جليلة وجوهرية كانت ستحدث على مستوى المشرق العربي كله .

☆ ☆ ☆

٤ - رشيد رضا يمضي عاماً في القسطنطينية :

لعل من أسباب مرور أكثر من عام دون ذكر اليمن أو الكتابة عنه في « المنار » غياب صاحبه رشيد رضا في زيارته لعاصمة الدولة العثمانية

---

(١) المنار : ١١/١٠ ص : ٧٦٨

« القسطنطينية » وإقامته فيها طيلة عام ـ هو العام الثاني للدستور ـ وذلك ليسعى في أمرين هامين :

الأول : « إنشاء معهد ديني علمي في العاصمة للتربية الإسلامية الصحيحة الكاملة .. » .

والثاني : « .. هو إزالة ما وقع أخيراً من سوء التفاهم بين عنصري الدولة الأكبرين ـ العرب والترك ـ .. » .

وقيامه بنشر مقالات باللغتين « العربية والتركية » في جريدة (إقدام) التي كانت مع غيرها تشن حملات سيئة وكاذبة ضدّ العرب ضمن سياسات التتريك التي شنّها رجال (جمعية الاتحاد والترقي) العنصرية ضد كل ما هو عربي .

وبعد عودة رشيد رضا إلى القاهرة كتب عن رحلته هذه ونتائجها ومختلف آرائه وانطباعاته أربع مقالات في عدة أعداد من « المنار » في سنتها الثالثة عشرة (١٣٢٨ هـ / ١٩١٠ م) وكانت تحت عنوان « **رحلة القسطنطينية** »[1] .

وفي أحد أعداد السنة نفسها[2] كتب رشيد رضا في « باب الأخبار والآراء » مقالاً شديد اللهجة بعنوان « العرب والترك » أوضح فيه مسعاه وزيارته لصاحب جريدة (إقدام) أحمد جودت ومعاتبته على ما كتب في

---

(١) المنار : ج ١٢ (ص : ٩٥٦ ـ ٩٥٦) ؛ ج ١٣ (ص : ١٤٥ ـ ١٥٠ ، ٣١٤ ، ٣١٧ ، ٧٤٨ ـ ٧٥٢) .

(٢) المنار : ١٣/٣ (الصادر في ٣٠ ربيع الأول ١٣٢٨ هـ/١٠ ابريل ، نيسان ١٩١٠ م) .

شأن العرب ، ثم قبوله نشر مقالات قدّمها رشيد رضا « في حسن التفاهم بين العنصرين اللذين هما قوام الدولة العثمانية » .. ولكن صاحب (إقدام) نشر ثلاثاً من تلك المقالات وامتنع عن نشر ثلاث .. « ومع ذلك فلم يتوقف صاحب (إقدام) عن غمز العرب » ، حتى نشر مقالة من مقالات عن اليمن بإمضاء (خليل حامد) وهو إمضاء مستعار لأحد الضباط هنا ، وقد جاء في هذه المقالة من الطعن في العرب أنهم - في زعم الكاتب - « بمقتضى طبيعتهم يبيعون بالمال كل شيء حتى أعراضهم !! وقد قامت لهذه العبارة قيامة العرب الذين هنا ، حتى إن بعض الشبان استفزتهم حمية الغيرة على العرض التي لا يداني العرب فيها شعب من الشعوب .. فدفعتهم إلى إدارة جريدة (إقدام) وإهانة صاحبها وتحقيره على نشر هذه السفاهة حتى قيل : إنهم بصقوا في وجهه .. »[1] .

ويشرح رشيد رضا بعد ذلك كيف تطورت القضية وتم الحكم بتعطيل الجريدة ، فقام أحمد جودت بنشر مقال في جريدة (طنين) يعتذر فيها عن نفسه ، لكن عذره كان أقبح من ذنبه ، ودحض رشيد رضا ما جاء في تلك المقالة من أفكار عنصرية ووقائع تاريخية مغلوطة كقوله « إن الترك فقدوا في اليمن وغيرها مئات الألوف من أولادهم ... وأن هذا يقتضي محبة الاتحاد معهم ! » أو قوله : « ... إن دماء الأتراك خلصت جزيرة العرب أيام الصليبيين ؟!... والعرب لا تنسى ذلك إلى يوم القيامة ... » .

وغير ذلك مما يثير الفتنة والمشاعر ، والسخرية من العرب « بطريقة

(١) المنار : ١٢/٣ (ص : ٢١٩) .

أخرى غير الامتنان عليهم بمذابح اليمن وتخريبها في عصور الاستبداد التي نرجو أن يبدلنا الله تعالى بها عصر العمران والنور في ظل الدستور .. »[1] .

وبعد إفاضة المحرر حول هذا الموضوع ومساعيه الأولى دعا العرب إلى عدم الحكم على الأتراك نتيجة لمواقف أمثال صاحب (إقدام) من العنصريين والمفسدين ، ولا يجب عليهم أن ينسوا « أن الشعب التركي الخالص المتدين يحب العرب حب عبادة ، وأن العرب يحبونه حب الأخوة الخالصة .. فإن التفرق والتعادي بين الترك والعرب يجلب الخطر عليهما معاً وعلى الدولة ، وإن جَهِلَ المتعصبون ، وتجاهَلَ المُفْسِدون »[2] .

☆ ☆ ☆

٥ ـ اليمن ودماء العثمانيين المهدورة فيه :

بعد أن كتب السيد رشيد رضا ما لخصناه في الفقرة السابقة ، يبدو أنه ناقش فيه بعض أصدقائه ممن يظن أن سفك دماء اليمنيين كان « في عهد السلطان عبد الحميد الذي انتهى إليه الاستبداد ... وقال البعض : إنها بنت نصف قرن .. » .

ونتيجة لذلك فقد واصل الحديث تحت العنوان المذكور ، ناقلاً قول عبد الحميد الزهراوي (**مبعوث حماة**)[3] في إحدى جلسات الشهر الماضي

---

(١) المنار : ١٣/٣ (٢٢٠ ـ ٢٢١) .

(٢) نفسه : ص ٢٢٥ وراجع نص المقال في ملحق الكتاب ١٠

(٣) حافظنا على نص المنار ، والزهراوي مبعوث حمص لا حماة ؛ ولعل ماأثبته زلة قلم ، انظر الملحق (١١) .

(مارس ، آذار ١٩١٠ م) : « لو عصرنا تراب اليمن لقطر دماً عثمانياً ، فماذا استفدنا ؟! » .

وليؤكد رشيد رضا أن المسألة ليست « بنت نصف قرن بل هي بنت أربع قرون » فقد رجع إلى التاريخ ليحضر منه « الشهيد »[١] .

كان شاهد رضا « كتاب البرق اليماني في الفتح العثماني » لقطب الدين النهروالي المكي (ت ٩٩٠ هـ / ١٥٨٢ م) والذي لم يكن وقتئذ قد طبع[٢] بل اطلع المحرر على إحدى نسخه في « مكتبة كوبريلي زاده » ، ويؤرخ لليمن منذ الحملات العثمانية الأولى لإخضاع اليمن في مطلع القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي حتى نهاية حملة الوزير سنان باشا (سنة ٩٧١ هـ / ١٥٦٤ م) ويعتبر أهم تاريخ للفترة ؛ ورغم أن صاحبه - كما لاحظ بحق السيد رشيد رضا - « خدم به سدّة السلطان سليم بن السلطان سليمان » كما ذكر نفسه ، أي بوصفه مؤرخ الدولة الرسمي ، فإنه سجل الكثير من أعمال الوحشية والغدر والفظاعات التي ارتكبها القادة والجند الأتراك في اليمن وغيره ، واقتبس المحرر نماذج لها ، وبعض تعليقات المؤرخ النهروالي في ذلك كقوله : « .. والذي يلوح للخاطر أن سبب نقصان بركتهم وتقهقر عددهم ما يرتكبونه من ظلم العباد ، وما يتصاعد من المظلومين من الأدعية التي تصدر عن قلوب منكسرة ليس لها ناصر إلاّ الله ...»[٣] .

---

(١) المنار : ١٣/٣ (ص : ٢٢٦ - ٢٢٧) .

(٢) طبع الكتاب في نشرة محققة عام ١٣٨٧ هـ/١٩٦٧ م بإشراف العلامة حمد الجاسر .

(٣) المنار : ١٣/٣ (٢٢٨ - ٢٢٩) .

وفي الأخير يعلق المحرر باسم (المنار) على صحة نبوءة المؤرخ النهروالي « فقد صدقت حوادث هذه القرون الأربعة قول الرجل ، وما أراه إلاّ كان يعتقد بعلة خفية لهذا الخذلان في تلك البقعة لهذه الدولة التي كانت في تلك الأيام أقوى دول الأرض ... » .

ثم يناشد رجال الدولة العثمانية ويذكرهم « بأنكم تقولون : إننا في حاجة إلى المساواة والاتحاد مع جميع العناصر العثمانية ، وكيف يكون الاتحاد إذا لم يكن قبل كل شيء بين العرب والترك ؟!، اتقوا ، فنحن في أشد حاجة إلى الاعتصام بالأخوة الإسلامية مع جميع المسلمين ، والأخوة العثمانية مع جميع العثمانيين ، فلا يهدمنّ السفهاء ما يبنيه الحكماء ، فإن الهدم أسهل وأسرع من البناء ، والسلام على من اتبع الهدى ، ورجح العقل على الهوى »[1] .

☆ ☆ ☆

٦ ـ حل مشكلة اليمن وسائر جزيرة العرب :

في العدد الأخير من العام نفسه[2] . كتب المحرر رشيد رضا متمنياً قوة الدولة العثمانية (العلية) وتماسك شعوبها واتحادها ، ومتمنياً عليها بعض الاصلاحات التي سبق الحديث عنها منوهاً بحرص العرب على لغتهم ، وأهمية جعلها إجبارية في مدارسهم . وإذ يشير إلى أن الجزيرة العربية لم ترَ حكم الدولة إلا في بعض سواحلها ، وليس لذلك الحكم أي أثر حسن

---

(١) المنار : (ص : ٣٣٠) .

(٢) المنار : ١٣/١٢ (الصادر في ٣٠ ذي الحجة ١٣٢٨ هـ/١ يناير ، كانون الثاني ١٩١١ م) .

ولا ذكر صالح ، « وإنما يوجد في اليمن والعراق آثار الخراب والدمار وتواريخ الغدر وسفك الدماء ونهب الأموال .. وهم لا يفرقون بين نوع الحكم الاستبدادي الماضي والحكم الدستوري الذي وقفت الدولة ببابه الآن .. »[1] .

يعود فيقترح ما يعتقده حلاً إصلاحياً بإصدار قانون تكون أولى مواده تبعية بلدان الجزيرة للدولة ، وحقها في التعامل مع الدول الأجنبية مع إقرار إمام اليمن على إمامته ، وكذا كل أمير وزعيم على إمارته منفذاً « للنظام الداخلي وأن يترك لهم سلاحهم ، ويحتم عليهم حفظ الأمن في هذه البلاد .. ومنع الغزو ومساعدة الدولة على نشر التعليم وتحضير الأعراب »[1] مع دفع ضرائب أو « أموال أميرية للدولة » .

إن ما يقترحه رشيد رضا هو نوع من الحكم الذاتي للشعوب العربية تحتفظ فيه الدولة العثمانية بالسياسة الخارجية وعقد الاتفاقات والمعاهدات الدولية ، وهذا يوفر سفك الدماء وإضاعة الملايين .

« التي تأخذها (الدولة) من أوربا بالربا الفاحش والذل ... وإن أبت إلاّ التعجيل بإزالة كل ذي نفوذ بالقوة العسكرية ، فإنني أخشى أن يكون الخطر عليها من هذه السياسة ... لأنها تكون سياسة سفك دماء ، وتدمير بلاد ، وتمزيق القوة العسكرية في بلاد لا يمكنها البقاء فيها ، وما وراء ذلك إلاّ العذاب الواصب أو استيلاء الأجانب !! »[2] .

---

(١) المنار : ١٢/١٢ (ص : ٩٥٨ ـ ٩٥٩) .

(٢) نفسه : (ص ٩٥٩) .

وبعد شهرين[1] كرر رشيد رضا تحذيره وتنبيهه للدولة على ضوء إرسالها جيشاً كبيراً إلى اليمن بقيادة رئيس أركان حربها عزّت باشا الذي سبق أن كان باليمن ، وتضارب الأخبار والشائعات في مهمة عزت باشا وتنسيقه لذلك مع شريف مكة ، إلى غير ذلك مما يراه المحرر مجرد سوء ظن ، فليس اختيار عزت باشا إلاّ لمعرفته باليمن وحبه السلم على الحرب وبأن الخير « للدولة إنما هو في حل هذه العقدة حلاً مرضياً لا دَخَنَ فيه »[2] أي لا فساد أو مكر فيه ، وأعرب عن تمني « كل مسلم لو تنتهي هذه المسألة عاجلاً بسلام ... »[2] ولم تكن تلك الأمنية في الواقع ببعيدة المنال كما سيأتي معنا .

☆ ☆ ☆

٧ ـ إرهاصات الصلح والسلام :

لم يغادر عزت باشا ـ رجل الحرب والسلام ـ القسطنطينية إلى اليمن ويصل الحديدة في شهر صفر ٣٢٩ هـ / فبراير ، شباط ١٩١١ م ، إلاّ وقد تبلور موقف الحكومة في تشكيل « لجنة إصلاح اليمن » برئاسة توفيق بك أحد كبار شورى الدولة والذي كان والياً قبل ذلك على اليمن عندما سقطت صنعاء في يد الإمام سنة (١٣٢٢ هـ / ١٩٠٤ ـ ١٩٠٥ م) ، وعندما وصل عزت باشا بقواته الزاحفة إلى صنعاء واستطاع فك حصارها في أوائل شهر ربيع الآخر سنة ١٣٢٩ هـ / إبريل ، نيسان ١٩١١ م كانت

---

(١) المنار : الصادر في ٣٠ صفر ١٣٢٩ هـ / أول مارس ، آذار ١٩١١ م .

(٢) المنار : ١٤/٢ (ص : ١٥٨ ـ ١٥٩) .

اللجنة قد عقدت أول اجتماعاتها قبل ذلك بأيام قليلة ، وهكذا كانت السياسة العثمانية تستخدم الحلين « السلم والحرب » في آن واحد[1] .

وقد انتظر صاحب « المنار » بضعة أشهر ليرى نتائج المساعي السلمية ومقررات تلك اللجنة ، ثم كتب مذكراً بمقترحاته « **قولاً وكتابة** » بضرورة اتفاق الحكومة مع الإمام والاعتراف بزعامته مقابل اعترافه بسيادتها ، وبأن من مساعيه في « **المسألة اليمنية** » مااقترحه مؤخراً بهذا الصدد على رؤوف باشا المعتمد العثماني بمصر وطلبه إرسال مقترحاته في الاتفاق برقياً ذاكراً له أنه يتجرأ « **أن أضمن ذلك بشرط أن تعترف الدولة بإمامة الإمام وزعامته في قومه وعدم نزع السلاح منهم ، والإمام يعاهدها على عدم الخروج عليها وعلى تأمين البلاد ..** »[2] .

غير أن المعتمد العثماني ردّ عليه بأن المراسلات والبرقيات لاتكفي للإقناع في مثل هذه المسألة ، لكنه سيبحث ذلك عندما يذهب إلى الآستانة في فصل الصيف .

وكانت الجرائد قد نشرت ماتوصلت إليه اللجنة من عشر مواد سمتها (أصولاً) لحل المسألة اليمنية ، منها تقسيم اليمن إلى ثلاث ولايات ، وإقامة محاكم شرعية ، ومنح الإمام يحي « رياسة اليمن الروحية » ، وإنشاء المدارس والطرق ، وضبط السواحل « لمنع تهريب الأسلحة »

---

(١) راجع السيد مصطفى سالم : تكوين اليمن الحديث (ص : ١٣٤ ـ ١٣٥) .

(٢) المنار : ١٤/٩ (ص : ٧١٧) الصادر في ٣٠ رمضان ١٣٢٩ هـ / ٢٣ سبتمبر ، أيلول ١٩١١ م) .

وتعيين ولاة « من أصحاب الفطنة .. مع السلطة الواسعة »[1] .

وبعد ذكره لهذه المواد يعلق السيد رشيد رضا بأن « هذه الأصول ليست فيما تراه إصلاحاً كافياً لليمن ، وإن كانت قد تسكن ثائرة اليمنيين وتستقطب الرؤساء والمشائخ بالوظائف والرواتب ريثما تعد العدة وتنفذ الحكومة ماتريده بالقوة » ، ولَمّا لم يكن لمقترحاته قبولاً فهو يتمنى أن توفق الدولة على الأقل في اختيار الولاة كما جاء في المادة (الأصل) العاشر ، فما « حرك الفتن هنالك (في اليمن) إلاّ الولاة الطغاة العتاة الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون » .

ويضيف متهكماً : « وسوف نرى ماهي المدارس التي تنشأ للفكر والزراعة والتجارة ، وكيف تكون المحاكم ، ونبدي رأينا في ذلك فإنه هو كل حظ اليانيين من الإصلاح العلمي .. »[2] .

ثم اختتم مقاله بالتعليق على أحداث عسير التي استعانت الدولة العثمانية فيها بأمير مكة الشريف حسين الذي قاد جيشاً بنفسه لمحاصرة « أبها » حتى هرب الإدريسي لائذاً بالجبال ، ويرى السيد رشيد رضا أنه كان الأجدر بالأمير إيثار الصلح والسلام وحفظ الدماء ، ورغم أنه عاد إلى الحجاز منصوراً لكن « الدولة ترى أن عقدة عسير العسكرية لم تنحل »[3] .

☆ ☆ ☆

(١) انظرها في نص مقال السيد رشيد رضا في الملحق (١٤) .

(٢) المنار : ١٤/٩ (ص : ٧١٨) .

(٣) نفسه : (ص : ٧١٩) .

٨ ـ المنار تنشر مقالاً عن التايمز حول حصار صنعاء :

استكمالاً للصورة السابقة رأت « المنار » أن تنشر مقالاً لمراسل انجليزي شهد حصار صنعاء وفك عزت باشا لذلك الحصار ، وكانت جريدة المقطم قد ترجمت ذلك المقال عن صحيفة التايمز اللندنية[1] .

ذكر المراسل أنه كان في صنعاء خلال محاصرة الإمام يحي لها بقوات تتراوح بين عشرة آلاف وخمسين ألف مقاتل ، وأن الحصار ظل من يناير ، كانون الثاني إلى أواخر شهر إبريل ، نيسان ١٩١١ م ، وأن الإمام كان بوسعه فتح العاصمة لأن حاميتها « التي كانت مؤلفة من خمسة آلاف من المشاة وبعض الفرسان ونحو ٣٠ مدفعاً ، لم يكن في استطاعتها الدفاع عن السور الذي يبلغ محيطه اثني عشر كيلو متراً ... ولكن المقربين إليه أثنوه عن عزمه[2] وقد لاحظ أن الثوار **كانوا مسلحين ببنادق موزر من عيار « ٧٤ » الفتاكة وأن الذخائر كانت متوفرة عندهم ويثير استغرابه أن البنادق والذخائر في شبه جزيرة العرب أرخص منها في أوربا** ! ... » .

أمّا الصلح الذي عقدته الحكومة العثمانية مع الإمام يحي بعد أن اضطرت أن ترسل « خمسين ألف عسكري بقيادة عزت باشا ، وهو من أكبر قوادها ... » فقد كان في رأي المراسل « صلحاً غير مجيد .. فبعد ما رشت زعماء الثورة بالأموال الطائلة ووعدتهم بالإصلاح فنال الإمام

---

(١) المنار : ١٥/٢ (ص : ١٠٦) الصادر في سلخ صفر ١٣٣٠ هـ / ١٨ فبراير ، شباط ١٩١٢ م .

(٢) نفسه : (ص : ١٠٦ ـ ١٠٧) .

بـذلـك أكثر مما كان يطمـع فيـه ، وثبت في مركـزه حـاكماً على قبـائـل الزيـديـة ، ولم تتغير فيما سوى ذلـك عمـا كانت عليـه قبـل بـدء القتـال . فالأتراك يملكون صنعاء ، وقـد استرجعوا معظم المراكز التي كانوا يحتلونها في الماضي ، والإمام يملك شهارة وسائر المعاقل التي كانت لـه ، وقـد أطلق الإمام أخيراً سراح ٥٠٠ أسير من الجنود ، ولكنه لم يعد المواقع التي غنمها في هذه الثورة أو في ثوراته السابقة .. »[١] .

وبعـد وصفـه لزحف عـزت بـاشـا إلى صنعـاء والصعـوبـات التي تلت دخوله وبعض مشاهداته علق على كل ذلك صاحب المنار بالآتي :

« يعتقد الكاتب أن الدولة لا تستطيع إخضاع اليمانيين بـالقوة ، ثم هو ينصح لها بأن تأخذ منهم أسلحتهم ، فكأنه ينصح لها بأن تستمر على إنفـاق الملايين مما تقترضه من أوربة بالربا الفاحش ، وعلى بذل دماء الألوف من المسلمين كل عام لأجل أن يهلك الفريقان ويكونا غنيمـة بـاردة للطـامعين فيهم جميعاً !! ولو كان مخلصاً في نصحه لاستنبـط من علمـه واختبـاره أنـه يجب على الـدولـة ، وهي لا يمكنهـا إذلالهم وإخضـاعهم ، أن ترضى بـأن يتولوا أمور أنفسهم بمساعدتهـا تحت سلطتهـا ، وأن تؤلف منهم قوة يحمون بها بلادهم من الأجانب إذا اعتـدوا عليهـا ، ويكونون عونـاً للـدولـة عنـد الحـاجـة إليهم . فحسبهـا أنهـا حـاربتهم أربعـة قرون وخسرت في ذلـك الملايين من الرجال وبدر المال ، ولم تستفد في مقابلته شيئاً قط »[٢] .

---

(١) المنار : ١٥/٢ ص : ١٠٦

(٢) المنار : ١٥/٢ ص : ١٠٨ وراجع الملحق(١٦) .

٩ ـ المنار وصلح دعان :

وأخيراً أثمرت جهود الحرب ومساعي السلام بين الإمام يحي والقائد العثماني عزت باشا ، فتم صلح دعَّان المشهور على مقربة من مدينة عمران شمال صنعاء في مطلع ذي القعدة عام ١٣٢٩ هـ / ٨ أكتوبر ، تشرين الأول عام ١٩١١ م ، وذلك بعد سبعة أشهر من دخول عزت باشا صنعاء وانسحاب الإمام يحي شمالاً إلى « شهارة » وتحصنه بجبال تلك المنطقة التي كانت دائماً تشكل عقبة كؤوداً في وجه القوات العثمانية المعرضة للهجوم والغزو ، وطالما انسحبت خائبة إلى العاصمة صنعاء حيث كانت تحاصر نفسها حتى تأتيها النجدات والجيوش الجرارة من عاصمة الامبراطورية العثمانية ، وأقنعتها أخيراً الحوادث والخطوب النازلة عليها بما فيها « الحرب الطرابلسية » التي تزامنت بدايتها مع عرض عزت باشا على الباب العالي مساعي السلام ، فوافق مسرعاً على الاتفاق المقدم من الإمام يحي مع تعديلات طفيفة[1] .

لقد كان الإمام يحي في الواقع ـ أيضاً ـ في حاجة إلى السلام ، وراغباً فيه ، ولكن لم يمنع حقيقة كون « اتفاق دعَّان » انتصاراً يمنياً على العثمانيين الأتراك ، فقد كان في جوهره أول اعتراف رسمي بالإمام يحي من دولة خارجية ، وإذا ظلت بعض المناطق الجنوبية والساحلية تحكم وفق القانون العثماني فما قدَّم الباب العالي من تنازلات[2] توسعت بعد

---

(١) لمزيد من التفاصيل راجع : تكوين اليمن الحديث (ص : ١٢٧ ـ ١٦١) .

(٢) المرجع السابق وانظر نصوص المنار الملحقة بالكتاب .

لتشكل الأساس للدولة اليمنية ، وحازت اليمن بذلك ـ قبل غيرها من الدول العربية على درجة كبيرة من الاستقلال ، حتى جاءت معاهدة مدروس MUDROS عام ١٩١٨ بعد هزيمة تركيا في الحرب العالمية الأولى لتختتم اليمن عملية تحررها والاعتراف في العام التالي بسيادتها ، وانتهى بذلك الدور العثماني في اليمن لتدخل في حقبة جديدة في ظل حكم الإمام يحيي حميد الدين الذي بات زعيماً غير منازَع ، ونَظَر إليه وتطلع نحوه الكثير من العرب محرراً وأملاً لدعاة الوحدة العربية ، بَيْد أنّه ومع مرور الزمن خيب الآمال ، وبات في آخره أكبر عقبة في طريق التقدم والإصلاح .

هلّل « المنار » لصلح دعان الذي كان صاحب « المنار » يبذل كل الجهود والمساعي لتحقيق مثله مصرحاً بأنه يجرأ على ضمانه[1] ، وكاد معظم أحد أعداده[2] ـ بعد وصول تفاصيل الاتفاق ـ أن يكون مخصصاً للحديث حوله .

فبعد المقال السابق المترجم عن صحيفة التايمز لشاهد حصار صنعاء ثم الاتفاق الذي سجل انتصاراً لمصلحة الإمام ، وتعليق صاحب المنار الذي أثبتناه في نهايته[3] ، نشر « المنار » تقريرين طويلين نلخص أهم ما جاء فيهما في الآتي : وهما ملحقان كغيرهما من نصوص المنار الملحقة بالكتاب .

---

(١) راجع (ص : ٧٥ فيما سبق) .
(٢) ١٥/٢ الصادر في سلخ صفر ١٣٣٠ هـ/١٩١٢/٢/١٨
(٣) راجع (ص : ٧٦ فيما تقدم) .

(I) الصلح بين الدولة والإمام :

كان التقرير الأول رسالة طويلة أرسلها من اليمن إلى « جريدة الحقيقة » البيروتية[1] شاهد الحرب والصلح نفسه ، ورأى صاحب « المنار » نشرها « لما فيها من الفوائد الجديرة بالتاريخ » واستهل التقرير (الرسالة) بوصف اللقاء الذي تم بين الإمام يحي والقائد عزت باشا في قرية « دعّان » القريبة من « عمران » وأن ذلك اليوم كان « يوماً عظيماً في اليمن حيث تجلت السعادة على تلك الربوع وامّحى الشقاء والبؤس اللذان كانا يرفرفان عليها ، وأراني فخوراً في زف هذه البشرى لإخواني في الدين والوطنية .. »[2] .

وبعد أن يذكر قدوم الإمام يحي ومن معه من القادة والعلماء « الأبطال الذين كانوا يقودون العربان (القبائل) ويحاربون الحكومة من مناخة إلى صنعاء .. » يذكر كذلك أسماء المرافقين لعزت باشا مع « عشرين من الخيالة وخمسة وعشرين من خيالة الجندرمة » معلقاً على هذا « ولو كان ذلك من قبل هذا اليوم لما تسنى لعزت باشا أن يبتعد عن عمران مسافة ساعتين إلا بقوة (آلاي = ٤ توابير) كامل العدد والعدة لأنها آخر الأراضي الداخلة تحت إدارة الدولة ، أما اليوم فقد أصبح تحرسه قلوب اليانيين وترعاه نفوسهم .. »[3] .

---

(١) راجع : (الملحق ١٧) .

(٢) المنار : ١٥/٢ (ص : ١٢٨) .

(٣) نفسه : ١٣٩ ـ ١٤٠ .

ويستطرد في ذكر خطل سياسة الولاة والقادة الأتراك السابقين ، معرفاً بتقدير عال لبعض القادة ورجالات الإمام يحي أمثال السيد قاسم العزي ، وسيف الإسلام أحمد بن قاسم ، وشيخ الإسلام العمري ، وناصر بن مبخوت الأحمر ، وراجح بن سعد صاحب عيال سريح ، وأبي منصّر وآخرين كثيرين ممن كان لهم دور في الحرب أو السلام[1] وأمور تفصيلية أخرى .

وقبل سرده لشروط « صلح دعان » ذكر تفصيلاً شروط الصلح التي كان اقترحها الإمام قبل ذلك في (١٣ صفر ١٣٢٤ هـ / ٧ إبريل ، نيسان ١٩٠٦ م) باعتبار أن الشروط الجديدة المتفق عليها « أخف وطأة من الأولى .. وأن هناك فوائد جمة (للحكومة) أهمها ترك الإمام لقب أمير المؤمنين للخليفة والاكتفاء بالإمامة .. وإقرار الإمام بحاكمية الدولة .. وبعد أن كانت الدولة تعتبر الإمام يحي عدواًمبيناً أصبح الصديق الحميم ، واعترفت له بالإمامة رسمياً لتنظيم إدارة الزيديين »[2] ويعترف الضابط العثماني بأن سياسة القوة والظلم والتخريب في اليمن لم تجد شيئاً ، ويتساءل عن أي إصلاح أدخل في اليمن منذ الاستيلاء عليها ؟ فلم يكن سبيل الإدارة ـ حتى اليوم ـ إلا المدفع ، ويعبر عن أسفه بأن ذلك قد منع من تنفيذ خطة الإصلاح التي وضعت : « فنحن لا ننكر على الحكومة الحالية ماأجرته في المدة الأخيرة ، لأن الإصلاح لا يأتي إلا بالقوة » ثم

---

(١) وردت بعض الأسماء مصحفة وقد حققناها في أماكنها من النصوص .

(٢) المنار : ١٥/٢ (١٤٤ ـ ١٤٨) .

يقــارن مـع وضـع الـوجـود الفرنسي في الجـزائر ويقـول : « لكننــا نحن العثمانيين لا يجمل بنا أن نفعل فعلهـا بـاليمن من حيث الظلم بل من حيث الإصلاح » وهنا يعلق عليه صاحب المنار في الحاشية قائلاً :

« إن الكاتب على إنصـافـه لم ير بـدّاً من عـذر الحكومـة الحـاضرة على سوقها الحملة التي هو أحـد رجـالهـا لحرب اليمن ، ليبـدي نفسـه بتبرئتهـا ، والحق أن إثمها كإثم ما سبقها أو أكبر ، وقـد أخطـأ في تقليـده بعض ساسـة الـدولـة بجعل الترك من العرب كالفرنسيس من أهل الجـزائر ، وأخطـأ في جعله هـذا الصلح إثر قوة الحملـة وهي لم يتم لهـا الظفر ، وكان الإمـام قـد رغب في الصلـح قبلهـا ، وكاد يتم في وزارة حلمي بـاشـا لـولا أن أوقفـه الاتحاديون لتنفيذ سياسة المدفع السابقة » أ.هـ[1] .

☆ ☆ ☆

(II) حديث في صلح اليمن لضابط عثماني كبير :

أما التقرير أو الموضوع الآخر الذي نشره « المنار » فهو حـديث أجراه محرر جريدة « المفيد » البيروتيـة مع أمير الألاي إحسـان بـك الـذي كان رئيس أركان الحرب لفيلق اليمن عند مروره ببيروت عائداً إلى اليمن ، وقد تحـدث إحسـان بـك عن « عـزيـز بـك » المصري بصفتـه « بطـل اتفـاق دعان » فهو الذي وفق بين القائد عزت باشـا والإمـام يحيى ، ثم عن أوجـه الخلاف التي كانت بين الإمام والحكومـة ، وكيف تم بـالاتفـاق حقن دمـاء كثيرة ، وعن عـدد الجنـد المـوجـود في اليمن وخسـائرهم الأخيرة أفـاد

(١) المنار : ١٥/٢ ص ١٥٢ .

إحسان بك بأنهم « يناهزون ستين تابوراً »[1] وتقدر خسائرهم بسته آلاف ... » وعن مقدار ما يتقاضى الإمام من راتب ، أفاد بأنه يتقاضى ألفاً ومائة ليرة عثمانية شهرياً[2] . وتحدث أيضاً عن مواضيع أخرى كثيرة أهمها الزراعة وخصب اليمن ، واقتصادية : إنشاء السكة الحديد وإهمال الحكومة في عدم إرسال خبراء زراعيين رغم إرسالها معدات وأدوات زراعية تعطلت بهذا السبب ، كما تطرق في آخر حديثه إلى سياسة عزت باشا مع الإدريسي في عسير[3] .

وكان خلاصة رأيه أن الادريسي ليس في درجة الإمام يحي وأحقيته وخطره ، وأن خشية عزت باشا فيما لو تعاقد معه ظهور مئات مثله ، لكن رأي إحسان بك الخاص هو ضرورة عقد أتفاق بدل أستخدام القوة ، وقد أثنى صاحب « المنار » في تعليق طويل علىهذا الرأي من هذا الضابط العاقل ، وكرر ما سبق أن قاله بهذا الصدد من حتمية اتفاق الحكومة العثمانية « مع جميع أمراء الجزيرة فتقر كل أمير على ما هو عليه ، وتساعده على التعليم العسكري وسائر ضروب الإصلاح ويكون أهم أصول الاتفاق بينها وبينهم هو الاتحاد العام في الجيش عند الحاجة وكيفية الاتحاد والدفاع عن المملكة »[4] .

☆ ☆ ☆

(١) التابور (نحو ألف جندي) وقد سبق لصاحب المنار أن شرح أن التابور بالعربية بالتاء كما ذكره صاحب تاج العروس (راجع ص : ٤٨ فيما تقدم) .

(٢) المنار : ١٥/٢ ص : ١٥٤ ـ ١٥٥

(٣) سيأتي الحديث عن قضية عسير والادريسي في مطلع الفصل الآتي .

(٤) المنار : ١٥/٢ (ص : ١٥٧ ـ ١٥٨) .

(III) وثيقة صك استلام ضريبة الانسحاب العثماني (عام ١٢٣٤ هـ / ١٨١٩ م) :

وكعادته في العودة إلى التاريخ والاستشهاد بوثائقه ، ذيل السيد رشيد رضا ذينك التقريرين والتعليق المطول على الأخير بالتذكير بأن الوجود العثماني في اليمن كان للمرة الأولى منذ قرابة أربعة قرون ، وكانت الحرب خلالها سجالاً بين اليمنيين والأتراك ، ولما ولّى السلطان محمود الثاني (١٨٠٨ ـ ١٨٣٩ م) كانت الدولة العثمانية محفوفة بالنوائب والأحداث في داخلها وولاياتها (ثورة اليونان ، حرب إيران ، حروب محمد علي باشا في الشام والحجاز) وكان من نتائج الأخيرة الصلح بين الدولة العثمانية والإمام المهدي عبد الله (ت ١٢٥١ هـ / ١٨٣٥ م) تسلم المهدي بموجب ذلك أراضي تهامة مقابل مائتي ألف ريال فرانصي (ماريا تريزا) للباب العالي وكمية من البن اليمني سنوياً[1] .

والجديد المفيد في هذا الأمر هو نشر صاحب « المنار » صورة وثيقة تفويض القائد العثماني خليل باشا لمندوبه يوسف آغا في استلام المائة ألف الأولى المعجلة من مندوب الإمام المهدي القاضي محمد بن أحمد الحرازي (ت ١٢٤٥ هـ / ١٨٢٩ م) وتسليم بنادر (مواني) تهامة ثم صك الاستلام بتاريخ شهر شوال ١٢٣٤ هـ / أغسطس ، آب ١٨١٩ م كما وجد ذلك بعض أصدقاء صاحب المنار « في بعض دور الكتب في الآستانة »[2] .

☆ ☆ ☆

(١) راجع تفاصيل الموضوع في كتابنا : **مئة عام من تاريخ اليمن** (٢٠٠ ـ ٢٢٨) .

(٢) المنار : ١٥/٢ (١٥٨ ـ ١٥٩) وراجع الملحق : ١٩

١٠ ـ المنار والإدريسي :

ظهر خطر شخصية السيد محمد بن علي الإدريسي وأهميته في عسير والمخلاف السليماني بعد عوده إلى « صبيا » من جولة تعليمية واسعة في مصر والسودان وليبيا[١] وتزامن « ظهوره كشخصية لها خطورتها في أفق عسير سنة [١٣٢٥ هـ] ١٩٠٧ م » مع قيادة الإمام يحيي للثورة ضد الأتراك ، وحاجته للتحالف مرحلياً مع الإدريسي ضد الأتراك لحماية مؤخرته فيما لو أجبرته العمليات العسكرية للتراجع نحو عسير التي كان ينظر إليها بصفتها جزءاً من اليمن وبأن الإدريسي وانتشار دعوته ظاهرة مؤقتة سيتمكن من حلها بعد الفراغ من الوجود العثماني ، ولهذا فقد وحّدَ الرّجلان « عملهما المشترك ضد العثمانيين وإن كان لفترة محدودة »[٢] .

في الوقت الذي كانت فيه مساعي السلام تجري بين الإمام يحيي والقائد العثماني عزت باشا للوصول إلى « اتفاق دعان » كان الإدريسي قد جدد حربه مع الأتراك لأنهم وإن كانوا يسعون إلى سلام مع الإمام يحيي لم يكن الإدريسي في نظرهم ـ وهم يعملون على مركزية الدولة ـ مساوياً للأول ، وزاد الأمر سوءاً تشديد إيطاليا في حربها مع الدولة العثمانية على

---

(١) يرجع تاريخ ظهور الأدارسة في عسير إلى عام ١٢١٣ هـ / ١٧٩٩ م عندما وصل صبيا من مكة السيد أحمد الإدريسي الذي كان بها واعظاً وداعياً إلى طريقته الأحمدية التي استمر في نشرها حتى مات سنة ١٢٥٣ هـ / ١٨٣٧ م وخلفه ابنه بعد أن ترك لأسرته وأولاده ثروة مادية ومعنوية كبيرة (انظر : سيد سالم : تكوين اليمن ٨٨ ، وراجع في اللحقات ما كتبه المنار : ١٦/٦ ص : ٤٦٥ ـ ٤٧٠) .

(٢) تكوين اليمن : ٩٨ ـ ٩٠ .

موانئ البحر الأحمر اليمنية ، ووجدت في الإدريسي مطية تستفيد منها لتحقيق مطامعها في المنطقة كما وجد فيها عوناً لفك الحصار المضروب حوله في الجبال التي اعتصم بها بعد هروبه من « أبها »[1] .

جاء اتفاق « دعان » في تلك الظروف بمثابة شبه إعلان بالفراق بين الإمام يحي والإدريسي ، ومع ذلك نجد الأول يرسل الرسل والرسائل إلى الإدريسي يدعوه إلى السلام والاتفاق مع الأتراك ، فبعد ثلاثة أشهر نشر « المنار » صورة كتاب جوابي من الإدريسي إلى الإمام يحي مؤرخ ١٦ ربيع الأول سنة ١٣٣٠ هـ / ٤ مارس ، آذار ١٩١٢ م[2] يذكر فيه استقباله لأربعة من كبار رجال الإمام يحي وتسلمه رسائله ثم يشرح في كتابه الطويل وجهة نظره حول مسألة الصلح بينه وبين الحكومة العثمانية ودعوته للوفاق بدون طائل ، وقد تكرر بحثُه الأمر مع رسل الحكومة لأربع مرات فكانوا « يعرضون تيهاً وكبراً واحتقاراً »[3] ثم شن حملة شعواء على سياسات العثمانيين مبرراً اتصالاته بالإيطاليين إزاء عجز الدولة أمام القوى الأجنبية وزج قواها لقتال اليمنيين والمسلمين ، ثم يلمح في إشارة واضحة إلى أن الإمام كان قد توسط من قبل « اتفاق دعان » بدون شروط « ... بخلاف الآن لما كان الصلح لمصلحتهم أوفق فآثرتموهم عليّ مع أني الصاحب القديم والخل الذي هو على العهد إلى الممات مقيم ... »[4] .

☆ ☆ ☆

(١) لمزيد من التفاصيل انظر : تكوين اليمن السابق .

(٢) المنار : ١٦/٤ (الصادر في ٢٩ ربيع الآخر ١٣٣١ هـ / ١٧ ابريل ، نيسان ١٩١٣ م) .

(٣) المنار : ١٦/٤ (ص : ٣٠٠ ـ ٣٠١) .

(٤) نفسه : ١٦/٤ (ص : ٣٠٨) وراجع الملحق : ٢١

وفي العــدد التــالي من « المنــار »[1] نشر رســالتين متبــادلتين بين الإدريسي وسليمـان بـاشـا « متصرف عسير » خلال شهر شوال ١٣٢٩ هـ / أكتوبر ، تشرين أول ١٩١١ م عقب الأعمال الحربية الإيطاليـة على موانئ عسير وساحل اليمن ، ويدعو المتصرف « إلى التصالح مع الدولـة العثمـانيـة ضد أعداء الدين ... » وترحيب الآخر بذلك وإرساله وفـداً للتفـاهم معـه برئـاسـة محمـد بن يحيى « ومـع ذلـك لم يُتمَّ شيئـاً كما شكا الإدريسي منـه في كتابه السابق إلى الإمام يحيى » .

☆ ☆ ☆

اقتران صاحب المنار :

ولعله من الطريف الإشارة إلى أن صاحب « المنار » السيد محمد رشيد رضـا المحرر الرئيسي في المجلـة ـ والمهتم شخصيـاً بهـذه المواضيع وغيرهـا من قضايا الأمة العربية الإسلامية ـ قـد نشر في آخر هـذا العـدد خبر زواجـه ـ الذي لاشـك في أنـه لم يكن الأول فعمره الآن ٤٨ عـامـاً ـ وذلـك تحت العنوان المذكور وبالنص التالي :

« في الليلة الثامنة عشرة من هذا الشهر بنى صـاحب المجلـة على سعـاد كريمـة الشيـخ حسن الصفـدي ، وبيت الصفــدي في طرابلس الشــام من بيوتات العلم التي امتـازت بمكارم الأخلاق وطهـارة الأعراق . فـأسـأل الله

---

(١) المنار : ١٦/٥ (ص : ٣٨٨ ـ ٣٩١) (الصادر في جمادى ١٣٣١ هـ / مايو ، أيار ١٩١٣ م) .

تعالى أن يجعله بناء مباركاً وقراناً ميموناً ﴿ ربَّنا هَبْ لَنا مِنْ أزْواجِنا وذُرِّيّاتِنا قُرَّة أعْيُنٍ واجْعَلْنا للْمُتَّقِينَ إماماً ﴾ »[1] .

لم يكن الخبر تهنئة من العمال أو المحررين بل خبراً يسجل فيه صاحب « المنار » كل ما يعنيه ليس في السياسة أو العلم فحسب بل وحياته الخاصة .

وبعد أربعة أعوام (شوال ١٣٣٥ هـ / يوليو ، تموز ١٩١٧ م) رزق ولداً سماه هُماماً ونشر خبراً طويلاً بذلك ذاكراً أن المولود « أزهر اللون جميل الخلقة كأخيه محمد شفيع إلاَّ أنه أوسع غرة وأنحف بنية !! ... »[2] .

☆ ☆ ☆

عودة إلى « المنار » والإدريسي :

هذا هو العدد الثالث على التوالي الذي ينشر « المنار » فيه حديثاً أو رسالة أو موضوعاً عن اليمن . ففي العدد السادس من السنة السادسة عشرة[3] نشر « المنار » رسالة هامة وطويلة جاءت في ست صفحات بعنوان « **السيد الإدريسي والحكومة العثمانية** » وقعها كاتبها باسم مستعار « يماني » وإمعاناً في التمويه فقد أضاف مذيلاً عنوانه « بصوّع وبتاريخ ٧ مايو سنة ١٩١٣ » .

والواضح من صيغة الرسالة والمعلومات الكثيرة الواردة فيها تفصيلاً

(١) المنار : ١٦/٥ (ص : ٤٠٠) .

(٢) المنار : ٢٠/٩ (ص : ٤٠٨ ، وراجع الملحق ٢٢ ص : ٣٤١)

(٣) الصادر في ٣٠ جمادى الآخرة ١٣٣١ هـ / ٥ يونيو ، حزيران ١٩١٣ م .

أن صاحبها أحد المقربين والملتصقين أو المساعدين للإدريسي ، وإذا لم نذهب بعيداً (نظراً لأسلوبها الأكثر عَصْرِيّة من رسالة الإدريسي السابقة) فربما كانت المعلومات التي حوتها ووجهات النظر المعبرة والمدافعة عن الإدريسي ، قد أعاد سبكها وصياغتها صاحب المنار نفسه أو أحد مساعديه ، وكيفما كان الأمر فالرسالة تبدأ ـ دونما ديباجة ـ مُعرِّفة بالسيد محمد بن علي بن أحمد الإدريسي منذ مولده بصبيا ـ قبل ٣٩ عاماً ـ وتاريخ أسرته وفضلها وعلمها منذ هجرة الجد (أحمد) من المغرب قبل سبعين عاماً ، ثم دراسة السيد محمد الدينية والعربية الأولية « على أساتذة يمانيين في صبيا » ثم سفره إلى « الأزهر » وهو في الخامسة والعشرين ، ودراسته فيه قرابة ثماني سنوات ، ثم في السودان لأكثر من عام حتى عاد إلى عسير التي كانت قبل عودته في حالة « فوضى والأمن مفقود ، والراحة مسلوبة والغزو كثير .. والخلاصة كان الأهالي بأشد حالات الضيق ففرج الله عنهم بقدوم السيد الإدريسي حيث بدأ بنصح وإرشاد القبائل وشرع في نشر مبادئه وتعاليمه الدينية والمدنية بينهم .. ثم أخذ بتطبيق أحكام الشريعة عليها بدون محاباة فأعدم المئين من الرجال الذين ارتكبوا جريمة القتل ، وقطع أيدٍ كثيرة إقامة لحد السرقة ، فاستتب الأمن وبطل الغزو .. »[1] .

ومنذ البداية يأتي حديث الكاتب كيني يؤمن بوحدة اليمن الطبيعية ويسمي قبائل عسير والمخلاف « وأساتذة » الإدريسي في مسقط رأسه

(١) المنار : ١٦/٦ (ص : ٤٦٦) وراجع الملحق : ٢٣

« صبيا » باليمنيين وأحاديث ومخاطبات « الإدريسي لليمانيين » ومن ذلك في معرض دفاعه عن مزاعم أعداء الإدريسي وترويجهم دجله وشعوذته ، قوله :

« نعم إن السيد الإدريسي لم يستمل اليمانيين ـ كما زعم الكاذبون المنافقون ـ باستعمال الفوسفور والكهرباء وغير ذلك من الاختراعات العصرية الجديدة التي لم ترها عربان اليمن بقصد إقناعهم بولايته أو نبوته (!) بل استمالهم إليه بالْحُجّة والبُرهان والمبادئ القومية الصحيحة ، ولم نسمع ونحن من صميم اليمن أن السيد الإدريسي ادّعى هذه الدعوى ـ أي الولاية ـ وما أشبه ... »[1] .

وفي إشارة واضحة للمقارنة بين الإدريسي والإمام يحي ، يذكر الكاتب بعد استطراد عن عدالة الإدريسي في « الحكم والإدارة » واتساع نفوذه « بقدر ماقل وتناقص نفوذ الإمام يحي لأسباب لا محل لذكرها هنا (!؟) حتى إن كثيراً من القبائل التي كان عليها معظم المعوّل عند الإمام يحي أتت لعند السيد الإدريسي وبايعته ووضعت عنده الرهائن من أولاد زعمائها ، وفي مقدمة هذه القبائل قبيلة حاشد العظيمة التي يقودها الشيخ ناصر مبخوت ... »[2] ثم يدافع عن علاقة الإدريسي بالإيطاليين ذاكراً أنه استولى على ماخلفوه من أسلحة وعتاد كبير ، ويهاجم السياسة العثمانية وخداعها وعدم الوفاء بالوعود ذاكراً أن قوة الإدريسي ومركزه اليوم

---

(١) المنار : ١٦/٦ (ص : ٤٦٥) .

(٢) نفسه : ١٦/٦ (ص : ٤٦٨) .

ـ غيره قبل ثلاث سنوات ـ وأنه (أي الكاتب) « قد علم من رجل كبير من رجاله أنه سيستمسك » بثمانية مطالب (انظرها في الملحق ٢٣ ص : ٣٤٩) ومن أهمها : الاستقلال الإداري ، وعدم التدخل في شؤون موظفيه ، والعلم ، والجمارك ، وجيش لحماية البلاد في السلم والحرب ، أو أن يصدر بذلك فرمان سلطاني . وقد علق « المنار » رغم حماسه لمثل هذه القضية بقوله :

« لم يبق للدولة مع هذه المطالب إلا اسم السيادة فلا يعقل أن تقبلها ، فإن كانت تعجز عنه الآن فإنها تفضل السكوت على إعطائه فرماناً تقيد نفسها به ، والمعقول أن يكون للدولة مع الاستقلال الإداري بعض الحقوق العامة كاشتراط موافقتها على العهود التجارية مع الدول وأخذ شيء مما يزيد على نفقات البلاد من دخلها . »[1] .

☆ ☆ ☆

١١ ـ المنار ينعي وفاة الادريسي :

مضت عشر سنوات بعد الموضوع السابق ، لم ينشر « المنار » خلالها مقالاً أو تعليقاً مطولاً عن الإدريسي ـ إلا عَرَضاً ـ رغم تطور الأحداث والصراع بين الإمام يحي والإدريسي إلى جبهة قتال تعاون فيها الإدريسي مع بريطانيا التي كانت علاقة الإمام معها في توتر واقتتال في الجنوب ، وتمكن الإدريسي بذلك التعاون من توسيع إمارته وبلغ الذروة باحتلاله مدينة الحديدة في مطلع عام ١٣٣٩ هـ / ١٩٢١ م ، إلا أن وفاته بعد

(١) المنار : ١٦/٦ (٤٧٠) .

عامين كانت نهاية حكم الأدارسة ولم يتمكن ابنه علي الـذي كان صغير السن من الصمود أمام قوات الإمام يحيي التي استعـادت تهـامـة وتقـدمت لتضرب حصـارهـا في خريف ١٣٤٥ هـ / ١٩٢٦ م على أهم مـدن عسير « صبيـا » و « جيزان »[١] .

توفي السيد محمد بن علي الإدريسي في منتصف شعبـان ١٣٤١ هـ / ٢١ مـارس ، آذار ١٩٢٣ م ، وفي عـدد « المنـار » الصـادر في الشهر التـالي لوفاته[٢] نشر نعيـه في مقـال معنون « وفـاة زعيم عربي علوي عظيم » ذكر في أوله خبر الوفاة ، ثم صفاتـه ومزايـاه التي « مكنتـه من تـأسيس مملكـة مستقلة بنفسها في بلاد يتنـازع الحكم والسلطـان فيهـا أقـدم دولـة عربيـة إسلامية - وهي دولة - أئمة اليمن - وأقوى دولة إسلاميـة عسكريـة - وهي الدولة العثمانية - وقد اجتمعت الدولتـان على منـاوأتـه وقتـالـه واستعـانت الدولة العثمانية عليه بحكومة الحجاز »[٣] .

ويتطرق المقال إلى دراسته في الأزهر واستفادته العلمية ، وإلى أنه لما عاد إلى عسير لم يكن طامعاً في الحكم والإمـارة بل الإصلاح وتنفيـذ أحكام الشريعة وأن رميه بالشعوذة غير صحيح كما تبين ذلك للاتحـاديين الأتراك وكما جـاء في المقـال السـابق - قبل عشر سنوات - كرر المنـار الـدفـاع عن علاقاته بالإيطاليين ثم بالإنجليز إذ إنه في اتفاقه معهما « أجـاب المحبون لـه أنّه يأخذ ولا يعطي ! » ؛ ولأنه كان مجتهداً لم يكن « يعتقد صحة إمامـة

(١) راجع : تكوين اليمن الحديث (٢٧٦ - ٢٨١) .
(٢) المنار : ٢٤/٥ (الصادر في ٣٠ رمضان ١٣٤١ هـ/١٦ مايو ، أيار ١٩٢٣ م) .
(٣) المنار : ٢٤/٥ (٣٩٤) وراجع الملحق : ٣٠

الإمــام يحيي أو السلطـــان التركي . لأن الإمـــام الحــق هــو صـــاحب السلطان »[١] .

وفي الأخير إذ يـدعـو ـ صـاحب المنـار ـ « لنجلـه الشـاب المُهَـذب » بالتوفيق يأمل « أن مستشـاريـه من أهل الخبرة والتجربـة **ينصحون لـه بمكاتبة الإمام والاتفاق معه على الاتحاد اليماني العام ، ومنـه أن يكونوا مستقلين في إدارة منطقتهم ومرتبطين بمجلس الاتحـاد في سيـاستهم** ، فذلك خير من استمرار القتال »[٢] .

إن رشيد رضا بهذا يـدعو إلى وحـدة الأراضي اليمنيـة في ظل نوع من (الكونفـدراليـة) أو اللامركـزيـة في الحكم ، وذلـك أمر لم يُقَـدَّرْ لـه حتى البحث فيه ، بل إن صاحب « المنار » بعـد عقـد من الزمـان غير رأيـه كما سنرى في الفصل الأخير .



(١) المنار : ٢٤/٥ (ص : ٣٩٦) .

(٢) نفسـه : (ص : ٣٩٧) .

4
اهتمام المنار بالحضارة والثقافة في اليمن

١ ـ من هم الأصليون في الجزيرة العربية .

(القحطانيون أم العاديون) .

٢ ـ وصف لبلاد العرب الجنوبية . التي يسميها اليونان « العربية السعيدة » .

٣ ـ محاضرة عن الحجاز واليمن لرجل الأعمال والسياسي الأمريكي كراين .

٤ ـ المنار واجتهادات الإمام الشوكاني وكتبه .

٥ ـ تقريظ المنار لكتابي « شرح الأزهار » لابن مفتاح

و « سبل السلام » للعلاّمة ابن الأمير .

٦ ـ مجادلات « المنار » في جرح « وهب بن منبه » .

اهتمام « المنار » بالحضارة والثقافة في اليمن

كانت السنوات التي امتدت من بعد الانسحاب العثماني من اليمن عقب الحرب العالمية الأولى وحتى إرهاصات الحرب اليمنية السعودية عام ١٣٥٣ هـ / ١٩٣٤ م أي قرابة ستة عشر عاماً هي فترة تدعيم الإمام يحي حميد الدين لحكمه وسلطته المطلقة على اليمن باستثناء الجنوب المحتل من بريطانيا ، كان معها في نزاع واقتتال حتى كانت اتفاقية صنعاء عام ١٣٤٧ هـ / ١٩٢٨ م وانتقال العلاقات إلى مرحلة ثانية سنأتي عليها في الفصل التالي ، وكذلك مسألة عسير التي قلبت وفاة السيد محمد الإدريسي عام ١٣٤١ هـ / ١٩٢٣ م الموازين لصالح الإمام يحي واستعادته المدن التهامية ومحاصرته لأهم مدن عسير (كما تقدم معنا) وعدم تدخل عبد العزيز بن سعود في القضية لانشغاله بحروبه في شمال الجزيرة وتفرغه لدعم مركزه في نجد والحجاز ، ومن ثم تبلور سياساته وأعماله الحربية فيما بعد بقيام المملكة العربية السعودية عام ١٣٥١ هـ / ١٩٣٢ م التي كانت مسألة حدودها الجنوبية مع مملكة الإمام يحي موضع مد وجزر في العلاقات بين البلدين تطورت إلى حرب وقتال بذل صاحب « المنار » مع غيره من زعماء ومفكرين عرب جهوداً كبيرة صادقة في تطويقها وحل الخلافات بين الأشقاء والجيران بالطرق الأخوية والسلمية ، وذلك ما سنتعرض له مع غيره في الفصل الأخير حيث نصل مع « المنار »

وصاحبها إلى آخر أعدادها وتوقفها بوفاة السيد محمد رشيد رضا عام ١٣٥٤ هـ / ١٩٣٥ م .

لقد كان « المنار » في تلك السنوات ،بل ومن بعد « اتفاق دعان » بقليل يهتم بجانب آخر ـ غير السياسة التي ندرت أخبارها الهامة ـ ذلك هو نشر مقالات وأحاديث في حضارة اليمن القديمة ، ووصف لجغرافيتها ولغتها وتاريخ ماضيها وحاضرها ، والتعريف بعلمائها ونشر أفكارهم واجتهاداتهم وتقريظ ما صدر في القاهرة خلال العقد الثاني وأوائل الثلاثينات من كتبهم .. وهذا ما سنفرد له من حديث في هذا الفصل تاركين التفاصيل للنصوص نفسها في ملحقات الكتاب .

☆ ☆ ☆

١ ـ من هم الأصليون في الجزيرة العربية :
(القحطانيون أم العاديون)

درج (المنار) على نشر مواضيع متعلقة بفقه اللغة العربية وأصولها وتاريخ أدبها ، بالإضافة إلى ما يكتب عن العربية والاهتمام بها في التعليم وغيره لأن في ذلك هويّة الأمة في مواجهة سياسة التتريك ولأن « .. العرب والعربية بها صلاح الأمة الاسلامية » .. كما جاء في إحدى المقالات الطويلة في « المنار » في هذه الفترة والتي ختمت « **بخطاب لإيقاظ هذه الأمة النائمة !** »[1] .

---

(١) ١٦/١٠ (٧٥٣ ـ ٧٧١) الصادر في ٢٩ شوال ١٣٣١ هـ / ٣٠ / سبتمبر ، أيلول / ١٩١٣ م .

وفي العدد الثالث من السنة الخامسة عشرة[1] نشر « المنار » القسم الثاني من بحث هام عن« اللغة العربية » كان قد ألقاه محاضرة عالم مختص هو الأستاذ جبر ضومط[2] الذي ربما كان من أوائل الباحثين العرب في عصرنا الحديث إن لم يكن الأول ممن تناولوا موضوع (من هم الأصليون في الجزيرة العربية) أهم القحطانيون الذين عنى بهم « هذا الفرع الذي كان يتكلم بالقحطانية السريانية والحميرية التي خلفتها » أم العاديون « الذين كانوا يتكلمون بالعربية تسمية بأشهر قبائلهم عاد » .

وبدءاً يقرر الباحث أن هذه المسألة من المسائل الصعبة التي لم يتصد لها أحد فيما يعلم ، وتكمن صعوبتها فيما في الأخبار المنقولة من التشويش والتضارب ، فالشائع المتعارف :

« أن العاديين والعمالقة وغيرهم من القبائل ، هم الأصليون وأن القحطانيين تغلبوا عليهم وحلوا محلهم فانقرض هؤلاء وبقي أولئك ، والذي أراه [الباحث] أن القحطانيين هم قرارة سكان العربية والأصليون في اليمن وجباله ، وما يليها من المواطن كحضرموت ونجد ، وأرض البحرين وجنوبي الحجاز مما يتصل باليمن وأن العاديين جاءوا إليها متأخرين ، ومع الأيام وبالاستيلاء على طريق التجارة تقووا شيئاً فشيئاً إلى أن دانت لهم العربية كلها وأخضعوا القحطانية لسلطتهم ، واستمروا

(١) الصادر في ٣٠ ربيع الأول ١٣٣٠ هـ/ ١٩ مارس ، آذار ١٩١٢ م .

(٢) جبر ضومط (١٨٥٩ ـ ١٩٣٠ م) عالم ، لغوي ، أديب سوري ، ولد في صافيتا ، أستاذ في جامعة بيروت الأمريكية ، له أبحاث ودراسات منها « فلسفة اللغة العربية وتطورها بالمقابلة مع السريانية والعبرية » .

على ذلك زماناً إلى أن أصابت إحدى دولهم جائحة سماوية في ـ الراجح ـ فذلوا ، وقامت القحطانية تطلب الملك والاستيلاء ورفع سلطة العاديين عندا ، فتم لها ذلك ومازال النزاع بين الفريقين يتجدد من زمن إلى زمن إلى أن قام الفرع الحميري الظفاري فتغلب على البلاد ، واشتدت وطأته على أهل « مأرب » فارتحلوا في البلاد ، فمنهم من قصد نجران ، ومنهم من أمّ عمان ومنهم من استمرت به رحلته حتى بلغ العراق وهم لخم وغسان وأذلوا من بقي في البلاد من العاديين وأشياعهم من العدنانيين في الحجاز ونجد واليامة وأرض البحرين ذلاً شديداً ، فاشتدت بسبب ذلك البغضاء بين القحطانيين والعدنانيين حتى ضرب بها المثل ، واستمر ذلك فيهم إلى أن ظهر الإسلام ، فأخمد ظهوره شيئاً من تلك الثائرة بما كان له من التأثير في نفوسهم ، وبما شغلهم به من المغازي والفتوحات وامتداد السلطة والغلب . على أن تلك العداوة لم تلبث أن عادت إلى شدتها في أيام المروانيين من بني أمية وانتقلت مع القوم حيث انتقلوا ...»[1] .

بيان أن القحطانية أصلية في شبه جزيرة العرب (وأن قرارة دارهم اليمن)

ذلك ماذهب إليه الباحث ضومط « أي أن القحطانيين هم أصليون في جزيرة العرب وقرارتهم منها اليمن ، وهم سابقون فيها على العاديين » وانتقل إلى بيان براهينه لذلك الترجيح بما ملخصه الآتي :

أولاً : ليس هناك من خلاف أن القحطانية هي العريقة بسكنى

(١) المنار : ١٥/٣ (١٨٧ ـ ١٨٨) .

اليمن ، وأنها هي التي بقيت بعد انقراض الدولة العادية ، وقد أجمع المؤرخون على تسمية العاديين بالعرب البائدة ، والمعقول هو انقراض دولتهم ومنازعة سكان البلاد لسلطانهم « واسترداد استقلالهم أولاً ثم منازعة العاديين الغلبة والملك في ديارهم التي نزلوها إلى أن تم لهم ذلك وذهبوا بالملك والسيادة من أيديهم جملة ، وهذا هو معنى انقراضهم » .

ثانياً : كانت عاد في هذا الرَّمل من الأحقاف بين عمان واليمن إلى حضرموت فكيف يعقل انقراضهم ولغتهم باقية حتى الساعة ؟ ويتساءل أيضاً : كيف ينقرض أهل اللغة وتبقى اللغة نفسها ؟

ثالثاً : يذكر الباحث أن الإجماع عند المؤرخين يكاد يكون تاماً « بأن اليمن دار القحطانية » مستشهداً بنصين من الطبري وابن خلدون[(١)] ليصل إلى نتيجة :

« أن مهد السامية هو جزيرة العرب ، وأن القحطانيين هم الأصليون في البلاد وقرارتهم اليمن ، وأن العاديين قدموا عليهم من أرض بابل »[(٢)] .

وبعد تفصيل لهذه النتيجة ينتقل الأستاذ ضومط إلى تجريح ونقد ماقاله العلامة « نولدكه Noeldeke »[(٣)] في شأن لغة سبأ من أنها أخت للعربية تشعباً من الفرع الجنوبي ، ونسبتها إلى العربية كنسبة الحبشية

---

(١) الطبري (ط . ليبزك) : ٢١٧/١ ، ٢٢٢ ؛ ابن خلدون (ط . بولاق) : ٩/٢ ؛ ٢٧ ؛ ٣١ .

(٢) المنار : ١٥/٣٨ (ص : ١٨٩ ـ ١٩١) .

(٣) تيودور نولدكه (١٨٣٦ ـ ١٩٣٠ م) : ولد في همبورغ ، من مشاهير المستشرقين الألمان اشتهر خصوصاً في اللغات السريانية والعربية والفارسية ، له « تأريخ القرآن » .

إليها (أي العربية) فيرد على ذلك قائلاً : « إن كان يقصد بالسبئية الحميرية فيه ، لكن تكون السبئية والحبشية شعبتين من القحطانية أو السريانية لأن القحطانية والسريانية - كما بينا بالنص التاريخي - هما لفترة واحدة ... وإن كان يريد أن السبئية هي لفترة أخرى غير الحميرية الظفارية أي لغة الدولة التي قامت قبل التاريخ المسيحي بقليل وتعرف عند القوم الآن بدولة سبأ وريدان ، وأنها كانت أيضاً لغة سبأ التي عاصمتها « مأرب » وفيها السد المشهور ، فالأستاذ نولدكي واهم والتاريخ يعارض رأيه ، لأن لغة أهل هذه البلاد - أعني أرض سبأ - كانت منذ أوائل التاريخ المسيحي ،ولا تزال إلى الآن اللغة العربية العادية العدنانية والتاريخ مؤيد ذلك »[1] .

ويستشهد بما ذكره علاّمة اليمن الحسن بن أحمد الهمداني (ت حوالي ٣٦٠ هـ / ٩٧١ م) في كتابه « صفة جزيرة العرب » بوصف لغات أهل الجزيرة العربية في أيامه « النصف الأول من القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي »[2] ومدى فصاحة بعضهم ، وقرب آخرين من الحميرية ، وخلط البعض بين العربية والحميرية ، أو وجود بقايا من العربية المحضة ونبذ من حمير كصنعاء .. ويستخلص الباحث من الهمداني أن :

« النفيس في هذه القطعة لهذا العلامة أنه فرّق بين الحميرية والعربية ،

---

(١) المنار : ١٥/٣ (ص : ١٩٢) .

(٢) أحال الكاتب القارئ إلى « صفة الجزيرة » طبعة ليدن : ١٣٤ـ ١٣٦ ؛ راجع : الطبعة المحققة للعلاّمة المؤرخ القاضي محمد بن علي الأكوع ، بإشراف العلاّمة حمد الجاسر (بيروت / دار اليمامة ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م)

وسمى البلدان التي كان يتكلم بها بالعربية أو بالحميرية إلى أيامه ، وأنفس منه أنه بيَّن الفرق بين لغات المتكلمين بالعربية ، فقال في بعضهم : إنهم فصحاء وفي آخرين إنهم أفصح ، وفي آخرين إن لغتهم متوسطة أو خليطي ، كما بين الفرق في لغات المتكلمين بالحميرية .. ويظهر من شهادة هذا العلامة أن **أهل مأرب والجوف ونجران وهي البلاد التي كانت فيها الدولتان السبئية والمعينية ، كانوا في أيامه أفصح من الكنديين قبيلة امرئ القيس ، وقبيلة المتنبي أشهر شاعرين قبل الإسلام وبعده ، وكذلك كانوا في صدر الإسلام .. »**[1] .

وإذ يسترسل المرحوم ضومط في دحض رأي المستشرق « نولدكه » يضع سؤالاً عريضاً وهاماً هو « ماذا نصدق إذاً التاريخ والعقل أم الآثار التي وجدها القوم مؤخراً في مأرب والجوف ونجران ؟ » مشيراً بذلك إلى اكتشافات العلماء الأوربيين المشهورين أمثال « إدوارد جلازر ، ويوسف هاليفي ، ويوليوس أوثين ، وتوماس أرنو وغيرهم » وأن اكتشافاتهم واقعية لا شك فيها ، غير أن :

« الأولى بنا أن نصدق العقل - من غير أن نجرح في صدق الآثار - وذلك بأن نقول : إن دلالة الآثار مغلوط في تأويلها ، ويمكننا أن نؤولها بما يوافق التأريخ والعقل ... لا يشك أيضاً أنها من آثار الدولة الحميرية الظفارية التي استولت على بلاد سبأ في الجيل الأول قبل المسيح ، نسلم بكل ذلك ، ولكننا نقول : إن هذه الدولة كان حكمها في بلاد سبأ حكم

---

(١) المنار : ١٥/٣ (ص : ١٩٣) .

دولة الأتراك الأخير في اليمن ، فإنا لا نعدم آثاراً ونقوشاً كثيرة في صنعاء وغيرها من مدن اليمن مكتوبة باللغة التركية ، وكما لا يصدق الاستدلال بمثل هذه الآثار على أن لغة اليمن هي اللغة التركية ، كذلك لا يصدق الاستدلال بهذا القدر الذي وجده القوم من النقوش على أن لغة بلاد سبأ أعني بلاد مأرب والجوف كانت لغة حميرية .. »[1] .

وبعد هذا الاستدلال الهام والجدير بالتأمل ، يرجح العلاّمة ضومط أن المستقبل سيكشف لنا آثاراً غير التي اكتشفت حتى الآن وتكون دلالتها وفقاً لظنه ، ولقد دلت الأبحاث والكشوفات الأركيولوجية الأخيرة بعد مضي قرابة ثلاثة أرباع القرن على صحة ماذهب إليه من حيث قدم تأريخ الحضارة السبئية[2] .

غنى اللغة اليمنية لأنها « لغة حضارة وتجارة »

ومقولة أخرى للمستشرق « نولدكه » يرد عليها الباحث ، تلك هي إعجابه باتساع قاموس اللغة العربية وغناها ذاهباً إلى أن ذلك مقتبس من الآرامية بحكم المخالطة والجوار ، وذلك لظن « نولدكه » بأن العربية هي لغة القبائل العدنانية في الحجاز ونجد مستبعداً من ثم أن يكون لمثلهم (حيث غلبت عليهم البداوة) مثل هذه اللغة الواسعة ، ويرد على هذا بقوله ـ ومعه الحق ـ :

---

(١) المنار : ١٥/٣ (ص : ١٩٤ ـ ١٩٥) .

(٢) راجع ترجمتنا للبحث المعنون « هل كانت ملكة سبأ حقيقة في التأريخ ؟ دليل جديد يؤكد ذلك » : مجلة اليمن الجديد عدد (٦) الصادر في يونيو ١٩٨٦ م .

« أما وقد تبين لنا أن هذه اللغة كانت لغة الدولة العاديَّة ، دولة غلبت على البلاد العربية كلها وامتدت سلطتها إلى الشام ومصر وإفريقيا ، ودامت سيدة التجارة على مانظن على ما يزيد على ألف وخمسمائة سنة أولاً تحت اسم الدولة العادية ، وعلى نحو من ثمانمائة سنة تحت اسم الدولة السبئية ، فلا داع لمثل تعليل العلامة « نولدكه » . وما زال العاديون ومن خلفهم باسم السبئيين أرباب تجارة وزراعة حتى بعد أن غلب عليهم الظفاريون بمئات من السنين ، وسدّهم شاهد يؤيد ماذكرنا . **إن الأمة التي بنت مثل « سد مأرب » و « قصر غمدان » وغير هذين من السدود والقصور والمصانع ووصلت من الغنى إلى الدرجة التي ضربت بها الأمثال ، لا يستبعد أن تكون لغتها في الغنى والاتساع كاللغة العربية .. »**[1] .

ويسترسل العلامة « ضومط » في دعم وجهة نظره مستشهداً بنصوص الهمداني وغيره بما يقنع ويكون الاختصار أو الاقتباس مُخلاً فيراجع من يرغب النص الكامل بالملحقات[2] مكتفين بأن نختم الموضوع بقوله :

« قلت وأعيد القول : إن أمةً كهذه الأمة وشعباً كهذا الشعب الذي من بقاياه العرب العدنانية في نجد والحجاز ، والكهلانية في أرض سبأ وحضرموت وعمان حريٌّ بأن يكون له لغة كاللغة العربية سيدة اللغات السامية . ولعلها سيدة اللغات القديمة كلها ، فقد ماتت تلك وبقيت

(١) المنار : ١٥/٣ (ص : ١٩٥ ـ ١٩٦) .

(٢) راجع الملحق (٢٠) .

هذه ، وستبقى بعدُ أجيالاً لا يعلمها إلاَّ « الله » مَهْمَا عُورضت واضطهدت أو صودرت واتهمت ! »[1] .

☆ ☆ ☆

٢ ـ وصف لبلاد العرب الجنوبية التي يسميها اليونان « العربية السعيدة » :

موضوع آخر عن حضارة اليمن القديمة كتبه « للمنار » مؤرخ رحالة ، معمر ، هو المرحوم عبد الله بن المغيرة (ت ١٣٥٥ هـ / ١٩٣٧ م)[2] .

ولم يكن شأن الكاتب المؤرخ هذا محاولة إثبات ما ذهب إليه الباحث المختص في اللغات القديمة جبر ضومط في بحثه المهم السابق ، لكنه أراد التعريف بحضارة اليمن ودوله كما جاءت في المصادر الإغريقية ، وهو ما أهملته المصادر العربية ، وقد توسع إلى ما ذكر في تلك المصادر من مظاهر الحضارة كالتجارة والصناعة والزراعة وغيرها مستفيداً من الهمداني ، وتأتي إضافته بعد ذلك في تلخيصه لتاريخ اليمن منذ اعتناقه اليهودية حتى دخول اليمنيين في الإسلام فحالتهم المعاصرة وسبب الانحطاط[3] .

« يستهل البحث بالتعريف بأن المراد « بالعربية السعيدة : اليمن وما جاورها ، وسميت بذلك لكثرة خيراتها بالنسبة إلى البادية في الشمال ،

---

(١) المنار : ١٥/٣ (ض : ١٩٨) .

(٢) عبد الله بن المغيرة : مؤرخ ، رحالة معمر ، من أهل نجد ، له كتب في التاريخ العام والخاص ، توفي بالطائف عن عمر يناهز المائة .

(٣) المنار : ٢١/٨ (الصادر في آخر شهر رمضان ١٣٣٨ هـ/١٩٢٠ م م) .

فكأنهم يريدون بها بلاد العرب العامرة أو الخضراء ، ويحدها عندهم خليج العجم من الشرق وبحر العرب من الجنوب والبحر الأحمر من الغرب - ويسمونه خليج العرب - ومن الشمال البادية وهي : بادية الشام ، العراق والعربية الحجرية (بلاد بطرا) فيدخل في اسم العربية السعيدة اليمن وحضرموت والشحر وعمان واليمامة ونجد »[1] .

أما ما ذكره اليونان (الاغريق) عن تاريخ اليمن القديم فقد كان عَرضا في أثناء كلامهم في الجغرافيا العامة والرحلات ، ومن أكثرهم ذكراً لها « سترابون وبلينيوس وبطليموس ، ذكر كل منهم مدناً وأمماً وأحوالاً أخرى من أحوال اليمن ، بعضها يوافق ما ذكره العرب ، والبعض الآخر يخالفه ، وذكروا أقواماً ولم يعرفها العرب .. وأهم هؤلاء الأقوام (المعينيون) .. وهم عند اليونان أمة عظيمة ذات تجارة واسعة وشأن كبير ... »[2] .

وبعد أن يتحدث عن دولة معين ينتقل إلى (دولة سبأ) مؤكداً سعة ملكها ونشر نفوذها التجاري في القرن التاسع قبل الميلاد ، ويعيد حضارة اليمن القديم وازدهارها إلى الألف الثاني قبل الميلاد وحيث كانت دولها :

« لا تقل عن دول معاصريهم في آشور وفينيقية ومصر ، وابتنوا المدن ، وشادوا القصور والهياكل وتبسطوا في العيش ، لكن تمدنهم لم يكن حربياً

---

(١) المنار : ٢١/٨ (ص : ٤١٥) .
(٢) المنار : ٢١/٨ (ص : ٤١٥) .

كمدن الفينيقيين ، فكانوا واسطة للتجارة بين الشرق والغرب والشمال والجنوب .. »[1] .

وحين يتحدث عن عظمة سد مأرب وهندسة الري القديم يظهر استغرابه للحالة السيئة الحاضرة التي وصلت إليها الزراعة في اليمن ، مشيراً إلى مانقله عن ذلك (استرابون) بل وحتى الهمداني في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي .

☆ ☆ ☆

تاريخ البلاد العربية الحديث وسبب الانحطاط :

ثم ينتقل إلى المرحلة الأخيرة من الدولة الحميرية في القرن السادس حيث اعتنق ملوك اليمن وآخِرُهم (ذونواس) اليهودية في مواجهة النصرانية التي انتشرت في المنطقة تحت التأثير البيزنطي والصراع المعروف بين الديانتين الذي انتهى بالاحتلال الحبشي النصراني والصراع الطويل ضده حتى ظهر سيف بن ذي يزن الذي استعان بالفرس ضد الأحباش (لتحالفهم مع البيزنطيين) وبمقتل سيف بات والي اليمن فارسياً وبمجيء الإسلام دخل اليمن تحت لواء الدعوة المحمدية وكان اليمنيون مادة الفتوحات ومن أبرز قادتها .

ويصل المؤرخ المغيرة إلى نتيجة هامة ، فبسبب تلك الحروب مع الأحباش والفرس ، ثم الانخراط في الفتوحات الإسلامية « خلت البلاد

(١) المنار : (ص : ٤٢١) .

العربية من اليد العاملة ، وأهملت الزراعة وبناء الأسداد ، فهذا هو سر الانحطاط » لكن أسباباً جديدة قد طرأت في العصر الحديث وبعد زيادة سكان اليمن والجزيرة الذين قدرهم بما لا يقل عن ١٤ مليوناً ، تلك هي « إهمال التعليم في الجزيرة وتنافس الأمراء فيما بينهم أهمل أمر الزراعة والصناعة »[١] .

وحتى تسترجع البلاد العربية (الجزيرة) قوتها فلا بد لها من حكومة صالحة ولا بد أن ينهض السوريون بدور إيجابي وإصلاحي لأهليتهم وحب الناس لهم .

« ولو اجتهد السوريون لمد السكة الحديد من المدينة إلى صنعاء لارتباط البلاد والأمن وتسهيل التجارة والانتقال لتم المقصود »[١] .

وهذه الخاتمة تذكرنا بما سبق أن طالب به المفكر العربي السوري رفيق العظم في مقال سابق له بالمنار قبل هذا بعشر سنوات[٢] .

☆ ☆ ☆

٣ ـ محاضرة لرجل الأعمال والسياسي الأمريكي كراين : عن زيارته للحجاز واليمن (١٣٤٥ هـ / ١٩٢٦ م)

عرف السفير الأمريكي السابق في الصين ، ورجل الأعمال فيما بعد ، تشارلس كراين باهتمامه بالعالم العربي وتعاطفه مع طموحاته نحو الاستقلال والتقدم تمشياً مع مبادىء الرئيس ولسن الذي كان صديقاً له

---

(١) المنار : ٢١/٨ (ص : ٤٢٢) .

(٢) راجع (ص : ٦٤ فيما سبق) .

وعينه رئيساً للجنة الأمريكية التي أرسلت بعد الحرب العالمية الأولى إلى سورية وفلسطين للاستفتاء في مصيرها ، وفي عام ١٣٤٥ هـ / ١٩٢٦ م قام برحلة إلى الحجاز واليمن ، ذكر لنا صاحب كتاب « اليمن والغرب »[١] أن من نتائجها « أن قام المهندس كارل تويتشيل الذي كان لوقت طويل حجة في شئون المملكة العربية السعودية ولوي هواينتنج بزيارة إلى اليمن في سنة ١٩٢٧ ، ثم في سنة ١٩٣٢ وسنة ١٩٤٧ . ولم تكن هذه الزيارات ولا تلك التي قام بها فريد إيلي و.ي.ا. ماكفافارن في سنة ١٩٢٣ للتنقيب عن البترول مفيدة ، وبالتأكيد لم يكن هناك نفط بكميات تجارية ، غير أن تويتشيل استطاع أن يقدم بعض المشورة فيما يختص ببناء الطرق والجسور ، ويمكن حتى الآن مشاهدة نتيجة هذه الجهود » أ. هـ .

وفي ربيع ١٣٤٥ هـ / ١٩٢٧ م كان السيد كراين في زيارة مصر حيث لقي الكثير من الحفاوة والتكريم ، وألقى محاضرة في « جمعية الرابطة الشرقية » تحدث فيها عن زيارته للحجاز واليمن حضرها لفيف من المهتمين المصريين والسوريين وغيرهم ، ومن بينهم صاحب « المنار » الذي قام بنشرها في ثلاثة أعداد متتالية ، أولها في العدد ٢ / ٢٨ الصادر في سلخ رمضان سنة ١٣٤٥ هـ / ٢ إبريل ، نيسان ١٩٢٧ ، وكانت بعنوان « جزيرة العرب ـ أو ـ الحجاز واليمن » .

الكلام عن اليمن :

كانت الحلقة الأولى مقتصرة على شرح أسباب رحلة السيد كراين إلى

---

(١) اليمن والغرب تأليف اريك ماكرو تعريب الكاتب (ص : ١٤٥ ـ ١٤٦) .

الجزيرة وإعجابه بالحياة فيها والعالم الإسلامي الذي سبق لـه الترجل عبره حين زار تركيـا ومصر وغيرهمـا قبـل خمسين عـامـاً من هـذه الرحلـة ، ثم انطباعاته عن الحجاز ومهبط الوحي ، والدور الجديـد الـذي يقوم بـه آل سعود في نشر الدعوة الوهابيـة وتوحيـد نجـد والحجـاز ، وتعبيره في الأخير عن أسفه لعدم تمكنه من مقابلة الملك عبد العزيز لكونه كان بعيداً في نجد وتبادل معه برقيات المجاملة[1] .

وفي الحلقة الثانية[2] جاء حديث كراين عن وصوله لميناء الحديدة قادماً من مصوّع حيث استقبله حاكم الحديدة أحسن استقبال وجهز له مع مرافقيه[3] البغال ليصعد إلى صنعاء لمقابلة الإمام يحيى . ومن البداية يقرر كراين :

« إن هذه البلاد اليمانيـة العجيبـة منزويـة عن العـالم أكثر من القطب الشمالي ، ولا يـزال طراز الحيـاة فيهـا كما كان عليـه قبـل مئـات السنين ، ولكنه يختلف كثيراً عنه في نجد »[4] .

ثم يسجل انطباعاته ومقارنتـه بين النمـط المعماري في قمم الجبـال الـذي أملته طبيعة البلاد وحياة أهلها مع تلـك في الحجـاز ، وهو في طريقـه إلى صنعاء ويرى أن الطبيعة ومناظرها :

---

(١) المنار : ٢٨/٢ (ص : ١٣٢ ـ ١٣٩) انظر الملحق (٤٧) .

(٢) المنار : ٢٨/٣ الصادر في شوال ١٣٤٥ هـ / مايو ، حزيران ١٩٢٧ م .

(٣) كان يرافق السيد كراين مترجماً الأديب والكاتب السوري (نزيه مؤيد العظم الذي نشر كتاب رحلته إلى « العربية السعيدة » .

(٤) المنار : ٢٨/٣ (ص : ٢٠٢) .

« بين الحديدة وصنعاء جميلة للغاية وقد مَرَرْنا بطرقات تعلو تسعة آلاف قدم عن سطح البحر ، ونزلنا في وديان عميقة »[1] .

وقد وصل صنعاء في ظلمة الليل ، ونتيجة لعدم إضاءة الشوارع فقد وجدوا صعوبة في الوصول إلى « دار الضيافة » المعدّة لهم ، والتي أبلغه بعضهم أنها شريت منذ بضعة أشهر بمبلغ ١٥٠ دولاراً ، وقد يكون واهماً في هذه القيمة ، وقد لفت انتباهه الحالة السيئة للجنود الذين رافقوه في رحلته مضيفاً :

« ومن العجب العُجاب أن يَرى الإنسان هذه الجنود رغم تناولها المقادير القليلة من الغذاء تحمل البنادق الثقيلة وتتمنطق بالعتاد الكثير ، وتركض على أرجلها مسافات شاسعة غير مبالية بالتعب أو شاعرة بالجوع »[2] .

☆ ☆ ☆

القاضي محمد راغب بك :

وقبل أن يلتقي كراين بالإمام يحي الذي تحدث عنه وعن نظام إدارته التقليدي المعروف[3] زاره « أحد أمناء سر الإمام المدعو محمد راغب بك ، وهو تركي الأصل ، ولد في القسطنطينية وترعرع في ضواحي

---

(١) المنار : ٢٨/٣ (ص : ٢٠٤) .

(٢) نفسه : (ص : ٢٠٤) .

(٣) راجع نص ذلك في الملحق (٤٨) ؛ نشرت « الإيمان » لسان حال الإمام يحي خبر زيارة السيد كراين ومقابلته للإمام في عددها الثالث الصادر في رجب ١٣٤٥ هـ / يناير ، كانون الثاني ١٩٢٧ م .

البوسفور قرب المدارس الأمريكية ، التي لي بها علاقات منذ زمن بعيد ، وقد حدثني عنها حديثاً طويلاً ، ومما قاله أن بعض أقربائه درسوا فيها ، وهذا كان لحسن حظي أن أدخلني إلى حالة الوئام مع حضرة الإمام ، وكان باستطاعته أن يتوسط بيننا بطريقة حكيمة »[1] .

لقد لاحظ السيد كراين مدى سوء الأحوال العامة في البلاد :

« فأهل اليمن من ذوي الفقر والبؤس الشديد ، ولكنهم لانزوائهم في بقعتهم وانحباسهم عن العالم الخارجي لا يشعرون بهذه الحال » .

ثم يتساءل :

« كيف يستطاع في هذه الفاقة أن تفرض الضرائب على اليمنيين »[2] .

إن العاطفة الواضحة والبساطة في حديث السيد كراين تؤكد أن ماوصفه به صاحب اليمن والغرب من أنه « رجل الأعمال الخير » وأن زيارته كانت « بغية التبرع بمعونات تساعد الإمام على تطوير بلاده »[3] وهذا بالطبع لا ينفي أنه بصفته رجل أعمال كان أيضاً يأمل في أن يستخرج النفط في اليمن ، لكنه تفجر بعيد ذلك بقليل في المملكة العربية السعودية ، وبعد ذلك في الخليج ، وتغيرت الموازين بين القطرين

---

(١) المنار : ٢٨/٣ (ص : ٢٠٤) وقد عمر المرحوم القاضي راغب وتوفي بصنعاء عام ١٩٥٨ بعد أن كان مستشاراً للشئون الخارجية طيلة أيام الإمام يحيى .

(٢) المنار : ٢٨/٣ (ص : ٢٠٦) .

(٣) اليمن والغرب : ص ١٤٥

الشقيقين بل والمنطقـة العربيـة كلهـا ، كما لم يحـدث من قبل في التـاريـخ العربي وحتى اليوم[1] .

☆ ☆ ☆

رحلة إلى أرض سبأ .. لم تتم :

لقد كانت رغبة المحاضر ـ كما ذكر ـ شديدة في الرحلـة إلى أرض سبـأ ، ومشاهدة سد مأرب التاريخي « الذي كان مصدر خصبها وزهوها » إلا أن الإمام يحي نصحه بألا يفعل خوفاً على حياتـه من تعصب قبـائل المنطقـة الذين « يعدون أنفسهم حراس الكنز العظيم المقـدس البـاقي من آثـار تلـك العاصمة القديمة أن تطأها قدمه أو يقترب منها » ولا شـك أن هـذا المسوغ سخيف من الإمـام الـذي كان قـد ذكر لـه أيضـاً أنـه نفســه لم يتمكن من الذهاب إليها إلا بعد أن اتخذ أشد الاحتياط ، فالمسألة أمنية ومتعلقة بمدى سيطرة الإمام يحي في ذلك التاريخ على تلك المنطقة وغيرها جنوبـاً حتى منطقة النفوذ البريطـاني . وقـد أضـاف الإمـام لزائره قـائلاً : « إن بعثـة ألمانية ذهبت للبحث في تلك الناحيـة قبل الحرب العـالميـة فلم يُبْقِ البـدو على أحد من رجالها »[2] .

رأيه في ولي العهد أحمد (الإمام فيما بعد) :

يصف السيد كراين في آخر القسم الثاني من المحاضرة الاستقبال الكبير الذي أعـد لاستقبـال ولي العهـد أحمـد بن الإمـام يحي العـائـد من الشمال

(١) احتفل في شهر مايو ، أيار ١٩٨٦ باكتشاف النفط بمنطقة صافر بلواء مأرب بكميات تجارية .

(٢) المنار : ٢٨/٣ (ص : ٢٠٧) .

(صعدة) بعد غيبة ثلاث سنوات ، ويذكر أنه بعد قدومه بأيام زاره « فتوسمت فيه مخايل الحزم والعزم ، ودلائل الجدّ في الأعمال ، على شخصيّة جذابة ، ولكنها على صورة أضعف من شخصية والده العظيم »[1] .

☆ ☆ ☆

يهود اليمن :

كغيره من الأجانب الذين زاروا اليمن ، اهتمّ السيد كراين بزيارة حي اليهود في غرب العاصمة صنعاء غير مرة ، وقرر أنهم ، وإن كانوا كغيرهم من المواطنين ، على درجة من الفاقة ،إلا أنهم أحسن حالاً وأرغد عيشاً « بفضل ماأوتوا من الحذق والقبض على أزمة الحرف ... ولعطف الحكام »[2] ثم يؤكد مسألة تاريخية هي أن اليهود يمانيون من فجر التاريخ ، وأن زعم الربانيون (من اليهود) بأنهم جاءوا إلى اليمن من أورشليم « القدس » قبل المسيح بمئتي سنة ، ويعبر عن دهشته بأنه وجد اليهود حيثما ذهب ، فهم أحرار في تنقلهم وفي أعمالهم ومن ذلك أنه لقي :

« في قرية غاية في الفقر مبنية بالقش ، يهودياً مر عليه فيها ثلاث سنين في حالة لا بأس بها يشتغل فيها صائغاً ، فلم يكن ينجلي لي كيف

---

(١) نفسه : ص ٢٠٨ ؛ وتجدر الإشارة إلى أن جريدة « الإيمان » قد نشرت في آخر أعداد سنتها الأولى (الصادر في رجب ١٣٤٥ هـ / يناير ، كانون الثاني ١٩٢٧ م) خبر هذه العودة في صدر صفحتها الأولى ونشرت العديد من القصائد بهذه المناسبة .

(٢) المنار : ٢٨/٤ (الصادر في ٢٩ ذي القعدة سنة ١٣٤٥ هـ/٣١ مايو ، أيار ١٩٢٧) الحلقة الأخيرة في الملحق (٤٩) .

يمكن وجود سوق للصياغة في مثل تلك القرية من بلاد الدنيا ! ولكنني فطنت للأمر لما علمت أن اليمنيين مولعون بزينة واحدة تستهوي أفئدتهم ، وهي الخناجر المنحنية [الجنابي] ذات المقابض والأغماد المزينة أو المموهة بصنع الصنّاع »[1] .

☆ ☆ ☆

انطباعات أخيرة :

في لقائه الأخير مع الإمام يحي ذكر السيد كراين أنه استفسر منه عما عساه أن يقدم لليمن من خدمات ، فذكر له الإمام « أنه يوجد في اليمن قدر وافر من المعادن الثمينة ، وأنه يرغب في الحصول على أهل العلم الواسع في المعادن ليقوموا بدرس الموجود فيها »[2] ولعل هذا كان من أهم نتائج الزيارة وخروج البعثة التي سبق الإشارة إليها في العام التالي دونما أية فائدة .

وينطلق في الثناء على همة اليمني في العمل ، وصبره على تحمل المشاق والمكاره ، وحبه للحرية والاستقلال ، وحنينه إلى وطنه مهما طالت مغادرته له مستشهداً بمثل وقع له حين لقي يمنيين : « أحدهما يهودي والآخر مسلم زارا أمريكا ، وبعد أن أقاما فيها عدة أعوام غلبهما الحنين إلى تلك الجبال اليمنية التي ولدا فيها ورضعا لبانها ، وغذيا بهوائها ومائها ،

---

(١) المنار : ٢٨/٤ (ص : ٢٨٩) .

(٢) نفسه (ص ح ٢٩٠) .

وإذ جدَّ بهما الوَجْد واستحكم الهيام عادا أخيراً إلى تلك الربوع ليقضيا فيها ما كتب لهما من بقية العمر »[1] .

وأخيراً يشرح افتقار اليمن إلى أي نوع من الطب أو العلاج وإلى شدة قسوة ولادة الأم في اليمن وارتفاع نسبة الوفيات ، غير ناس التذكير بوجود شجرتي « القهوة » و « القات » حيث يجلس اليمنيون بعد العصر جماعات لمضغه ـ لكونه منبهاً ـ و « يزيدونه بهجة ولذة بتعاطي أقداح الحديث كما يتعاطى الندامى كؤوس المدام »[2] .

ورغم رومانسية هذا الوصف فقد أضاف منبهاً إلى مدى الخطر الاقتصادي في اتساع تناول القات وإثقال كاهل دخل الناس .. ذلك كان قبل ستين عاماً ، ترى ماذا تقول اليوم !!



(١) المنار : ٢٨/٣ (ص : ٢٩٢) .

(٢) المنار : ٢٨/٤ (ص : ٢٩٢) .

٤ ـ المنار واجتهادات الإمام الشوكاني وكتبه :

يضع صاحب « المنار » شيخ الإسلام القاضي محمد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٠ هـ / ١٨٣٥ م) على رأس « العلماء المجددين المصلحين » ومن « أشهر أئمة الإصلاح وكتبهم النافعة » ، ففي مقال له عن الموضوع[١] يذكر أنه :

« لم يجئ بعد الإمام ابن حزم من يساميه أو يساويه في سعة علمه وقوة حجته ... إلاّ شيخ الإسلام مجدد القرن السابع محمد تقي الدّين ابن تيمية ... وكان الإمام أبو عبد الله محمد بن القيم وارث علم أستاذه ابن تيمية وموضحه .. وأن أنفع ما كتب بعدهم .. كتاب « فتح الباري » شرح صحيح البخاري .. للحافظ أحمد بن حجر العسقلاني .. ومن أنفعها في كتب الفقه الحديث كتاب « نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار » ، ومن كتب أصول الفقه كتاب « إرشاد الفحول في تحقيق الحق من علم الأصول » كلاهما للإمام الجليل المجدد مجتهد اليمن في القرن الثاني عشر محمد بن علي الشوكاني .. فهؤلاء أشهر أعلام المصلحين في الإسلام ... »[٢] .

ما حققه الشوكاني في مسألة القياس :

وفي العدد التالي من « المنار »[٣] كتب صاحبه الشيخ رشيد رضا مبحثاً ناقش فيه « مسألة القياس » الذي معناه في اللغة (رد الشيء إلى

(١) المنار : ١٨/٥ (الصادر في ٣٠ رجب ١٣٣٣ هـ/١٣ يونيو ، حزيران ١٩١٥ م) .

(٢) المنار : ١٨/٥ (ص : ٣٢٥) .

(٣) المنار : ١٨/٦ .

نظيره) ثم بات في الشرع بوصفه أحد الأدلة الأربعة (الكتاب والسنة والإجماع والقياس) لكن مبحثه انصب على أدلة المجتهدين عليه وخطأ بعضهم معتمداً في ذلك على تحقيق الإمام الشوكاني في كتابه الهام والذي أصبح مرجعاً بعد طبعه « إرشاد الفحول » حيث بين - أي الشوكاني - « الخلاف في القياس الفقهي ،هل يجوز التعبد به عقلاً أم لا ؟ واختلاف القائلين بالجواز هل وقع بالفعل أم لا ، واختلاف القائلين بالوقوع في شروطه ودلائله هل سمعيةٌ أو عقليةٌ ، وانقسام القائلين بعدم الوقوع إلى فريقين : فريق يقول : لم يجد في الشرع ما يدل عليه موجب الامتناع من العمل به ، وفريق يستدل على نفيه بالكتاب والسنة وإجماع الصحابة ، وإجماع العترة ، وبالعقل ؛ ثم قال : وقد استدل المانعون من القياس بأدلة عقلية ونقلية ، ولا حاجة بهم إلى الاستدلال ، فالقيام في مقام المنع يكفيهم ، وإيراد الدليل على القائلين به وقد جاز بأدلة عقلية لا تقوم بها الحجة فلا نطول بذكرها ، وجاؤا بأدلة نقلية وقالوا : دل على الثبوت التعبد بالقياس الشرعي الكتاب والسنة والإجماع ، ثم أورد ما قالوه ، وبحث فيه بحث الإمام النحرير ملتزماً قواعد الأصول وآداب المناظرة ، فتلخص ذلك بما يأتي ... »[1] .

وجاء تلخيصه ، الذي يمسخه ، المزيد من (التلخيص) في ست صفحات فيراجع ذلك في الملحقات[2] .

☆ ☆ ☆

(١) المنار : ١٨/٦ (ص : ٤١٦) .

(٢) انظر الملحق (٢٨) .

رسالة فتوى الإمام الشوكاني في (صفات الباري تعالى) :

وهكذا وجدت آراء الإمام الشوكاني واجتهاداته صدى لها في كثير من كتابات صاحب « المنار » الدينية والإصلاحية ، فقد كان يشيد بها وبتحرر فكر صاحبها ، وبكتبه التي كان قد طبع منها : (نيل الأوطار) (إرشاد الفحول) ، (القول المفيد في أدلة الاجتهاد والتقليد) وتفسيره (فتح القدير) ، وهي الكتب التي ذاعت شهرتها من مطلع القرن العشرين في الوطن العربي والعالم الإسلامي ، وبخاصة في الهند التي تبنى فيها العلامة محمد صديق خان القنوجي ، نائب ملك بهوبال (ت ١٣٠٧ هـ / ١٨٨٩ م) طباعة كتب الإمام ونشرها ، ومن ثم تلخيص بعضها واقتباسها أو اقتفاء طريقه وأثره ، فصنف بعض الكتب بمضامينه نفسها ، كما فصلناه في مكان آخر[١] ، وشاءت الأقدار أن يكون آخر ما كتبه صاحب « المنار » عن الإمام الشوكاني هو الإشارة إلى هذا :[٢] . إن اللافت للنظر والمفيد في آن واحد ، هو نشر « المنار » لرسالة هامة للإمام الشوكاني ، لم نجدها فيما بين أيدينا من رسائله أو مسردات مؤلفاته المطبوعة والمخطوطة[٣] . وقد جاءت الرسالة فتوى طويلة يناقش فيها الإمام مختلف الفرق والآراء الفلسفية والسلفية حول

---

(١) AL-Amri : Amodern History of Yemen (in the 18th and 19th Centuries, Londn (1984).) (DR,H)

(٢) المنار : ٣٤/٦ (ص : ٤٣٤ ـ ٤٣٥) .

(٣) لعل من أكملها ما نشره المحقق الأستاذ عبد الله الحبشي بعنوان : « ثبت مؤلفات العلامة محمد بن علي الشوكاني » ، مجلة « دراسات يمنية » ، مركز الدراسات والبحوث اليمنية ، صنعاء ، عدد (١٩٧٩/٣ م) ص : ٦٥ ـ ٨٦ .

« صفات الباري تعالى » وهو الموضوع الذي طالما كان شاغل المفسرين والمتكلمين الإسلاميين حتى استطال وتشعب وتطرف إلى حد الغلو والقسر ، أو التوسط بين الأطراف كما فعل الأشعرية بين المعتزلة والجبرية . وكان عنوان الرسالة ـ الفتوى موحياً برأي صاحبها كما جرت عادته وذلك : « **صفات الباري تعالى : تحقيق الحق في مذاهب السلف واختلاف الخلف فيها** »[١] .

إن رأي الإمام الشوكاني في هذه المسألة واضح كلَّ الوضوح ، وخلاصته : « ... أن مذهب السلف من الصحابة والتابعين وتابعيهم هو إمرار آيات الصفات على ظاهرها ، من دون تحريف لها ولا تأويل متعسف لشيء منها ، ولا جبر ولا تشبيه ولا تعطيل يفضي إليه كثير من التأويل ... »[٢] .

وقد رأى وهو يناقش آراء الفرق أن المحنة وبداية تعمق الخلاف والجدل غير المجدي هو عندما تبنت الدولة في زمن المأمون (ت ٢١٨ هـ / ٨٣٣ م) لأول مرة مذهباً فلسفياً هو « الاعتزال » استخدم أصحابه سلطان الدولة « وأعلنوا مذاهبهم الزائفة وبدعهم المضلة ، ودعوا الناس إليها ، وجادلوا عنها ، وناضلوا المخالفين لها ، حتى اختلط المعروف بالمنكر ، واشتبه على العامة الحق بالباطل والسنة بالبدعة »[٣] .

---

(١) المنار : ١٧/١١ (ص : ٨١٧ ـ ٨٢٩) الصادر في سلخ ذي القعدة ١٣٣٢ هـ/١٩ اكتوبر ، تشرين الأول ١٩١٤ م .

(٢) المنار : ١٧/١١ (ص : ٨٢٠ ، ٨٢٤) .

(٣) نفسه : (ص : ٨٢٠) .

لقد كان الشوكاني مجتهداً عظيماً داعياً لنبذ التقليد والتمذهب ولم تكن سلفيته تعني ماذهب إليه آخرون من الجمود وعدم الاجتهاد لإيجاد حلول جديدة فرضتها شئون العصر وحاجات المجتمع ، لكنه لم يكن مع التفلسف وما يثيره من خلافات ونزاعات في أمور وردت فيها نصوص ، ولا مجال للرجم بالغيب فيها ، ونجده في هذه الرسالة يكرر ما سبق أو لحق أن قاله في كتاب آخر[1] معترفاً بأنه لم يجد فيا ألّفه سوى الحيرة حين أخبر عن نفسه بما يلي :

« وأوضح لك ماوقعت فيه في أمسي ، فإني أيام الطلب وعنفوان الشباب شغلت بهذا العلم الذي سمّوْه تارة (علم الكلام) ، وتارة (علم التوحيد) ، وتارة (علم أصول الدين) ، وأكببت على مؤلفات الطوائف المختلفة منهم ، ورمت الرجوع بفائدة ، والعود بعائدة ، فلم أظفر من ذلك بغير الخيبة والحيرة ، وكان ذلك من الأسباب التي حببت إليّ مذهب السلف . على أني كنت من قبل ذلك عليه ، لكن أردت أن أزداد فيه بصيرة ، وبه شغفاً ، وقلت عند النظر في تلك المذاهب :

وغَايـةُ مـاحَصَّلْتُـه مِنْ مَبَـاحِثِي	ومِنْ نَظَرِي مِنْ بَعْـدِ طُول التَّـدَبُّر
هُوَ الوَقْفُ مـابَيْنَ الطَّرِيقَيْنِ حَيْرَةً	فَمَـا عِلْمُ مَنْ يَلْـقَ غَيْرَ التَّحَيُّر
عَلَى أنَّني قَـدْ خِضْتُ مِنْـهُ غِمَـارَه	وما قَنعَتْ نَفْسِي بِـدُون التَّبَحُّر»[2]

---

(١) راجع : أدب الطلب للشوكاني (ص : ١١٥ ـ ١١٦) .

(٢) المنـار : ١٧/١١ (ص : ٨٢٦) ؛ وانظر الشعر في ديـوانـه بتحقيقنـا (الطبعـة الثـانيـة ، ص : ١٨٩) .

ونترك تفاصيل فَتْوى الإمام ونقده الشديد ليطلع عليها من يرغب في الملحقات من الكتاب[1] .

☆ ☆ ☆

٥ ـ تقريظ المنار لكتابي « شرح الأزهار » لابن مفتاح و « سبل السلام » للعلامة ابن الأمير :

عندما أخفق الإمام ، العالم ، المجتهد المهدي أحمد بن يحي المرتضى (ت ٨٤٠ هـ / ١٤٣٧ م) في السياسة وألقي به في سجن « قصر صنعاء » قرابة سبع سنوات (٧٩٤ ـ ٨٠١ هـ / ١٣٩٢ ـ ١٣٩٨ م) ، ربحه العلم وخلد ذكره في رحابه . ففي السجن ألف متنه المشهور « كتاب الأزهار » الذي بات عمدة المذهب الزيدي ومدرس طلابه وفقهائه ، ولَمّا كان « الأزهار » بالغ الإيجاز جزل العبارة مختصرها فقد شرحه المؤلف في عدة مجلدات بكتابيه « الغيث المدرار » و « البحر الزخار » ، وبعد السجن انكب على العلم والتأليف فكتب مؤلفات كثيرة في أصول الدين ، والفقه ، وفي علوم الحديث واللغة والمنطق والتاريخ[2] وقد شرح الأزهار وحشى عليه كثير من علماء اليمن الكبار كالحسن الجلال (ت ١٠٨٤ هـ / ١٦٧٣ م) بـ « ضوء النهار » والمقبلي (ت ١١٠٨ هـ / ١٦٩٦ م) بـ « المنار » وابن الأمير (ت ١١٨٢ هـ / ١٧٦٨ م) بـ « منحة الغفار » ، والشوكاني (ت ١٢٥٠ هـ / ١٨٣٥ م) بـ « السيل الجرار » وغيرهم[2] ، إلاّ

(١) راجع الملحق (٢٦) .

(٢) انظر كتابنا : مصادر التراث اليمني : ١٩٢ ـ ٢١٩ ؛ الحبشي : مصادر الفكر العربي الإسلامي ٥٨٣ ـ ٥٩٤

أن شرح الأزهــــار لابن مفتــــاح (ت ٨٧٧ هـ / ١٤٧٢ م) المسمى بـ « المنتزع المختـار من الغيث المـدرار » ، هو الأكثر شيوعـاً وأول مـاطبع منهـا ، وإن لم يكن أهمهـا ، بينمـا لم يطبـع مـؤخراً سـوى « السيـل الجرار وضوء النهار » بعد أكثر من ستين عاماً على تنو يه المنار بمجمل ماقـدمنـاه لما نشرته .

طبع « شرح الأزهار » في أربعة أجزاء بالقاهرة أواخر عام ١٣٤٠ هـ / ١٩٢٢ م بجهد العالم المؤرخ المرحوم عبـد الواسع الواسعي (ت ١٣٧٩ هـ / ١٩٥٩ م) الذي كان قد تعرف على صاحب « المنـار » وربطتهما صـداقـة مثمرة ، وفي العام الثاني جاء تقريظ الكتـاب[1] وقـد أبـان العلامـة رشيـد رضا عن علمه وتتبعه للفقه الزيدي ورجاله ، فبعد أن أشـار إلى صـاحب الأزهـار وعلمـه وظروف سجنـه ، نقل عن المقبلي قولـه : « قـال العلاّمـة المقبلي صـاحب العلم الشـامـخ : الإمـام المهـدي هـو الـذي خرج مـذهب الزيدية إلى حَيِّز الوجود » .

والجدير بالذكر هنـا أن المنـار قـد طبع العلم الشـامخ قبل هـذا بعشر سنوات[2] . وممـا يـدل على فهم السيـد رشيـد رضـا وأنـه كان بحوزتـه غير كتـاب « العلم الشـامخ » الـذي طبعـه استطراده ومقـارنتـه ونقـده حيث أضاف :

---

(١) المنار : ٢٤/٩ (ص : ٧١٩) الصادر في ٢٩ المحرم ١٣٤٢ هـ / ١١ سبتمبر ، أيلول ١٩٢٣ م .

(٢) صدر عن مطبعـة المنـار كتـاب « العلم الشـامخ » وذيلـه « الأرواح النوافخ لآثـار إيثـار الآبـاء والمشائخ » عام ١٣٢٩ هـ في مجلـد كبير يحوي لواذ ٨٠٠ صفحـة ؛ ومن الكتـاب صـدرت طبعـة حديثة في دمشق ١٩٨٤ م .

« وقد شرح الأزهار كثيرون من علماء اليمن المستقلين المجتهدين كالإمام الشوكاني وسمى شرحه « السيل الجرار » .. والمقلدين كالعلامة أبي الحسن عبد الله بن مفتاح المتوفى سنة ٨٧٧ هـ ، وسمى شرحه « المنتزع المختار من الغيث المدرار » فهو مختصر من شرح المصنف . فأما الإمام الشوكاني فهو يذكر الأحكام بأدلتها ، ويقيم ميزان التعادل والترجيح بينها ، على طريقته في كتاب « نيل الأوطار » في فقه الحديث ، وأما ابن مفتاح فيعنى بتحقيق الراجح في مذهبهم ، ويذكر خلاف كبار علماء الأمصار كالأئمة الأربعة - أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد - وقلما يخرج مذهب الزيدية عن هذه المذاهب ، وإنما يتحقق بأربعة أصول : العدل والتوحيد بالمعنى المشهور عن المعتزلة فيها ، والقول بإمامة زيد بن علي - رضي الله عنه - ووجوب الخروج على الظَّلمة »[1] .

وفي الأخير يشير إلى طباعة الكتاب وأن صديقه الشيخ عبد الواسع الواسعي وقف على طبعه وتصحيحه ويدعو العلماء والمتوسعين في علم الفقه إلى اقتنائه ومطالعته .

☆ ☆ ☆

« سبل السلام » لابن الأمير :

حين توفي العلامة الكبير ، المجتهد ، المصلح المتحرر محمد بن إسماعيل الأمير عام ١١٨٢ هـ / ١٧٦٩ م لم يكن الإمام الشوكاني قد بلغ العاشرة من

(١) المنار : ٢٤/٩ (ص : ٧١٩ - ٧٢٠) .

عمره ، فلم يلحق التتلمذ عليه ، لكنه كان خليفته في استمرار تيار الفكر التحرري الاجتهادي الذي انتقل أثره خارج اليمن ، وقد لقي ماطبع من كتب ابن الأمير على قلته[1] نفس الحماس لمؤلفات الشوكاني عند المجددين الإسلاميين والمهتمين بالإصلاح في الوطن العربي وبخاصة مدرسة الإمام الشيخ الأستاذ محمد عبده ، وأبرز رجالها صاحب « المنار » الذي كتب عقب صدور كتاب العلامة ابن الأمير « سبل السلام » عام ١٣٤٤ هـ / ١٩٢٦ م تقريظاً له استهله بقوله :

« من الكتب القيمة التي أخرجتها المطابع في هذا العام كتاب (سبل السلام ، شرح بلوغ المرام ، من جمع أدلة الأحكام) ، فقد قام بطبعه جماعة من العلماء الذين يهمهم نشر السنة واعتنَوْا بتصحيحه جد العناية ، وأحسن مانصف به الكتاب ذلك التعريف الذي وضعه له في الجزء الأول مصححه صديقنا الشيخ محمد عبد العزيز الخولي المدرس بقسم التخصص في مدرسة القضاء الشرعي ... (بلوغ المرام) كتاب جمع فيه الحافظ ابن حجر كل الأحاديث التي استنبط الفقهاء منها الأحكام الفقهية ، مبيناً عقب كل منها من خرّجه من أئمة الحديث كالبخاري ومسلم ، موضحاً درجة الحديث مرتباً له على أبواب الفقه ...

فجاء محمد بن إسماعيل الأمير اليمني الصنعاني وشرح ذلك الكتاب وذكر ما يدل عليه الحديث من الأحكام الفقهية ، أو من قال بها من كبار

---

(١) من كتبه المطبوعة غير سبل السلام : « العدة على شرح العمدة » (٤ أجزاء) ، « توضيح الأفكار » شرح على كتاب « تنقيح الأفكار » للعلامة محمد بن إبراهيم الوزير (جزءان) ، وديوان شعره وبعض الرسائل .

المجتهدين صحابة وتابعين وأئمة المذاهب .... »[1] .

وبعد استطراد وإيضاح حول الكتاب وأنه أحسن الكتب الكثيرة المؤلفة في الموضوع ، يذكر المحقق ماعاناه من مشقة في التصحيح والعودة إلى الأصول ، التي كان منها نسخة من « سبل السلام » لابن الأمير طبعت في المطبعة الأميرية باسم جديد هو « فتح العلام » !؟ ، ثم يشيد بمدرسة القضاء الشرعي ، وهي التي كان قد أسسها المرحوم الشيخ محمد عبده ، لأنها قررت هذا الكتاب على طلبة التخصص فيها ، وفي الختام دعوة للمفكرين المسلمين للاهتمام بمثل « سبل السلام » وتنويه بعدد أجزائه الأربعة وسادتها وبأنه « مطبوع على ورق أبيض ناعم ، لكنه أصناف ثلاثة : عادي ، وجيد ، وممتاز ، وثمن الصنف الأول ٥٠ قرشاً والثاني ٦٠ والثالث ١٠٠ عدا أجرة البريد » أي إن للكتاب ثلاث طبعات ، وتلك ميزة أصبحت اليوم نادرة ، بل لقد تفننت مطابع بيروت في السنوات الأخيرة فأخرجت الكتاب نفسه في طبعات ثمينة دونما أي مراجعة أو تحقيق جديد ، كما أضاف أن الكتاب يباع في « مكتبة المنار » ويطلب من مصححه الشيخ الخولي بمدرسة القضاء الشرعي .



(١) المنار : ٢٧/٤ (ص : ٣١٦ ـ ٣١٩) الصادر في ٣٠ ذي الحجة ١٣٤٤ هـ / ١٠ يوليو ، تموز ١٩٢٦ م .

٦ ـ مجادلات المنار في جرح (وهب بن منبه) :

يعد وهب بن منبه ، الأبناوي ، الصنعاني ، الذماري ، اليماني (ت ١١٤ هـ / ٧٣٢ م) من التابعين وكان عالماً بأساطير الأولين وأخبارهم ، كثير الحديث والأخبار ، وإليه ترجع أكثر الإسرائيليات المنتشرة في المؤلفات الإسلامية ، وقد كتب التاريخ ممزوجاً بالقصص والأساطير ، وخلّف أخباراً كثيرة عن اليمن والعرب البائدة ، وكان يعرف اللغة السريانية وربما الحميرية وغيرها ، وقد طبع له « كتاب التيجان في ملوك حمير » . ولي القضاء لعمر بن عبد العزيز ، ثم سجن وامتحن في آخر عمره ، ثم توفي بمسقط رأسه صنعاء سنة (١١٠ هـ ، أو ١١٤ هـ) وقبره بجوار مسجده المعروف والعامر إلى الآن[١] .

وقد قام صاحب المنار بكتابة مقال يثبت فيه جرح « كعب الأحبار »[٢] (ت ٣٢ هـ / ٦٥٢ م) فجاء من ينتقده ذاهباً إلى أن جرحه يشين السنّة المحمدية ! فعلق بأن الله « برأها وأغناها عن كعب الأحبار وعن وهب بن منبه أيضاً »[٣] وأفرد مقالاً عن وهب ليكون بداية لجدل مع من رأى « إثبات توثيق كعب الأحبار ووهب بن منبه » ونشره المنار في عددين متتاليين ، ثم عقب عليه صاحب المنار بمقالين طويلين[٤] .

(١) راجع كتابنا : مصادر التراث ص 25 وبه قائمة مصادر ترجمته ومن بينها « كتاب تاريخ مدينة صنعاء » (بتحقيقنا) ص : ٣٦٦ ـ ٤١٥ ففيه الكثير من أخباره ورواياته .

(٢) هو أبو إسحاق بن ماتع ، من أقدم رواة الحديث ، كان يهودياً يمنياً فاعتنق الإسلام وقدم المدينة في أيام عمر . ثم خرج إلى الشام فاستصفاه معاوية وجعله من مستشاريه . توفي في « حمص » .

(٣) المنار : ٢٦/٩ (الصادر في شعبان ١٣٤٤ هـ / مارس ، آذار ١٩٢٦ م) .

(٤) المنار : ٢٧/٤ ، ٢٧/٦ ، ٢٧/٧ ، ٢٧/٨

والموضوع في أساسه ليس جديداً بل سبق لعلماء الحديث والتفسير وأصحاب كتب الجرح والتعديل أن تطرقوا إليه من وقت مبكر حتى آخر أشهر من كتب في طبقات الرجال كالمؤرخ الذهبي والحافظ ابن كثير، والحافظ ابن حجر وغيرهم .

ولهذا نجد السيد رشيد رضا ومنتقديه يعودون إلى تلك الأصول لإثبات وجهة نظر أي منهم ، لكن الجديد هو طريقة التناول وأسلوب البحث ، وإذ نترك تفاصيل كل ذلك للملحقات نكتفي بتلخيص رأي صاحب المنار في وهب بن منبه حيث كان ذلك مدار الجدل لستة أشهر متتالية غير ما كان يأتي عليه في مناسبات أو إشارات متفرقة في كتاباته .

يستهل السيد رشيد رضا موضوعه عن وهب بن منبه بأنّه كان تابعياً عابداً ولم يتهم في شيء من دينه إلاّ بالقول بالقدر الذي ذكر أنه رجع عنه ، لكنه يعلق على مانقلوه عنه « من الرجوع عن عقيدة القدر لرمي له بعقيدة الجبر المحض وهي شرّ منها »[1] ثم يشير إلى من ضعّفه ، واغترار الجمهور به ، لأن جلّ روايته للإسرائيليات التي لم يكونوا يدققون النظر في نقدها تدقيقهم في نقد روايات أصول الدين وفروعه ، ثم إن البخاري لم يرو عنه في صحيحه إلاّ أثراً واحداً لم ينفرد به وهب ، ولا يصح بهذا أن يعد من رواة الصحيح[1] .

---

(١) المنار : ٢٦/٩ (ص : ٧١٧) .

ويدلل بعد ذلك على « كذب وهب » ماذكر عنه الحافظ ابن حجر[1] أنه قال : « كنت أقول بالقدر ، حتى قرأت بضعة وسبعين كتاباً من كتب الأنبياء في كلها (من جعل إلى نفسه شيئاً من المشيئة فقد كفر) فتركت قولي » ، فاحصاً هذا الادعاء ، معتمداً في جرح رواية وهب لما « جاء به من الإسرائيليات التي نقطع ببطلانها وهو آفتها كروايات كعب فيها . وقد شوها تفسير كتاب الله بما بثا فيها من الخرافات ، وبما أدخلا فيها من العقائد الباطلة ، ومن تأييد عقائد أهل الكتاب ، والشهادة لكتبهم التي بين أيديهم بالصحة »[2] .

ثم ينقل نصاً عن وهب أورده ابن كثير ليؤكد ماذهب إليه . ويأتي في الأعداد التالية الرد والدفاع عن وهب والرد على الدفاع لصاحب المنار كما هو وارد في الملاحق[3] .

☆ ☆ ☆

---

(١) راجع : ابن حجر (تهذيب التهذيب : ١٦٦/١١ ؛ ومقدمة فتح الباري) .

(٢) المنار : ٢٦/٩ (ص : ٧١٧ ـ ٧١٩) .

(٣) انظر الملاحق : (٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠) .

5

« المنار » و « مملكة الإمام يحيي »

السّنوات العشر الأخيرة

(١٣٤٤ - ١٣٥٤ هـ / ١٩٢٤ - ١٩٣٥ م)

١ ـ منشور للإمام يحي (عام ١٣٤١ هـ / ١٩٢٣ م) .
٢ ـ تجاهل « المنار » لمساعي التحالف الحجازي ـ اليمني .
٣ ـ دعوة الإمام يحي إلى مؤتمر الحجاز .
٤ ـ « المنار » والمعاهدة الإيطالية .
٥ ـ الإمام يحي بين إعلان الحماية السعودية على « عسير » وهجوم « المنار » عليه .
٦ ـ رأي صاحب « المنار » في موضوع الخلاف بين الإمام يحي وابن سعود .
٧ ـ صاحب « المنار » وعلاقته بابن سعود .
٨ ـ هجوم « المنار » على دعاة الشقاق من الأعاجم والهنود .
٩ ـ تكذيب لجريدة « الإيمان » حول العلاقة اليمنية ـ الإيطالية .
١٠ ـ وفاة السيد محمد بن عقيل وخلاف صاحب « المنار » معه .
١١ ـ المنار يَنْعَى الأمير محمد البدر، وصاحبه يعزي الإمام يحي في ابنه .
١٢ ـ عود على بدء (المنار و إرهاصات الحرب) .
١٣ ـ ما بين الإمامين في جزيرة العرب .
١٤ ـ جريدة الإيمان : « ويل لكل أفاك أثيم » .
١٥ ـ أم القرى : « بين الرياض وصنعاء » .
١٦ ـ تعليق « المنار » وتوقع الحرب .
١٧ ـ تقاريظ لكتاب « الوحي المحمدي » .
١٨ ـ مقالان في « المنار » والحرب دائرة .
١٩ ـ الرسائل المتبادلة بين الإمام يحي وصاحب « المنار » .
٢٠ ـ نشر معاهدة الطائف وملحقاتها وتعاليق « المنار » الأخيرة .
٢١ ـ خاتمة .

« المنار » و « مملكة الإمام يحيي »
السنوات العشر الأخيرة
(١٣٤٤ ـ ١٣٥٤ هـ / ١٩٢٤ ـ ١٩٣٥ م)

على عكس السنوات العشر الأولى التي أفردنا لها الفصلين الأولين نجد « المنار » في السنوات العشر الأخيرة أكثر اهتماماً وانخراطاً بموضوع اليمن الذي بات بعد الحرب العالمية الأولى مستقلاً في ظل حكم الإمام يحيي ، وظهرت مع هذا الاستقلال أو تزامنت معه مشكلات من نوع غير تلك التي كان صاحب « المنار » يركز عليها في السنوات التي سبقت اتفاق دعّان (١٣٢٩ هـ / ١٩١١ م) والتي تمثلت أولاً في الدعوة وحث الإمبراطورية العثمانية على إصلاح إدارتها في الولايات العربية (والتي منها اليمن) ثم تطورت مع استمرار الثورة في اليمن إلى تأييد الحق في تحقيق نوع من الاستقلال الذاتي مع المحافظة على الارتباط اللامركزي مع الدولة العثمانية ، وهكذا وجدنا « المنار » يهلل لاتفاق دعان ويطري الإمام يحيي كثيراً .

إن أهم المواضيع التي كتب فيها السيد رشيد رضا (في العقد الأخير من عمر مناره) ، بل ورأى أن من واجبه القومي والديني أن يقحم نفسه مباشرة في التدخل وبالمراسلة الشخصية ، هما مسألتان جوهريتان ظلتا مدار المنار وصاحبه حتى وفاته (١٣٥٤ هـ / ١٩٣٥ م) .

أما الأولى : فمسألة الحدود الشمالية ومحاولة الوئام بين ملكي اليمن والعربية السعودية .

والثانية : قضية علاقات الإمام يحي الخارجية وبشكل خاص مع إيطاليا وبريطانيا (المحتلة للجنوب) .

ومن الاستعراض العام لما نشره « المنار » حول ذلك يتبين لنا آراء صاحبه ودوره ، في فترة حاسمة كان لها خطرها وانعكاساتها على حكم الإمام يحي ومملكته المتوكلية .

☆ ☆ ☆

١ ـ منشور للإمام يحيي :

(عام ١٣٤١ هـ / ١٩٢٣ م) :

قبل الدخول في قضايا « المنار » وكتاباته في سنواته العشر الأخيرة ـ كما أجزنا هذا التقسيم غير الدقيق لتسهيل المتابعة ـ كان هناك موضوع يتيم أجلنا الحديث عنه لارتباطه من ناحية بمواضيع السنوات الآتية ، ولكونه من ناحية أخرى من المواضيع السياسية النادرة عن اليمن التي نشرها « المنار » في السنوات القليلة التي تلت الحرب العالمية الأولى ، واهتم خلالها بالجوانب الحضارية والثقافية اليمنية التي أفردنا لها الفصل السابق .

أما هذا الموضوع فهو منشور سياسي عام للإمام يحي نشره « المنار » في نفس الشهر الذي صدر فيه « ذي القعدة ١٣٤١ هـ / يوليو ، تموز ١٩٢٣ ، »[1] ممهداً له بما يلي :

---

(١) المنار : ٢٤/٧ (ص : ٥٥١ ـ ٥٥٥) .

« جـاءنـا من اليمن المنشـور الآتي مطبـوعـاً في مطبعـة « المقـام الشريف »[1] بصنعـاء مُتوَّجـاً بعـد البسملـة بختم الإمـام يحيى حميـد الـدين الرسمي الملقب فيه بـأمير المؤمنين ، المتوكل على الله رب العـالمين ، وهو في دعوة المسلمين إلى جمع الكلمة ، والاعتصام بالكتاب والسنـة ، والاستمسـاك بالعترة الطاهرة ، وترك الخلاف والفرقة »[2] .

والمنشـور ـ كما سنـلاحـظ ـ قـد ورط الإمـام يحيى في قضـايـا لم تخـدم ما قصده أو ما كان يظن أنه شرح لسياساتـه الـداخليـة والخـارجيـة ، ومن ذلـك التعميم والخلـط في مخـاطبتـه للمسلمين ـ عمـومـاً ـ وبين مـواطنيـه (المسلمين في اليمن) وبدرجة لا تـدرك للوهلـة أو القراءة الأولى ، حتى إن صاحب المنار رشيد رضا ـ الذي تلقى نسخة منه ـ لم يلاحظ ذلك .

فبعد الديبـاجـة الطويلـة بعموميـات فيهـا آيـات كريمة وأحـاديث شريفة يوجه الخطاب إلى « كل مطلع عليه من العلماء العاملين وإخواننـا أهل الدين .. » .

وهـذا لا يعني ـ غير اليمنيين رغم ظـاهر التعميم ـ خـاصـة إنـه انطلق مباشرة في إسهاب يشخص بجزالة وإدراك حال الإسلام والمسلمين :

« من داء التفرق والاختـلاف ، والمخـاصمات التي أغلقت بهـا أبـواب

(١) « المقـام الشريف » هـو مقر الإمـام وقصره ، والمطبعـة هي التي جلبهـا الأتراك إلى اليمن سنـة ١٢٩٤ هـ/١٨٧٧ ، لنشر الصحيفة الأسبوعية « صنعاء » وكانت تصدر بـالعربيـة والتركيـة معـاً ، وبها تم إصدار جريدة « الإيمان » .

(٢) المنار : ٢٤/٧ (ص : ٥٥١) .

الوفاق والائتلاف ،حتى فشل المسلمون وذهبت ريحهم ، وصاروا كأنهم أدنى عنصر في العالم غير مهاب للجناب ، ولا مصون من الاغتصاب إلى أن طمعت في استئصالهم وإخضاعهم الدول الأجنبية ، وخصوصاً العرب الذين هم منشأ هذا الدين ومبدأ ظهوره ، وأفق تجليات نوره ، وهم الذين أعز الله بهم الإسلام ، وملكوا أكثر العالم .. لما كانوا عليه من التوحيد ديانة وسياسة ، وعلماً وعملاً ، والتعاضد والتعاون .. وقد آن لنا معشر المسلمين أن ننظر لأنفسنا بعيون الاستبصار وأن نجيد آراءنا لما يكون به عزنا وشرفنا ورجوع أيامنا التي ارتقينا فيها صهوة كل عز وانتصار » .

وهكذا يواصل حتى يبين أنه :

« .. لما كانت بلاد اليمن قطعة واحدة وأهلها متحدو العنصر والديانة متفقو اللغة ... لا اختلاف بينهم في شيء ، فربهم واحد ونبيهم واحد ، وكتابهم واحد ، بلا اختلاف إلاّ من لا معرفة له بالشريعة .. أن أهل القطعة المباركة اليمنية كأهل مدينة واحدة .. » .

فما هو الغرض ؟... ـ يضيف ـ

« .. فالواجب علينا جمع الكلمة واتحاد الرأي ، وتوحيد الطريقة ، وعقد الولاء على الحقيقة » .

ومن المقصود بهذه الدعوة ؟ :

« .. إلى كل من بلغته ، وحررنا هذا الكتاب مع غيره إلى أهل جهاتكم وما والاها من العلماء والأعلام والرؤساء الفخام والمشايخ والأفراد .. »[1] .

---

(١) المنار : ٢٤/٧ (ص : ٥٥١) .

فالخطاب إذاً موجه إلى علماء ومشايخ ومواطني اليمن شمالاً وجنوباً للاتحاد تحت لواء الإسلام في مملكةالإمام يحي الذي يؤكد أن قصده من ذلك :

« ليس المراد ملكاً نشيده ، ولا مالاً نستزيده ، وإنما المراد اجتماع المسلمين (أي اليمنيين) بالمحجة البيضاء والصراط المستقيم » .

ـ ثم ـ وهذا متعلق بالمناطق الجنوبية .

« وسنقر كل بلاد بيد رؤسائها ، ونحيل إليهم مجرى أعمالها ومرساها .. »[1] .

محاولة التودد مع البريطانيين :

وبعد استطراد آخر في شرح أهمية الاتحاد ومعناه ، والتمسك بالمبادىء والقيم الإسلامية يلمح إلى دعوته وأحقيته بصفته من « آل محمد » ، وأن الأمر غير مقصور على الزيدية في الشمال ـ دونما تصريح ـ بل ذكر :

« فقد قام بالدعوة إلى « آل محمد » من السلف الصالح ، من به يقتدى ويقتفى أثره ، وبنور إرشاده يهتدى ، منهم الإمام الشافعي والإمام أبو حنيفة رضي الله عنهما » .

وهو يخاطب بهذا بوجه خاص القبائل الجنوبية « الشافعية » الواقعة

---

(١) المنار : ٢٤/٧ (ص : ٥٥٤) .

تحت الاحتلال البريطاني ، حيث انتقل مباشرة للتودد مع الحكومة البريطانية .

« .. لأن هذا الذي ندعوكم إليه هو أمر محبوب عند كل بني الإنسان خصوصاً (**الحكومة البريطانية**) وإنا نؤمل منها غاية المساعدة لأمور مهمة تتقوى بها هذه الدعوة المبنية على أساس متين .. » .

ونستفيد من تعليق صاحب « المنار » في الحاشية ، أن الإمام يعني « بهذه المساعدة » تمكينه من نشر دعوته ورفع لواء إمامته في المناطق الجنوبية الواقعة تحت الحماية البريطانية ، وأن سبب الأمل :

« أنه قد تم الاتفاق بينه وبين الدولة البريطانية ، وقد بلغنا أنهم قد حذفوا من مواده كل القيود التي تنافي الاستقلال المطلق ،إلا تقديمهم على غيرهم من الأجانب في كل مشروع أو امتياز اقتصادي عند تساوي الشروط وأن يمنح الإمام البلاد التي كانت محمية ، الاستقلال الإداري تحت سيادته كحضرموت ولحج ، وسننشر نص الاتفاق متى جاءنا بعد العلم الصحيح بالتوقيع عليه ووضعه موضع التنفيذ »[١] .

وما ذكره السيد رشيد رضا كان صحيحاً ، غير أنه لم يتم ، وبدل ذلك تدهورت العلاقات بين الإمام وبريطانيا نتيجة تحالفها مع الإدريسي في تهامة ، ولهذا فقد سحب الإمام ممثله في عدن القاضي عبد الله العرشي في نهاية نفس عام المنشور بعد أن أمضى هناك عامين دونما طائل[٢] .

---

(١) المنار : ٢٤/٧ (حاشية ص : ٥٥٤ رقم ـ ٢ ـ) .

(٢) سيد مصطفى سالم : تكون اليمن الحديث : ٢٧٦ ـ ٢٧٧

وبالعودة إلى المنشور نجد الإمام قد أثار على نفسه نقداً عربياً شديداً حين أضاف في وصف بريطانيا ـ بعد الجملة التي توقفنا عندها ـ قائلاً :

« فهي الدولة المفتخرة بمحبتها للعرب ، وإعانتها لهم في كل ما يتم به الأرب ، خدمة للإنسانية ، ورعاية لحقوقها التي ترشد إليها الضمائر الوجدانية ! »[1] .

غير أن صاحب « المنار » كتب في العدد التالي[2] مدافعاً عنه تحت عنوان « منشور الإمام يحيى والإنكليز » ما نصه :

« قال الإمام يحيى في منشوره الذي نشرناه في الجزء السابع : إن الدولة البريطانية تفتخر بحب الخير للعرب ، فاستنبط بعض أصحاب الأهواء من هذه الكلمة أنه قد ارتبط بحمايتهم كغيره من أمراء العرب ، وطفق بعض الكتاب في سورية ينوه بذلك ، وبعضهم ينصح للإمام ويحذره من الإنكليز ، وهو أحذر من غراب ، وأعلم من هؤلاء الناصحين ، وممن هم أعلم منهم بكنه القوم ، وآخر ما جاءنا من أخبار الإمام أنه لا زال ممتنعاً عن عقد أي اتفاق معهم وإن لم يكن ضاراً به ، فليوجه أولئك الناصحون نصحهم إلى من هم أحوج إليه من الخادعين لهم والمخدوعين بهم ، إلى الملك حسين بن علي الذي أسس نهضته على الحماية الإنكليزية في الداخل والخارج ، وكتب في كتاب رسمي أنه يكون خارجاً من رحمة الله

---

(١) المنار : ٢٤/٧ (ص : ٥٥٤) .

(٢) المنار : ٢٤/٨ (الصادر في ٣٠ ذي الحجة ١٣٤١ هـ/٢٣ أغسطس ، آب ١٩٢٣ م) .

تعالى إذا قبل من الدول كلها أضعاف ما يعطيه الإنجليز لأمته بدون وساطتهم !! »[1] .

☆ ☆ ☆

٢ ـ تجاهل « المنار » لمساعي التحالف الحجازي ـ اليمني :

كان موقف صاحب المنار واضحاً من شريف مكة (ملك الحجاز) حسين بن علي ، ومساندته لابن سعود والحركة الوهابية ، وقد اهتبل فرصة المنشور ليؤكد ذلك الموقف ، ولكن الغريب أنه لم يدل بدلوه حول المشاورات والوساطات التي كان يقوم بها بين ملك الحجاز والإمام يحي ، داعي الوحدة العربية والاتحاد أمين الريحاني وصاحبه قسطنطين يني في عام المنشور (١٣٤١ هـ / ١٩٢٣ م) وفي العام السابق له ، ونشر الصحف في مصر والحجاز وبلاد الشام أخبار المفاوضات وتبادل المبعوثين في محاولة للتوصل إلى صيغة اتفاق للتحالف كان الهدف منه بشكل أساسي إنقاذ ملك الحجاز من السقوط القريب ، لكن شقة الخلاف كانت واسعة خاصة فيما يتعلق بزعامة التحالف والسياسة الخارجية ، يضاف إلى ذلك « أن الإنجليز وبحكم مصالحهم في البحر الأحمر لا يسمحون بمثل هذه المشاريع دون توجيههم لها وإشرافهم عليها »[2] لقد كانت الأحداث أسرع من أي محاولات أخرى فقد قارب الحكم الهاشمي في الحجاز على النهاية بعد سقوط

---

(١) المنار : ٢٤/٨ (ص : ٦٣٨) .

(٢) وهيم (طالب محمد) : مملكة الحجاز ١٩١٦ ـ ١٩٢٥ (دراسة في الأوضاع السياسية جامعة البصرة ، ١٩٨٣ (ص : ٢٧٠ ـ ٢٧٦) وراجع الريحاني (أمين) ملوك العرب : ١٩٢/١ .

الطائف في يد قوات ابن سعود وتقدمها صوب جدة التي غادرها الملك حسين بعد تنازله لابنه علي (في ٥ اكتوبر ، تشرين الأول ١٩٢٥ م) .

ومع احتدام القتال بعث الإمام يحيى ببرقيتين إلى السلطان عبد العزيز آل سعود والملك علي بن حسين يطلب منهما إيقاف القتال ، واحترام الأراضي المقدسة وقبوله حَكَماً بينهما ، وإذ وافق الأخير بالإيجاب كان ردّ ابن سعود بأنه « دعا المسلمين لمؤتمر يبحث أمر الحجاز ، وطلب من الإمام أن يرسل مندوبيه للمؤتمر »[1] وهي الدعوة التي تحمس لها صاحب « المنار » كما سيأتي معنا بعد قليل . لقد كان الموقف قد حسم لصالح ابن سعود الذي أصبح سلطان نجد والحجاز بعد تنازل علي بن حسين (٣ جمادى الثانية ١٣٤٤ هـ / ١٨ ديسمبر ، كانون الأول ١٩٢٥ م) وانسحابه إلى العراق حيث كان أخوه فيصل ملكاً .

☆ ☆ ☆

٣ ـ دعوة الإمام يحيى إلى مؤتمر الحجاز :

أشرنا قبل قليل إلى رد السلطان عبد العزيز على برقية الإمام يحيى بأنه يدعو الإمام لإرسال مندوبه إلى مؤتمر الحجاز حين عرض الإمام يحيى وساطته في الاقتتال بين سلطان نجد وملك الحجاز ، ويبدو أن خبراً قد شاع أن الإمام يحيى لم يتلق ـ رسمياً ـ كغيره من الملوك والأمراء ورؤساء الحكومات الإسلامية الدعوة من « سلطان نجد وملحقاتها » لحضور المؤتمر

(١) الريحاني (أمين) : ملوك العرب ١٩٢/١ ، وراجع : سيد سالم : تكوين اليمن ٢٥٢

فنشرت « المنـار » في منتصف ينـاير ، كانـون الثـاني ١٩٢٦ ، بعـد أربعـة أسابيع من مغادرة علي بن حسين للحجاز[1] :

« نص ماأرسله السلطان إلى إمـام اليمن تخطئـة « للمقطم » الـذي زعم ـ تأييـداً لهواه ـ أن هـذه الـدعوة لم ترسل إليـه »[2] لقـد استهل « المنـار » الموضوع ذاكراً أن السلطـان قـد جـدّد الـدعوة إلى عقـد مؤتمر إسلامي في مكـة « ولكن بصـورة رسميـة لا في الجرائـد كما فعـل أول مرة .. » وأن الرسـائل وجهت منـه إلى الحكـومـات الإسـلاميـة كمصر وإيران ، والترك والأفغان واليمن وتونس ، وإلى أشهر الجماعات الإسلامية في الهند وسوريـة وفلسطين ، ويضيف « المنار » أن « عبارة هذه المكتوبات واحـدة لا فرق بينها إلاّ عناوين المرسلة إليهم »[2] .

ثم يشير إلى العبارة التي نقلناها في البـدايـة وذلـك نص مـا أرسلـه إلى إمام اليمن .

والرسالة محررة بمكة في ٨ ربيع الآخر سنة ١٣٤٤ هـ (أواخر أكتوبر ، تشرين الأول ١٩٢٥ م) وبرقم ٢٢١ وموجهـة « من عبـد العزيـز بن عبـد الرحمن آل سعـود إلى حضرة الحسيب النسيب الأخ المكرم الإمـام يحيي حميد الدين حفظه الله .. » ولم يذكر صفـة المرسل والمرسل إليـه ، وبعـد الديباجـة بـالـدعوة إلى التعـاون على خـدمـة الإسلام والمسلمين يـذكر أن

---

(١) المنار : ٢٦/٧ (الصادر في ٢٩ جمادى الآخرة ١٣٤٤ هـ ، ١٤ يناير ، كانون الثاني ١٩٢٦ ،) .

(٢) المنار : ٢٦/٧ (ص : ٥٤٠) .

جيرانه من الأشراف أجبروه على الحرب خمس عشرة سنة ، وصدوه عن المسجد الحرام .

« ودنسوا البيت الطاهر بكل أنواع الموبقات مما لا يتحمله مسلم » .

ولهذا فقد رفع « علم الجهاد لتطهير بلد الله الحرام وسائر بلاد الله المقدسة »[1] .

وإن خطته ـ تحت إشراف الأمم الإسلامية ـ إجراء استفتاء لاختيار حاكم للحجاز .

« ويحدد الوقت اللازم لذلك فيما بعد » .

ويسلم إليه الوديعة ـ يقصد الحجاز ـ يحكم على أسس خمسةٍ (الشريعة الإسلامية ـ حكومة محلية ـ لا تعقد اتفاقات سياسية خارجية ـ ولا اقتصادية مع دولة غير إسلامية ـ وسيتم تحديد حدود الحجاز ووضع النظم المالية والقضائية والإدارية عن طريق مندوبين من الأمم الإسلامية)[1] .

وأخيراً يستعجل في إرسال المندوبين واقتراح الوقت المناسب لعقد هذا المؤتمر .

لقد كان همّ صاحب « المنار » التقريب بين الإمام يحيي وابن سعود ونجاح المؤتمر الذي كان من الداعين له والعاملين على :

---

(١) المنار : ٣٦/٧ (٥٤١ ـ ٥٤٣) وراجع النص الكامل في الملحق (٣٤) .

« وجوب إنقاذ الحجاز من إلحاد حسين بالظلم فيه وجعله قطراً حراً حيادياً بضمان العالم الإسلامي كله .. وإن كلا من إمام اليمن وسلطان نجد قادر على إنقاذ الحجاز من هذا الرجل فكيف إذا اجتمعا » .

كما كتب قبل ذلك بأكثر من عامين[1] .

لقد نشر « المنار » نص هذه الدعوة ليرد بها كما ذكر على زعم « المقطم » الذي لم نطلع للأسف على ما نشر ، لكننا نستفيد من إشارة في أحد المصادر إلى أن « المقطم » نشر في كانون الأول ١٩٢٥ ـ أي في الشهر السابق لما نشره « المنار » ـ ما أشاعته الصحف : « من نية الملك علي بن حسين السفر إلى اليمن مع قسم من قواته للاتفاق مع الإمام يحي ومحاولة إقناعه للانضمام إليه ومهاجمة ابن سعود من الجنوب ، لكن ذلك لم يكن أكثر من كونه دعايةً من الدعايات التي أثيرت عندما شارفت المملكة على الانهيار »[2] .

وفي حقيقة الأمر فإن الإمام يحي ـ الذي كان عازفاً عن التحالف مع أشراف مكة ، مستشعراً خطر آل سعود ـ لم يتلق دعوة السلطان عبد العزيز إلاَّ في شهر رمضان سنة ١٣٤٤ هـ / مارس ، آذار ١٩٢٦ ، لإرسال « معتمدين من لديه إلى مجلس المؤتمر الإسلامي بمكة للكلام والمراجعة في شأن الحجاز »[3] وقد أرسل إلى المؤتمر ممثلين عنه : عامل

---

(١) المنار : ٢٤/٨ (الصادر في ٣٠ ذي الحجة ١٣٤١ هـ/٢٣ أغسطس ، آب ١٩٢٣ ،) .

(٢) وهيم (طالب محمد) : مملكة الحجاز : ص ٢٧٦ (حاشية ٢٠٣) .

(٣) زبارة (محمد) : أئمة اليمن بالقرن الرابع عشر ١٣١/٢

الحديدة السيد حسين بن علي عبد القادر[1] ، والقاضي العلامة محمد بن أحمد الحجري[2] ، وهذا يعني تفهم الإمام يحي للمتغيرات الجديدة ومحاولته التقارب مع حاكم نجد والحجاز الخطير السلطان عبد العزيز رغم محاولة أنصار الأسرة الهاشمية الحجازية أو أعداء ابن سعود منع ذلك التقارب ، ومن ذلك موقف جمعية من علماء الهند « جمعية خدمة الحرمين » ووصل ممثلون عنها إلى صنعاء في نفس الشهر الذي وصلت الدعوة ، وبعد عودهم أرسلوا « مقالات مطبوعة بالهند فيها جملة من الأطراف التي نقموا بها على النجدي »[3] ، ولعل مانشره « المقطم » وغيره هو ماكان يخشاه صاحب « المنار » ويسعى لإزالة آثاره عند الطرفين .

☆ ☆ ☆

٤ ـ المنار والمعاهدة الإيطالية :

في التاسع من صفر سنة ١٣٤٥ هـ / ١٩ يوليو ، تموز ١٩٢٦ ، وصل صنعاء في موكب كبير الدكتور غاسبريني الحاكم الإطالي لإريتريا ، ممثلاً

---

(١) كان السيد العالم ، الأديب ، الشاعر ، الظريف حسين بن علي بن عبد الله عبد القادر شرف الدين الكوكباني (ت ١٣٧٦ هـ/١٩٥٦ م) من أعلام صنعاء ، ورجال الدولة ، وكان أحد المبعوثين عن اليمن في الآستانة آخر أيام السلطان عبد الحميد ، عمل للإمام يحي في الحديدة ، ثم في صنعاء حتى آخر أيام الإمام يحي (١٣٦٧ هـ/١٩٤٨ م) فاشتهر بعامل صنعاء ، وقبيل وفاته رزىء باستشهاد ابنه الأكبر العلامة محمد بن حسين في انقلاب (١٣٧٤ هـ/١٩٥٥ ،) .

(٢) عالم ، فقيه ، مؤرخ ، أديب ، نسابة ، سياسي ، له « مساجد صنعاء » و « معجم قبائل اليمن » (مطبوعان) استشهد مع القاضي ، العالم ، السياسي محمد بن عبد الله العمري وآخرين قبل هبوط طائرتهم في موسكو في (صفر ١٣٨٠ هـ/أغسطس ، آب ١٩٦٠ م) .

(٣) زبارة : أئمة ١٣١/٢

مفوضاً لموسوليني . وكان برفقته عامل لواء الحديدة السيد حسين عبد القادر الذي شارك مع القاضي الحجري في مؤتمر مكة ، ومن جدة أبحر إلى مصوع فأسمرا - مقر الوالي الإيطالي - ليكون برفقته في أول زيارة لشخصية أوربية خطيرة إلى مملكة الإمام يحي حيث كان من نتائجها توقيع أول معاهدة بين الإمام يحي ودولة أجنبية تعترف به وبدولته المستقلة ، وقد نشرت صحيفة « الإيمان » في أول أعدادها[1] نص المعاهدة ، ودافعت عنها وأظهرت في أعداد تالية مدى أهمية تطوير الجيش بالأسلحة الحديثة (والطائرات) وتأسيس ورشة الأسلحة في عرضي المدفعية[2] .

لقد كانت الحفاوة بوصول غاسبريني بالغة ، وكان تحليق طيارتين إيطاليتين في جو صنعاء لأول مرة في التاريخ ساعة وصوله من الحديدة أمراً له مغزاه ، وقد تلا الطيارتين طيارات أخرى ، كما تم إرسال عشرة طلاب لدراسة الطيران في إيطاليا وعادوا متخرجين بنجاح ليكونوا نواة ما كان يمكن أن يكون أول سلاح للطيران في الجزيرة العربية ، بل وربما في المشرق العربي ، لولا ما جبل عليه الإمام يحي من تحجر وقصر نظر[3] .

---

(١) الايمان (العدد الأول) الصادر في جمادى الأولى سنة ١٣٤٥ هـ / اكتوبر ، تشرين الأول ١٩٢٦ م .

(٢) بقي غاسبريني إلى آخر الشهر بصنعاء ، وقد ذكر المؤرخ زبارة أن الإمام يحي أرسل إليه قبل سفره ستين ألف ريال من قيمة الورشة والآليات الأخرى التي جلبتها بعثته ، وقد تأخر بعد سفره نحو عشرة من المهندسين لتركيب ورشة الأسلحة بالإضافة إلى عدد آخر من الأطباء والفنيين (زبارة : أئمة ١٤٦/٢) .

(٣) راجع كتابنا عن « وزارة الخارجية اليمنية : أرقام واحصاءات (١٩٧٦) .

مـا إن أعلن خبر توقيـع المعـاهـدة[1] حتى انطلقت الصحـافـة العربيـة والعالمية تنشر الأخبار والتعليقات بحسب أهوائها واتجاهـاتهـا ، فهـذه أول مرة يتم فيها مثل هذا الاتفاق وفي ظروف إقليمية ودولية بالغـة التعقيـد . وقـد كان أول تعليـق « للمنـار » في العـدد (٢٧/٩)[2] يحمـل من الكـلام المبطن والتلميح الكثير ؛ فتحت عنوان « **معاهدة إيطاليـة يمنيـة** » كتب يقول :

« خرج الإمام يحي حميد الـدين صـاحب اليمن من عزلتـه السيـاسيـة السلبية التي ورثها عن سلفه الأئمة السابقين ، وعقد مع الـدولـة الإيطـاليـة معاهدة سياسية اقتصادية ، وهو الآن يجلب الأسلحـة والـذخـائر الحربيـة والطيارات من إيطالية ، بل يجلب رجال الطليـان أيضـاً يستخـدمهم في تعليم الطيران وغيره مما يرى حكومتـه محتـاجـة إليـه ، وقـد مهـد رجـال إيطالية في مستعمرتهم أرتيريـا السبيل لهـذه المعـاهـدة في مـدة طـويلـة ، وقدموا لجلالة الإمام هدايا كثيرة قبل إقناعه بها ، ولمـا وقع عليهـا ظهرت أمـارات السرور والابتهـاج في بـلادهم ، ورددتهـا جرائـدهم من حيث إن إنكلترا وفرنسا أوجستا خيفةمنها ، ويروى أن إنكلترا أطلقت يد إيطاليـة في بلاد اليمن[3] والله أعلم ! » .

ثم يضيف مخففاً الأمر بأن مواد المعاهدة قد تكون :

---

(١) راجع نصها في الملحق (٤٣) وانظر الكلام حولها في الملحق (٤١) .

(٢) الصادر في ٣٠ جمادى ١٣٤٥ هـ/٥ دبسمبر ، كانون الأول ١٩٢٦ ، .

(٣) يشير إلى السابقة فيا عرف بالاتفاق الودي المعقود بين فرنسا وانجلترا عـام ١٩٠٤ ، في إطلاق يـد الأولى في الجزائر وشمال إفريقيا مقابل المشرق العربي للثانية .

« غير منذرة بالخطر القريب على اليمن ، وقد يكون الذين انتقدوا اشتمالها على تقديم إيطالية على جميع الدول فيما تحتاج إليه اليمن من أوربة مبالغين في انتقادهم وفي عدمهم هذا منافياً للاستقلال ، ولكن في مثل هذه المسألة قواعد عامة أثبتها التاريخ » .

من ذلك :

« أن التدخل التجاري مقدمة للتدخل السياسي ، فالتدخل العسكري ، وأن القوي يأخذ بالمعاهدة ماله والضعيف لا يستطيع ... » .

وأخيراً يختم بالدعاء :

« ... فإنه لم يبق بعد فوات زمن النصح والإنذار إلاّ الدعاء والابتهال ! »[1] .

☆ ☆ ☆

٥ ـ الإمام يحيى بين إعلان الحماية السعودية على عسير وهجوم « المنار » عليه :

واصل « المنار » في العدد التالي[2] لتعليقه السابق على خبر توقيع الإمام يحيى على المعاهدة الإيطالية بمقال طويل تحدث فيه عن الخطر الاستعماري الأوربي ، وهاجم فيه بشدة سياسة الإمام يحيى في جلب السلاح والمعدات من إيطاليا ، كما اتهمه بدق طبول الحرب ضد ابن سعود الذي كان قد أعلن الحماية السعودية على عسير . ومما له مغزاه نشر « المنار » في نفس العدد اتفاقية مكة بين الملك السعودي والحسن

(١) المنار : ٢٧/٩ (ص : ٧١٥) وراجع الملحق (٤١) .

(٢) المنار : ٢٧/١٠ (الصادر في ٣٠ جمادى الآخرة ١٣٤٥ هـ / ٤ يناير ، كانون الثاني ١٩٢٧ م) .

الإدريسي ، كما نشر أيضاً نص المعاهدة الإيطالية مكملاً بذلك مقاله الذي سنعود إليه بعد تلخيص تطور الأوضاع التي جعلت الحرب بين الإمام يحي وابن سعود قاب قوسين أو أدنى بسبب الصراع حول عسير[١] .

كانت قوات الإمام يحي قد استعادت سيطرتها على مدن تهامة واتجهت في مطلع ١٣٤٥ هـ / ١٩٢٦ م لتتقدم ، حتى أحكمت الحصار على مدن عسير الرئيسية « جيزان » و « صبيا » ، ورفض الإمام يحي وهو في موقف المنتصر أن يقبل الاعتراف لحسن الإدريسي بالاستقلال الداخلي على أن يعترف بسيادة صنعاء على عسير « مما اضطره أن يلجأ لابن سعود مرة ثانية يعرض عليه نفس هذا العرض ، فقبله ابن سعود بعد أن رفضه في نفس السنة ١٩٢٦ م »[٢] ، وإذا كان الملك عبد العزيز قد رفض من قبل فلأمر تكتيكي فسرته الاتفاقية . فالباحثة الكويتية الخترش رأت مع غيرها أن : « مطامع ابن سعود وطموحاته لم يكن يحدها من قبل إلاَّ تثبيت أقدامه في الحجاز ، فعندما كررت قواته احتلال « أبها » عام ١٣٤٠ هـ / ١٩٢٢ م وجدت دلائل متعددة على توثق العلاقات بين طموح الملك ابن سعود وبين عسير ، وفي السنوات الأخيرة ازداد تدخل الملك في شئون الإمارة ، وفي يونية ١٩٢٥ م ، كتب الملك ابن سعود للقنصلية البريطانية في جدة ، أن زعماء عسير ـ والإدريسي ذاته ـ قد

---

(١) لمزيد من التفاصيل انظر : سالم (د . السيد مصطفى) تكوين اليمن الحديث ٣٢٧ ـ ٣٤٩ ؛ ودراسة : الدكتورة فتوح عبد المحسن الخترش : تاريخ العلاقات السعودية اليمنية / منشورات ذات السلاسل ـ الكويت (١٩٨٣ م) .

(٢) سالم (السيد مصطفى) : تكوين اليمن (ص : ٣٠٨) .

طلبوا منه ، أن يتسلم مقاليد الحكم ، وأضاف أنه لأسباب تتعلق بالأمن على حدوده الجنوبية ، ولكي يحافظ على توازن القوى بين عسير واليمن ، فإنه قد أمر قائده في عسير (يقصد في المنطقة الشمالية لعسير ، والواقعة في قبضة يده) بأن يحتل المنطقة التي طلب الإدريسي أن يحتلها وأن يعيد إليها السلام والنظام »[1] .

☆ ☆ ☆

كان الإمام يحي يعتبر عسيراً جزءاً من الأراضي اليمنية ، وعندما وقع مع إيطاليا المعاهدة في شهر صفر ١٣٤٥ هـ / سبتمبر ، أيلول ١٩٢٦ م ، وهو في مركز قوة بل وعلى وشك الاستيلاء على مدينتي « صبيا وجيزان » أهم مركزين للأدارسة ، كان يأمل تطوير جيشه ويحصل على أسلحة حديثة لتقوية مركزه الحربي والسياسي في الشمال (عسير) وفي الجنوب المحتل « كما أنه لم يكن ينتظر مطلقاً أن تنزل إيطاليا قوات لمساعدته في حروبه المختلفة بل كان كل ما ينتظره منها هو إمداده بالسلاح والعتاد »[2] وبيس ماذهب إليه صاحب المنار بعيداً .

بيد أن مفاجأة لم تكن في حسبان الإمام يحي وقعت وقلبت الحسابات والموازين في الشهر التالي وقبل أن يستفيد من المعاهدة مع إيطاليا ، تلك هي **إعلان الحماية السعودية على « عسير » بموجب اتفاقية مكة المكرمة** الموقعة بين ابن سعود « ملك الحجاز وسلطان نجد

---

(١) الخترش (د . فتوح عبد المحسن) : تاريخ العلاقات السعودية اليمنية (ص : ٩٣) .

(٢) سالم : تكوين اليمن (ص: ٣٤٢ ـ ٣٤٣) .

وملحقـاتها » والحسن الإدريسي في ١٤ ربيع الآخر سنـة ١٣٤٥ هـ الموافـق ٢١ اكتـوبر ، تشرين الأول ١٩٢٦ م والتي نشرت نصهـا المنــار[١] وأرسـل الأول على الفور نسخـة من نصها الكامل مع كتـاب منـه إلى الإمـام يحي يرجـوه أن يصـدر الأمر إلى قـواده بـالكف عن مهـاجمـة الأدارسـة لأنهم أصبحوا تحت حمايته :

« ولقد كانت مفاجأة عنيفـة فوجئ بهـا الإمـام ، فلم يكن أمـامـه إلاّ أحد أمرين : إما أن يقر المعاهدة ويعترف بها ، وبذلك تفلت الإمارة من يـده ، وإمـا أن يـأمر قـائـد جنـده في تهـامـة عبـد الله الوزير بمـواصلـة الزحف ، فيصطدم بابن سعود ويدور القتـال بينهما . ولكنـه رأى أن يقر الأمر الواقع ، وأبلغ قائده بإيقـاف الحرب ثم لبى دعوة ابن سعود إلى المؤتمر الإسلامي في مكة [الذي سبق الإشـارة إليـه][٢] ، وكان الإمـام يرى أنـه يجب تسوية مشكلة عسير هذه مع ابن سعود تسويـة سلميـة ، وذلـك لأن باقي ظروفه السيـاسيـة والحربيـة لم تكن تسـاعـده على مواجهـة ابن سعود بالقوة .. »[٣] .

لقد تم بعد ذلك تبادل الوفود ، وطـالت المبـاحثـات بين الإمـام يحي من نـاحيـة وبين الـوفـد السعـودي الـواصـل في ذي الحجـة ١٣٤٥ هـ / ٤ مايو ، أيار ١٩٢٧ م ، ومندوبي الإمام من ناحية أخرى « خلال جلسـات

---

(١) انظر الملحق (٤٤) .

(٢) وقد مثل الإمام يحي عامل الحديدة السيد حسين عبد القادر والقاضي محمد أحمد الحجري (راجع ص : ١٤١ فيما تقدم) .

(٣) سالم : تكوين اليمن (ص : ٣٤٢ ـ ٣٤٣) .

عديدة بلغت سبع عشرة جلسة » ، وجاء في بيان وزارة الخارجية السعودية عن العلاقات اليمنية السعودية (الكتاب الأخضر) « بأن موقف الجانب اليمني يعتبر عسيراً جزءاً من اليمن ، وأن الأدارسة غاصبون ودخلاء في هذه المنطقة ، وأنه لا يعترف بما كان من انضمام بلاد آل عايض إلى نجد ، ولا بما كان من بسط الحماية على المقاطعة الإدريسية » ، كما وضح الوفد السعودي في تقريره وجهة النظر السعودية بقوله :

« وخلاصة مطالب المندوبين اليمانيين التي لم يحيدوا عنها ، ولم يتحولوا عن إبدائها طيلة مدة المفاوضات أن بلاد عسير ونجران جزء من بلاد اليمن . فأوضحنا للمندوبين أن بلاد الأدارسة قسم من تهامة عسير ، وأن عسير ليس من اليمن .. »[(١)] .

واستمر تبادل الوفود طيلة السنوات القليلة التالية دونما تحقيق أي تقدم يذكر ، وبات اتباع سياسة المحافظة على « الوضع الراهن » وتقوية كلا الطرفين على ما تحت يده هو الأمر السائد حتى ثارت حادثة « جبل العرو » الذي احتلته القوات اليمنية في صيف سنة ١٣٥٠ هـ / ١٩٣١ م مما أدى مرة أخرى إلى تجدد المنازعات ومن ثم المفاوضات غير المجدية المجدية حتى قامت بين البلدين حرب « السبعة أسابيع » والتي انتهت بمعاهدة الطائف سنة ١٣٥٣ هـ / ١٩٣٤ م[(٢)] كما سيأتي في آخر هذا الفصل .

☆ ☆ ☆

---

(١) انظر : سالم (شكويه اليمن) : ٣٤٣ ـ ٣٤٤ ؛ وراجع : الخترش (تاريخ العلاقات) : ١٢٦ ـ ١٣٥

(٢) تكوين اليمن : ٣٤٥ ، وعن حادثة : « جبل العرو » ص : ٣٥٨

٦ ـ رأي صاحب « المنار » في موضوع الخلاف والدعوة للاتحاد :

في مقال طويل للسيد رشيد رضا بعنوان « بين الإمامين يحي بن حميد الدين وعبد العزيز آل سعود ـ وخطر الاستعمار الأوربي ـ » استغرق سبع صفحات استهله بالحديث عن الخطر الأوربي الاستعماري الذي سببه تفرق العرب وتمزقهم :

« .. فإن تعذر اليوم اتحاد العرب عامة أو عرب الجزيرة خاصة بحكومة مركزية ، فلا يتعذر اتحادهم بنظام كنظام الوحدة الألمانية ، فمصلحتهم تقتضيه ، ودينهم يقضي به .. »[1] .

وبعد حديث عن مذاهب أهل الجزيرة التي لا خلاف كبير بينها فأغلبهم سنة بما فيهم زيدية اليمن ذوو الأصول الكلامية المعتزلية ، يستثني جماعات قليلة من الشيعة في الحجاز واليمن وإباضية عمان ، وكلهم مسلمون لا فرق بينهم في الغاية مع إخوانهم ، ثم يحدد مركزي القوة والاستقلال في ابن سعود في شمال الحجاز ، وقسم من بلاد عسير ، وفي مملكة الإمام يحي .

ثم « انتهى الأمر بدخول إمارة السيد الإدريسي تحت حماية (الأول) ودانت لسلطانه ، فقربت بذلك المسافة الشاسعةالمانعة من الوحدة العربية الحلفية » .

ثم يضيف أمراً غريباً لا يتفق مع هذا السياق في الدعوة للوحدة ، إذ إنه :

---

(١) المنار : ٢٧/١٠ (ص : ٧٩١) .

« لم يبـق إلاّ وضـع نظـام يراعى فيـه اختـلاف مـذهبي السنـة والزيدية !! »[1] .

وإذ يتجـاهل صـاحب « المنـار » صلب الخـلاف بين الإمـامين حـول عسير السابق للمعاهدة الإيطالية وكأن الأمر قد أنتهى باتفاقية الحمايـة التي قربت « الوحدة العربية الحلفية » .

يضيف :

« ولكن لم يكد يتم التمهيد لهذا حتى كانت حكومة إيطـاليـة الفـاشيـة الموسولونية المهطعة للاستعمار ، المتوخية إحياء مجد الرومان ، قـد عقـدت مع الإمام يحيى معاهدة صورتهـا تجـاريـة ، وروحهـا سيـاسيـة يقصد بهـا استعمار الجزيرة العربية .. »[2] .

وبعـد أن كادت جهـود ومسـاعي بضـع عشرة سنـة ـ كما يـذكـر ـ من التـأليف بينهما ومن قرب عقـد حلف عربي يحفـظ بـه استقـلال الجـزيرة ويعود للأمة مجدها إذا بأخبار صحافة العالم تتحدث :

« بإمكان تصادمهما ، بل بقرب زحف قوات اليمن على عسير فـالحجـاز

---

(١) المنار : ٢٧/١٠ (ص : ٧٩٢ ـ ٧٩٣) ، وقد عاد قبل آخر المقال إلى تكرار هذه النغمـة حين ذكر « .. أن هنالك سعاية ودعاية من طريق آخر لإغراء العداء بين الإمـامين ، وإضرام نـار القتـال بين الفريقين ،وهي طريق عصبية التشيع والرفض ، وقد بثت هذه الدعاية أولاً في جزائر الهند الشرقيـة الهولنـديـة والبريطـانيـة ، ثم في العراق وإيران ، ثم في مصر والهنـد ، أمـا بين الشيعـة فلجعل الحجاز تحت سيـادة إمـام شيعي من آل البيت ـ ومـا ثمّ إلاّ الإمـام يحيى ـ وأمـا بين أهل السنة فلإخراج الوهابية من الحجاز ، وهؤلاء الدعاة هم الذين أكثروا اللهج هذا العام بقوة الإمام يحيى وكثرة جيوشه وبذم الوهابيين والطعن فيهم .. » ص : ٧٩٦ .

(٢) المنار : ٢٧/١٠ (ص : ٧٩٣) .

[؟!] ـ كثر هذا بعد عقد الإمام يحيي الاتفاق مع الدولة الإيطالية ـ » .

وليس هذا فحسب بل :

« وما تلا ـ على ما قيل ـ من تولي الضباط الإيطاليين لبعض الأعمال العسكرية في جيشه [؟!] وتدفق أسلحتهم وذخائرهم ، وكذا دراهمهم ودنانيرهم على بلاده ورجاله وقبائله .. » .

وبعد هذه الادعاءات والتهم وغيرها التي لم يكن لها أساس ، بل شك صاحب « المنار » نفسه حين أردف متوعداً :

« فإن صحت هذه الأنباء ، وأوقد الإمام يحي نار الحرب العظمى في جزيرة العرب ـ حماه الله وأعاذه من ذلك ـ فسيكون هو وقومه أول من يحترق بنارهابإدخاله لأجرأ دول أوربة الاستعمارية فيها ..، لقد كان أكبر مناقب الإمام يحي في نظر الأمة العربية والعالم الإسلامي كله تلك السياسة السلبية مع الأجانب التي تجلت المرة بعد المرة بفشل الدولةالبريطانية وعجزها عن عقد أي اتفاق معه يفتح أدنى منفذ لتدخل نفوذها السياسي والاقتصادي في بلاده ، وقد كان أكبر ذنوب السيد محمد علي الإدريسي الكبير في نظره ما كان من موادة هذا للدولة الإيطالية واستفادته من السلاح في أثناء قتال الترك له .. »[1] .

ويكرر مخاطر الاتفاقية الإيطالية ، وأنه لولا خوف الإدريسي من تفوق قوة الإمام يحي عليه :

---

(١) المنار : ٢٧/١٠ (٧٩٣ ـ ٧٩٥) .

« لما التجأ إلى ابن السعود ونزل له عن منطقة أبها من عسير العليا ، ثم لما رضي خلفه السيد حسن في هذا العام بأن تكون إمارتهم كلها تحت سيادته ، وفي ظل حمايته .. » .

وإذا كان الإمام يحي قد مال للتفاوض وتذرع بضبط النفس - وهو الأمر الذي كان صاحب « المنار » يطلبه منه - فموقفه هنا كان موقف الساخر المتهكم حين أضاف :

« لقد استولى هذا السلطان على منطقة أبها المجاورة لليمن ولم ينازعه الإمام يحي فيها بالسيف والسنان ، ولا بالقلم أو اللسان ! »[1] .

ويشير بعد هذا إلى حادث مذبحة الحجاج اليمنيين العزل التي وقعت أثناء موسم حج ١٣٤١ هـ / ١٩٢٣ م في وادي « تنومة » جنوب الحجاز[2] ثم إلى استنجاد الملك علي بن حسين شريف مكة وموقف الإمام يحي السلمي أو المتردد من ذلك قائلاً :

« ولقد قتل الجند النجدي هنالك - مع الأسف - جماً غفيراً من اليمانيين - خطأ - ولم يتخذ الإمام الحكيم الرشيد ذلك ذريعة لقتال النجديين ، ولا حجة على وجوب إخراجهم من تلك المنطقة من عسير ؛ ولقد استغاثه الشريف علي بن حسين أيام كان محصوراً في جدة على السلطان عبد العزيز بن السعود وعرض عليه جعل الحجاز تحت

---

(١) المنار : ٢٧/١٠ ص : ٧٩٥ .

(٢) راجع تفاصيل الحادثة في : د / سالم (تكوين اليمن) : ٣٤٠ / ٣٤١

سيادته ، وتابعاً لمملكته وأن يكون هو فيه عاملاً من عماله[1] ، فأبى الإمام الحكيم أن يغيثه بالرجال والمال ، وإنما نصح له بما اقتضته الحال من المقال ، وقد كان ابن السعود يومئذ في بؤس وضنك ، يجلب إليه المال والقوت من الأحساء ونجد فهل يعقل بعد هذا أن يهاجمه الآن ؟ ... »[2] .

ويواصل السيد رشيد رضا مقاله بنفس الروح التي بدأ بها مهاجماً وغامزاً الإمام يحي ، غير أنه يتنبه قبل آخر المقال بأنه بهذا الأسلوب يفقد صفة المحايد والوسيط المصلح لذات البين ، ولهذا فكأنه يعزو ما سبق إلى أعداء العروبة والإسلام الذين يعكرون صفو العلاقات بين الأشقاء ـ دونما إفصاح ـ :

« وأما الذي أعلمه ـ أنا ـ فهو أن المراسلات الودية بين الإمامين متصلة ، وقد لقيت وفد اليمن للمؤتمر الإسلامي في مكة وغيرها من أماكن الحجاز ، وتعاونا على توثيق عرى الصداقة بين الإمامين ، وصرح لي الملك عبد العزيز بأنه بلّغ السيد حسين عبد القادر رئيس هذا الوفد بأنه مستعد للاتفاق مع الإمام يحي على كل ما يصون بلادهما ، ويرفع شأنها ، حتى إذا أحب عقد معاهدة عسكرية هجومية دفاعية ، فإنه لا يأبى ذلك ، ولكن هذا السيد لم يكن مفوضاً إليه مثل هذا ، وقد كاشفني بأن أهم ما يهم

---

(١) لم يحدث هذا بل العكس إذ كان الشريف متمسكاً برئاسة الائتلاف أو التحالف (راجع ص : ١٤٠ فيما تقدم) .

(٢) المنار : ٢٧/١٠ (ص : ٧٩٥) .

الإمام مسألة الإدريسي لا طمعاً في إمارته ، بل لئلا يعقد مع الأجانب ما يفضي إلى تدخلهم في شئون البلاد ـ والحق معه في هذا ، كما صرحت بهذا للملك عبد العزيز ، وبأن المعاهدة الأخيرة سلبت من السيد الإدريسي هذا الحق ، وحق التعدي على حدود اليمن [؟!] ، ولكن بعد أن أمضى لشركة بريطانية امتيازاً عظيماً في استخراج زيت البترول من جزائر فرسان[1] التي تعد بالعشرات وهي جناية يجب السعي لإبطالها إذا أمكن »[2] .

وأخيراً ماهو رأي صاحب « المنار » في حلّ مسألة عسير ؟ ، إنه يختم الموضوع بقوله :

« وأرى أنه يحسن السعي الآن لعقد محالفة بين الإمامين ، ينص فيها على حفظ الحال الحاضرة ، وبقاء منطقة الإدريسي شقة حياد ، لا يعتدي عليها أحد منهما بشروط مرضية ، ومن يأبى ذلك منهما ، أو يبدأ بالعدوان فهو الجاني على العرب والإسلام ! »[3] .

رأيه إذاً هو حياد عسير ، ولكن ماذا عن اتفاقية الحماية السعودية ؟ وكيف سيتأتى الحياد باستمرارها ؟ ثم ماذا ستكون عليه الشروط المرضية ؟ هذا مالم يكن بوسع صاحب « المنار » المعجب بابن سعود

---

(١) فرسان : مجموعة جزائر جنوب غربي رأس جيزان ، وكان الإدريسي قبيل اتفاقية الحماية السعودية قد أجرها لشركة البترول الآسيوية لاستخراج البترول المتوفر بكميات كبيرة بها وباتت تحت الحماية السعودية بعد ذلك .

(٢) المنار : ٢٧/١٠ (ص : ٧٩٦ ـ ٧٩٧) .

(٣) نفسه ؛ وراجع نص المقال في الملحق (٤٢) .

والمناصر له أن يجيب عليها ، مع أنه نفسه كان قد اقترح ونصح للإدريسي قبل ذلك بأربع سنوات « **بمكاتبة الإمام والاتفاق معه على الاتحاد اليماني العام ، ومنه أن يكونوا مستقلين في إدارة منطقتهم ومرتبطين بمجلس الاتحاد في سياستهم ، فذلك خير من استمرار القتال ...** »[1] .

☆ ☆ ☆

٧ ـ صاحب « المنار » وعلاقته بابن سعود :

جرت عادة صاحب « المنار » في نهاية كل سنة وبداية أخرى من سني المنار أن يستعرض ما حققه وما واجهه من صعاب مادية ونحو ذلك ، ويتناول موضوعاً رئيسياً يكون من اهتمامات « المنار » أو القضايا الهامة العامة ، ويبدو أن علاقاته مع ابن سعود واختلاف وجهات النظر فيما تنشره المجلات والصحف العربية ، قد جعل السيد رشيد رضا يخصص افتتاحية العام الجديد لإيضاح تلك العلاقة .

فقد جاء في افتتاحية المجلد الثامن والعشرين[2] للمنار « أول سنته الحادية والثلاثين » مقال طويل عنونه صاحبه « ببيان علاقتنا بالإمام عبد العزيز ملك الحجاز وسلطان نجد »[3] وواضح من العنوان أن السيد رضا قد واجه **حملة انتقادات على دعمه ودفاعه المطلق عن الملك**

---

(١) المنار : ٤/٥ (ص : ٣٩٧) وراجع (ص : ٩٤ ، ١٤٤ فيما سبق) .

(٢) صدر العدد الأول من المجلد الثامن والعشرين في ٦ شعبان ١٣٤٥ هـ / ٣ مارس ، آذار ١٩٢٧ م) .

(٣) انظر نصه في الملحق (٤٥) .

عبد العزيز وعن الحركة الوهابية بشكل عام ، حتى إنه اتهم - كما ذكر في المقال - أنه قبض من ابن سعود خمسة آلاف جنيه ، وقيل : عشرة آلاف جنيه .. لكنه يرد :

« بأن مجلدات المنار السبعة والعشرين برهان على أنه لا يعقل أن يكون ما كتبته في تأييد ابن السعود والدفاع عنه لغرض منفعة دنيوية ، لأنه عين ما كنت أكتبه قبل قيامه بما نصرته فيه وقبل علمي بوجوده أيضاً ، وقد لقيت فيه من الأذى ما يجهل أقرب الناس مني .. » .

إن ما يهمنا من هذا المقال (الافتتاحية) هو ما له علاقة مباشرة بموضوع اليمن والعلاقة مع ابن سعود استمراراً لكتابات « المنار » في أعداده الأخيرة من سنته المنصرمة .

وبدايةً لابد من التوضيح أن استهلال صاحب « المنار » للافتتاحية بشكوى نضوب موارده الخارجية وشح الداخلية ، وما أعقب سنوات الحرب العالمية من « الغلاء والعسرة » ،وأنه لم يتم له « لم الشعث إلاَّ منذ عامين ونصف .. » هي شكوى كثيراً ما كان يرددها من قبل[1] ، لكنه هنا يضيف بأنه كان بوسعه جمع المال من الأفراد والهيئات والحكومات لو كان يصانعها ويميل مع هواها ، ومن هنا انطلق في الدفاع لما عرض :

« في هذه الأيام شُبهة علينا في تأييدنا للحكومة السعودية والطريقة الوهابية ، فتحدث بعض الذين لا يعقلون أنه يوجد في البشر أحد ينشر

---

(١) وكذلك بعد هذا (على سبيل المثال) : ٣١/٨ (ص : ٦٣٠) ؛ افتتاحية العدد ٣٢/٢ (ص : ٨١) .

عقيدة دينية ، أو يؤيد طريقة إصلاحية ، إلاَّ لأَجل منفعة شخصية ، وأننا أخذنا من ابن السعود أجراً على تأييدنا لحكومته .. »[1] .

وليس من شكٍّ في نزاهة صاحب « المنار » إلاَّ أنه لم يكن موفقاً في الخوض في هذا الموضوع لدفاعه عن الوهابية التي تبناها « المنار » ، وبعد استطراد في هذا الصدد يذكر أن علاقته بابن سعود بدأت بالمراسلة معه ومع الإمام يحي والسيد محمد بن علي الإدريسي (بعد عام ١٣٢٠ هـ / ١٩٠٣ م) « ببضع سنين ، في مسألة العرب وجزيرة العرب ، ووجوب الولاء والتحالفِ بين أمرائها لأَجل حفظها من تدخل الأجانب وإعلاء شأنها بالعمران ... أجابني كل واحد من هولاء الأئمة باستحسان ما دعوتهم إليه ، إلاَّ الإمام يحي استثنى الاتفاق مع جاره الإدريسي معللاً ذلك بأنه كان قد عقد معه اتفاقاً فغدر (وحالف أعداء الله الطليان) وأما الإمام عبد العزيز السعود فرغب إليَّ أن أرسل إليه رسولاً بصيراً عارفاً ليشرح له هذا المشروع من الوجهة الشرعية والسياسية لإقناع أهل الحل والعقد من قومه .. »[2] .

وبسبب الحرب العالمية الأولى لم يتمكن الرسول والكتب المرسلة معه من الوصول حيث تعطل في الهند ، وبعد الحرب جدد اتصاله مع الإمامين ابن سعود ويحي وكرس أواخر ١٣٤١ هـ / ١٩٢٣ م لدعوتها للاتحاد والتعاون للقضاء على ظلم الشريف حسين في الحجاز ، وقام ابن سعود

---

(١) المنار : ٢٨/١ (ص : ٢ ـ ٣) .

(٢) نفسه : (٨ : (٤ ـ ٥) .

بالدور المعروف وهو مع ذلك لم يفضله على غيره من أمراء الجزيرة ، بل لقد كان ثناؤه على الإمام يحيي وأمله فيه ـ من قبل ـ أقوى :

« حتى قالت بعض الجرائد المصرية في أثناء الخوض في مسألة الخلافة : إن صاحب « المنار » يدعو إلى الإمام يحيي ، ويسعى لتوسيد منصب الخلافة إليه ، على أنني كنت أعتقد أن الإمام عبد العزيز بن السعود أرجى لخدمة الإسلام ، وإعلاء شأن العرب إذا خرج من عزلته ، وترك القبوع في ربوع إمارته ، وقد كنت أشك في خروجه منها ، كما كنت أشك في ميل الإمام يحيي إلى تجاوز حدود اليمن إلاَّ إلى عسير التي يعدها هو منه »[1] .

ويستمر بعد ذلك في تكرار الثناء على ابن سعود الذي أنقذ الحجاز وحقق المؤتمر الإسلامي العام (١٣٤٤ هـ / ١٩٢٦ م) الذي كان أهم مقاصد الجمعية التي أسهم صاحب « المنار » في تأسيسها بمصر ، وهكذا .. فإنه :

« إنني أشهد الله تعالى وكل من يطلع على قولي هذا أنني أشعر في سريرتي وما يكن قلبي بتقصير في الثناء على هذا الرجل بالجهر بكل ماأعتقده وما أرى فيه من المصلحة والنصيحة للمسلمين .. »[2] .



وفي آخر هذا العدد في « أنباء العالم الإسلامي » **جاء عن اليمن :**

---

(١) المنار : ٢٨/١ (ص : ٦) .

(٢) راجع نص الافتتاحية في الملحق (٤٥) .

« يسوءنا من أخبارها رسوخ أقدام الدولة الإيطالية فيها يوماً بعد يوم بإقدام رَجُلها الطماع الطماح الضاري باستعمار البلاد العربية السنيور موسوليني وما تلا تدخل هذه الدولة من استعداد الإمام يحي للحرب والكفاح ، ولا غرض للحرب هنالك إلاَّ قتال جيرانه من العرب والمسلمين [!؟] ، ويقال : إن موعد تقدم جيوشه على جاره السيد الإدريسي ، شهر شوال الآتي أعاذ الله العرب من هذه الفتنة التي أجمعوا على كراهتها والخوف من سوء عاقبتها ، وإننا نستبعد على حكمة الإمام يحي إيقاد نارها ، لما نعهد من بصيرته وأخلاقه ، وقد شرحنا ذلك في الجزء الماضي من المنار .. »[1] .

لقد كان هذا الترغيب والترهيب للإمام يحي ، وذلك الثناء الذي لا حدود له للملك السعودي في أواخر شهر شعبان ١٣٤٥ هـ / ٣ مارس ، آذار ١٩٢٦ م فماذا حدث ؟ إن شيئاً مما هول به « المنار » لم يقع ، إذ إن سياسة المفاوضات استمرت للسنوات التالية ، ولم يكن في نية الإمام يحي العدوان ، ولا كان بوسعه عسكرياً ومادياً فتح جبهة في حدوده الشمالية حين كان مشغولاً مع الإنجليز في الحدود الجنوبية ، بل كان كما ذكر تركي بن ماضي عضو الوفد السعودي الثاني المفاوض[2] في رسالته من

(١) المنار : ٢٨/١ (ص : ٧٤ ـ ٧٥) ، وراجع شرحه المشار إليه (ص : ١٤٩ ، ١٥٣ فيما تقدم) .

(٢) وصل هذا الوفد في مطلع شعبان ١٣٤٦ هـ / يناير (كانون الثاني) ١٩٢٨ م ، وكان مكوناً من الأمير محمد بن دليم أبو لعثة صاحب قحطان وتركي بن ماضي ، وعين الإمام يحي للمفاوضة معهما القاضي عبد الله بن حسين العمري والقاضي عبد الكريم بن أحمد مطهر ، ولما لم يتوصل الطرفان إلى نتيجة بخصوص الحدود ، فقد بعث الإمام يحي مع الوفد نفسه وفداً من قبله (العلامة قاسم العزي والمؤرخ محمد بن محمد زبارة والعلامة عباس بن أحمد بن إبراهيم) وحمله =

صنعاء إلى الملك عبد العزيز بتاريخ ٢٠ ذي القعدة ١٣٤٦ هـ / ١٠ أبريل ، نيسان ١٩٢٨ م :

« .. وليس له مقصد عدوان في الوقت الحاضر ، ولا يريد حسم المادة والاعتراف بحدود معلومة له وعليه ، بل يريدها مسالمة ومكاتبة بغير نتيجة [!] ولا يزال يطلب في حل عقد اتفاقية مكة ، وكم أوضحنا له وأفدناه أن الإدريسي في قطعة من بلاد عسير ، وأنه مسلم استجار بأخيه ، فأجاره سابقاً ولاحقاً ، حتى طالت المحاورات بيننا وبينه ، ثم بيننا وبين مندوبه إلى نهاية أربعة وخمسين يوماً .. »[1] .

ولقد تطورت الأمور في عسير في الاتجاه الذي كان يخطط له الملك عبد العزيز ، - كما تذكر الدكتورة الخترش - فمن وضع عسير تحت السيطرة الفعلية السعودية منذ صيف ١٣٤٦ هـ / ١٩٢٧ م وذلك « عندما عين عامله (صالح بن عبد الواحد) ممثله في صبيا للاحظة تنفيذ الاتفاقية » إلى أن غدت خلال الثلاث السنوات التالية « من كل الوجوه والنواحي إقليماً تابعاً للحكومة المركزية السعودية ، وأصبح الإدريسي بعدها لا يتعدى كونه حاكماً صورياً لعسير ، وأن الإمارة قد أضحت تحت

= رسالة منه إلى الملك عبد العزيز يدعوه فيها « إلى تقرير المصير فيما بيد المغتصب الإدريسي إلينا مع كل ما هو معدود من خولان بن عامر وهمدان بن زيد ، وما في ذلك من المحافظة على كرامة الجانبين وبناء الأساس المتين لصفاء القلوب الدائم .. » (زبارة : أئمة ٢٠١/٢ وبه نص الرسالة المؤرخة ٣ شعبان سنة ١٣٤٦ هـ) .

(١) بيان وزارة الخارجية السعودية (الكتاب الأخضر) ص : ٩ - ١٠ ؛ وراجع : د . سالم (ص : ٣٤٥) .

إدارة عمال أو موظفي ابن سعود تماماً ، وقد رضي الإدريسي بهذا الوضع أول الأمر ، ومن ناحية أخرى فقد حرص الملك ابن سعود على أن تكون للإدريسي ، مكانة تتفق والأسرة الإدريسية ، وأوصى عماله وموظفيه بأن يكونوا تحت تصرف الإدريسي صوناً لكرامته »[1] .

لكن صفو العلاقة السعودية ـ الإدريسية ـ لم يكن مقدراً له الدوام في ظل هذه الأوضاع غير الطبيعية ، وما حلّ رجب ١٣٥١ هـ / نوفمبر ، تشرين الثاني ١٩٣٢ م ، حتى كانت الثورة في عسير ضد الوجود السعودي قد جرفت حتى الإدريسي نفسه رغم محاولته الظهور بالولاء لابن سعود ، وبعد سقوط جيزان وهزيمة حاميتها السعودية في ٩ رجب / ٧ نوفمبر ، تشرين الثاني دخل الإدريسي المدينة ، وقبض على العامل السعودي فهد بن زعير وموظفيه وزج بهم جميعاً في السجن.، وإذ استمر وقوع بعض المراكز في أيدي الثوار تحركت القوات السعودية نحو جيزان فهاجمتها واستعادتها من الإدريسي الذي هرب واستمرت في ملاحقته حتى وصل « ميدي » وطلب اللجوء السياسي من الإمام يحي فأجابه إلى طلبه هو ومن معه[2] أو بلغه رسالة المبعوث السعودي السالفة الذكر « مسلم استجار بأخيه فأجاره .. » أما بقية التفاصيل فمعروفة ، أصدر الملك السعودي أمراً بضم إمارة عسير إلى المملكة العربية السعودية ، وأبرق للإمام يحي طالباً منه تسليم الإدريسي ، فرفض الثاني ذلك ودخلا في جولة جديدة

---

(١) الخترش : تاريخ العلاقات السعودية ـ اليمنية (ص : ٩٥ ـ ٩٨) .

(٢) نفسه : ١٠٤ ـ ١٠٩

من المفاوضات انتهت في ١٩ ذي القعدة ١٣٥١ هـ / ١٤ إبريل ، نيسان ١٩٣٣ م ، ببقاء الحسن الإدريسي في أي إقليم من أقاليم الإمام بضمان الأخير ، وأمكن تجنب اقتتال أو صراع قريب بين المملكتين ، ولكن إلى حين .

☆ ☆ ☆

٨ ـ هجوم المنار على دعاة الشقاق من الأعاجم والهنود :

واصل « المنار » هجومه على « دعاة الشقاق للحرب بين الإمامين يحي وعبد العزيز »[١] وبأن إشاعات الشر لا تزال تذكر « عن استعداد الإمام يحي لإيقاد نار الحرب » وهو ما تشغل به الصحف قراءها . ولكن ما هو أهم مما تنشره الصحف هو ما وصل صاحب « المنار » من رسائل خاصة من عدن وغيرها من أن « محاضي[٢] الفتنة من روافض الأعاجم وأنصارهم من الهنود السياسيين قد أرسلوا إلى الأمام يحي وفداً يعرض عليه إمداده بألف ألف [أي مليون] جنيه مساعدة له على قتال الملك ابن السعود لإخراجه من الحجاز [! ؟] ، ويقال : إن مع العضو الإيراني من هذا الوفد عضواً أفغانياً ، فياليت شعري هل هو عضو ملفق في الهند ، أم استطاع شاه إيران استمالة أمير الأفغان السني المصلح المدني ليساعده على هدم السنة ومعاداة أنصارها ..»[٣]

---

(١) المنار : ٢٨/٢ (ص : ١٥٩) الصادر في سلخ رمضان ١٣٤٥ هـ/١٢ ابريل ، نيسان ١٩٢٧ م .

(٢) محاضي الفتنة : مشعلوها ،وهو من (حاضّ بمعنى حثّ ،وحضه على الأمر : حضه بقوة) .

(٣) المنار : ٢٨/٢ (ص : ١٥٩) .

وبعد أن يرجح أن الوفد كله ملفق ، يذكر أن لهذا « الحزب » جريدة عربية تصدر في « جاوه » تجهر بالدعوة إلى هذه الحرب وهي التي كان قد أسسها « **بعض غلاة الرفض من علوية الحضارم** » ، وبأن هذه الجريدة تعظم من أمر الإمام يحيي واستعداده للحرب ، وتحبذ ما عقده من الاتفاق مع إيطالية كما أنها تطعن في ابن سعود وتهون أمره وتحقر قوته .. وأن أحد زعماء هذا الحزب ذكر أنه يفضل استيلاء دولة أوربية على الحجاز فذلك أضعف ضرراً من استيلاء ابن سعود عليه !

« ولكن الإمام يحيي أعلم من هؤلاء المتهورين بحقيقة قوته وقوة ملك الحجاز ونجد ، وأعلم منهم بمصلحته ومصلحة بلاده » .

ثم يضيف في الأخير أن ما يراه هو تحالف الإمامين وتعاونهما ضد الاستعمار ونفوذ الأجانب ، وأن من يوقد نار الحرب منهما على الآخر هو « أكبر المجرمين ولا يقبل له عذر من الأعذار » ويختم رأيه بأسلوبه المعتاد الموجه إلى الإمام يحيي :

« ونرى مع هذا أن الخطر على اليمن أقوى وأقرب من الخطر على الحجاز ونجد ،ولعل الإمام يحيي قد شعر بزلته في الاتفاق مع إيطالية ، وإذاً لا يختار لنفسه الدخول في مأزق يضطره إلى تمكينها من قياده ، ورسوخ قدمها في بلاده ! »[1]

ومن الطريف أن « المنار » نشر في العدد التالي[2] ٢٤ بيتاً من قصيدة

---

(١) نفسه : (ص : ١٦٠) وراجع النص في الملحق (٥٠) .

(٢) المنار : ٢٨/٣ (ص : ٢٣٨ ـ ٢٣٩) الصادر في ٣٠ شوال ١٣٤٥ هـ/٢ مايو ، أيار ١٩٢٧ م .

نشرتها جريدة « حضرموت » السابق ذكرها بإمضاء « ابن زمزم » ذاكراً أنه نشرها « ليعلم حزبها أننا نعلم أنه لا قيمة له ولا تأثير لقتبنته عند الإمام يحي ولا عند غيره بالأولى ، فلم يبق لهم بعد خذلان أبي الأشبال لهم إلاَّ أن يتضرعوا لإخوانهم في إيران فيقيموا لهم ملكاً كالملك الذي أقاموه لأئمة آل البيت من قبلهم ! قال الناظم الأحمق :

يـانَفْسُ ذُوبي ويـاقَلْبُ اتَّقِـدْ أَلَماً   وأَمْطِري الـدَّمَ يـاعَيْنَيَّ مُنْسَجِماً »

والمقصود بأبي الأشبال (الإمام يحي) ، لأن البيت الواحد والعشرين منها يقول :

كَـأَنَّكُمْ بِـأَبِي الأَشْبَـالِ سَيِّـدِنـا   يَحْيِى الإمـامِ يَقُـودُ البَحْرَ مُلْتَطِما

☆ ☆ ☆

٩ ـ تكذيب لجريدة الايمان حول العلاقة اليمنية ـ الإيطالية :

سبقت الإشارة إلى صدور جريدة « الإيمان »[١] لسان حال الإمام يحي ، ومنبره الرسمي والدعائي في جمادى الأولى سنة ١٣٤٥ هـ / نوفمبر ، تشرين الثاني ١٩٢٦ ، ، وكان نص المعاهدة اليمنية الإيطالية من مواد أول أعدادها ، وكان « المنار » وغير « المنار » من الصحف العربية والأجنبية ما زال يعلق على تلك المعاهدة سلباً وإيجاباً كما مر معنا مع « المنار » ، وكان كل ذلك يصل إلى الإمام يحي وإلى رئيس ديوانه ، الأديب ، العلامة ، السياسي ، الكاتب ، الشاعر القاضي عبد الكريم بن أحمد مطهر

---

(١) استمر صدور « الإيمان » حتى سنة ١٣٧٨ هـ/١٩٥٨ م .

(ت ١٣٦٦ هـ / ١٩٤٧ م) مؤسس « الإيمان » ومحررها الأول ـ وأحد العضوين المفاوضين مع الجانب السعودي كما تقدم قبل قليل[1] ـ والملاحظ أن « الإيمان » رغم تعليقاتها ومتابعاتها لما كانت تعنون « بأخبار أو تعليقات الجرائد » قد تجاهلت تماماً في هذه الفترة ما كان ينشره « المنار » وغيره حول المعاهدة الإيطالية ، حتى كان أن نشرت « الأهرام » القاهرية في عددها (١٥٢٩٠) الصادر في ربيع الأول سنة ١٣٤٦ هـ / ٢ سبتمبر ، ايلول ١٩٢٧ ، خبراً مفاده أن هناك معاهدة سرية جديدة عقدت بين اليمن وإيطالية ،وإذا بالإيمان تنشر في عددها / ١١ / الصادر في نفس الشهر تكذيباً نثبت نصه للفائدة :

« رأينا بكمال الاستغراب نبذة عنوانها (بين إيطاليا واليمن) في جريدة الأهرام المؤرخة ٦ ربيع الأول سنة ١٣٤٦ هـ وعددها (١٥٢٩٠) نقلت فيه عن مخابرها الإسكندري ، أنها عقدت معاهدة سرية جديدة بين الدولتين ، وبما أنها لم تعقد بين دولة اليمن ودولة إيطاليا ، غير معاهدة العام الماضي التي كان عقدها في صنعاء والتي صار نشر صورتها عيناً في جريدتنا ولم يتجدد أي عهد أو مقاولة بعد ذلك ، فإنا نعلن هذا على صفحات جريدتنا إعلاماً بالحقيقة ، وتكذيباً للنشرة المذكورة . وأغرب من هذا نشر هذا الخبر الذي لا نصيب له من الصحة ، ولا مستند له على مثل صفحات جريدة الأهرام الجديرة بالتحري والتروي في نقل مثل هذا الخبر الذي لا أصل له ، وقد علم أن أول واجب في مهنة الصحافة هو

---

(١) راجع (ص : ١٦٣ حاشية ٢ فيما تقدم) .

التحري على الحقائق فيما تقوم الصحف بنشره من الأخبار ، وعلى قدر ما يبذل من التحري في هذا السبيل ترتفع درجة اعتبارها بين الصحف ، وأنا نحب لمثل جريدة الأهرام الغراء عدم التسرع في نقل ما لا وجود له وعدم قبوله لأنها حَرِيّة بأنها لا تلطخ سمعتها بأمثال هذه المفتريات » .

☆ ☆ ☆

١٠ ـ وفاة السيد محمد بن عقيل وخلاف صاحب المنار معه :

اشتهر العلامة محمد بن عقيل الحضرمي (المولود سنة ١٢٧٩ هـ / ١٨٦٢ م بمسيلة آل الشيخ من أعمال تريم حضرموت) بجولاته في شرق آسيا بعد أن رحل أواخر القرن إلى جاوة ، وأسهم بنشر الدعوة الإسلامية هناك ، واتصل بعلماء الهند والصين ، وزار بعض عواصم أوربا ، وتنقل في البلاد العربية وحج غير مرة ، وراسل الإمام يحيى ، ثم جاء لزيارته في صنعاء بالطائرة ثاني يوم وصوله الحديدة من عدن يوم ٢٢ ربيع الأول ١٣٤٦ هـ / ١٨ سبتمبر ، أيلول ١٩٢٧ م ، كما نشرت ذلك مرحبة جريدة « الإيمان »[١] وكان يؤخذ عليه مغالاته في التشيع وذم معاوية ، وله في ذلك رسائل وعليها ردود من معاصريه[٢] وكان هذا مثار خلاف بينه وبين صاحب « المنار » الذي نشر أولاً خبر نعيه كما وصله من أقربائه يوم وفاته بالحديدة في ١٣ ربيع الأول ١٣٥٠ هـ / ٢٨ يوليو ، تموز ١٩٣١ م[٣] ، ثم

(١) الإيمان : عدد (١١) الصادر في ربيع الأول ١٣٤٦ هـ / سبتمبر ، أيلول ١٩٢٧ م .

(٢) راجع زبارة : نزهة النظر ٥٥٧/٢

(٣) المنار : ٣٢/١ (ص : ٨٠) الصادر في جمادى الآخرة ١٣٥٠ هـ / ٢ اكتوبر ، تشرين الأول ١٩٣١ م . وراجع الملحق (٥٣) .

كتب في عدد تال عنه لضيق ذلك العدد الذي تصادف بوفاة والدته وقدَّم الحديث عنها لما لها من حق أعظم عليه ، كما ذكر معلقاً على رسالة التعزية .

وفي العدد الثالث من المجلد الثاني والثلاثين[1] كتب السيد رشيد رضا ترجمة للعلامة ابن عقيل استهلها بذكر ذكائه وسعة علمه ، ومعرفته بشئون السياسة الدولية وأحوال الشعوب الشرقية ، وكثرة رحلاته ذاكراً له :

« لولا اشتغاله بالتجارة لكان من أكبر زعماء الأمة العربية ودعاة الإصلاح الإسلامي » .

وقد كان مزواجاً « يجمع ماطاب له من النساء » .

وعرفه صاحب « المنار » مبكراً وراسله بعد إصداره « المنار » وحين لقيه عام ١٣٣٠ هـ / ١٩١٢ م أخبره :

« أن أولاده وأحفاده يزيدون على خمسين نسمة ، وهم متفرقون في بلاد مختلفة ، وأنه لا يعرفهم كلهم بأشخاصهم ، وأنه لا يعلم عدد من مات منهم ! ولم يكن هذا بشاغل له عن أعماله التجارية ، ولا عن أبحاثه العلمية والسياسية .. »[2] .

أما أول الخلاف الذي وقع بين الرجلين فمسألة « لعن معاوية » التي كان دعاة التشيع من العلويين قد أثاروها في جاوة وأندونسيا ، واستفتى

---

(١) الصادر في ذي القعدة ١٣٥٠ هـ / مارس ، آذار ١٩٣٢ م .

(٢) المنار : ٣٢/٣ (ص : ٢٣٨ ـ ٢٣٩) .

فيها صاحب « المنار » فأفتى بعدم الجواز لما في ذلك « من الشقاق والضرر والتفرقة بين المسلمين بدون مصلحة راجحة تقابله ، وفيها ألف كتابه المشهور (النصائح الكافية) وعذر كل منا أخاه في اجتهاده » .

ثم يضيف : أن الأمر بعد ذلك هو تفاقم دعاية الرفض والغلو في « آل البيت وسلائلهم في تلك الجزائر ، فكان من زعمائها .. ولما كان الغلو والإفراط في طرف كل أمر يثير الغلو في الطرف الآخر ، ظهر خصوم كثيرون للسادة العلويين ، وتفاقم الخلاف ... وهو ما كنا نخشاه ونتوقعه .. »[1] .

ثم يذكر أنه تم إنشاء « جمعية الإرشاد » لنشر التعليم الديني والمدني في أندونيسيا ، وراسلته فأرسل لها معلمين فكتب إليه ابن عقيل ينكر عليه مساعدة تلك الجمعية التي وصفها بالضلال ، **ولما كان السيد رشيد رضا ـ علوياً ـ فقد أزعجه ما أذاعه « بعض العلويين » من مناصرته للإرشاديين عليهم :**

« وهم مخطئون فأنا لا أنصر إلاّ ما أعتقد أنه الحق ، **ولو كنت أتبع الهوى لكان هواي مع العلويين ، لأنني منهم** . وأهل العلم الصحيح منهم يعلمون ذلك »[1] .

ولقد نشأ السيد محمد بن عقيل على مذهب الشافعية « تربية وتعليماً وعملاً ، ولكنه كان مع ذلك مستقل الفكر في المسائل العلمية والدينية ...

---

(١) المنار : ٣٢/٣ (ص : ٢٣٩ ـ ٢٤٠) .

وقد علمت منه أنه ترك مذهب الشافعي لا إلى اتباع الدليل بل إلى تقليد مذهب العترة أو آل البيت » **ويضيف واهماً (أي الزيدية)** وبأنه أخبره أنه حاول إقناع الملك حسين بنشره في الحجاز والحكم به دون مذهب أبي حنيفة ، فلم يقبل فغضب عليه ، ولعل ذلك هو السبب الذي دفعه ليرسل إلى صاحب « المنار » خطاباً من مكة في الطعن على الملك حسين ، واعتمد عليه فيما نشره وقتئذ في دعوة العالم الإسلامي للقيام عليه وعلى قسوته وظلمه ، وأخيراً فقد سعى الأول لدى شيخ الأزهر في مصر لتقرير تدريس المذهب الزيدي في الأزهر ، فلم يقبل ، وهنا يوضح صاحب « المنار » ما كان عمّه عن المذهب وعن سر الخلاف :

« فأنا لم أنكر عليه هذا السعي ، **لأن مذهب الزيدية في الفقه كغيره من المذاهب الأربعة التي تدرس في الأزهر ، وقلما يخالف بعضها في حكم إلاّ ويكون موافقاً لآخر منها** ، وإن ما كنت أعارضه قولاً وكتابة هذا **الغلو في العلويين** الذي تأباه حالة العلوم الاجتماعية في هذا العصر الذي فشت فيه فكرة المساواة ، وما يسمونه (الديمقراطية) ، وهم مهما يكن من غلوهم في تعظيم آل البيت النبوي فلن يصل إلى غلو من قبلهم من الشيعة الظاهرية والباطنية ، وكله عرضة للضعف فالزوال .. »[1] .



(١) المنار : ٣٢/٣ (ص : ٢٤٠) وراجعه في الملحق (٥٣) .

١١ ـ المنار ينعى الأمير محمد البدر وصاحبه يعزي الإمام يحيى بابنه :

ولعله من باب المصادفات أن « المنار » طيلة السنة التي صدر خلالها المجلد الثاني والثلاثين (جمادى الآخرة ١٣٥٠ ـ رمضان ١٣٥١ هـ / يناير ، كانون الثاني ـ ديسمبر ، كانون الأول ١٩٣٢ م)[١] لم ينشر عن اليمن أمراً ذا بال ، وكان أول أعداد السنة خبر وفاة السيد محمد بن عقيل ، ثم تلاه ترجمته وخلافه مع صاحب المنار كما تقدم في الفقرة السابقة . وبعد ستة أشهر[٢] نشر « المنار » خبر وفاة محمد البدر بن الإمام يحيى غرقاً ، وترجمته ، ثم نص رسالة تعزية صاحب المنار وجواب الإمام يحيى . والمصادفة هنا هو أن « المنار » بعدما تقدم من كتابات صاحبه وما سيأتي للعامين الباقيين عن شئون اليمن السياسية الهامة لم ينشر أو لعله لم يجد في هذا العام سوى النعيين المذكورين ، وإن كان واقع الأمر أن غير « المنار » في العالم العربي والإسلامي قد اهتم أيضاً بوفاة الرجلين لمكانة كل منهما وشهرته مع الاختلاف والتباين على كل حال .

ولد محمد المشهور (بالبدر) والملقب ـ كبقية إخوته ـ بسيف الإسلام ، الابن الثاني للإمام يحيى حميد الدين ، في قفلة عذر سنة ١٣١٦ هـ / ١٨٩٨ م ، بعد ثلاث سنوات من مولد شقيقه الخطير (أحمد)

---

(١) كانت « المنار » تصدر في مطلع كل عام هجري (قمري) ، ثم اضطر صاحبها (مجاراة لاشتراك وزارة المعارف وبعض الحكومات الأوربية) إلى إصدارها في مطلع العام الميلادي (الشمسي) من شهر فبراير ، شباط ١٩٣٢ م / شوال ١٣٥٠ هـ (المنار : ٣٢/٢ ص : ٨١) .

(٢) المنار : ٣٢/٦ (الصادر في صفر ١٣٥١ هـ / يونيه ، حزيران ١٩٣٢ م) .

ولي العهد والإمام بعدُ ، في سنة ١٣٦٧ هـ / ١٩٤٨ م ، وكان مختلِفَ الْخُلُق والطبع والسجايا عن شقيقـه ، بل إنـه ـ كما يقـال ـ كان أفضل أبنـاء أبيـه الأربعة عشر[١] وأحسنهم ، وقد تتلمذ على كبـار علمـاء عصره ، وحـاز على درجة طيبة من العلم والأدب ، وكان شاعراً مجيداً أظهر اهتماماً وتطلعـاً إلى ثقافة العصر وما كان ينشر في مصر والأقطار العربية ، وكان له الفضل في نشر بعض الكتب اليمنية وطباعتها . وكان أول أعمالـه في بلاد الشرف ، ثم عينـه والـده حين كان في الثـلاثين من عمره أميراً على لـواء تهـامـة (الحديدة) ، وفي عـام ١٣٤٦ هـ / ١٩٣٧ م قـام على رأس بعثـة سيـاسيـة بزيـارة رومـا[٢] ، وزار في طريقـه مصر وبعض الأقطـار الأخرى ، وكان لتلك الزيارة أثرها الكبير في نفسه وآرائه ، فعـاد نـاصحـاً لأبيـه بضرورة الانفتاح الخارجي والأخذ بأسباب التقدم[٣] . وبعد أربع سنوات من تلك

(١) أنجب الإمام يحيى أربعة عشر ولداً وست بنـات من زوجـات ست ، أكبرهم أحمد ويليـه شقيقـه محمد هـذا ، والآخرون هم : (٢) الحسن ، الحسين ، المطهر (٣) علي ، (٤) عبـد الله ، إبراهيم ، إسماعيل (٥) القاسم ، عبـاس ، محسن (٦) عبد الرحمن ، ومـات أغلبهم قتلاً بـاستثنـاء (مطهر وقـاسم ويحيى) ويعيش منهم في المنفى بعـد ثـورة سبتمبر ، أيلـول ١٩٦٢ م الخـالـدة (الحسن وأصغرهم عبد الرحمن) .

(٢) كان من أعضاء تلك البعثـة : القـاضي محمد راغب (وزير الخـارجيـة) والقـاضي علي بن حسين العمري والعالمان عبد الله بن ابراهيم بن أحمد ، وعباس بن علي بن أحمد بن اسحق ، وعـدد آخر من المرافقين (زبارة : أئمة ١٨٨/٢ ، ١٩٥)

(٣) بعد وفاته خلفه في إمارة الحديدة أخوه الحسين ، وقد صادف أن كلفه والده القيام ببعثة مشابهـة إلى بريطانيا واليابـان بعـد ذلـك بعشر سنوات (١٣٥٦ هـ / ١٩٣٧ م) ويقـال : إنـه عـاد أكثر تحجراً وتصلباً في أفكاره ، وإنه نصح والده بعكس أخيه محمد ، وقد قتل الحسين مع أخيـه محسن في أول أحـداث ثورة ١٣٦٧ هـ / ١٩٤٨ م ، كما أعـدم رفيق رحلتـه السيـد العـالم حسين بن محمد الكبسي الذي عين وزيراً لخارجية حكومة الثورة ، عقب فشلها .

الزيارة وحين كان يسبح في البحر الأحمر بالحديدة حاول إنقاذ أحد أتباعه من الغرق ، فمات هو نفسه غريقاً في ١٥ ذي الحجة سنة ١٣٥٠ هـ / ٢٢ مارس ، آذار ١٩٣٢ م .

وقد بادر صاحب « المنار » - الذي لا بد قد لقيه في جولته ، وراسله من قبل - بإرسال تعزية لأبيه جاء فيها :

« .. وهو مصاب للأمة العربية ، لأن نجلكم أمير من أعظم أمرائها ، وزعيم من خيرة زعمائها ، كانت ترجو أن يكون من أرسخ دعائم نهضتها ، بعلو همته ، وذكاء قريحته وحسن تربيته ، وسعة علمه وخبرته .. »[1] .

وقد ردّ عليه الإمام يحي برسالة شكر وتقدير مؤرخة ١٨ محرم ١٣٥١ هـ / ٢٣ مايو ، أيار ١٩٣٢ م ونشر الرسالتين مقدماً لهما بما وصله من صنعاء مع ملخص مما نشرته جريدة « الإيمان » وقد علق عليه بأنه :

« كان ينبغي لكاتب الترجمة أن يذكر ماتولاه الفقيد من الأعمال وسيرته فيها ، وسفره إلى إيطالية ، وما استفاده منه ، وما كان من الآمال في خدمة أمته ووطنه التي أشرنا إليها في تعزية والده »[2] .

☆ ☆ ☆

١٢ - عود على بدء (المنار وإرهاصات الحرب) :

بعد صمت عام وشهرين ، قام صاحب « المنار » في جُمادى الأولى

---

(١) المنار : ٣٢/٦ (ص : ٤٧٩) .

(٢) نفسه : (٤٧٦ - ٤٧٩) وراجع (الملحق ٥٤) .

١٣٥٢ هـ / سبتمبر ، أيلول ١٩٣٣ م بنشر مقال ملتهب الحماسة بعنوان « ويل للعرب من شر قد اقترب » زاعماً أن الجرائد المصرية قد نشرته « عند انتشار البرقيات بقرب الحرب بين المملكتين اليمانية والسعودية »[١] ، وقد تكون بعض تلك الجرائد قد نشرته فعلاً ـ كما يستفاد من رد « الإيمان » كما سيأتي ـ إلاَّ أن الأسلوب العام وبعض التعابير المعروفة ، بل والميل الواضح في دعم وجهة النظر السعودية واستخدام طريقته نفسها في الترغيب والترهيب ضد الإمام يحيى يجعل الاعتقاد بأن السيد رشيد رضا هو صاحب المقال[٢] ، خاصة وقد حاول بعد عددين أن يكون حكماً ، فنشر مقالين لجريدتي « الإيمان » اليمنية و « أم القرى » السعودية يمثل كل منهما وجهة نظره ، لكنه ـ وعلى غرار هذا المقال نفسه ـ لم يستطع أن يكون محايداً في تقديمه للمقالين وتعليقه عليهما كما سيأتي معنا .

كانت مقدمة المقال تصويراً واقعياً لحال الوطن العربي الموزع احتلاله بين القوات الفرنسية والبريطانية ، حيث لم يبق « إلاَّ جزيرة العرب ، البقعة الوحيدة التي ليس فيها ملك ولا حكم لمستعمري الغرب ، ولا لابس (برنيطة) يسيطر عليها بالأمر والنهي ... »[٣] .

وبعد الحرب العالمية الأولى كان هناك في الجزيرة أربع حكومات

---

(١) المنار : ٣٣/٥ (ص : ٣٨٣) .

(٢) بعد كتابة ماذهبنا إليه من أن المقال بقلم صاحب « المنار » تحقق لنا ذلك باعترافه نفسه في العدد : (٣٤/٢ ص : ١٢٥) .

(٣) المنار : ٣٣/٥ (ص : ٣٨٣) .

مستقلة ، هي « اليمن وعسير والحجاز ونجد ... فسقطت حكومتان وبقيت حكومتان إحداهما في الجنوب والأخرى في الشمال ... » وبعد إطراء الملك عبد العزيز آل سعود على قبوله تحكيم الإمام يحي حول حادث « جبل العرو » والتوصل إلى اتفاق حوله[١] يتساءل مستنكراً « فما عدا مما بدا ؟! » ، ماضياً في التساؤل عن الزحوف اليمنية التي سمع أنها « قد استولت عنوة على مقاطعة نجران ، واقتحمت حدود عسير بعد خيبة الوفد السعودي الذي يقيم لدى الإمام العظيم [؟!] منذ شهور للمفاوضة في عقد معاهدة ودية حليفة بين المملكتين تحد الحدود وتسد الذرائع .. »[٢] وبعد أن يشكك في صحة الخبر أو المبالغة فيه « لما اشتهر عن الإمام الهمام من تقوى الله وحفظ حدوده ... لكنه يطمع في ضم عسير إلى اليمن ويجد من دعاة الفتن خصوم الملك السعودي من يزينون له هذا الطمع ... »[٢] ويعقب عليه صاحب « المنار » بأن ذلك مانشر عقب انتشار الخبر في الصحف و « ذعر الأمة به ، ثم جاءنا من الإمامين ـ كليهما ـ ماهو صريح في مبالغة الجرائد في التشاؤم ، وتبرئهما من إرادة الحرب ، وتفاوضهما الودي للاتفاق ، ولكننا نرى أنه لا سبيل إليه إلاّ بالمعاهدة ، واجتناب اعتداء الحدود في عسير ونجران بعد الاتفاق عليها كما هي .. »[٣] .

☆ ☆ ☆

(١) المنار : ٣٢/٥ (ص : ٣٨٣) وراجع (ص : ١٥٢ فيما تقدم عن حادث جبل العرو) .

(٢) المنار : ٣٢/٥ (ص : ٣٨٤ ـ ٣٨٥) .

(٣) انظر النص كاملاً في الملحق (٥٥) .

١٣ ـ ما بين الإمامين في جزيرة العرب (سلبية يحي وإيجابية ابن سعود) :

عاد صاحب « المنار »[1] للكتابة حول الخلاف الدائر بين الإمام يحي والملك عبد العزيز والمنذر بشؤم الحرب ممهداً ، لما أشرنا إليه في الفقرة السابقة ، من مسعاه في التوسط بينهما وعرضه لوجهتي نظرهما كما عبرت عنه صحفهما . ويذكر أن من مساعي الاتحاد والتحالف بينهما ماقام به شخصياً ، بل كان من أول المبادرين ، وعارض ذلك السعي الحميد سعي ذميم أشد نشاطاً إلى إفساد ذات البين ، ومع ذلك لم ينل منالاً . فما هو العائق من التحالف والتفاهم وإبرام الميثاق ؟

يعزو السيد رشيد رضا ذلك ـ ليس إلى ماقد يتبادر إلى الذهن من الخلاف حول الحدود والمناطق المتنازع عليها ، بل إلى : « اختلاف بينهما في بعض الصفات النفسية والأخلاق :

فالإمام يحي حميد الدين : يغلب عليه خلق المحافظة على القيم ، وطول التروي في كل جديد ، وإن كان جيداً نافعاً ، فسياسته سلبية في الغالب ، ورث هذا الخلق إرثاً ، ومرن عليه بما كان من مكافحته كأسلافه الدولة التركية ، قتالاً ودفاعاً ، وسياسة سلبية لحفظ استقلالهم ، وحكم الإمامة في بلادهم .

---

(١) المنار : ٣٣/٧ (ص : ٥٤٣) الصادر في ١٢ شعبان ١٣٥٢ هـ / ٣٠ نوفمبر ، تشرين الثاني ١٩٣٣ م .

ـ **وأما الملك عبد العزيز آل سعود :** فهو مجدد إيجابي السياسة والإدارة ، كما يعلم من تاريخه منذ كان ضيفاً في الكويت لاجئاً إلى شيخها إلى أن استعاد بعزمه وحزمه إمارة آبائه المسلوبة ، إلى أن صار صاحب سلطنة واسعة يديرها بالتجديد المدني ، فقد جدد في الحجاز في بضع سنين مالم تفعله الدولة التركية ولا بعضه في أربعة قرون . ولهذا كان هو البادىء بدعوة الإمام يحي إلى الاتحاد والتحالف ، وكان هذا يرجىء ويسوف ، وكل منهما يعتقد أن الخير له ولبلاده ... وهو على هذا عامل بمقتضى خلقه وشعوره المختلفين بين إقدام وإحجام وإيجاب وسلب ، حتى انتهى هذا إلى تعبئة الجيوش وتوقع إيقاد نار الحرب ، والعقلاء من جميع الشعوب والملل مجمعون على الاتفاق السلمي خير لكل منهما من كل ما يتصور من الربح في نيل مراده ، وأن الحلف الثابت المطمئن ، خير من السلم المضطرب .»[1]

ثم يذكر أنه لكثرة تخبط ما تنشره الصحف العربية فقد نشر كلا الطرفين بيان الحقيقة التي يراها في جريدة عاصمته التي هي لسان حاله ، وأنه راءٍ نشر ذلك « ليبني عليه الحكم العادل ويحفظ للتاريخ » وبدىءبما نشر في جريدة « الإيمان » اليانية في عددها (٨٥) الصادر في جمادى الأولى سنة ١٣٥٢ هـ / أغسطس ، آب ١٩٣٣ م .



(١) المنار : ٣٣/٧ (ص : ٥٤٣) .

١٤ ـ جريدة الايمان : « ويل لكل أفّاك أثيم » !

جاء مقال «الايمان» في نفس الشهر الذي أعاد «المنار» نشر ما ذكر أن بعض الجرائد المصرية قد نشرت عن الخلاف «اليمني ـ السعودي» بعنوان « ويل للعرب من شرقد اقترب» وهو من حديث نبوي بقيته «أفلح من كف يده» فكان عنوان ردّ «الإيمان» آية قرآنية ، وكان المقال موجهاً لأولئك :

« المخبرين والمفترين » الذين لاحظت « الإيمان » أنه ومع مرور الأسابيع قد تطورت أحوالهم وكتاباتهم إلى :

« فصول طوال استغرقت أعمدة من الجرائد واشتملت على كثير من المكايد والغش والخداع للعرب خصوصاً وللإسلام والمسلمين عموماً .. وقد عجب واستغرب جداً كل سكان جزيرة العرب سواء كانوا في اليمن أو في الحجاز أو في نجد ما يشيعه خدمة الدرهم والدينار وما يشوهون به وجه الحقيقة الذي هو أجلى من شمس النهار ، وما يختلقونه من زعم توتر العلاقات بين حضرة مولانا الإمام وبين حضرة الملك عبد العزيز آل سعود وأن في الجزيرة ما يعد مقدمات الحرب ... وتصوير ما انطوت عليه تلك النفوس الشريرة من أن في البين موقف دفاع ...» .

وبعد نفي كل ذلك أكدت « الإيمان » حرص الإمام يحي على معالجة كل القضايا الثنائية بالروية والمراجعات الودّية الأخوية ومن ذلك قضية شهداء « تنومة » من الحجاج الأبرياء .

« الذين يربو عددهم على ثلاثة آلاف شهيد قتلوا ظلماً ، وهم عزل من السلاح » .

وفوض فيها الملك عبد العزيز لعدم إثارة فتنة ورغم أنه :

« لم يزل دويٌّ الصراخ من أفراد شعبه يتردد بقواته في كل آن .. » .

ثم دافعت عن حقيقة دخول القوات اليمنية نجران وأن ذلك لم يتم إلاّ بعد أن كتب الإمام يحي للملك عبد العزيز فرجع جوابه .

« حاوياً لكل إنصاف واعتراف »..

وتساءلت : « متى كان نجران - وهو من اليمن وإلى اليمن - إلى غيره ينسب ، وفي غيره يذكر ، وإلى هذه الساعة لم ينصب فيه علم لأحد غير ذويه ، ولا دان بطاعة لحضرة الملك عبد العزيز ولا سواه ..»

أما عن عسير ومالإليها فتضيف « الإيمان » :

« وكيف كان فصلها عن أمها اليمن وهي منها جغرافية ، وسكانها من أهل اليمن نسباً (فإن الإمام) لم يقابل ذلك بغير المراجعة الودية والصبر الجميل .. »[1] .

تلك أهم نقاط « الإيمان » ، وقد استمرت بعد ذلك من وقت لآخر تشرح وجهة النظر هذه متهمة أعداء العروبة والإسلام بالدس وتوسيع شقة الخلاف والدفع إلى إشعال نار الحرب[2] التي لم ينفع المحذور من وقوعها .

☆ ☆ ☆

(١) المنار : ٣٢/٧ (ص : ٤٤ - ٥٤٧) وراجع النص في الملحق (٥٦) .

(٢) راجع (بشكل خاص) « الإيمان » : ٨٩ ، ٩١ ؛ ٩٥ ؛ ١٠٢

١٥ ـ أم القرى : « بين الرياض وصنعاء » :

أما مقال « أم القرى » الذي يمثل وجهة النظر الأخرى ، فقد كان في الواقع رداً رسمياً على ما نشرته « الايمان » ، ولكن عن طريق ما نشرته جريدة « فلسطين » الذي جاء في شكل رسالة (أو مرفقاً برسالة) موجهة من الإمام يحي إلى [حسن] تحسين الفقير ـ الموجود بدمشق ـ[1] كما ذكرت « أم القرى » والتي كانت :

« تود السكوت إلى النهاية حتى تنشر الخبر الحاسم في الأمر » .

لكن الإمام قد أشار :

« للأمور التي هي موضوع الخلاف بين البلدين ، وقد سألنا بعض المصادر المطلعة عن حقيقة ما أشار إليه سيادته [أي الإمام] في كتابه فأطلعنا على بعض المعلومات التي نوردها للرأي العام العربي والإسلامي ليكون على بينة من الأمر »[2] .

ثم أجملت ذلك في أربع قضايا (ردود) نلخصها فيما يلي تاركين تفاصيلها مع مقال « الإيمان » في الملاحق[3] :

(١) كان الفريق حسن تحسين باشا الفقير من القادة (العرب) في الجيش العثماني وكان من مسؤليه في اليمن حين وقع الإمام يحي مع الدولة العثمانية اتفاق دعَّان ١٣٢٩ هـ / ١٩١١ ، وبعد الانسحاب العثماني عقب الحرب الكونية الأولى كان ممن فضل البقاء في إدارة الإمام يحي فأسس جيش (الدفاع) ، وقد كان دائم الصلة بوطنه الأول (سورية) فكان أحد القادة الصامدين في معركة ميسلون (١٣٣٨ هـ / ١٩٢٠ م) مع الشهيد يوسف العظمة وزير الحربية السوري في مواجهة الجيش الفرنسي الذي احتل دمشق بعد المعركة ، وقد عاد إلى اليمن واستمر في عمله بها حتى رجع أخيراً بعد الحرب العالمية الثانية إلى مسقط رأسه ومات بدمشق عام ١٣٦٥ هـ/١٩٤٦ .

(٢) المنار : ٣٣/٧ (ص : ٥٤٨) .

(٣) الملحق (٥٦) .

١ ـ دفاع الإمام عن نجله سيف الإسلام أحمد والجريدة (أو بالأصح المصدر المطلع) تثق بأنه ووالده الإمام لا يحبون أن تشتعل نار الحرب بين البلدين .

٢ ـ العلاقة المتينة بين الإمام والملك « وهذا شيء نتمنى أن يدوم وأن يصل الفريقان لحل المشكلة ..» .

٣ ـ الإشارة إلى حادثة « تنومة » وإثارة حفيظة الشعب اليمني بسببها وقد رأت « أم القرى » أنها مناسبة لشرح ملابساتها ، وذكرت تفاصيل الرواية السعودية من منع أمير « أبها » للحجاج اليمنيين من العبور إلى« مكة » حيث كان هنالك أنصار للملك حسين واشتباكات مع رجال ابن سعود (جند الإخوان) « على ما به من شدة وغلظة وقسوة في الحرب .. » وظنوا أنهم عصبة حسين وكان ما كان « ولم يتصل الخبر بجلالة الملك حتى تأسف للحادث أكبر الأسف وكتب لسيادة الإمام كتاباً رقيقاً يظهر فيه أسفه لذلك الحادث .. ولم يخل الإخوان من المسؤلية في ذلك رغم الشبه ...» .

٤ ـ وأخيراً فما « قضية اليمن لليمنيين ، وكلمة الوحدة اليانية وأن عسيراً وجيزان [لعل المقصود نجران] ، من اليمن ، وأكثر من هذا سمعناه قبل اليوم ، وكنا نعرض عن البحث فيه لاعتقادنا أن هذه دعوى لا يتمسك بها ذو دين .. »

وانطلقت « أم القرى » في أكثر من صفحتين تدافع عن فكرة وحدة الأمة الإسلامية ؛ ذلك أن دعوى « الوحدات الجزئية من الأمة الواحدة

فكرة انتشرت ـ ويـا لـلأسف ـ عن طريـق مـدارس التبشير المسيحيـة في مصر وسورية ليفسدوا على المسلمين عقائدهم الدينية وعلى العرب جامعتهم العربيـة السيـاسيـة .. » ومن هـذا المنطلـق كان ضم عسير ، وتتعجب في النهاية من دخول قوات الإمام إلى « نجران » وليس لأهله ذنب إلاَّ « لأنهم ينتسبون إلى نجـد وأنهم عـاهـدوا جلالـة الملـك وبـايعوه على بيعـة آبـائهم وأجدادهم .. »[1] .

☆ ☆ ☆

١٦ ـ تعليق « المنار » وتوقع الحرب :

علق صاحب « المنار » ملخصاً وجهتي النظر ، ذاكراً أنـه من جـانبـه كاتب الملكين وتلقى جوابات لم ينشرها ، ويضيف كلاماً هاماً يـدل على معرفة ببواطن الأمور **وأن توقيع اتفاقيـة أو معـاهـدة تقر الحـدود بين البلدين بشكل نهائي أمر لا بد أن يتم بالحرب أو بالسلم** ، أو كما ذكر :

« وعلمنا أن الملك ينكر على الإمام أموراً لم ينشرها بل جعلها موضوع المفاوضة الخاصـة بينهما ولكن حشـد الجيوش وحشرهـا على الحـدود متصل من كل منهما . والملـك عبـد العزيز واسع الصـدر والحلم ، صريح في حزم وعزم ، إذا شرع في شيء لا ينثني عن إمضـائـه ، إلاَّ إذا ثنـاه القـدر ، وهو لا يطلب من الإمام يحي إلاَّ توقيع معاهـدة صريحـة ، تقر الحـدود وتضمن الحقوق بما يسد ذرائع العدوان ، فلا يتكرر مـا وقع في جبل العرو ووادي

(١) المنار : ٣٣/٧ (ص : ٥٤٩ ـ ٥٥٣) وراجع الملحق السابق (٥٦) .

نجران ، فنسأل الله أن يصلح ذات بينهما بغير قتال ويحسن العاقبة »[1]

كان هذا قبل أربعة أشهر من حدوث ما كان السيد رشيد رضا يدعو الله في عدم وقوعه ولكن الدعاء لا يرد القضاء .

☆ ☆ ☆

١٧ ـ تقاريظ لكتاب « الوحي المحمدي » :

لم يرد في عدد « المنار » التالي أي تعليق ، وبقي عددان من سنته الثالثة والثلاثين ، وهي السنة قبل الأخيرة من « المنار » وصاحبه .

أما العدد التاسع[2] فقد اكتفى « المنار » بنشر أربعة تقاريظ لكتاب صاحبه العلامة محمد رشيد رضا « الوحي المحمدي » الذي كانت طبعته الأولى قد صدرت في نفس العام ونفدت فأعاد طبعه ثانية ، أما رسائل التقريظ فمن الإمام يحيى والملك عبد العزيز ، وإمام إباضية عمان محمد بن عبد الله الخليلي ، وشيخ الجامع الأزهر السابق محمد مصطفى المراغي ، وقد نشرها بحسب تاريخ ورودها مستهلاً الأولين « لملكي الإسلام الكبيرين ، الإمامين الجليلين : إمام **العترة الزيدية** يحيى بن محمد حميد الدين وملك اليمن الميمون ، وإمام **أهل السنة والجماعة** عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل ملك المملكة العربية السعودية

---

(١) المنار : ٣٣/٧ (ص : ٥٥٤) .

(٢) المنار : ٣٣/٩ (الصادر في ١٤ ذي القعدة ، ١٣٥٢ هـ/٢٨ فبراير ، شباط ١٩٣٤ ، (وقد ورد خطأ مطبعي للسنة الميلادية فكان سنة ١٩٣٣ ،) .

وخـــادم الحرمين الشريفين أدام الله تـوفيقهما ، وأعــز العرب والإسـلام باتفاقهما وتعاونهما ..»[1]

ويلاحظ خطؤه الغريب في قوله « إمام العترة الزيـديـة » فـالعترة منسـوبـة إلى النبي الكريم وآل بيتـه . فهم « العترة النبـويـة » وليست « العترة الزيـديـة ؟! » وقـد جـاءت رسـالـة الإمـام يحيى أكثر الرسـائـل وأحسنها في فهم المقصود من التقريظ وإطراء صاحبه ، فالكتاب :

« ... والحـق يقـال وحيـد في بـابـه مـوضـوعـاً وتنسيقـاً واستـدلالاً وسياقاً ..» .

كما كان الإمـام ذكيـاً وسخيـاً (**على غير عـادتـه**) حين طلب في آخر رسالته إرسال مائة نسخة على حسابه ، وكان تـاريخ الرسـالـة ٢١ جمـادى الآخرة سنة ١٣٥٢ هـ / ١٠ اكتوبر ، تشرين الأول ١٩٣٤ »[2] .

☆ ☆ ☆

١٨ ـ مقالان في « المنار » والحرب دائرة :

صـدر آخر أعـداد هـذه السنـة (٣٣/١٠) في سلـخ ذي الحجـة سنـة ١٣٥٢ هـ / ١٤ إبريل ، نيسان ١٩٣٤ ، وكانت الحرب اليمنية ـ السعوديـة بكل ملابسـاتهـا المعروفـة قـد مضى عليهـا نحو عشرة أيـام ، واستمرت حتى وافق الملك عبد العزيز على الهدنة في ٢٩ محرم / ١٧ مـايو ، أيـار بعـد أن

(١) المنار : ٣٣/٩ (ص : ٦٩٧ ـ ٦٩٩) .

(٢) نفسه ، وراجع الملحق (٥٧) للمقارنة بين الرسائل الأربع .

زحفت القوات السعودية ودخلت الحديدة بقيادة الأمير (الملك) فيصل بن عبد العزيز في ٢٠ محرم / ٤ مايو ، وكانت قوات الإمام يحيي قد تراجعت منسحبة نحو الجبال ،وبعد خمسة أيام عقد مؤتمر للصلح تمخض عنه « معاهدة الطائف » الشهيرة ، وأطلق عليها « معاهدة صداقة إسلامية وأخوة عربية » ووقع عليها عن اليمن السيد (الإمام) عبد الله بن أحمد الوزير وعن العربية السعودية الأمير (الملك) خالد بن عبد العزيز في ٦ صفر ١٣٥٣ هـ / ٢٠ مايو ، أيار ١٩٣٤ ،[(١)] .

كان في ذلك العدد من « المنار » مقالات حول هذا الحدث الذي شغل الصحافة والرأي العام العربي والعالمي ، وكان الأول بنفس أحد العناوين لمقال سابق هو « ويل للعرب من شر قد اقترب »[(٢)] ، وقد تطرق فيه - كما فعل في سابقه - إلى أوضاع العرب السيئة ودور الصهيونية واليهود النشط في نزع فلسطين من أهلها وتأسيس ملك جديد لهم (كان هذا قبل قيام إسرائيل بخمس عشرة سنة) ، ثم يتحدث عن موضوع الخلاف والشقاق بين الإمام يحيي والملك عبد العزيز ومعرفته وعلمه بحالة العرب عامة وحالة الملكين بشكل خاص ، ومدى إخلاصه في مكاتبته ونصحه لهما اثنتين وعشرين سنة ، ثم يعرب عن أسفه لمن يتصدون في مصر للسعي

---

(١) انظر نصها في (الملحق ٦٤) وكانت مدتها عشرين عاماً جرى تجديدها الأول بين الملك عبد العزيز والإمام أحمد في شهر جمادى ١٣٧٣ هـ/مارس ، آذار ١٩٥٣ ، والثاني سنة ١٣٩٢ هـ ١٩٧٢ م حين زيارة المرحومين رئيس الوزراء القاضي عبد الله الحجري ونائبه وزير الخارجية الأستاذ محمد أحمد نعمان للرياض في ذلك التاريخ .

(٢) المنار : ٣٣/١٠ (ص : ٣٤٥ - ٣٤٩) .

بين الملكين مع جهلهم بالحقائق وكنه الخطر فيا لو اندلعت الحرب ، وبعد حديث طويل حول الموضوع وعودة إلى الأوضاع العربية السائدة ، يقترح ضرورة السعي لإصلاح ذات البين والاتفاق على الأسس التي عقد من أجلها مؤتمر « أبها » (كان قد فشل في ٢٢ مارس ، آذار ١٩٣٤ م ، وكان ذلك إيذاناً بالحرب) وذلك ما فعله باسم المؤتمر الإسلامي العام الحاج أمين الحسيني وتكليفه صاحب« المنار » بالإبراق إلى الإمام يحي والملك عبد العزيز بتأييد وساطة المؤتمر ، وقد ألف وفد لهذا المسعى سافر إلى جدة ، كما أيد الحاج أمين وردَّ على برقياته أشهر أمراء مصر وزعمائها ، ويلح في الأخير بأن :

« الواجب على المخلصين ممن أظهروا الرغبة في إرسال وفد أو وفود أخرى أن يؤيدوا ذلك الوفد ويضعوا ثقتهم فيه وحده ، إذ لا حاجة إلى إرسال غيره ، فرجاله ثقات معروفون بأنفسهم لا ببرقياتهم وألقابهم ، ولا يخالفهم إلاَّ من يريد إحباط أعمالهم »[1] .

إن صاحب« المنار » يشير إلى وفد المؤتمر الإسلامي (الذي مركزه القدس) والذي كان رئيسه الحاج أمين الحسيني هو رئيس الوفد ، وأعضاؤه محمد علوبة باشا (مصر) والأمير شكيب أرسلان (سورية) والذي استدعي على عجل من جنيف ، وهاشم الأتاسي (سورية) ، بالإضافة إلى جميل مردم بك وعفيف الصلح وكلاهما كالسابقين من كبار زعماء سورية وآخرين ، وقد قام الوفد بجهود كبيرة ، كما شارك في إنهاء

(١) انظر الملحق (٥٨) .

الحرب وسافر بين البلدين لإتمام المفاوضات وعقد معاهدة الصلح[1] .

☆ ☆ ☆

أما المقال الثاني ـ في العدد نفسه ـ فقد كان بعنوان « تحرير محل التنازع بين الإمامين ، ومصلحة المسلمين عامة والعرب خاصة في عاقبته »[2] ، وهو في اتجاه سابقه نفسه ، غير أنه يتحدث أيضاً بأن من بين الساعين في إيقاف الحرب وعقد الصلح محبين للصلح وآخرين « محبو الشهرة » وبأنه لاحظ على كثرة ما نشره هؤلاء في الصحف بأن أياً منهم لم يذكر قولاً :

« في بيان محل التنازع الواقع كما هو .. فأكثر الذين كتبوا في الجرائد وخطبوا في المجامع ، حتى الذين تصدوا للسعي إلى الصلح لم نسمع منهم ولا عنهم ما يدل على أنهم على علم بما ذكرنا ، بل لقد قال رئيس جمعية في محفل جامع : إننا لا نريد أن نعرف المحق من المبطل ، ولا المعتدي والمعتدى عليه ، وإنما نريد السعي إلى الصلح ، أي بغير علم !! »[2] .

وهنا يشرح السيد محمد رشيد رضا فهمه لمحل التنازع الذي له :

« وجهة حقيقية واقعة ، ووجهة نظرية طامعة ، ووجهة مصلحة إسلامية عامة ، ووجهة مصلحة عربية خاصة ..»

وخلاصة ما أراده بطول المقال هو دعم الملك عبد العزيز الذي يمثل

---

(١) راجع ملحق (٦٧) وانظر : د. سالم : تكوين اليمن (٤٠١ ـ ٤٠٦) ؛ الخترش : تاريخ العلاقات : ٢٦٦ ـ ٢٧٨

(٢) المنار : ٣٣/١٠ (ص : ٣٥٠) .

الحق ، وليس الطمع في « عسير ونجران » ، والمصلحة الإسلامية العامة وليس المصلحة الإقليمية العربية وأن مجمل المفاوضات بين الملكين :

« انتهت إلى الاتفاق بينهما على بقاء عسير على ما هي عليه بيد الدولة السعودية ،وعلى تسليم الإمام مَنْ عِنـدَه من آل الإدريسي ، وعلى حل مشكلة نجران بالمفاوضة في مؤتمر أبها »

ولأن صاحب « المنار » مطلع على الأمور خبير بالشؤون العربية والإسلامية ـ كما سبق أن ورد ـ وغيره جاهل فقد أضاف :

« وكان المرجو أن يتساهل الملك فيها [أي مسألة نجران] لو أن وفد الإمام لم يطلب إعادة النظر في مسألتي عسير وآل الإدريسي بعد الاتفاق عليهما ، فهذا الطلب هو الذي أوجب قطع الوفد السعودي للمفاوضة وصيرورة الدولتين في حالة حرب .. »[1] .

إن هذا الكلام هو رأي صاحب « المنار » ويمثل وجهة نظر أحد الطرفين ، أما الطرف الآخر (الإمام يحيى) فقد كتب إلى صاحب « المنار » عدة رسائل جوابية يؤكد له فيها موقفه من الرغبة الصادقة في المعاهدة إلاَّ أنه « يكره تجزئة اليمن وفصل قطعة منها عن أمها الطبيعية ..» ، وقام صاحب « المنار » بنشر تلك الرسائل مع رسائله إلى الإمام في العدد التالي وهو أول أعداد السنة الأخيرة .



(١) المنار : ٣٢/١٠ (ص :٧٥١) وراجع الملحق (٥٩) .

١٩ ـ الرسائل المتبادلة بين الإمام يحيي وصاحب « المنار » :

حين صدر العدد الأول من السنة الأخيرة « للمنار »[١] بعد شهرين من صدور آخر أعداد السنة السابقة « الثالثة والثلاثين » ،كانت الحرب اليمنية ـ السعودية قد حطت أوزارها ، ومفاوضات الطرفين تجري وبمساعي الوفد العربي تم توقيع معاهدة « الطائف » بعد أسبوع .

وقد استهل السيد رشيد رضا هذا العدد بافتتاحية طويلة عن حال الأمة العربية وشدة عداء الدول الاستعمارية لها ، ثم تطرق إلى الحرب في الجزيرة وتفاءل بأن ما حدث :

« سيكون فصداً يخرج به ما في عروق الأمة من الدم الفاسد الذي ولدته الجهالة والتقاليد المذهبية الوضعية التي فرقت الأمة وجعلت أقوامها شيعاً متعادية .. » .

وإذ دعا بعد ذلك إلى تفويت الفرصة على الأجانب أعداء الأمة العربية بإبرام الصلح السليم القائم على غير « دَخَن » أي على غير ضغينة أو ضيم فإنه بعد ذلك قد جانبه التوفيق ، ففي الوقت الذي تبذل فيه المساعي للتقارب وتضميد الجراح ، يعقد مقارنة بين المنتصر في الحرب والمنهزم ، وقد يكون محقاً في بعض ما قاله إلاّ أن الوقت غير مناسب ، كما أن حديثه عن الخلاف المذهبي بين « الشيعة والسنة » في اليمن لا يقوم على أساس صحيح ، ولا حتى يخدم الأهداف العربية والإسلامية التي يدعو

---

(١) المنار : ٢٤/١ (الصادر في ٢٩ محرم سنة ١٣٥٣ هـ/١٣ مايو ، أيار ١٩٣٤ م) .

لها . لقد كان صاحب « المنار » منفعلاً وهو يجيب في مقاله هذا عن سؤال وضعه بماذا تجدد في العام الماضي من وسائل النجاح للعرب وللإسلام ، ويَجِبُ عليهم أن يوجهوا إليه أفكارهم وأفعالهم في هذا العام ؟[1] .

☆ ☆ ☆

كان ذلك موضوعاً عاماً متشعباً وسريعاً ، فمن الإعراب عن الحزن على وفاة ملك العراق فيصل وملك الأفغان ، إلى السرور بحضور مصطفى كمال أتاتورك صلاة العيد « مع رجال دولته الرسميين في المسجد ، وأنها لفاتحة خير تدل على ما يرجوه كثير من عقلاء الترك وغيرهم من رجوع هذه الحكومة إلى ما هو قطعي من هداية الإسلام » ، وغير ذلك من مواضع القوة والضعف عند الاستعمار والأمة العربية والإسلامية ..

ثم أفرد في نفس العدد مقالاً عن (جزيرة العرب والوحدة العربية) وسعيه « لعقد الاتفاق بين الإمامين وفقهما الله »[2] وهو بمثابة التمهيد لنشر خمس رسائل « مكتوبات » من صاحب المنار إلى الإمام يحي وردود الإمام عليها وذلك بين ٢٤ ربيع أول و ١٨ شعبان سنة ١٣٥٢ هـ / ١٦ يوليو ، حزيران ـ ٥ ديسمبر ، كانون الأول ١٩٣٣ م .

كرر السيد رشيد رضا في تمهيده من المقال ذكر سابق مساعيه الأولى والمبكرة في تأسيس جامعة حِلْفية للجزيرة العربية ، ثم مساعيه الجديدة

---

(١) المنار : ٣٤/١ (ص : ١ ـ ٨) .
(٢) المنار : ٣٤/١ (ص : ٣٩) .

بداية بما أرسله مع السيد حسين عبد القادر ممثل الإمام إلى مؤتمر مكة :

« حتى إذا ما خاب الوفد الأخير الذي أرسله الملك إلى صنعاء في العام الماضي وتجدد الشقاق ، ورأيت من خلل الرماد وميض نار ما خشيت أن يكون له ضرام ، عدت إلى السعي للاتفاق من أوله ، بما يعلم تفصيله من المكتوبات الآتية ـ ومنها تعلم قيمة ما يدعيه محبو الشهرة من السبق إليه بإرسال البرقيات ومحاولة تأليف الوفد بعد فوات الوقت ! » .

ثم يضيف ما يفهم منه أن هنالك رسائل أخرى لم ينشرها ، كما أنه لم ينشر مراسلته مع الملك عبد العزيز لما فيها : « من الحرية والصراحة التامة في جميع المسائل « وهو » ما لا يجوز نشره إلاَّ أن يكون بإذنه بعد العلم بالمصلحة فيه ... »[1] .

والسيد رشيد رضا بهذا لم يستأذن من الإمام يحيى ، كما أنه لا يوضح المصلحة من النشر ، إلاَّ إذا كان قصده البرهان على أنه كان :

« يشك في إقناعه لما أعلم من طباعه وسياسته السلبية ، ومن كون الخطر عليه من الحرب أقوى ... حتى إذا ما يئس [عبد العزيز] من إجابته [يحيى] وأعلن له الحرب بقطع مفاوضة أبها ، علمت أنه قد بطل قول الألسنة والأقلام ، وأعطي القول الفصل للحسام ، فلن يقبل الملك لأحد قولاً إلاَّ من بعد حكمه .. وسيعلم الإمام وأنصاره بما يضر ولا ينفع من الكلام ، من نصح له عن إخلاص وعلم ، ومن غشه بالدهان وقول الإثم ... »[1] .

---

(١) المنار : ٣٤/١ (ص : ٤١) .

ثم نشر الرسائل التي وجدنا أنه قد يكون من الأيسر والأوجه أن نذيل بها هذا الفصل بدل إضافتها كغيرها من نصوص « المنار » في الملاحق لعلاقتها بصلب الموضوع .

المكتوبات بين صاحب المنار وجلالة الإمام يحيي في التنازع الأخير

بينه وبين جلالة الملك عبد العزيز آل سعود

المكتوب الأول في ٢٤ ربيع الأول سنة ١٣٥٢

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رشيد آل رضا إلى حضرة صاحب الجلالة الإمام الهمام سليل الأئمة الأعلام ، عليهم السلام .

السلام ورحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد ، أما بعد : فقد أزعجنا وأمضنا نبأ مرضكم ، وما كدنا نبتهج بنبأ نقاهتكم ، إلا وتلاه النبأ الصادع بوقوع الشقاق بين حكومتكم والحكومة السعودية المنذر بقرب وقوع الحرب ، وبخيبة الأمل الذي كان ينتظره كل عربي مخلص لأمته وكل مسلم لملته ، وحريص على سلامة مهد دينه ، من عقد الحلف بينكم وبين الدولة العربية السعودية بمساعي الوفد السعودي الذي كان في رحابكم منذ أشهر ، إذ تجاوبت الأنباء بأن الوفد كان في صنعاء كالمحجور عليه ، وأنكم أذنتم له بالرجوع أدراجه بعد إلحاح ملكه بالطلب فانقلب خائباً مخذولاً ، إلى ما أنتم أعلم به ، ولا يعنينا تفصيل جزئياته ، ولا تحقيق مقدماته ، وإنما تعنينا النتيجة ، وهي تسوء كل عربي وكل مسلم ، إلا الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون ، ولو علمتم بسوء تأثيرها في

مصر وسوريـة وفلسطين لهـالكم ، ولتجـافى بجنبكم عن مضجعكم ، ولعلمتم أنـه لولا عـذر النـاس لسيـادتكم بمرضكم لخسرتم بهـذه الحـادثـة مـالكم في القلـوب من السيرة الحميدة في العقل والرأي والتقوى ، والحرص على حفـظ سلطـان الإسلام وحكمـه ، واستقلال الجزيرة العربية ، وسد ذرائع تسرب النفوذ الأجنبي إليها ، وخطرةٌ على بلادكم أشد ، ولا شك أن حُرم الله تعـالى ورسولـه عليكم أعز ، ولكن الأمل فيكم لم ينقطع ، ولن ينقطع إن شاء الله تعالى ، وقـد تضـاعف الإعجـاب بـأخيكم الملـك السعودي : دينه وعقله وحكمته ، إذ علموا بما أبرق إليكم في الخطب المدلهم .

أيهـا الإمـام الحكيم ، التقي الحليم : لقـد علم الرأي العــام الإسـلامي ولا سيما العربي ، أنـه لـو فجعت الأمـة بكم في هـذا المرض ، لقضى ولي عهـدكم الشـاب على جـزيرة العرب ، فهـو (أي الرأي العـام) يرجـو أن تبــادروا قبـل كل عمـل إلى الاتفاق مع أخيكم الملك الحكيم ، على التحالف والتعاون على حفـظ هـذه الجزيرة المقدسة من دسائس الأجـانب والمفسـدين ، وعلى عمران المملكتين اللتين وكل الله أمرهما إليكما ، وتعزيز قوتهما في حياتكما الشريفة العزيزة قبل أن يئول أمرهـا إلى أنجالكما ، الذين لا تضن أمتكما وملتكمـا أن يكون لهم من الحكمـة والخبرة والرويـة مثل ماآتاكما الله تعالى ، إلا أن يتربوا في كنفكما ، وظل مـا تضعـان من النظـام ، ومـا تنفـذانـه منـه لإعزاز الإسلام ، بعز العرب في جـزيرتهم ، ومنبت أرومتهم ، ومهد دينهم ، و « إذا ذلت العرب ذل الإسلام » كما قـال الصـادق المصـدوق عليـه وعلى آلــه الســلام ، ولا ذل للعرب إلا إذا ذلــوا في جــزيرتهم ، وحصن دينهم ، ومأرزه الوحيد في هذا العهد : عهد تداعي الأمم عليهم ، كما نطقت به الأحـاديث النبوية الصحيحة الصريحة وسيادتكم أعلم بها .

أيها الإمام العليم ، الحكيم الحليم :

مهما يكن عليـه أمر الحـدود بين اليمن السعيـدة والمملكـة السعوديـة من حق

سياسي أو جغرافي ، فلا قيمة له تجاه الاتفاق والتحالف بين المملكتين ، فكل منهما واسع الأطراف ، قابل لأضعاف ما هو عليه من العمران ، فلا يعذر أحد منكما بتعريضه للخراب لأجل توسيع حدوده بحق أو باطل ، وأما إذا اتفقتما وتحالفتما تحالفاً صريحاً ، وعاهدتم الله تعالى والأمة على الإخلاص في الولاء والتعاون ، فإن كلا منكما يأمن على حدوده ، ويخلو له الجو لعمران بلاده ، وجعل استعداده الحربي موجهاً إلى أعداء الله وأعداء قومه ، وذلك ربح لا يعلوه ربح ، وهو ما يطالبكم به الدين وأهله أجمعون .

أيها الإمام : إن جزيرة العرب هي تراث محمد رسول الله وخاتم النبيين ، للإسلام والمسلمين ، لا لعبد العزيز الفيصل السعودي ولا ليحي حميد الدين ، **فاختلافكما وتعاديكما يضيع الإسلام ، ولئن ضاع في جزيرة العرب فلن تقوم له قائمة في غيرها ، فجميع المسلمين تحت سلطان الأجانب ، إلا قليلاً من الأعاجم ، أنتم تعلمون حالهم ، وما ينتظر من ما لهم ،** فيجب أن تتذاكرا هذه التبعة ، وتتقيا الله وتحرصا على حسن الخاتمة ، والسلام .

منشيء المنار

محمد رشيد رضا

(حاشية)

قد كتبت إلى الإمام عبد العزيز ملك العربية السعودية بهذا المعنى أيضاً

جواب الإمام يحيى عن المكتوب الأول

ختم إمارة المؤمنين

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد العلامة الأستاذ محمد رشيد رضا حفظه الله وأدام عليه نعمه والسلام عليه ورحمة الله وبركاته .

قد تناولنا كتابكم الكريم وشكرنا ما أظهرتموه من الغيرة المحمودة بإزاء ما نفخ به الشيطان في مناخر من لاخلاق لهم . ولقد عجبنا واستغربنا جداً ما يشيعه خدمة الدرهم والدينار ، وما يشوهون به وجه الحقيقة الذي هو أجلى من شمس النهار من توتر العلاقات بيننا وبين حضرة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن حرسه الله ، وحصول مقدمات الحرب ، والتأهب من الطرفين لاقتحام مجال الطعن والضرب ، مع ما ينسبونه إلينا من إرداة ذلك ، وما ينسبونه إلى ولدنا العلامة سيف الإسلام ، أحمد بن أمير المؤمنين حفظه الله من التشوق لإضرام نار الحرب وكل ذلك محض الافتراء وقد خاب من افترى . فإنه ولله الحمد لم يحدث ولم يتجدد الآن بيننا وبين حضرة الملك عبد العزيز ما يقدح زند العدوان ، فما حدث إلا الجميل وحسن الرعاية من الطرفين ، وحتى الآن المراجعات الودية بيننا مستمرة ، والأحوال كما هي عليه مستقرة ، وكيف يكون من مثلنا سعي يخالف صالح المسلمين ، وإقامة شريعة سيد المرسلين ؟ وهل يقبل العقل السديد أن يكون منا الآن إثارة فتنة تخالف صالح الإسلام والمسلمين .

والحال أنا ما زلنا ولا نزال نسمع من شعبنا السعيد ما يثير الحفيظة مما كان بتنومة من قتل نحو ثلاثة آلاف مسلم آمين بيت الله الحرام ،لأداء فريضة الإسلام ، ويرفعون بذلك عقائرهم ، ولم نزل نصبرهم بحسن العبارات ، وألوان الاعتذارات ولم يمكن لنا أن نصدع حضرة الملك بذلك ، مع أنا حكّمناه في ذلك

عقيب الواقعة وأجاب بكل انصاف . أفهذا السكون يكون من مريد لتأجج جحيم الهيجا ، يا ذوي الحجى ؟ كلا .

ولقد علم من تحت أديم السماء ما كان من فصل قطعة من اليمن الميمون عن أمها اليمن الخضراء مع علم كل ذوي العقول أن قطعتي عسير وما إليها ، وجازان وما إليه ، هما من اليمن جغرافية ونسباً ومع ذلك فلم يصدر منا غير الجميل ، بل كان منا السعي الكامل للإصلاح في الفتنة الناشئة بين السيد حسن الإدريسي وبين حضرة الملك عبد العزيز ولم نقل جآن لما عندي مزاجا ، أفيكون هذا من مريد لبذر البوس ، واقتباس نار أحر من نار حرب البسوس ؟ كلا ولكنها الأهواء عمت فأعمت .

وأما ولدنا سيف الإسلام أحمد بن أمير المؤمنين فلم يكن من أعلاج الأغتام ، وإنما هو بضعة من رسول الله ﷺ ، ومن العلماء العاملين ، وأنه لأشد الناس رعاية للصداقة بيننا وبين حضرة الملك عبد العزيز ، وإنا نعلم يقيناً ردوده على المحرشين بأعظم رد ، فليكف المفترون عن أقوالهم المزورة ، وليستحوا من العالم بأكمله لافتضاح لهجاتهم الكاذبة مرة بعد مرة ، إن كانت لهم ديانة ورعاية لمكارم الأخلاق ، فقد أوضحنا لكم الحقيقة برمتها حيث شاهدنا في كتابكم وفي غيره ما يومي إلى اعتقاد أن المنشور في الجرائد من قبيل الحقائق ، وما كنا نؤمل أن تخفى عليكم مصادرها ، ومن هو الملوم فيها ، وثقوا بأنه لا يكون أي اندفاع إلى خصام ، ولا امتشاق حسام ، مهما استمرت الحالة على ما كانت من قبل ، سواء كان إسعافاً بانصاف أو بقيت الحالة على ما هي عليه لم ترع لنا فيها الحقوق ، والحامل على هذه الطريقة وهو رعاية ما فيه صالح الإسلام والمسلمين ، هذا والدعاء مستمد والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

٢٢ جمادى الأولى سنة ١٣٥٢ هـ .

المكتوب الثاني إلى الإمام
في ٦ جمادى الآخرة سنة ١٣٥٢
بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رشيد آل رضا إلى حضرة صاحب الجلالة الإمام الهمام ، سلالة الأئمة الأعلام ، عليه وعلى آله السلام .

السلام ورحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد . أما بعد : فقد تشرفت أمس بكتابكم الجوابي فسررت جد السرور ببشارتكم إياي بما شرح الصدر في مسألة العلاقة بينكم وبين أخيكم في الدين ، وصنوكم في حراسة جزيرة العرب ، وتنفيذ وصية جدكم خاتم النبيين ، وكون الخلاف من الهيئة العارضة لن يكون ذريعة لسفك الدماء ، الذي يتمناه أعداؤنا الأجانب وسفهاؤنا الغوغاء ،وهذا ما كنت أعتقد في دينكم وعلمكم وعقلكم وحلمكم وتجاربكم ، ولكنني لا أنكر أنني كدت أصدق ما يقوله الكثيرون في مشرب نجلكم سيف الإسلام أحمد عليه السلام ، على أنني كنت أقول لهم إنه إن صح ما يقال في رأيه ومشربه ، فلن يصح أن يخالف أمر أبيه وإمامه وطاعته واجبة عليه لوصفيه كليهما ، وانحصر طوقي في المستقبل ، كما أشرت إليه في كتابي الأول ، وأقول الآن إنني مستعد كالأول أو أشد ، لإعادة السعي لما سبقت جميع الناس إليه من شد أواخي الإخاء وإتمام مقدمات الحب بينكما ، وأتمنى أن تجدوا لي طريقاً وسطاً في تعديل الحدود بين المملكتين أدنى إلى العقل والشرع مما صرحتم به في كتابكم من عد قطعتي العسير وجازان وما إليهما من عقر دار اليمن الميمون جغرافية ونسباً وأماً وأباً ، فإن في هذا القول مقالاً ، ولعل التساهل فيه والحال كما تعلم خير مآلاً ، ولو قلتم هذا أولاً لكان عذركم أظهر عند الأكثر ، أما وقد أقررتم ما كان ، فقد قامت عليكم الحجة والبرهان ، ولا يزال الوقوف في الوسط مع التواد في حيز الإمكان ، فإذا عهدتم إلى

هذا الداعي بالسعي إليه ، بذل جهده في الحصول عليه .

وأما مسألة التعويض على أهل القتلى من الحجاج فلكم فيها كل الحق[1] وتعلمون أنني كنت أول الساعين إليه ، ولما تم التواصل بينكم وبين الملك عبد العزيز تركت ذلك إليكما ، وقد بدأت اليوم بالتذكير به بما كتبت إليه قبل هذا ، فإن كنت أعلم أن تنفيذ الطلب في هذه الأيام متعذر ، فإنني لا أشك في أنه يكون بعد زوال الغمة أول متيسر ، وإني منتظر أمركم ، وقد جربتم كتماني لما يجب كتمانه ولما لا يجب ، لا كالذين يتبجحون بنشر كل ما تكتبون إليهم ، وما يكتبه اليهم كل عظيم وإن كان دونكم .

هذا وإنني قد سررت من الوجهة العلمية الدينية أشد مما سررت من الوجهة السياسية بما تفضلتم به علي من البشارة باستحسانكم لكتابي (الوحي المحمدي) واحتمال توجه عزمكم إلى إعادة طبعه وأبشر جلالتكم بأنه قد نال استحسان العلماء والعقلاء في جميع الأقطار الإسلامية ، ولا تزال تأتينا المكتوبات منها بتفضيله على كل ما كتب في إثبات النبوة المحمدية وإعجاز القرآن والدعوة إلى الإسلام من الوجوه اللغوية والعقلية ، والاجتماعية السياسية ، وقد شرعوا بترجمته بعدة من اللغات الشرقية والغربية الخ[2] .

والسلام عليكم وعلى نجلكم وولي عهدكم سيف الإسلام ، وسائر أنجالكم الكرام عليهم السلام .

منشىء المنار

محمد رشيد رضا

---

(١) أعني الحق في تطييب القلوب ، بما يوضع في الجيوب ، ولكن تكرير الإمام للتذكير بهذه المسألة كان محركا للأضغان ، مثيراً للأشجان ، مانعاً من الأداء بالإحسان .

(٢) بقية هذا الكتاب خاصة بكتاب الوحي وقد رجوت من جلالة الإمام أن يبين لي ما يراه فيه منتقداً . فقرظه بما نشرته بنصه في أول التقاريظ من الطبعة الثانية مستقلاً ، ولم ينتقد منه شيئاً .

جواب الإمام عن المكتوب الثاني

الختم الإمامي المعروف

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة السيد العالم الفاضل ، والجهبذ الفذ الكامل ، صاحب المنار محمد رشيد رضا المحترم حفظه الله ، وشريف السلام عليه ورحمة الله وبركاته .

وصل كتابكم الكريم وأحسنتم بما أفدتم ، واعلموا عافاكم الله أنا صرحنا لحضرة الملك عبد العزيز أن يكون ربط الأواصر مع إبقاء الحالة في عسير على ما هي عليه ، فإنا نكره تجزئة اليمن وفصل قطعة منها عن أمها الطبيعية ، وأن مثل هذه المسألة هي التي أخرت المعاهدة بيننا وبين انكلترا ، وآخر الكلام كان البناء مع انكلترا على تأخير البت في شأن الأراضي التي يدعونها تحت الحماية إلى المستقبل وتكون المذاكرة عنها . ثم إن كراهيتنا لعدم الخوض في الأراضي العسيرية بيننا وبين حضرة الملك عبد العزيز وإبقاءها كما هي عليه الآن ، ليس المراد به أنا سنهاجم كلا : بل صرحنا لحضرة الملك عبد العزيز في جملة برقيات ، أن من المحال أن يحصل منا عدوان قطعاً حتى الممات ، ولا نعلم بعقد كلام في شأن تلك الأراضي .

وفي شأن السيد حسن الإدريسي كتبنا لحضرة الملك أنا حاملون بوجهنا وذمتنا أنا لا نساعده على عدوان ولا نرضى له ، وهو عدونا ليس بيننا وبينه صداقة ، وإنما حملنا على الخوض في مسألته محبة صلاح الشأن بينه وبين حضرة الملك ، وتسكين الثورة الشيطانية التي حدثت بتلك الجهة ، ثم تعويل الحسن علينا . وأشار إلينا حضرة الملك أن بعض الناس من الذين يريدون بذر الشقاق في البلاد العسيرية يترددون بين مصوع وبعض مراسينا فأمرنا بمنعهم من الدخول

إلى بلادنا وطرد من كان منهم في بلادنا[1] وأشار حضرة الملك إلى أن قرب السيد الحسن الإدريسي من تلك الجهات ربما يكون مصدر شر ، فكان منا إقناع السيد الحسن بحسن انتقاله إلى جهة في بلادنا تبعد عن تلك الجهات بمسافة ثلاثة أيام . وعلى الجملة فاعلموا يقيناً أنه لا يكون منا أدنى عدوان ما دمنا على الحياة .

وولدنا سيف الإسلام حفظه الله هو من أحرص الناس على حفظ الصداقة بيننا وبين حضرة الملك ، وإذا بلغكم ما يخالف هذا فكذبوه ثم كذبوه ثم كذبوه .

وإنا لنعجب لما تنشره بعض الجرائد مما نظنه كذباً كما هي عادة الجرائد من التجنيد والتجييش والتجهيز من جهة حضرة الملك عبد العزيز إذ ليس لذلك من جهتنا ما يحمل على ذلك غير ما عرفناكم ههنا من الكتابة الودية ، وكامل التأمينات لحضرته بعضها مؤكد بالايمان ، على أنا نعلم أن بالشقاق بيننا وبين حضرته كل بؤس وضرر على العرب عموماً بل وعلى المسلمين . وإنا نستعيذ بالله من ذلك ، ومن أن يكون لنا سبب لما هنالك ، هذا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

حرر في ٢١ جمادى الآخرة سنة ١٣٥٢ ﻫ

☆ ☆ ☆

(١) المنار : المراد بهؤلاء المفسدين دعاة حزب الشرفاء المسمى بالحزب الوطني الحجازي ، وكان لهم تأثير في ثورة عسير الماضية في زمن فتنة ابن رفادة وقد تبين أن مولانا الإمام لم يطردهم في هذه المرة كما قال أو أن أمره بطردهم لم ينفذ فقد نشرت لهم رسائل في بعض الجرائد جاءت من بلاده ، كما أن إبعاده للسيد حسن الإدريسي لم يتحقق للملك السعودي .

المكتوب الثالث والرابع إلى الإمام في ٢٥ رجب

من محمد رشيد رضا إلى حضرة الإمام الهمام سليل الأئمة الغر الميامين ، جلالة الإمام يحيى حميد الدين ، عليه وعلى آله السلام .

السلام ورحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد . أما بعد فقد حظيت بكتابكم الكريم المؤرخ في ٤ رجب وبتقريظكم الشريف لكتاب الوحي المحمدي فسررت بها ، ولكن ساءني أنني لم أجد في الكتاب ما يفتح لي باب الخدمة لما عرضته من رغبتي في السعي للصلح بينكم وبين أخيكم الملك عبد العزيز آل سعود ، على أساس تعديل ما بين المملكتين من الحدود ، لعقد المحالفة التي تحول دون الخلاف في الحال والمآل ، وتكون بها قوة كل منكما يداً واحدة على من عداكما ، إذا عاداكما أو عادى واحداً منكما .

ولكني رأيتكم تعدون العسير برمتها كنجران من عقر دار اليمن ، وأن بقاء حكمه في أي جزء منها مانعاً من عقد حلف بينكما ،وأن قصارى الأمر أنكم لا تقصدون الآن نزعها بالقوة الحربية .

وهو لا يعترف لكم بهذه الدعوى وتعلمون ما يتهمكم به[1] وبقاء هذه الحال غير ممكن ، لهذا ساق جيوشه إلى الحدود ، ولأنه يعتقد أن سبب رفضكم لامضاء العهد ، وما عاملتم به الوفد ، وبقاء قواتكم على الحدود ، إنما سببه كله اعتقادكم أنه ضعيف ، وأن ضعف قوته سيلجئه إلى الاعتراف لكم بالبلاد العسيرية كلها جبالها وسواحلها ، وكتب إلي أنه يرجو بإرساله قواته إلى الحدود ومواجهتها لقواتكم أن يجنحوا للسلم ، وتفضلوها كما يفضلها على الحرب ، ويحببوه إلى

(١) أعني أنه يتهمه بالمراوغة وبما هو شر منها ، ويقول : إنه كالشريف حسين .

ما يدعوكم إليه من عقد العهد ، واشتداد الود ، ولكن فاجأتنا البرقيات اليوم من رومية باشتعال نار الحرب ، فوجلت القلوب ، واضطربت الأفكار ، وبتنا لا نهتدي إلى الوساطة سبيلا ، إلا أن تهدونا إليها بما تجدونه معقولاً ، وما هو في رأينا إلا الاعتراف بالحال الحاضرة في عسير ،مع تحديد عادل في نجران ، يبقى فيها حد نجد كما كان ، ويعترف لكم بما كان مستقلاً منها قبل الحوادث الأخيرة إن لم يكن مرتبطاً فيها بعهد سابق يحتاج إلى المفاوضة هذا ما خطر ببالي اليوم أنه لا يزال ممكناً ، كتبت به إلى جلالتكم ولم أكتب إليه شيئاً جديداً ، وإني منتظر لأمركم بالبرق وبالبريد لأنهض بما أقدر عليه من خدمة للإسلام ، ولميراث محمد ﷺ لقومه وأمته ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

☆ ☆ ☆

جواب الإمام عنه وهو الأخير

الختم

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة السيد العلامة المحقق ، بحر العلوم المتدفق ، محمد رشيد رضا الحسيني منشئ مجلة المنار الغراء ، حفظه الله من بين يديه ومن خلفه ، وأتحفه في جميع مواقفه بالمعين من لطفه ، وشريف السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

قد تناولنا كتابكم الكريم على الحقيقة ، لما يحويه من البيان الجميل والاشفاق بتلك الحمية على مثلى الطريقة ، فشكرنا لكم ذلك النصح وذاك التطوع ، ودعونا لكم بدوام التوفيق وحسن التشيع ، وقد عرفنا من كتابكم أن مصدر ما استحوذ به القلق ليس إلا تلك المنابع المعلومة ، وهي عن التحري فيما تنقل بمعزل ، ولا يوجد ما يحملها على تحري الصدق في النقل ، بل دواعيها محصورة في ترويج بضاعة الكذب وربما كان الكذب مقصوداً لذاته ، وإذا عرفتم أن الحالة السابقة

هي الآن كما كانت لم تتغير ، والمراجعات بيننا وبين حضرة الملك عبد العزيز مستمرة ، والاتجاه فيها إلى السلم أوضح مما سواه ، وأنه لولا وجود شرذمة من شذاذ الأقطار يلقون فيما نظن إلى الملك عبد العزيز ما يثير الحفيظة لما تغير من الوضعية التي استمرت طوال السنين شيء يذكر ، اتضح لديكم مقدار ما في الأخبار المفتعلة من الكذب والتقول بما لا أصل له ، وقد أوضحتم ما لأجله كان حشد الجنود ، من الملك عبد العزيز بن سعود .

وكان يكفي لدفع تلك التوهمات ونفي اتخاذ الحالة الراهنة فرصة تذكر الحالات الماضية ، وهي كثيرة الصور دالة على أنا لا نتحين فرصة ، ولا نبغي له غصة ، وإلا فما الحامل على ترك إعانة ابن عايض ومخالبه ناشبة فيها من أقصاها إلى أدناها ، ولم تطأ قدم نجدي إذ ذاك ، وعلى ترك إعانة الأشراف في الحجاز بعد التوسل إلينا في كلتا الحالتين بما هو فوق المرغوب .

وكذلك رأينا فيما جرى بعدهما من الأطوار ، وحتى الآن لم يتجدد شيء سوى التأديب لقبائل يام ، الذين ضررهم على المنتمين إلى الملك عبد العزيز من القبائل الذين وراءهم ، أكثر من الضرر على من ثبتت أقدامهم على طاعتنا من القبائل المجاورة لهم من جهة الجنوب ، وقبائل يام يمنية ، ولم يكن التعرض لهم إلا بعد أن كتبنا إلى حضرة الملك عبد العزيز أنهم يمنيون ، بل هم مصاصة قبائل اليمن ، وإنا لم نتركهم إلا خشية أن تتشوش الأفكار ، فرجع منه الجواب بأنه لا كلام له منهم ، وغاية الأمر أن بينه وبين أهل وادي نجران الذين هم بعض قبائل يام بعض تعلقات ، ثم بعد هذا وصل منه ما هو أصرح ، والبرقيات لدينا محفوظة **وليت أنكم تصلون إلينا لعرض** كل المكاتبات عليكم فسيظهر لكم منها ما لم يكن **في حسبانكم من إنصافنا .**

أما المعاهدة فإننا أفدنا الوفد أنه لا بأس بها غير أنه لا يمكن لنا أن نقرر

انفصال جزء من اليمن عنه ، لكنها تكون المعـاهـدة مبنيـة على إبقـاء بلاد عسير وما إليها على حالتها التي هي عليها الآن ، وإذا كان من الوفد كلام بأنه كان منـا أدنى جفاء فسنرجع أمره إلى الله ، فإنه لم يعزم إلا على غايـة من الرضـا والشكران ومحرراته لدينا محفوظة ، غاية الأمر أنها طالت مـدة لبثـه ههنـا ، فهل في المرض الذي كاد أن يقضي علينا عذر يوجب تأخر تسريحه ؟ إنا لا نظن أياً كان لا يعذر في مثل ذلك المرض ، وإنا لنظن أن الذي غير نهج حضرة الملك عبد العزيز ، إنما هم خدَمة الإفرنج الذي يتلذذون بإهراق دماء المسلمين ، وهدم عزهم وانحطاط علو شأوهم تقرباً بذلك إلى أعداء الإسلام ، مع فرار داعي الباطنية المكرمي ومنصوبـه من بدر إلى أبها عسير لدى أمير حضرة الملك عبد العزيز بأبها .

ولا يخفى عليكم ما عليه الباطنية وارتباط باطنية الهند بهذا الداعي وإمدادهم إياه ، ولو كان الإمعان بإنصـاف ، لكان العلم بـأنـه لاحق لأحـد غيرنـا في الكلام عن بلاد يام لأنه لا راية فيها منصوبة ، ولا هي من غير بلاد اليمن محسوبة ، وقـد رأينا في منشورات الجرائـد عن المصـادر المعلومـة والمجهولـة كـذبـاً صراحـاً ، بـأن المصـادمـات بين الجيش اليمني والنجـدي قــد وقعت . وأن الجيش اليمني زحف إلى بلاد الدواسر وبلاد نجد ، والحقيقة أنه لا شيء من ذلك أصلاً ، لا صدام ولا التحـام و زحف ، بل الواقع أن الولد سيف الإسلام بعد أن بلغ إليه قرب الجيش النجـدي من الحـدود أمر الجيش اليمني بتخليـة بعض المـواقـع التي كان يحتلهـا ، بعــداً عن التحاك ، الموجب للاشتباك ، وهو بصفته تقهقر اختياري أريد بـه مـا أوضحنـاه من التباعـد عن موجبـات تحقق أحلام المفسـدين ، والمتوسم عنـد تحرير هـذا أنـه لا يكون شيء من التشاجر إن شاء الله ، فلا يوجد لذلك من الدواعي والأسباب ما يقتضي تبرير وقوعه ، وبالله المستعان ، والدعاء مستمد ، والسلام لتاريخه .

١٨ شعبان سنة ١٣٥٢ هـ

☆ ☆ ☆

٢٠ ـ نشر معاهدة الطائف وملحقاتها وتعاليق « المنار » الأخيرة :

بعد نشره للرسائل السابقة علق السيد رشيد رضا في آخر العدد حول « نتيجة حرب الجزيرة وما تجب مراعاته في الصلح »[١] وقد دعا إلى استئصال جذور أي عداوة من أعماقها ، وأنحى باللائمة على المؤلبين من شرار المسلمين الذين هم « شر من الأجانب » ، وجاوز المألوف من دعمه لابن سعود إلى شمولية النظرة القومية والدينية ضد أي عمل مستقبلي لتكافؤ القوى ومحاولة منع العدوان بين دول الجزيرة بالتوازن ، حين ذكر :

« وأما الدرجة العليا للملة الإسلامية والأمة العربية فهي تكون لجزيرة العرب حكومةواحدة ، بل للإمة العربية كلها إذا أمكن ، فهذه سياسة الشرع ومقتضى العقل وتجارب الامم ، فإن لم يكن خضوعها أو إخضاعها لحكومة واحدة من غير فتنة ترجح فيها المفسدة على المصلحة ، فالواجب أن يكون التعدد في الصورة والشكل مع الوحدة في السياسة والقصد ، كالمعروف في الوحدات الغربية كلها .. »[١] .

☆ ☆ ☆

رغم أن العدد الثاني لهذا العام من « المنار » قد صدر بعد أربع وعشرين يوماً[٢] علىتوقيع « معاهدة الطائف » وإعلانها ، وقامت

(١) ٣٤/١ (ص : ٧٩ ـ ٨٠) .

(٢) المنار : ٣٤/٢ (الصادر في ٣٠ صفر ١٣٥٣ هـ/١٢ يونيو ، حزيران ١٩٣٤ م) .

بنشرها مختلف الصحف في العواصم العربية ، إلاَّ أن « المنار » لم ينشرها إلاَّ في العدد الذي تلاه ، شأنه شأن صحيفة « الإيمان » التي كان أول أعدادها بعد إبرام المعاهدة في شهر ربيع الأول سنة ١٣٥٣ هـ / يونيو ، حزيران ١٩٣٤ م[١] ويبدو أن الحرص على نشر النص الحرفي وعدم الاعتماد على ملخصات البرق كان سبباً في تأخير النشر ، ومن ذلك أن « الأهرام » القاهرية لم تنشرها أيضاً إلاَّ بعددها الصادر في ١٩٣٤/٦/٢٤[٢] .

كتب صاحب « المنار » في العدد الثاني ، مقالاً حول « الحرب في جزيرة العرب ، إطفاء نارها ، فوائدها وغاياتها » ذكر فيه أفكار العدد الذي قبله نفسها وإن كان قد صرح في أوله بتحميل ولي العهد مخالفته لوالده في القيام بالأعمال الحربية السابقة كلها ، واستطرد في الدعوة لفكرة الوحدة العربية مدافعاً عن الملك عبد العزيز في أنه يرغب في الاستيلاء على اليمن « كما فعل في الحجاز » لأن ذلك تبعة ثقيلة ، وكرر الخطأ في القول بأن استيلاء « الجيش النجدي على تهامة واليمن بدون عناء كبير لأن أهلها ساخطون على حكومة الزيدية ؟! »[٣] ثم ختم موضوعه ، بالدعوة

---

(١) الإيمان العدد (٩٤) وكانت افتتاحيتها « عود السلام إلى ربوع الجزيرة » التي أثنت على جهود السلام وأعربت عن الفرحة والسرور بالاتفاق ، الأمل في « اضمحلال كل اختلاف ونزاع واستمرار الترقي في مدارج الوفاق وانتظام الاجتماع .. » ، ثم عقبت بمقال تقدير لجهود رئيس وفد المؤتمر الإسلامي وأعضائه واستقبال الإمام لهم .. بعنوان « هم عظماء الرجال » (ص : ٥) .

(٢) راجع : د. سالم (تكوين اليمن) ص :٤٤٥ حاشية (١) في نقله عن « الأهرام » .

(٣) المنار : ٣٤/٢ (ص : ١٢٧ ـ ١٢٨) .

إلى إزالة التعصب المذهبي بين « السنة والزيدية » لتتحقق الوحدة الإسلامية العربية .

وفي العدد الثالث[1] نشر « المنار » نص « معاهدة الطائف »[2] ألحقه « بمقال خاص في عظمة الشأن في هذا العهد وفيما يأتي بعده من تاريخ الإسلام والعرب » كما جاء في الحاشية ، وهو المقال الذي عنونه بـ « الإصلاح والتجديد الإسلامي في المعاهدة الإسلامية العربية بين الدولتين السعودية واليمانية » وبه مجمل آرائه التي سبق الإشارة إلى بعضها ، وتضمينه لرأي نشرته جريدة « التايمز » في المعاهدة ، ثم توضيحات منه مفيدة بأنه وضع شروحاً وحواشي في مطبوعات « وهابية » كلفه بطبعها الملك عبد العزيز نبه فيها إلى الجهل وسوء الفهم بالمذهب الزيدي بسبب حصر التدوين في المذاهب الأربعة .

« وهذا غلط سببه عدم الاطلاع .. وأنا أعلم أنني لا أسلم من سخط عليّ قد يتبعه ضرر ، وقد حصل !.. »[3] .

لقد كان هذا العدد شبه مخصص للموضوع ، فبعد ذلك المقال الطويل كتب السيد رشيد رضا عن « وفد الصلح والسلام » الذي يستحق الشكر :

---

(١) المنار : ٣٤/٣ (ص : ١٩٣ - ٢٠٣) « الصادر في ٣٠ ربيع للأول سنة ١٣٥٣ هـ/يوليو ، تموز ١٩٣٤ ، » .

(٢) الملحق : (٦٤) ، وقد أرجأ إلى العدد التالي نشر « عهد التحكيم » فألحقناه بعد ملحق المعاهدة مباشرة .

(٣) المنار : ٣٤/٣ (ص : ٢٠٩) .

« فهو الـذي انتـدب لهـذه الخـدمـة بـالفعل من غير دعوى ولا إعلان في الصحف ، ولا تبجح بنشر المقالات وإلقاء الخطب ، ولا دعوة إلى جمع المال كما فعل الذين يقولون ما لا يفعلون ، ويسرون غير ما يعلنون ... » .

وقـد كان لصـاحب « المنـار » دور حقيقي في إعـداد الـوفـد برئـاسـة الحاج أمين الحسيني ورافقـه حتى وصل معـه إلى « السويس » معتـذراً من عدم تمكنه من السفر :

« بما لـديّ من الموانع المـاليـة وغيرهـا . فقبلوا عـذري ، وكاشفتهم بمـا عنـدي من رأي وروايـة في مـوضـوع الحرب والصلـح ، حملتهم كتبـاً إلى جلالة ملك العرب السعودي وبعض رجـال بطـانتـه أظهرت فيـه مـا بيني وبينهم من التكافل والثقة بهم ، وعذري في التخلف عنهم ، وكان ذلـك في ٢٧ ذي الحجة سنة ١٣٥٢ هـ .. »[١]

☆ ☆ ☆

كانت مواد ذلك العدد هي آخر أهم ما نشره « المنار » في سنته الأخيرة عن اليمن والإمام يحيى باستثناء أمرين صغيرين :

الأول : رسـالـة جـوابيـةمن الإمـام يحيى[٢] مـؤرخـة في شـوال سنـة ١٣٥٣ هـ / ٧ يناير ، كانون الثاني ١٩٣٥ ، يشكر فيها السيـد رشيـد رضـا على رسالته إليه بتاريخ ١١ رمضـان ١٣٥٣ هـ / ١٧ ديسمبر ، كانون الأول ١٩٣٤ ، مثنياً على كتبه وتسلمه تفسيره « المنـار » الـذي يحثـه على إكمالـه ،

---

(١) المنار : (ص : ٢٣٢ ـ ٢٣٥) وانظره في الملحق (٦٧) .

(٢) المنار : (ص : ٦٢٩) الصادر في ٢٩ ذي القعدة ١٣٥٣ هـ/٥ مارس ، آذار ١٩٣٥ م .

بيد أن المنية وافته بعد بضعة أشهر قبل أن يتيسر له ذلك .

أما الأمر الثاني : فهو ما نشره « المنار » في العدد قبل الأخير[1] من أخبار المحاولة الفاشلة لاغتيال الملك عبد العزيز في يوم الحج الأكبر ، ونشره لتفاصيل الحادث والبلاغات الرسمية حوله ، وكشف التحقيقات الأولية عن أن هوية الجناة الثلاثة :

« من ملابسهم وخناجرهم تدل على أنهم من الزيود اليانيين وتتراوح أعمارهم بين ٣٥ و ٤٥ عاماً » .

ثم تأكد فيما بعد أنهم :

١ ـ النقيب علي بن حزام الحاضري (جندي في الجيش اليماني) .

٢ ـ صالح بن علي الحاضري ـ شقيق الأول ـ (مزارع) .

٣ ـ مسعد بن علي سعد (جندي) .

وقد قتل الثلاثة مع بعض الحراس وأصيب ولي العهد « الأمير سعود » إصابة خفيفة في كتفه ، وبعد تعبير صاحب « المنار » عن « قوة عزيمة » الملك عبد العزيز أضاف أنه :

« .. إذ أتم طوافه وكان أول شيء فعله العناية بحجاج اليمن ، والمبالغة في تأمينهم على أنفسهم ، والظهور لمقابلة المهنئين بإقباله وبشاشته المعتادة ، وكان أسر ما سر جميع المخلصين للأمة العربية البرقيات المتبادلة

---

(١) المنار : ٣٤/٩ (ص : ٧٠٠ ـ ٧٠٦) الصادر في ٢٩ ذي الحجة ١٣٥٣ هـ / ٣ ابريل ، نيسان ١٩٣٥ م .

بين جلالته وجلالة الإمام يحي الذي استنكر الجناية أشد الاستنكار ، وكرر التهنئة بأبلغ عبارات الإخلاص »[1]

☆ ☆ ☆

٢١ ـ خاتمة :

كان صدور آخر أعداد سنة « المنار » الأخيرة (٣٤/١٠) في ٣٠ محرم ١٣٥٤ هـ / ٣ مايو ، أيار ١٩٣٥ ، وجاءت خاتمته بما يشبه الوداع والأمل في آن واحد . فمنار « المجلد الخامس والثلاثين » ـ أي السنة القادمة ـ .

« تجديد جهاده ونظامه ، والتعاون عليه بيننا وبين كرام قرائه ، وخلاصة تاريخه المؤثرة »[1] .

هذا هو العنوان ليكون أول المقال (الخاتمة) جملة تقريرية دفاعية وداعية :

« ماقصّر منشئ المنار في شيء مما وقف عليه حياته من خدمة الملّة والأمة ،وأشار إلى مقاصدها الجامعة في العدد الأول ... » .

أما تأثير « المنار » فلم :

« يسبق له نظير إلاَّ في صيحة (العروة الوثقى) التي تجلت فيها روح موقظ الشرق وحكيم الإسلام السيد جمال الدين الأفغاني ، ببلاغة الاستاذ الإمام الشيخ محمد عبده المصري ، وكان كل ما صدر منها ١٨ عدداً .. »[1]

(١) المنار : ٣٤/١٠ (ص : ٧٩٤) ، وقد قامت « دار الكتاب العربي » البيروتية بنشر أعداد « العروة الوثقى » كاملة في مجلد صدرت طبعته الثالثة في عام ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .

ويفرق السيد رشيد رضا بوضوح بين منهجه وشيخه محمد عبده ودعوة الشيخ جمال الدين ومنهجه :

« .. وكان رأي السيد جمال الدين أن الثورة أقرب الوسائل لتجديد الملة بالعلم الصحيح والعمل المفيد في ظل الاستقلال والقوة . أما غرض « المنار » فهو إعداد الأمة وأسبابها ووصف علاجها ، وتأليف الجماعات للتعاون على المعالجة المطلوبة ، وكان الأستاذ الإمام أول من ناط أمله به في الإصلاح المطلوب كله .. وهو الذي أغناه عن كتابة وصيته للأمة ، إذ الوصية لا تكون إلا كلاماً مجملاً لما أنشئ المنار لبيانه مفصلاً ... »[1]

ثم أثبت ما كتبه إليه أستاذه الإمام الشيخ بهذا الخصوص ، ونختم به هذه الفصول كما افتتحنا بكلماته أولها ، بعد الإشارة إلى أن بقية حديث صاحب « المنار » كان عن مجمل ظروفه المالية والصعوبات التي واجهها من جناية المشتركين والإدارة ... حتى فكر في التوقف في السنة القابلة ١٣٥٤ هـ / ١٩٣٥ م :

« ولو على سبيل التجربة عسى أن أجد له من يقوم بنفقته من الأوفياء منهم ... حتى إذا قاربت « سنة ١٣٥٣ هـ » الانتهاء عظم علي الأمر ، وقد رباني الدين على الثبات واتقاء إبطال عمل شُرع فيه ، فرأيت أخيراً أن أكاشف القراء بحقيقة الأمر فإن أكثرهم لا يعرفه .. »[1] .

وإذ دعا بعد ذلك إلى الصلح والإصلاح مع القراء (المشتركين) أعرب

---

(١) المنار : ٣٤/١٠ (ص : ٧٩٨) .

عن أمله في إصدار « المنار في طوره الجديد » بيد أنه توفي فجأة ـ ربما بالسكتة القلبية ـ في سيارة كان راجعاً بها من السويس إلى القاهرة في ٣ جمادى الأولى ١٣٥٤ هـ / ٢ أغسطس ، آب ١٩٣٥ م[1] رحمه الله ، مخلفاً « مناره » بمجلداته الأربع والثلاثين لتصبح مصدراً هاماً وثرياً من تاريخ أمتنا السياسي والفكري الإصلاحي المعاصر .

أما ذلك الذي كتبه الأستاذ الشيخ محمد عبده لتلميذه صاحب « المنار » فهو الآتي :

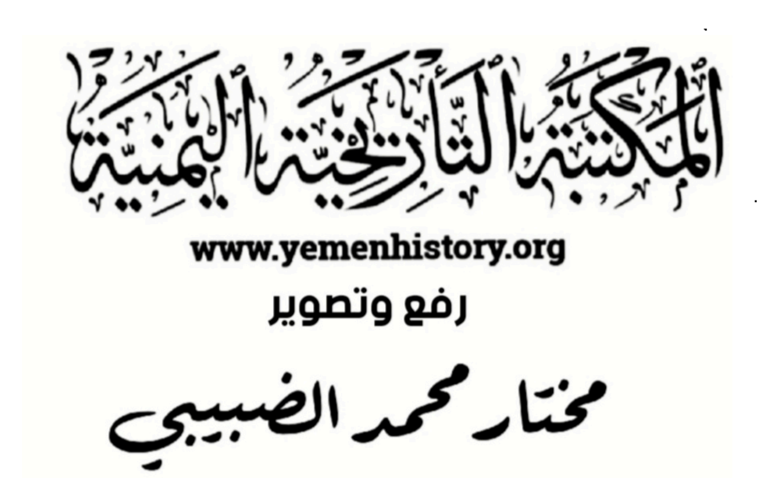
« الناس في عَماية عن النافع وانكباب على الضار ، فلا تعجب إذا لم يسرعوا بالاشتراك في المنار ، فإنَّ الرغبة في المنار تقوى بقوة الميل إلى تغيير الحاضر ، بما هو أصلح للآجل وأعون على الخلاص من شرّ الغابر ، ولا يزال ذلك الميل في الأغنياء قليلاً ، والفقراء لا يستطيعون إلى البذل سبيلاً ، ولكن ذلك لا يضعف الأمل ، في نجاح العمل والسلام .

في ١١ سبتمبر سنة ١٩٠٢ ، محمد عبده »

☆ ☆ ☆

---

(١) راجع : (ص : ١٨ ـ ١٩ من الفصل الأول) .


المكتبة التاريخية اليمنية
www.yemenhistory.org
رفع وتصوير
مختار محمد الضبيبي

الملاحق

مستلات من المنار

الملحق

١

ثورة اليمن

من أخبار بريد أوربا أن الفريق حقي باشا عين مشيراً للفيلق الهمايوني الخامس في دمشق الشام ، خلفاً لعبد لله باشا الذي تقرّر إرساله إلى اليمن لإخماد ثورة فيها ، وقد زعمت بعض الجرائد الأوربية أن عبد الله باشا أبى الذهاب إلى اليمن ، ولكن بريد سوريا الأخير أفاد أن دولته كان على أهبة السفر ولعله قد سافر الآن .

ج/١٤ ، م/١ ، ص/٢٥ ـ ٢٥٥



اليمن

من أخبار صنعاء اليمن (الرسمية) أن الحكومة قررت بناء ميناء أمين تسع ست بواخر ومئة سفينة شراعية ، وذلك لأن الريح الجنوبية التي هبت في هذا العام قد خربت ميناءها ؛ ولأن هذه الفرضة من أهم الفرضات تبلغ قيمة الصادر والوارد منها نحو مليوني ليرة سنوياً ، وقد استؤذن الباب العالي بذلك . وفي النية إصلاح فرضة (مخا) من أعمال تعز التي أصبحت مأوى لمئات من الصيادين ، بعد أن نزح سكانها وتجارها منها لضيق ذات اليد فيها وتقهقرها في العمران منذ خمسين أو ستين سنة ، على أنها من القابلية لأنواع الترقي بمكان .

أخذ بإنشاء المخافر التي ذكرنا فيا سلف صدور الأمر الكريم بتشييدها بين الحديدة وصنعاء .

وصل الحديدة السفينة (ريودريا) السلطانية وهي إحدى السفن التي أصدر الباب العالي أمره بأن تحافظ على الثغور اليانية منعاً لتهريب الأسلحة وكبحاً لجماح الذين اعتادوا تهريبها .

أنفذ حضرة ملاذ الولاية اليانية رقياً إلى ملحقات الولاية قال فيه : إنه قد استبان من التحقيقات المهمة أن جباية الأعشار وزكاة الأغنام والخراج في الولاية هو على أصول غير مطردة مما حصل عنه غدر وخسارة للخزينة والأهلين ، وبقيت أكثر واردات الدولة المشروعة في زوايا البقايا . فلهذا تقرر وضع تعليمات لجباية الخراج وهي تقسيم المبالغ المقيدة صفقة واحدة باسم العزلة بين أهالي القرى المؤلفة منها تلك العزلة بنسبة نفوسهم وثروتهم ، وتقييد حصة كل قرية على حدتها في قلم المال ، وبعد إعطاء مضبطة لكل قرية بما عليها ، توزع تلك الحصة في القرية على المكلفين ، ثم تحصل منهم بمعرفة المختارين المنتخبين أي العقّال . أما جباية الأعشار فهي قريبة من ذلك أي إن المبالغ والحبوب التي تجبى بدلاً وعيناً ، والتي تقيد مرة واحدة باعتبار العزلة والمخلاف التي توزع على القرى ، وبعد تفريق حصة كل قرية منها تحتال كل قرية على حدتها ، أو تدار أمانة على حساب الحكومة . أما الأغنام فتعد بموجب تعليماتها اعتباراً من أول آذار (مارس) .

ذلك مانرجو أن يكون من ورائه حفظ أموال الخزينة وصيانة الأهلين من سوء المعاملة والمغدورية .

(ثمرات الفنون)

(**المنار**) نسأله تعالى أن يحسن على ولايتنا البيروتية بوالٍ مثل والي اليمن عطوفتلو حسين حلمي بك أفندي الموصوف، بالديانة والعفة والاستقامة ، ونرجو مثل ذلك لجميع ولايات السلطنة السنيّة .

ج/٣٠ ، م/١ ، ص/٥٨٢ ـ ٥٨٣

☆ ☆ ☆

اليمن

أرسلت الدولة العلية إلى اليمن ذخائر تساوي قيمتها مليوني فرنك وتفيد الأخبار الأخيرة أن الدولة العلية ظفرت بالثائرين .

ج/٤٦ ، م/١ ، ص/٩٠٠

☆ ☆ ☆

الملحق

٢

الفرصتان

من المجمع عليه أن المسلمين في هذه الأزمنة متأخرون عن جميع الأمم في حياتهم الاجتماعية ، فما من ملة من الملل إلا وقد سبقتهم إما في بسطة المال والرزق وخفض العيش فقط كاليهود ، وإما في هذا وفي العزة والسيادة والسلطان وسطوة الملك أيضاً . ومن المجمع عليه أن الأمة في أشد الحاجة إلى إصلاح يحفظ لها مابقي لها من تراث أسلافها و يؤهّلها لاسترداد ماسلب منه . ولا ريب في أن هذا الإصلاح إذا قامت به الحكومات والأمة معاً يكون أقرب حصولاً وأتم فائدة ، وأدنى لإزالة المرض وإصابة الغرض . وإنه لولا قدرة الحكومات على حمل الأمة على ماتريد منها طوعاً أو كرهاً لما كان يتأتّى الإصلاح من قبلها . ولولا أن صلاح الأمة يستلزم صلاح الحكومة لما كان إصلاحها كافياً لبلوغ الغاية التي تقصد منه . أما وجه اللزوم فظاهر وهو أن الحكام أفراد من الأمة تختارهم هي لإدارة نظامها وتنفيذ أحكام شريعتها والصالح لا يختار إلا مثله ﴿ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَات ﴾ . ولكن الإصلاح إذا بدا في الأمة دون الحكومة فإنما يتعدى أثره للحكومة بعد زمن طويل وإذا بدا في الحكومة أولاً يظهر أمره في الأمة في وقت قريب لما مررت به من التعليل . فوجب على المطالبين بالإصلاح أن يستصرخوا الحكومة والأمة معاً عسى أن تلبي الدعوة إحداهما أو كلتاهما ، ولكن كثيراً من المتنبهين لوجوب الإصلاح يائسون منه لما يرونه من تقدم أوربا السريع ، وتأخر شرقنا المريع . بل موته الذريع . وأعني بموته قيام الغربيين بأعماله . واستئثارهم بأمواله .

وذهابهم باستقلاله . وما كان لمؤمن أن ييأس ﴿ إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرون ﴾ فكم سنحت لنا الفرص وما انتهزناها . وكم نادتنا النهز وما لبيناها وقد قلنا في المنار الماضي إن أمامنا الآن فرصتين للإصلاح إحداهما في مصر وهي العلمية الدينية والثانية في بلاد الدولة العلية وهي السياسية الإدارية . وإننا مبينون هاتين الفرصتين في هذه المقالة بعض البيان .

أما التي في مصر فحرية التعليم والتصنيف والتحرير والطبع والنشر والخطابة وتأليف الجمعيات بأنواعها ، وهذه هي سلاليم الترقي التي ترتقي فيها الأمم . ولا يوجد تحت السماء بلاد إسلامية متمتعة بتمام الحرية فيها كالبلاد المصرية ، والسبب في هذا ظاهر ، فإن فقد الحرية في مثل هذه الأمور النافعة إنما يكون من فساد الأحكام واستبداد الحكام . وزمام السلطة في هذه البلاد بأيدي المحتلين ، وقد اقتضت سياستهم أن لا يتعرضوا لهذه الأمور إما لأنهم لا يشاؤون التعرض لها كرماً منهم وفضلاً على خلاف ما يفعلون هم وسائر الأوربيين في كل بلادٍ تنفذ فيها شوكتهم وتعلو كلمتهم ، وإما لأن حكمة التدريج الذي يسيرون فيه اقتضت أن يبدؤوا بالأعمال المالية والإدارية والسياسية ويكتفوا من الأمور المعنوية بإدارة المدارس الأميرية على محور سياستهم ، وإما لأسباب أخرى . ومهما كان من السبب فإن هذه الحرية فرصة تغتنم . فإذا فرطنا فيها ندمنا حيث لا ينفعنا الندم . إذ ربما تأتي أيام نحاسب فيها على خطرات القلوب وهواجس النفوس . ونجبر على التعليم الذي يراد ، ونمنع من التعليم الذي نريد .

وأما انتهاز هذه الفرصة فبإصلاح التعليم في الأزهر الشريف وبالاجتهاد بتعميم المدارس الأهلية على الوجه المرضي . ولا مجال هنا لبيان الإصلاح الأزهري فإن لجنة من أكابر علمائه تبحث في هذه الأيام بطرق هذا الإصلاح ، فنرجئ الكلام فيه إلى أن تفرغ من بحثها ونعلم ما تقرره ، فإما ثناءً وتحبيذاً . وإما انتقاداً وتفنيداً . وأظهر الدلائل على فساد طريقة التعليم المتبعة فيه من قبل ، أن

الكثيرين أو الأكثرين من الذين يمتحنون للتدريس يجرحون فلا يمنحون درجة من درجات التدريس على مافي الامتحان من السهولة ، وما منهم إلا من يقضي خمس عشرة سنة في التعليم على الأقل . على أن الذين يمنحون شهادة العالمية ويؤذن لهم بالتدريس ، لا يوجد واحد في المئة منهم يحسن لغة الدين قولاً وكتابة ؛ بحيث يقدر على الكلام والخطابة باللغة العربية الصحيحة ، ويكتب بالأسلوب العربي البليغ . ولا يعقل أن أحداً يفهم القرآن والحديث اللذين هما ينبوعا الدين ، من غير أن تكون ملكة اللغة راسخة في نفسه . ولذلك ماورد أحد من علماء المسلمين وغيرهم إلى هذه الديار واختبر تعليم الأزهر إلا وذمه وقال : إنه لا يرجى منه خير للمسلمين . فالأستاذ الشنقيطي من علماء المغرب ، والأستاذ الشيخ شبلي النعماني مدرس العلوم العربية في كلية عليكره في الهند والأستاذ الشيخ أحمد جان القازاني مدرس العلوم العربية في مدرسة عالجان في بلاد قزان الروسية اتفقت كلمتهم مع اختلاف أقطارهم على أن التعليم الأزهري لا يرجى منه خير للمسلمين إذا بقي على حاله ، وأمثالهم كثير ولا حاجة للاستشهاد بكلام الإفرنج لأن قومنا لا يقيمون لكلامهم وزناً ، ويرجمون من يعبأ بكلامهم بأسوأ الظنون . ولا ننكر أن تعليم الأزهر على علاته وجوده خيرٌ من عدمه بالكلية . كيف وقد حفظ لنا بعض علومنا وآثار سلفنا حفظاً يحمد عليه وإن كان ناقصاً لا يبعث على العمل الذي تحيا به الأمة ! ولا يرجى أن تفيض الحياة الملية على الأمة إلا إذا صار المتخرجون منه متقنين لوظيفتهم التي أنشئ الأزهر ووقفت عليه الأوقاف لأجلها ، وهي حفظ الدين ولغته بحيث يقدرون على القيام بمنصب القضاء الشرعي على الوجه الصحيح العادل الذي لا يثلم به شرف الملة والأمة وعلى إرشاد الخاصة والعامة والتعليم في المدارس النظامية ، ليبثوا الدين في جميع طبقات الأمة ويخاطبوا كل إنسان على قدر عقله وعلمه ، ويدفعون عنه الشبهات العصرية . ولن يقدروا على شيء من هذا إلا بتغيير

أساليب التعليم وبالاطلاع على أحوال العصر وفنونه المتداولة ولو في الجملة ، وسنفصل ذلك في وقته إن شاء الله تعالى .

وأما فرصة الدولة العلية فهي اشتغال روسيا ، فإنكلترا وسائر دول أوربا الكبرى عنها بالمسألة الصينية ، وإنما الخطر على الدولة من روسيا التي يعرف الناس أن سياستها التقليدية تقتضي محو اسمها من لوح الدول وضمها إلى الإمبراطورية الروسية العظمى ، أو من اتفاق أوربا على تقسيمها . يدل على شغل روسيا عنها بالطمع في الصين الفيحاء البعيدة الأرجاء أن هذه الدولة قد عزمت على تعزيز الخط الحديدي العظيم الذي أنشأته في سبيريا (وطوله ٤٦٩٥ ميلاً) بخط آخر ينشط من الطريق الأعظم من بلاد منشوريا التي هي في الشمال الشرقي للصين ، ممتداً إلى ميناء آرثر وينوشونغ ، ويقرب أن تمده من هذه إلى بكين عاصمة الصين . ويقدر المال اللازم لهذا الناشط بعشرين مليون جنيه ، كما قدر المال اللازم لطريق سبيريا الأعظم بستة وخمسين مليون جنيه إذا مدّ عليه خط واحد . وأنها قررت إنفاق ٩ ملايين جنيه لتعزيز أسطولها بالبوارج من الطرز الجديد . فخمسة وثمانون مليوناً من الجنيهات من دولة لا تعد من الدول الغنية ليس إلا لتلك الغنية الكبرى التي تتوقعا الصين يؤكد ذلك تقوية الأسطول مع أمنها على ثغورها في أوربا من الدول البحرية ، وعلمها بأن اليابان لا تقدم على محاربتها فتخاف منها على فلاديفوستوك وميناء آرثر ، ولا يخشى على هاتين الحاضرتين من غير اليابان . هذا ـ ولا بد ـ لإنكلترا وفرنسا وألمانيا من مزاحمة روسيا ، ولا بد أن يمتد اشتغالهن بتلك المملكة إلى سنين كثيرة . فيجب على الدولة العلية أن تشتغل بنفسها ما دام الطامعون في شغل عنها فقد مضى عليها نحو نصف قرن وهي مشغولة بالسياسة الخارجية عن الإصلاح الداخلي والدول الأوربية تطالبها بالإصلاح ، وهي التي تحول بينها وبينه . وقد بينا رأينا في الإصلاح الواجب من قبل في مقالات نشرت في المنار وأخرى من المؤيد ، وأهمها

تعميم التعليم العسكري ، وتقوية الأسطول ، ومساعدة الرعية على تعميم المعارف ، وانتقاء العمّال والحكام من الأكفاء ، والدولة العلية وسلطانها الأعظم أيده الله تعالى أعلم منا بما ينبغي ويجب من ذلك .

وقد وجه مولانا الخليفة أنظاره في هذه الأيام إلى هذا الأمر المهم ، فتعلقت إرادته السنية بزيادة الجيش ، لاسيما الألايات الحميدية ، وأمر من عهد قريب بإنشاء بارجتين جديدتين ويخت سلطاني ، وبإصلاح بعض السفن القديمة ، كما أمر بإنشاء المكاتب والمدارس في بلاد اليمن وغيرها من الولايات المحروسة ، ونسأل الله تعالى أن يلهم قلبه الشريف أن يصدر إرادته لجميع الولاة بترغيب الرعية في تأليف الشركات المالية ، وإنشاء المدارس الوطنية ، ولجميع الفيالق العسكرية بتعميم التعليم العسكري وبالله التوفيق . ٢/٢٤ ص ٥٢٩ ـ ٥٣٤

☆ ☆ ☆

بعض التفصيل

ألمعنا في المقالة الافتتاحية إلى توجه عناية مولانا السلطان الأعظم لإصلاحات جديدة في اليمن وغيرها ، فمن ذلك أن تجعل بلاد اليمن ثلاث ولايات ينتخب لها العمال من خيار الأكفاء نزاهة وسياسة ، يقيمون نظام جباية الأموال على الأصول العادلة ، ويسوسون البلاد سياسة دينية مدنية . وأن تنشأ في كل مدينة كبيرة مدرسة إعدادية أو رشدية ، وفي مركز كل ولاية مدرسة ملكية ومدارس للصنائع والفنون ، ومدارس حربية ابتدائية ، وأن يختار لهذه المدارس وغيرها من المدارس الابتدائية التي ستكون عامة أمهر المعلمين وأحسنهم سيرة ، وأن يعلم فيها الدين ، وقد قلنا من قبل : لو أن الدولة العلية ساست بلاد اليمن سياسة دينية لما حصل فيها ما حصل من الثورات والفتن . فعسى أن يكون انتخاب العمال والمدرسين كما يشاء مولانا السلطان لا كما تشاء الأهواء والأغراض .

٢/٣٤ ص/٥٤٤

الملحق

٣

إزالة وهم تاريخي

توهم بعض مؤرخي المسلمين وعلمائهم أن ذا القرنين المذكور في القرآن الكريم هو إسكندر المكدوني ، وهذا غلط فاحش ووهم لا شبهة عليه . فذو القرنين من كنى ملوك اليمن العرب المعروفين بالأذواء كذي يزن وذي نواس وذي الكُلاع ، والإسكندر رجل يوناني . وذو القرنين مختلف في نبوته وإسكندر مقطوع بكفره وضلالته . وذو القرنين كان في زمن أحوال العمران فيه مخالفة لأحواله في زمن إسكندر المكدوني كما يعلم مما قصه الله علينا من أخباره ، فإنه طاف مشارق الأرض ومغاربها بأسباب طبيعية كانت متبعة في ذلك العصر ، فإنه يقول : فأتبع سبباً حتى إذا بلغ كذّا ثم أتبع سبباً حتى إذا بلغ كذا . والراجح أنه كان قبل إسكندر المكدوني بآلاف من السنين ، بحيث طمس أثر ذلك العمران . فعسى أن لا يغتر الناس بما يرونه في كتب التفسير والتاريخ وفي الجرائد من هذا الوهم . وإننا نتعجب من مثل أصحاب المقتطف والهلال كيف يكنّون إسكندر المدوني بذي القرنين مع رسوخ أقدامهم في علم التاريخ ، ولعلهم فعلوا ذلك لمجرد مجاراة بعض مؤرخي الإسلام ، أو لرأي لهم آخر في المسألة والله عليم بذات الصدور .

٢/٢٤ ص/٥٤٤



الملحق

٤

(إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق) كتاب جليل وسفر كبير ألفه السيد أبو عبد الله محمد بن المرتضى اليماني أحد مجتهدي القرن الثامن الهجري ، وقد طبعته شركة طبع الكتب العربية في مطبعة الآداب والمؤيد بالإتقان والنظافة المعهودين في الكتب التي تطبعها . الكتاب في أصول العقائد ، وقد اقتصر فيه على مانطق به الكتاب والسنة غالباً وترك الخوض في النظريات الفلسفية التي زادوها في علم عقائد الدين ، ولكنه توسع كغيره فيما توسع فيه المتكلمون كمسألة خلق الأفعال ومسألة الصفات ، ونقل كثيراً من كلام النظار . والمزية الكبرى التي امتاز بها كتابه على كتب العقائد المتداولة : أنه لم يتعصب لمذهب مخصوص ، ولم يخفف اللائمة في تقرير ما يعتقده إن كان مخالفاً لما عليه الناس ، لأنه آثر الحق على الخلق وهو أقرب إلى أهل الأثر منه إلى أهل النظر ، وعهدنا بأكثر المتكلمين التقصير في علم الرواية ، ويمكننا أن نقول : ينبغي لكل مشتغل بعلم الدين الاطلاع على هذا الكتاب .

٤/١ ص/١٦



الملحق

٥

عدن وبلاد العرب - لسائح محب للمنار

قال بعد رسوم الخطاب :

وقد وصلنا إلى عدن منذ عشرة أيام ، ولم نجد سبيلاً للسفر إلى حضرموت لعدم مصادفة ركب متوجه إليها ، والأمل أن نصادفه عن قريب . وقد كررنا التوسم في معارفنا بعدن علناً نهتدي لمن يقوم بنشر المنار فلم نجد كفؤاً لذلك إلا صاحبنا ..... إذ هو خير الموجودين ، ويجتمع لديه كثير من أهل عدن يومياً ، فعسى أن يستفيد بعضهم .

وإن شئتم الاستعلام عن أحوال أهل هذا الطرف ، فهم أناس عمهم الجهل وغمرهم ، ولهم اجتماعات على أكل القات ، وهو نبت يشبه الشاي مشهور ، لعله مخدر أو مفرح كما قيل ، لكن من المعلوم أنه متلف للمال مميت للوقت ، إذ يضيع لأحدهم في الجلوس لأكله نحو ثلاث ساعات ، وهي قريب من ثلث عمره بعد إخراج الأوقات اللازمة للضروريات ، ويصرف بعضهم فيه يومياً من ثلاث ربيات إلى عشر ربيات بلا فائدة ، ثم إنه لا يلذ لهم أكله إلا وهم مجتمعون في مكان مظلم وحولهم أباريق الماء يتاملظون به الجرعة بعد الجرعة ، وأمامهم المداعات (آلات التدخين) ، وبجوارهم جذور وأصول القات والعشب الذي يلف به ، ولا يلذ لهم حينئذ إلا الكلام الميت الفارغ إن كانوا من الأخيار ، أو الملاعنة والسباب إن كانوا من غيرهم . ومن سخائهم ببذل عصارة أبدانهم - وإن شئت فسمها دية أنفسهم - في شراء ذلك النبت النحيس ، تراهم في معيشتهم مقترين وبيوتهم

وثيابهم وسخة إلا أناس قليلون . إلا أن معاملتهم سيما مع الغرباء حسنة إلا ما ندر . ولهم صبر على الضيوف بالنسبة لغيرهم في هذا الزمان . ومعاملة الحكومة الإنكليزية للأهالي منها المشكور ومنها المذموم ، ورئيس كل مصلحة له فيها تمام الاستبداد ، والقاضي بالمحكمة الإنكليزية رجل فارسي له مدة طويلة وهو في مركزه ، والأهالي يحبونه ويذكرون عنه رفقاً وعدلاً ونزاهةً ، والأمان فيها مستتب ، فلا تكاد تسمع بسرقة ، والآن عندهم برد غير أنه حر بالنسبة لغيرهم ، إذ درجة الحرارة غالباً نحو ٨٦ فهرنهيت أي ٣٠ سنتغراد . وأزقة عدن أكثرها وسخ قذر عفن ، سيما مع المطر ، إذ نزل منذ يومين مطر بلّ الأرض وغمرها ، فصار الناس يخوضون في الأزقة بالنجاسات والقاذورات إلى نصف الساق ، كأنهم في الجمالية بمصر ، حتى بخرت الشمس تلك الرطوبات ، ولذلك ترى الحميات العفنة فيها كثيرة ، وحركة التجارة فيها مشكورة .

والحكومة الإنكليزية مهتمة بتوسيع دائرة نفوذها ، ولها مركز في جهة اليمن يسمى الضالع يبعد عن عدن ١٤٠ ميلاً ، أي مسير ستة أيام بسير القوافل ، ولها فيه نحو ستة آلاف عسكري ، ولها في عدن وما والاها أكثر من أربعة آلاف عسكري ، جلهم من الهنود ، والجمال التي تشتغل بنقل المهمات يومياً نحو أربعة آلاف جمل . وقد أرادت أن تستولي على جهات جبل يافع المشهور ، فأرسلت أحد أبالستها إلى أمير الجبل المسمى في جهته سلطان الجبل ، فأطمعه في رشوة كبيرة على دخوله تحت حماية الإنكليز واستدرجه حتى وصل به عدن ، وبوصوله تنسّم بعض أهالي الجبل من سكان عدن بعض الأسرار ، فذهب إلى قومه منذراً فاجتمعوا ، وتم رأي كبارهم على عزل الخائن وإهدار دمه هو ومن ساعده ، وأقاموا لهم أميراً آخر ، فلما بلغ هذا الخبر إلى عدن ضاق واليها به ذرعاً وتحير الخائن ولم يدر أين يذهب . ثم عمل الإنكليز على الانتقام من أهالي يافع ، فأرسلوا شرذمة من عساكرهم التي بالضالع إلى جبل شعيب وهو أول حدود جبل يافع ، وبينه

وبين الضـالع مسيرة يومين فصمم عرب تلـك الجهـة على الهجوم على العسكر ليلاً ، وأنـذر بهم الإنكليز فـانسحبـوا راجعين إلى الضـالـع . وربمـا كان أهـل لنـدن لم يستحسنوا فتح حرب اليمن قبل انتهاء حرب الصومـال . والمنـاوشـات بين العرب وعساكر الإنكليز مستمرة لا يخلو منها أسبوع غالبـاً ، حتى فيما قـارب عـدن إذ منـذ أيام قطع الطريق رؤساء قبيلة تبعد عن عـدن نحو ٢٤ ميلاً لقطع الإنكليز راتبهم عنهم وهـو ٥٠٠ ربيـة كل شهر وقـد تحصن ٤٠ نفسـاً من العرب في رأس جبـل ، ومعهم بنادق مارتين ، وخرج إليهم من الهنود مئتـا جنـدي ثم لحقتهم فرقـة أخرى نحوهم وبعد المحاربة بضع ساعـات انهزم الهنود وقتل منهم نحو أربعين منهم ضـابـط إنكليزي وجرح كثيرون منهم كبير تلـك الفرقـة ، وقتـل من العرب تسعــة نفر ، ويقال : إن الحرب ستجدد عليهم .

والحروب مستعرة في سـواحـل حضرمـوت ، وقـد أمـد الإنكليز أمير المكـلا بنادق مارتين ومدافع ، قدموهـا لـه مع أحـد بواخرهم الحربيـة ، أمـا جيش أمير المكلا بقيادة ابنه الذي قدمه إلى جهة حجر في أوائل رجب ، فقد عاد منهزماً لأن البدو كمنوا له في بعض تلك الجبال ، وصارت بين الفئتين مناوشة طفيفـة انسحب بسببها جيش صاحب المكلا ، غير أن الخسائر من الطرفين لا تذكر . ولم يزل أمير المكلا يحشـد الجنود ، وقـد اجتمع لـه نحو أربعـة آلاف رجـل للحملـة على حجر ، واجتمع نحو ستـة آلاف من البـدو للـدفـاع عن أوطـانهم ، وأتى وفـد من السـادات للصلح بين الطرفين ، وستكون الحرب أو الصلح وهو الأقرب في أثناء رمضان .

وأمـا أخبـار الصومـال فهي كثيرة جـداً ، لكن لم أثق بصحتهـا ، فـلا أتعبكم بقراءتها ، ومن مجموعهـا يفهم ؛ أن الانكسـارات تعـددت على الإنكليز ، وأن جنود المنلا أو الرداد كثيرة جداً ، وعنـده بعض ذخـائر وسلاح ، لا كما تزعم الجرائـد نقلاً عن المصادر الإنكليزية .

أما اليمن التركية فحالتها تعيسة جداً ، ولا بـد أن يكون بلغكم مـافعل بعض قبائل عسير ، وأنهم غدروا بسبعـة طوابير[☆] صغـار الترك ، فقتلوهم إلا نحو ثلاثين نفراً تمكنـوا من الهرب ، والسبب في ذلـك طغيـان الترك وظلمهم المكرر وعـدم الإنصـاف ، وإذا لم تنتبـه الحكـومـة التركيـة ، فـإنهـا تتسبب في إهـلاك الرعيـة والعساكر والبلاد والمال .

(المنار) : قد ذاكرنا بعض الإنكليز هنا في مسألة تعديهم في جهة عـدن على العرب مع شـدة بـأس العرب وعـدم أمن من يـدخل بـلادهم من الفتن والثـورات الدائمة فقال : إننا نعلم هذا حق العلم ، ولا رغبة لنا في فتح شيء من تلك البلاد ، وإنما جل قصدنا أن تكون عدن في أمن دائم من العرب ، وكل ما يكون هناك من المناوشات فسببه اعتداء العرب ، والمدافعة ضرورية لا بد منهـا وهي لا تقف عنـد حد معلوم .

المنار مج٦/ ج١٩/ ص٧٥٨/ - ٧٦٠

سبق لنا نشر رسالة من عـدن في (ص ٧٥٨) من المجلـد السـادس وردت في رمضان الماضي ، فيها أن إنكلترا تحاول الاستيلاء على جهات جبل يـافع المشهور ، وأنها أرسلت شرذمـة من جنـدهـا بـالضـالع إلى جبل شيب ، ولم تلبث أن عـادت أدراجها لشعورها بـالخطر من العرب . وأن المنـاوشـات بين الإنكليز والعرب على الحدود مستمرة ، إلخ . وقد كتب إلينـا أخيراً من عـدن كتـاب مؤرخ في ١٢ صفر الماضي يقول فيه مرسله :

قـد رجـع أمير المكـلاّ عن محـاربـة حجر بـدون نتيجــة ، ووصـل كثير من عساكره إلى عدن قافلين إلى جبل يافع ، ومن أجل ما خسره في تجهيز هـذه الحملـة

(☆) الطـابور في العرف التركي : فرقـة من العسكر نحو ٨٠٠ أو ألف ، ويظن أنهـا تركيـة ، ولكن في شرح القاموس إن (التابور) - بالتاء - جماعة العسكر . (المنار) .

والتي قبلها قد ابتدع ضرائب وضاعف المكوس ، وستؤثر هذه السياسة الخرقاء بزيادة الهلاك ، وربما عجلت تداخل الإنكليز في تلك النواحي . وقد أرجع الإنكليز كثيراً من عسكرهم إلى الضالع لإتمامهم التحديد مع الترك حسب زعمهم ، أو لترقب فرصة أحسن لهم حسب وعدهم ولهم عناية باستمالة صاحب نصاب والعوالق ، ويتحدثون بمد سكة حديد من عدن تخرق جزيرة العرب إلى الكويت ، ثم قال : وقد وصل إلى عدن بعض الجند الإنكليزي من الصومال إذ انجلى الإنكليز عنها لتعسر هضمها الآن ، وسيخلون بين المنلا القائم وأرضه لعله يبطر ويظلم سكراً بنشوة السلطة والسيادة كما فعل خليفة متمهدي السودان ، ثم يكرون عليه إذا أبغضه قومه واختلفت القلوب . والله المسؤول أن يوفق المسلمين لانتهاز الفرص والعمل السديد ، ثم قال : إن في عدن كثيراً من دعاة النصرانية شاجروا الأهالي وملؤوا آذانهم بالسب والشتم والحكومة معضدة لهم ، ونقول : إن هذا من سوء السياسة والجهل بالأمم ، فإن العرب لا يتنصرون ، ودعاتهم للنصرانية لا ينتصرون .

المنار مج ٧ / ج ٥ / ص ١٩٤ ـ ١٩٥



الملحق

٦

الدولة العليّة والإنكليز . الخلاف والوفاق والأسطول والمالية

نقرأ في الجرائد آناً بعد آن اهتمام الدولة بإنشاء أسطول عظيم ، وقد علمنا أن إنكلترا هي التي تحث الدولة وتدعها إليه ، ولما زار أميرال أسطول البحر المتوسط الإنكليزي سلطاننا بالغ السلطان في إكرامه كأنه من بيت الملك وتكلما في ذلك ، وأكد الأميرال للسلطان الوعد بأن إنكلترا تساعده على تقوية البحرية حتى بالمال ، بشرط أن يهتم بإصلاح المالية فيعزل ناظرها الذي كان يومئذ ، ويولي مكانه الناظر الحاضر ويؤلف لجنة للإصلاح المالي . وبعد أن سمعنا هذا رأينا السلطان فعل ذلك . ومع هذا نرى الدولتين مختلفتين على حدود عدن ، ونرى إنكلترا لا تنفك تسعى في تقوية نفوذها في الكويت وبلاد العرب ، والسبب في هذا وذاك الخوف على زقاق البوسفور من روسيا وعلى الخليج الفارسي منها ومن ألمانيا ، ونتمنّى لو تقدر الدولة بقوتها على حفظ الخليجين .

المنار مج/٧ ج/١٨ ص/٧١٩ ـ ٧٢٠

(المنار) نشرنا هذه الرسائل بنصوصها وقد علم أن رأينا حصر المصلحة في إقرار ابن سعود على إمارة نجد الموروثة له ، وأن لا تفعل الدولة العلية في بلاد العرب ما يزعزع ثقتهم بها ، وإذا وثق بها أهل نجد سهل عليها حل عقدة اليمن ، كذا عقدة الكويت ، والله الموفق .

المنار مج/٧ ج/٢٢ ص/٨٧٧

فتنة اليمن

شاع من مدة أن حَميد الدين مدعي الإمامة في اليمن قـد توفي ، وكان يظن أنه هو الذي كان يثير الناس على الـدولـة ، ولكن الفتنـة قـد عظمت من بعـده ، وقـد استفـاضت الأخبـار بـأن الثـائرين في اليمن قـد استفحـل أمرهم ، حتى إنهم حاصروا صنعاء عاصمة الولاية . ويؤيد هذه الأخبار ماجاءتنا به أخبـار سوريـة من اهتمام الدولة بجمع عسكر الرديف الـذي لا يجمع عـادة إلا في الحروب العظيمـة لأجل اليمن بضرب القرعة العسكريـة قبل أوانهـا . وقـد كانت الـدولـة وفقهـا الله تعـالى في غنى عن هـذا كلـه لو أحسنت الإدارة والسيـاسـة هنـاك ، فـإن الأهـالي لا يثورون إلا من الظلم والضيق ، وسبب الظلم أن عمـال الحكـومـة هنـاك أكثرهم من الأشرار الذين أرسلوا إلى اليمن عقوبة لهم وتأديبـاً ، ثم إنهم يكلفون بجمع المـال وإرساله إلى الآستانة ، ولا يسمح لهم أن يأخذوا رواتبهم منه إلا في كل عـدة أشهر مرة ، فيضطرونهم إلى الظلم والرشوة والنهب . والطريقـة المثلى لـذلـك أن تختـار الدولـة جميع العمال لتلـك البلاد من أهل العلم والـدين ، وتعهـد إليهم بـأن يحكموا بالشريعة دون القوانين ، وتعطيهم رواتبهم في كل شهر ، وتعـاقب من يشـذ منهم أشد العقاب ، ثم تجتهد في عمران تلك البلاد التي كانت لها مـدنيـة لاتضـارعهـا في وقتها مدنية .

المنار مج/٧ ج/٢٢ ص/٨٧٧

(المنار) هذا ماكتب إلينا من البلاد العربية بنصه ، وقـد سرّنـا أن الـدولـة وفقها الله أرسلت إلى نجد هذا الرجل الـذي سلـك مسلـك الحكمـة وحفـظ كرامـة الدولة ، وحقن دماء المسلمين ، وأنـام الفتنـة التي كان أيقظهـا ابن رشيـد ، وهـذا ماكنا أشرنا به وتمنينـاه . وليتهـا وفقت لمثل ذلـك في اليمن قبل استفحـال الفتنـة

واشتعـــال نيران الثـورة ، ولكنهـــا لم ترســل إلى اليمن إلا أهــل السلب والنهب المغرورين بقوة الدولة على رعيتها ، إذ الولد الذي يربى بـالقسوة والعنف لا ينشـأ إلا عاقـاً ، ينتظر الفرصـة للانتقـام من مربيـه ، فليت عمـال الـدولـة القسـاة في سورية وغيرهم يفهمون هذه القاعدة الطبيعية .

المنار مج/٨ ج/٦ ص/٣٠٦

وفد الشريف إلى اليمن والثورة

بلغنـا أن الشريف أمير مكـة المكرمـة أرسل وفـداً مؤلفـاً من أحـد الأشراف وأحـد العلمـاء وثلاثـة نفر تـابعين لهما إلى زعيم الثورة في اليمن ، ليقنعـه بـالخضوع للدولة العلية . والدولة لاتزال ترسل الجيوش إلى اليمن تباعـاً ، والثورة تزيـد قوة وامتداداً وإن قليلاً من العدل والحكمة خير من ذلك كله ، وأنى لنا بها .

المنار مج/٩ ج/٦ ص/٤٨٠

☆ ☆ ☆

الملحق

٧

حضرموت واليمن

نلخص ما يأتي من رسالة صديق لنا في حضرموت قال :

كان خروجي إلى حضرموت من عدن براً ، لأني لم أجد مركباً بحرياً إذ ذاك فازددت بذلك علماً عن تلك الفيافي والقفار ، والبدو والحضر ، والعرب بتلك الجهات ، ووقفت على أحوالهم وعاداتهم ، وحالة الدين واندراسه ، ودسائس الإنكليز هناك ، وما ينتظر للدولة العلية في اليمن . قطعت في سيري أرض الفضلي وهي أول دولة من دول العرب هناك تلي إنكلترا وتواليها ، ولها سواحل بالقرب من عدن ، أشهرها يسمى (شقرة) ، ودولتها بدوية استبدادية ، وعسكرها هم عصبة الملك وقبيلته ، وهم بدو حربيون ، ولها سياسة ، واسم ملكها أحمد بن حسين الفضلي ، وهو باسط بساط العدل والأمان ، ومن عاداته أن من سرق له شيء أو نهب من بلده يجيئه فيعطيه من خزينته عوض ما سرق أو نهب منه ، ويذكي هو العيون على المعتدي حتى يظفر به ويسترد منه ما أخذه ، وله راتب سنوي من إنكلترا نحو ١٢٠٠٠ روبية ، ويسمونه (مشاهرة) ، وقد وقع بينه وبين الإنكليز تنافر من مدة ، لأنه طلب سلاحاً مدافع فلم تسمح له بذلك .

يليه (يافع) ويقدرون ساكنيه بنحو ٧٥٠٠٠ ألفاً ، ويجلب منه (يصدر) الجلود والبن ، والورس والزعفران ، والذرة والقمح ، وغيرهما من الحبوب . وهم بدو قبائل متفرقة يتحاربون ويتصالحون ، ولهم من الإنكليز مرتب ، وقد أريدوا على الدخول في الحماية البريطانية فأبوا . ولما قاتلوا الإنكليز منذ عامين عاتبهم الباشا صاحب قحطبة من ولاية الدولة العلية .

يليهم الجبال البيضاء وهي أرض ذات أنهار وخصب وأهلها بدو ، وهم موالون لإنكلترا ، ولهم راتب منها ـ والعواذل وهم دولة وقصبتهم تسمى (دثينة) ، وهي خصبة ذات تربة طيبة ولم يطاوعوا إنكلترا ، ولذلك أجلت المهاجرين منهم من عدن بالسعط لما عارضوا جنوده التي وجهها الإنكليز إلى بلاد العوالق .

يليهم بلاد العوالق وأهلها قبائل لهم دولة من غيرهم ولا نفوذ له (يريد بالدولة الحاكم) وعاصمتهم (أنصاب) ، وهي ذات آثار وبقربها أحجار عليها كتابات حميرية ، وللكهم ورؤساء القبائل مرتبات ، ولعالمهم (عاتق باكر) الذي له نفوذ هناك ، حتى إنه ليجمع الزكاة من البادية راتب شهري من الإنكليز قدره / ٥٠٠ / روبية ، على أنه يأخذ راتباً من الدولة العلية فهو منافق وميله القلبي إلى بريطانيا ، ولذلك يوسع نفوذها هناك . أما العوالق فيقدرون عسكرهم الذي يمكنه القتال بنحو ٤٠٠٠ ألف (كذا في الأصل فإن كان مراده أربعة آلاف كما هو الظاهر فلا حاجة إلى كلمة (ألف) بعد الرقم ويقرب أن يكون عددهم أربعين ألفاً ، ويبعد أن يكون أربع مئة ألف ، فما كتب خطأ نرجو من الكاتب إصلاحه بعد وصول المنار إليه ، حدثني بذلك رئيسهم أخذاً من عددهم في الوقائع (الغزوات) القومية التي حشدهم فيها) .

يلي العوالق إلى ناحية الشرق والبحر دولة الواحدي عاصمة حبان وهي بلدة قديمة أسس جامعها سنة ٢٦٦ للهجرة ، وكان بها من العلماء جهابذة فصحاء ، وقفت على بعض قصائدهم الفصيحة التي تكاد تسيل انسجاماً ، وحالتها اليوم جاهلية وهي تحت حماية الإنكليز . وقد عقدوا عهداً على خروجه إليهم (كذا) وساحلهم بالحاف وقد أخذ نصفه أمير المكلا القعيطي من أخي ملكها شراء ، فقامت إنكلترا تعارض فيه ، والله يعلم هل يسلم له أم تأخذه إنكلترا .

(وههنا رسم الكاتب صورة تلك البلاد من عدن إلى الشحر وأنصاب العوالق وكتب عنه ذكر (لحج) أن ملكها أحمد فضل العبدي قد باع أرضه من إنكلترا ، وله راتب منها . وعند قحطبة) أنها أول ولاية الدولة العثمانية . وعند ذكر (الشحر) أنه عند أمير المكلا القعيطي وهو داخل تحت حماية إنكلترا . وعند ذكر (سبأ) و (مأرب) ملكها من الأشراف وهو محالف لإنكلترا وله راتب وبينهم عهود ، وقد أوفدت إنكلترا إلى تلك البلاد وفداً علمياً ، فنقلوا رسوم الآثار والكتابات الحميرية التي على الصخور والأسطوانات الرخامية الحميرية ، إلخ ..

وقال : إن من يشاهد نفوذ الإنكليز هناك يعتقد أن الدولة العلية سيتقلص ملكها عن قريب بسعي أولئك الرجال) . ونزيد قوله تعالى : ﴿ وما ظَلَمْناهُمْ ولَكِنْ كانُوا هُمُ الظَّالِمين ﴾ فإن عادوا للعدل ، عاد الله عليهم بالفضل ، ثم قال : على أنني لم أخبركم ببعض الجبال والمراكز والقبائل فانظروا تروا أنه إذا نشبت الحرب بين إنكلترا والدولة ، فإن إنكلترا تأتيها من فوقها ومن أسفل منها . وهذه المراكز الداخلة تحت حماية إنكلترا أو في محالفتها تسمى باليمن الأسفل إلا الضالع ، فإنها من اليمن الأعلى ، ونفوذ إنكلترا في اليمن الأسفل يمتد مسافة شهر تقريباً ، وستمد سكة حديدية تقطع هذا البر إلى (أنصاب) عاصمة العوالق ، ثم تمر بعد ذلك في البوادي التي تجلها كندة ونهد والكرَب إلى الكويت . ولم تدع إنكلترا رأساً من رؤوس القبائل إلا وأعطته مرتباً جارياً ، وكان تداخلها في هذه البلاد بواسطة واحد من أبنائها دخل البادية ونشأ فيها ، فهو يتكلم بلغتها ، وإذا دخل فيها يلبس لها لباسها الذي هو من السن إلى الركبة (كذا) ورداء وعمامة وتسميه البادية (عبد الله بن منصور) .

وأهل البادية يتحدثون بعدل إنكلترا وبديانتها التي تمليها عليهم القسوس بعدن ، ولقد حرت من تقريرهم لها إذ لا يعرفون معنى الدين الإسلامي ما هو ، وسيكون لذلك الأثر السيء في تلك الأقطار إذا خالط أهلها الإنكليز ، فالمعارف

الدينية معدومة بالكلية ، حتى إن هنـاك العوالق السفلى والمتـاتلـة منهم يقـدرون بنحو ٢٠٠ لا يعرفون شيئاً من الـدين ونكاحهم إنما هو نهب ينهب الـواحـد بنت الآخر ويتزوج بها ، فإذا ولدت ذهب أولادها يـأتون بـالعقـد عنـد أبويهـا وإنهـا لتفتخر على من تزوجت بالتراضي ، وينكح أحدهم أخته وخالته وزوجة أبيه بعـد موته ولا يعرفون النبي ﷺ .

والبـاديـة كلهـا متسلحـة بـالسـلاح الحـديث المكتـوب عليـه (كارديف) و (مـارتين) و (سن ايتمنس) وإنكلترا مشـددة على الخرطوش فلا يصـل إليهم إلا بعد الجهد ، وهم يشترونه بأثمان باهظة . وإنـك لترى أهل البوادي يتسـابقون إلى عدن تسابق الجياع إلى القصاع ، والمال ينهال عليهم ، حتى إن البدوي الذي يقنع بالروبية يعطى من المئة إلى المئتين بلصة أو بخشيش ، ويسمونه فشح ، وسـأخبركم بأخبار تلك الجهة على التحقيق وبما للسادة (الشرفاء) من النفوذ هنـا ككون كل قبيلـة لهـا (منصب) منهم أي رئيس روحي يعقــد الصلـح ويــأخــذ النــذور ويستغاث بجده المعروف بالولاية .

مكثت في تلك الجهات شهرين في حلّ وترحـال إلى أن وافيت حضرموت ، وأهلها في الجملة (قبورية) ، وسأخبركم بحالها وبسياسة أمير المكلا فيا يـأتي . أمـا واردات المكلا خاصة فهي ٣٥٠٠٠٠ جنيه يأخذ عليها الأمير مكسباً باهظاً . وأمـا الصـادر وهو التنبـاك والسمـك وغيره فنحو ١٠٠٠٠٠ جنيـه ، ولا تزال أسـاطيـل إنكلترا ومـدرعـاتهـا تطوف بهـذه السواحل تتنسم الأخبـار ، وعسى أن نوفق هنـا للدعوة ، فإنا وجدنا حزباً يوافق مانحن عليه ، وأنـاسـاً يعرفون المنـار أكثرهم ممن يتاجرون إلى جاوة ، ودولة المكلا (أي أميرهـا) غـائب بـالهنـد ، وسـأوافيكم بمـا يتجدد . اهـ المراد منه .

المنار مج/٩ ج/٧ ص/٢٧٥ ـ ٢٧٨

☆ ☆ ☆

الملحق

٨

اليمن

سبب فتنتها وإمام الزيدية فيها

إن العرب في اليمن وحضرموت ونجد وسائر جزيرة العرب يحبون الدولة العثمانية محبة صادقة ، وزادهم حباً فيها وحرصاً على بقائها في هذا الزمن اعتقادهم أن دول أوربا تتربص بها الدوائر ، وتحاول إزالة سلطتها لإزالة سلطة الإسلام من الوجود ، وهم على بقاء ميزاتهم الجنسية والوطنية على نحو ما كانوا في القرون الماضية والأجيال الغابرة ، لم يطرأ عليهم من التغير ما طرأ على أهل الآستانة ومصر والشام والأناضول وغيرها من الأقطار الإسلامية : لا تزال الرابطة الدينية عندهم فوق رابطة الجنس واللغة والوطن ، لم تعلمهم المدنية الأوربية التعصب للجنس كما علمت الأتراك ، ولا للبقعة كما علمت المصريين ، فهم يتمنون لو يجدون من الترك حكاماً يقيمون العدل ويحكمون بالشرع لا يجدون في صدورهم حرجاً من ذلك .

ولكن الذي لا يطيقون احتماله ولا يصبرون عليه هو الظلم والجور والخيانة والغدر لأنهم ورثوا الاستقلال الشخصي والقومي وعزة النفس وإباء الضيم منذ آلاف من السنين .

وقد بينت في المنار من قبل أن فئة قليلة من العمال (الحكام) المسلمين العدول العارفين بالشرع المهتدين به يكفون الدولة في اليمن أمر هذه الحروب التي طالت عليها السنين ، فخربت البلاد ، وأضاعت على الدولة من الأموال والرجال

ما هي في أشد الحاجة إليه لصيانة استقلالها من عبث أوربا التي تواثبها المرة بعد المرة ، وأضرت بها أنواعاً أخرى من المضرات لا حاجة إلى شرحها الآن .

الزيدية طائفة من عرب اليمن تدين بوجوب إقامة إمام لها من العترة النبوية فهم بذلك أجدر العرب بعدم الخضوع للدولة العثمانية ، ولكنهم مع ذلك يتمنون لو تقيم الدولة في بلادهم العدل وتحكم بالشرع ، ويكون لها منهم ما يريدون فما بالك بغيرهم .

حاولت الدولة غير مرة أن تقيم الحجة الشرعية على هؤلاء بوجوب طاعة الإمام ، وتحريم الخروج والعصيان ، فأرسلت من خاطب إمامهم بذلك غير مرة فكانت حجة الإمام أنهض ، وحجة رسول السلطان أدحض ، لأن الظلم والبغي بغير الحق حجج عملية ، لا تبطلها الحجج القولية ، ولا تفيد معها شيئاً .

وقد عثرنا في هذه الأيام على نص ما أجاب به إمام الزيدية عما وجهه إليه الشيخ محمد الحريري مفتي حماة المندوب الذي أرسله إليه السلطان منذ سنين ، ومنه يعلم صحة رأينا في هؤلاء القوم وهذا نصه :

المنصور بالله محمد بن يحيي حميد الدين
عصمتي بالله وما توفيقي إلا بالله

بسم الله الرحمن الرحيم

اللّهم أيد دينك القويم بالعلماء العاملين ، واكشف ببركتهم جهل الجاهلين ، وارفع بحميد سعيهم غفلة الغافلين ، فهم بحور العلم الزاخرة ، ونجوم الهدى الزاهرة ، وزينة الدنيا والدين والآخرة ، وأهل الفضائل المتكاثرة ، منهم ذو المجد

الشامخ المنيف ، والحسب الباذخ الشريف ، والأدب المثمر روضه الوريف ، السيد محمد الحريري الرفاعي الحسني الحموي ، ألبسه الله جلباب التقوى ، وقاده إلى التمسك بالحبل الأقوى ، وأعاد إلى محياه السلام الأسنى ، والإكرام الأهنى ، وصلى الله على محمد خاتم أنبياه ، وعلى آله سفينة النجاة ، وتراجمة الكتاب وقرناه ، وعلى صحابته الذين اتبعوه بعد مماته وفي محياه .

أما بعد فإنا بحمد الله الذي لا يرجى ويخشى سواه ، ولا نعبد إلاّ إياه ، وإنه وافانا منك أيها السيد كتاب كريم ، ومسطور رائق فخيم ، أفاد معرفة بحقوق العترة النبوية ، والسلالة العلوية ، بما ورد فيهم من الآيات القرآنية ، والأحاديث الصحيحة المروية ، (وإن دواعي المحبة اقتضت المراسلة ، وبواعث المودة جذبت إلى المكاتبة والمواصلة) وإن من لوازم المحبة والإيمان ، بذل النصيحة للإخوان ، لاسيا ولاة الأمور ، الذين ناط الله بهم صلاح الجمهور ، وأفاد أسعده الله أنه مستنكر لما جرى بيننا وبين الولاة المرسلين من حضرة الدولة العثمانية ، والسدة الخاقانية ، من الحرب والاختلاف ، وعدم التوافق والائتلاف ، وأنه يرى الخير في إصلاح ذات البين ، ورفع الفتنة التي تؤدي إلى التهلكة والحين ، وإنه ورد الحث عليه في السنة والكتاب ، وإنه مناط الرضا لرب الأرباب ، وإن السلطان الأعظم ممن أقام الله به الدين ، وانتظمت به أحوال المسلمين ، وتشرف بخدمة الحرمين الشريفين ، وأقام بجهاد الكفار ، ومنابذة الأشرار ، وإن رغبته في صلاح الدنيا والدين ، وقمع الفجار المعتدين ، وإن القطر اليماني المحروس بالله محل الإيمان ، كما ورد عن سيد ولد عدنان ، وإن سعيه في ذلك نصيحة دينية ، ومحبة إيمانية .

فنقول : نعم الأمر كما ذكرتم مما وقع بيننا وبين من تعلق بالسلطة القاهرة أعز الله بها الإسلام ، وقمع بها ذوي الإلحاد الطغام ، ولم يكن لنا من الرياسة الدنيوية طلب ، ولا في الراحة البدنية أرب ، ولا نعول على جمع المال ووفرة

المكسبَ ، ولا مزيد على مانحن فيه من الحسب والنسب ، لكنا رأينا المأمورين لم يؤدوا حقوق الله ، ولا رعوا حرمـة مـا حرمـه الله ، ولا غضبوا يومـاً على معـاصي الله ، ولم يعملوا بشيء من كتـاب الله ، ولا سنـة رسول الله ، و ﴿ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مـا لَمْ يَـأْذَنْ بِـهِ الله ﴾ ، وارتكبوا المعـاصي ، ورموا إليهـا النـاس بـأطراف النواصي ، وجـاهروا الله بشرب الخمور ، وارتكاب الفجور ، وظلمـوا كل ضعيف ، وأهانوا كل شريف ، حتى فسدت الذرّية ، وارتفعت كلمة اليهوديـة والنصرانيـة ، وصارت الأكراد والمجوس تحكم في البرية . ﴿ لا يَرْقَبُونَ في مُؤْمِنٍ إلاًّ ولا ذِمَّـةً ﴾ . ولا تأخذهم في المسلمين رأفة ولا رحمة ، ولما لم نجد عن أمر الله بداً ، استعنا وتوكلنا عليه وبـذلنـا في الجهـاد جهـداً ، امتثـالاً لقول الله عز وجل : ﴿ وقَـاتِلُوهُمْ حَتَّى لاتَكُـونَ فِتْنَـةٌ وَيَكُـونَ الـدِّينُ لله ﴾ وقـولـه عـز وجـل : ﴿ ولْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّـةٌ يَـدْعُـونَ إلى الْخَيْرِ ويَـأْمُرونَ بِـالْمَعْروفِ وَيَنْهَـوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وأُولَئِـكَ هُمُ الْمُفْلِحـون ﴾ وقـولـه : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّـةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّـاسِ تَـأْمُرونَ بِـالْمَعْروفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَر ﴾ وخوفاً مما خوفنا الله به من نحو قوله تعـالى : ﴿ لُعِنَ الَّـذِينَ كَفَروا مِنْ بَنِي إسْرائيلَ عَلَى لِسَانِ دَاود وعيسى بنِ مَرْيَم ذَلِكَ بِمَـا عَصَوا وَكَـانوا يَعْتَـدون ☆ كَـانُوا لا يَتَنَـاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مـا كَـانوا يَفْعَلُون ﴾ ونحـو قـولـه ﷺ : « لتـأمرنّ بـالمعروف ولتنهن عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم » . حتى إذا بلغ الكتاب أجلـه كان هو الله المنتصر لنفسه . ولم نزل نتوخى أن السلطة القاهرة أعز الله بهـا الإسلام ، إذا رفعت إليهـا تلك القبائح التي لا يختلف في وقوعها اثنان ، أن تأخذها حميـة الـدين والإيمـان ، على تلافي مافرط من الإضاعة ، وتستدرك مـافـات من حق عترة رسول الله ﷺ الذين لا تستحق بدون اتباعهم الشفـاعـة ، فلم يزدادوا مع طول المـدة إلا انسلاخـاً من الدين ، وتوسعاً من تآمر الفجرة المعتدين .

فـإن قلت أيهـا السيـد : إن تلـك القبـائح مبـاحـة في الإسلام ، وأن فعلهـا

مستحل من أتباع شريعة سيد الأنام ، فهات الدليل ، ولا يقول بذلك إلا ضليل ، وإن أنكرت أيها السيد أن ذرية الرسول ﷺ ، هم الحجة في الفروع والأصول ، صاح بك قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الكِتَابَ الَّذينَ اصْطَفَيْنا مِنْ عِبادِنا فَمِنْهُمْ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ ومِنْهُمْ سابِقٌ بالْخَيراتِ بِإِذْنِ اللهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبيرُ ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ قُلْ لاأَسْأَلُكُمْ عَلَيهِ أَجْراً إِلاّ الْمَوَدَّةَ في الْقُرْبَى ﴾ ، ونحو قوله ﷺ : « إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبداً كتاب الله وعترتي أهل بيتي إن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض » . وقوله ﷺ : « إن عند كل بدعة تكون من بعدي ولياً من ذريتي » . وقوله ﷺ : « أهل بيتي أمان لأهل الأرض » . وقوله ﷺ : « أهل بيتي كسفينة نوح » . وغير ذلك مما لا يتحمله المقام فالظهور أبين للحجة ، وأوضح للمحجة ، لا ما خوفتنا به من القتل والنكال : فإنا أهل بيت لا تزعزعنا كواذب الآمال ، ولا نعد بذل نفوسنا في سبيل الله إلا من أشرف الخصال ، ولا نفزع إلى غير ذي الجلال ، ولا ندعو سواه في البكور والآصال .

على أن قومي تحسب الموتَ مغنماً وأن فرار الزحف عارٌ ومغرمُ

﴿ أَمَّنْ هَذا الَّذي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِن الكَافِرُونَ إِلاّ في غُرورٍ ﴾ . ﴿ إِنْ يَنْصُركُمُ اللهُ فَلا غَالِبَ لَكُمْ وإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ . ﴿ إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدامَكُمْ ﴾ . ﴿ وَنُريدُ أَنْ نَمُنَّ على الَّذين اسْتُضْعِفُوا في الأَرْضِ ونَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الوارِثِينَ ﴾ . ﴿ الَّذينَ إِنْ مَكَّنّاهُمْ في الأَرْضِ أَقامُوا الصَّلاةَ وآتَوُا الزَّكاةَ وأَمَرُوا بالْمَعْرُوفِ ونَهَوا عَنِ الْمُنْكَرِ وللهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ ﴾ . فنحن من وعد ربنا على يقين ، ﴿ والعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ وإنك لا تجد في خطتنا المنصورة إلا قائماً لعبادة ربه إذا أسدل الليل جناحه ، أو تالياً كتاب الله وذاكراً إذا أطلع الفجر صباحه ، ومساجدنا معمورة بالعلم والعمل ، وقلوبنا ضالة عن الجبن والفشل . ولا نفتخر

كغيرنا بآلات الحرب الفاخرة ، ولا بالسيوف المتكاثرة ، التي تحت أمرنا عاثرة ، بل نتبرأ من الحول والقوة ، ونتمسك بأذيال سيرة الإمامة والنبوة .

مغارس طابت في ربا الفضل فالتقت على أنبيـــاء الله والخلفـــاء
إذا حمـل النـاس اللـواء عـلامـةً كفـاهم مثـار النقـع كل لـواء

فقد أوضحنا لك أيها السيد طريقتنا ، وأبلغنا إليك أفعال أعادينا ﴿ فَأَيّ الفَريقَين أَحَقُّ بالأَمْنِ إنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ . ﴿ الَّذينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمَ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ ولو يعلم السلطان الأعظم حقيقة الحال ، لسارع إلى إعانتنا في الحال والمآل ، ورفع جميع المأمورين من الخطة اليمانية ، وأمرهم بحرب الفرقة الكفرية ، ولمنعهم عن محاربة العترة النبوية ، التي هي بضعة من الذات الشريفة المحمدية ، ولأوفى جدنا الأعظم أجر تبليغ الإنباء المشار إليه بـ ﴿ قُلْ لاأَسْأَلكُمْ عليهِ ﴾ الآية . ولتباعد عن مشابهة من قال فيهم خاتم النبيين : « من قاتلنا آخر الزمان فكأنما قاتل مع الدجال » ، وعن الدعوة النبوية في قوله لأهل بيته : « إنا حرب لمن حاربتم سلم لمن سالمتم » . وقد أمر الله تعالى بالكون مع الصادقين بقوله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقينَ ﴾ وثبتهم بقوله : ﴿ إنّما الْمُؤْمِنُونَ الَّذينَ آمَنُوا باللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ في سَبيلِ اللهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ . ﴿ قُلْ هَـذِهِ سَبيلي أَدْعُوا إلى اللهِ عَلَى بَصيرَةٍ أنا وَمَنِ اتّبَعَني وَسُبْحانَ اللهِ وَمَا أنا مِنَ الْمُشْرِكينَ ﴾ . ﴿ يَاقَوْمَنَا أَجيبُوا دَاعيَ اللهِ وآمِنُوا بِهِ يَغْفِر لَكُمْ مِنْ ذُنوبِكُمْ ويُجِرْكُمْ مِنْ عَذابٍ أَليمٍ ﴾ . ﴿ وَمَنْ لا يُجِبْ داعيَ اللهِ فَلَيسَ بِمُعْجِزٍ في الأَرْضِ وَلَيسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلياءُ ﴾ . ﴿ ويَاقَوم مَالي أَدْعُوكُمْ إلى النَّجاةِ وتَدْعُونني إلى النَّارِ ﴾ فإذا وجدت أيها السيد خلاصاً من أوامر الله أفدنا من كتاب الله ومن سنة رسول الله ودع عنك التخويف بالمخلوقين كما قد قيل :

جــاء شقيــق عـــارضـــاً رمحـــه إن بني عمـــــك فيهم رمـــــاح

وأما اجتماع الكلمة على الحق فمن أين لنا ذلك ، وإلا فهو عندنا من أعظم المسالك حقناً للدماء ، ورفعاً للدهماء ، ونسأل الله أن يرفع عن الأمة المحمدية السوء والمحن ، ويجعلها على اتباع الكتاب وقرنائه أهل بيت النبي المؤتمن ، وأن يعيذنا من نزعات الشيطان الرجيم ، ومضلات الفتن وحسبنا الله ونعم الوكيل .

وكان اللائق بحال أركان السلطان الأعظم أن يجعل القطعة اليمانية من جملة الممالك التي بأيدي الكفار وقد أضربوا عنها صفحاً ، وطووا عنها كشحاً ، وما سارعوا لغير مملكة اليمن التي بأيدي أولاد رسول الله ، يحكمون فيها بما أنزل الله ، ويمنعون محارم الله ، فهلا جعلوا آل الرسول كالكفار الذين تركوا لهم ممالكهم ؟ اللهم اشهد وكفى بك شهيداً » اهـ .

(المنار) تسمع الدولة هذه الأخبار وتقرأ مثل هذا الجواب : هي توالي إرسال الجيوش إلى اليمن ، فإذا توالى انكسارهم أرسلت من الرسل السلميين من يقيم الحجة على إمام الزيدية !! لم نعتبر بإخفاق محمد الحريري وحسن خالد الصيادي فأرسلت في العام الماضي وفداً من علماء مكة فكانت حجتهم كحجة من سبقهم . ولو سمعت كلامنا نحن الناصحين المخلصين لأرسلت والياً عادلاً حكيماً وعمالاً من أهل الدين والاستقامة ، فبذلك لا بسواه تنطفئ نار الفتنة ، وتخضع اليمن للدولة ، فإذا أعوز الدولة هذا العلاج ، فلتعلم أن جميع بلاد العرب ستتبع اليمن في الخروج عليها ، أو الخروج من سلطتها .

المنار مج ١١/ج٣/ص ١٧٦ ـ ١٨١

☆ ☆ ☆

الملحق

٩

سياسة إيطاليا بمطامعها في بلاد المسلمين

دولة إيطـاليـا تحـاول مجـاراة الـدول الاستعمار يـة ، ولكنهـا تجهل الاستعمار فتسلك إليه غير طرقه وتأتيه من غير أبوابه . ومن المعروف المشهور أن لهـا طمعـاً قديماً في ولاية طرابلس الغرب العثمانية ، وقد علمنا في هذه السنة أن أطماعهـا قـد تعلقت بولاية اليمن ، وأنها منذ زمن غير قريب تدس الدسائس إلى إمام الزيـديـة فيها لتقوي عزيمته على محاربة الدولة العلية ، وتتوهم أنها تـدخل اليمن في ظلمـات هـذه الفتنـة فلا يفطن لهـا أحـد . وإن طمعهـا في اليمن لأدل على جهلهـا بطرق الاستعمار من طمعهـا في طرابلس الغرب ، لا لأن عرب اليمن أشجـع وأمرن على الحرب من عرب طرابلس ، ولا لأن الـزعيم الـديني الـذي في اليمن سيـاسي حربي بـالفعـل ، والـزعيم الـديني (وهـو السنـوسي) الـذي في صحـاري طرابلس ليس كذلك ، بل لأن اليمن والحجاز صنوان ، فالدولـة التي يستقر سلطـانهـا وقوتهـا في اليمن تكون خطراً متصلاً بالحجاز ، فـأول من يتـألب عليهـا إذا كانت غير مسلمـة عرب الجزيرة ، ويجب على جميع المسلمين في جميع أقطـار الأرض أن يكونوا عونـاً لهم بكل ما يستطيعون . فكأن دولة إيطاليـا بطمعهـا في اليمن تهـدد المسلمين بهـدم الكعبة والقضاء على الإسلام في حرم الله تعالى وحرم رسوله ﷺ .

ومع هذا نرى لبعض خدمة هذه الدولة وسائل سياسيـة تضحـك الثكلى يراد فيها غش المسلمين وإقناعهم بأن إيطاليا محبة للإسلام والمسلمين ، منها تلك الهدية التي أرسلتهـا إلى السنـوسي ومـا أمكن أن ترسـل إليـه إلا بـاسم رجـل مسلم من

مستخدميها ، ثم كتب إليه بعد ذلك بأن ملك إيطاليا دفع ثمنها لحبه الشديد في الإسلام نفسه وفي المسلمين عامة والسنوسي والسنوسية خاصة !! ومنها ماذكرناه في بعض أجزاء منار هذه السنة من استخدام الشيخ عبد الرحمن عليش في بناء مسجد وإيقافه ليصلى فيه على روح أمبرتو الأول ملك إيطاليا السابق ليشيعوا ذلك بين جهلة مسلمي طرابلس واليمن والصومال والشيخ عليش يصفه بالإيمان ليوهم الناس أنه كان مسلماً !!

ومنها إنشاء مجلة بمصر نصفها عربي ونصفها طلياني كتب عليها « عربية تليانية إسلامية » ويدير أعمالها وسياستها رجل طلياني ، ويكتب فيها من الخبط والخلط في الدين والتصوف ما يبكي المسلم الصادق ، ويضحك المارق والمنافق ، وأما الحب الذي يضعه مدير سياسة هذا الفخ حوله ليجذب به إليه من يراه من أغرار المسلمين الذين يشبهون الطير في غرارتها فهو مدح الإسلام ودعوى إقناع الأوربيين بفضله . وأي فضيحة على المسلمين أشنع من ثقتهم بأن بعض الأجانب الذين يخدمون دولة طامعة في بلادهم هو الذي يبين لأوربا وللمسلمين جميعاً حقيقة الإسلام وفضله وهو لا يعرف أحكامه ولا يستخدم إلا الجاهلين بها ؟ ولماذا لم يجعل هذه الخدمة للإسلام بلغات الدول التي يقول إنها أعدى أعدائه كإنكلترا وفرنسا دون لغة أهله العربية ولغة محبيه بزعمه وهم الإيطاليون ؟

وقد وقع لبعض جرائد المسلمين تقريظ لهذه الصحيفة الخادعة ولعله كان قبل التأمل فيها ، والتفطن لما في أحشائها ومطاويها فعسى أن لا تعود هي ولا غيرها إلى ذلك .

المنار مج/١١ ج/٨ ص/٦٢٧ ـ ٦٢٨

☆ ☆ ☆

البلاد العربية والسكة الحجازية(☆)

بلاد العرب أو شبه جزيرة العرب مساحتها مليون ومئة ألف ميل مربع ، وعدد سكانها على أقل تقدير سبعة ملايين وعلى أكثره عشرة ملايين ، وهي من أخصب البلاد أرضاً وأجودها تربةً وأعظمها خيراً ، إذا اعتُني بها وتوفرت وسائل الأمن والراحة والعمران فيها . واليمن أجود بلاد العرب بقاعاً وأكثرها سكاناً وأعظمها ثروةً وخصباً ، ولهذا كانت تسمى قديماً (العربية السعيدة) إلا أنها محاطة بصحارى رملية منخفضة شديدة الحر قليلة المياه ، يظن السامع بها أن اليمن كلها على هذا النمط : صحارى ورمال مع أن هذه الصحارى لا تمتد إلى الداخل من السواحل الشرقية والغربية أكثر من خمسين إلى ستين ميلاً يجتازها المسافر في ثلاثة أو أربعة أيام حيث يرى سلسلة جبال الشراة وبلاد شحر وحضرموت وجبل صعدة وصنعاء حيث الوديان الفسيحة المخصبة والسهول المكسوّة بالخضرة والجبال ذات الينابيع الغزيرة والأشجار الباسقة .

وسكان اليمن أهل نشاط وعمل متوفرون على الزرع والتجارة بقدر ما يتسع لهم المجال وتساعدهم الحال ، ومع هذا فإن بلادهم مفتقرة إلى إصلاح كثير وعناية من الحكومة كبيرة ، لفقد الوسائل الحديثة في تعميم الري واستنبات أنواع الزرع وفقد الراحة والأمن في أيام الحكومة الماضية التي كانت كلها أيام خصام ونزاع بين الحاكم والمحكوم له كادت تفضي إلى خراب البلاد .

(☆) بقلم رفيق بك العظم المؤرخ المشهور .

ولو صرفت الحكومة الآن وجهتها إلى إصلاح اليمن مع توفر أسباب العمران الطبيعية ثمة لكان لها منها مورد رزق عظيم يقدره بعضهم ببضعة عشر مليوناً من الليرات ، وأهم أصول الإصلاح التي يحتاجها رقي البلاد وعمرانها وإثراء الخزينة والأهلين هي :

أولاً : إن مياه الأمطار الغزيرة التي تنهمر في اليمن تكوّن مجاري وسيولاً لا تصل إلى البحر بل تغور في الرمال ، وأكثرها يتجمع في مخازن في باطن الأرض على عمق أربعة أو ثلاثة أمتار ، فإذا تتبعت مظانٌ هذه المخازن وحفرت فيها الآبار ثم استُكثر من عمل الحياض والخزانات الكبيرة في الجبال وسفوحها جعلت السقيا عامة في أكثر أطراف اليمن ، وتحولت تلك الصحارى القاحلة إلى جنات ناضرة حافلة بالزرع والضرع ، ويساعدها على ذلك مامنحتها إياه الطبيعة من قوة الإنبات والخصب ، وهي تصلح لكل أنواع النبات الذي ينبت في البلاد الحارة كالبن والقطن والنيلة وأنواع البهارات وغيرها ، ويمكن أن تزرع في السنة ثلاث مرات ويؤخذ منها ثلاث غلات ، والبلاد الجبلية صالحة لاستنبات جميع أنواع النبات الذي ينبت في البلاد المعتدلة ، ناهيك بقطر عظيم كاليمن إذا بلغ نظام الري والزرع فيه مبلغه في الهند ومصر ، فإنه يكون بلا ريب من أغنى البلاد العثمانية وأوسعها مزدرعاً ومصدراً لثروة الحكومة والأهلين إذا أضيف إلى ذلك بقية الإصلاح المطلوب .

ثانياً : إن تقسيم ولاية اليمن إلى ثلاث ولايات إحداها صنعاء والثانية عسير والثالثة تعز ، لكي يتسنى بهذا التقسيم إدارة شؤون اليمن إدارة منتظمة تشرف بها الحكومة على أمور الرعية والبلاد إشرافاً حقيقياً يضم إليه أطراف البلاد المتنائية وينشر راية العدل والراحة والأمن على كل البلاد ، وهذا العمل مهما استلزم من النفقات التي تقوم بها خزانة الدولة فإنه يعوض على الحكومة تلك النفقات أضعافاً

مضاعفة في بضع سنين . ولقد أجمع على لزوم تقسيم اليمن إلى أربع أو ثلاث ولايات كل العارفين بأحوال اليمن والذين اختبروا حالها من إخواننا الأتراك ، فلا مندوحة للحكومة عن هذا التقسيم إذا عزمت عزماً أكيداً على إصلاح البلاد اليانية وهي عازمة على ذلك إن شاء الله .

ثالثاً : إصلاح مرفأ الحديدة وجعله مرسى أميناً للسفن ، ومد خط حديدي من الحديدة إلى صنعاء ، ثم تعميم السكة الحديدية في البلاد بالتدريج بقدر ما يمكّن مالية الحكومة لأن سهولة المواصلات ضرورية لبلاد متباعدة الأرجاء يراد إصلاحها وتكثير موارد الثروة الزراعية والتجارية فيها ، ولا سيا وأن بلاد اليمن فيها كثير من المعادن والكنوز الأرضية التي لا يتيسر استخراجها والعمل فيها إلا بسهولة المواصلات ، ولقد عُرفت اليمن قديماً بغناها بمعدن الذهب ، ويظن بعضهم أن هذا المعدن النفيس فقد منها مع أنه لم يزل موجوداً بكثرة فيها ، ولقد رأيت بعيني رأسي قطعاً منه ممتزجة أجزاء ذهبها برمل متحجر كان استحضرها صديق لي من بعض أطراف اليمن لأجل تحليلها وتقدير النسبة بين الرمل والذهب فيها ليسعى بعد ذلك بتأليف شركة لاستخراجه فعاجلته المنون وأصبح مطوياً في التراب .

ومما لا ريب فيه أن السكة الحديدية الحجازية إذا أمكن إيصالها إلى القطر اليماني كانت من خير المشروعات النافعة لبلاد العرب عامة وللدولة خاصة ، فإنها متى بلغت مكة ومدّ منها ناشط إلى جُدة سهل مدها إلى الحديدة عن طريق القنفذة ، أو طريق آخر أقرب منها ، وهناك تتصل بخط الحديدة الذي يتصل بصنعاء ، وبذلك تكون الدولة قد وصلت بين أقصى بلادها في الجنوب وأقصاها في الشمال والغرب إذ تصل بين خط الآستانة والحجاز بخط برجيك المنوي مده من حلب . وفي هذا العمل الجليل من الفوائد الاقتصادية والسياسية ما لا ينكر قدره

ومنفعته ولا سيا بعد أن صار البحر الأحمر مزدحماً لعدة دول أجنبية وكان من قبل بحيرة عثمانية .

ويجدر بنا أن نطلب من رجال حكومتنا النظر فيا تقدم من الأمور ، وفي إصلاح شؤون بلاد العرب والتوفر على عمرانها . وقد يرون أن الدول الأجنبية تبذل مزيد الجهد في عمران مستعمراتها في أفريقيا على قلة سكانها وقلة الأيدي التي تعمل فيها وضعف الأمل في أن تكون تلك المستعمرات بكثرة سكانها وعمرانها والانتفاع من ثمراتها كمستعمراتها في آسيا وأمريكا وجزائر المحيط ، فما أحرى الدولة العثمانية بأن تنافس الدول بقطر عظيم فسيح كثير السكان متوفرة فيه مصادر الثروة ووسائل العمران إذا أعطي كل العناية والالتفات ونال حظّاً من الإصلاح عظيماً ، ولا سيا في عصر الحكومة الدستورية التي نرجو أن تكون حكومة خير وسعادة على المملكة العثمانية جمعاء إن شاء الله .

أما السكة الحديدية الحجازية التي نتمنى أن تكون خير واسطة لعمران شبه جزيرة العرب في مستقبل الأيام إذا اتصلت باليمن فقد انتهى منها الآن قسم عظيم ، وبلغت المدينة المنورة على ساكنها الصلاة والسلام . وقد افتتح هذا الخط باحتفال عظيم في شهر أغسطس الماضي ، والأدوات التي تلزم لإتمام الخط إلى مكة البالغ ثمنها نحو ثلاث مئة وخمسين ألف ليرة كلها معدَّة على ما نعلم ، وطول الخط من دمشق الشام إلى المدينة ألف كيلومتر وثلاث مئة وكيلومتران يضاف إليه الخط من حيفا إلى درعا وطوله مئة وواحد وستون كيلومتراً ، فيكون مجموع ما تم من الخط إلى الآن ألف كيلومتر وأربع مئة وثلاثة وستين كيلومتراً بلغت نفقاته نحو ثلاثة ملايين ليرة عثمانية ، وكانت نفقة الكيلومتر الواحد ماعدا آلات السكة نحو ألف ليرة وثلاث مئة ليرة .

وطول الخط من دمشق إلى مكة ١٧٥١ كيلومتراً وطوله إلى جدة ١٨٣٠ كيلومتراً .

والخط يمر من الشام إلى معان في سهول منبسطة وأراض خصبة مبثوثة فيها القرى الآهلة بالسكان ، إلا أن حوران أكثر سكاناً وعمراناً من معان ، وربما كانت أراضي معان أخصب من أراضي حوران .

وأحسن البلاد التي يمر فيها الخط وأجودها هواءً وأعلاها عن سطح البحر هي عمان فإنها تعلو عن سطح البحر نحو ١٠٧٤ متراً ، وفيها من الآثار القديمة والخرائب العظيمة شيء كثير ، ومنها الملعب (Amphithéatre) الذي وجدوه في تلك الخرائب وخارطة سورية المرسومة على قطعة كبيرة من الحجر (بلاطة) وهي أعجب وأبدع ما رؤي في أطلال عمان وخرائبها .

وسكان معان وعمان أكثرهم من عرب البادية ، ويشتغل قليل منهم بالزراعة وفي معان بعض قرى لمهاجري القفقاس . ولو نشط العربان الذين في تلك الديار إلى الاعتمال في الأرض ونشر الإصلاح جناحه على تلك الديار لكانت من أغنى البلاد السورية وأكثرها غلة وأجملها بقاعاً . ولقد همَّ كثير من الناس بابتياع الأراضي التي على جانبي الخط من الحكومة في معان وعمان لإحياء مواتها واستغلالها فأبت عليهم ذلك لصدور إرادة سلطانية تقضي بالمنع ، على أمل أن تضم تلك الأراضي السبخة إلى الجفالك (المزارع) السلطانية ، أو يستأثر بها أفراد من المقربين ، ولم يكن شيء من ذلك إلى الآن . فنرجو أن توفق الحكومة الحاضرة لإطلاق يد الناس في استعمار تلك البلاد بحيث لا تباع أرض إلا على شرط إصلاحها واستثمارها في برهة سنتين أو ثلاث سنين ، وإذا مضت المدة ولم تصلح الأرض وتستثمر ساغ للحكومة استردادها . وفي يقيننا أن كثيراً من أغنياء البلاد السورية يتقدمون إلى إصلاح تلك الأراضي وإحيائها متى انتظمت أمور السكة الحديدية ، وانصرفت همة الحكومة إلى عمران تلك الجهات ، ورفع راية الراحة والعدل والأمان على ربوعها .

ومحطة عمان الآن هي من المحطات العظيمة في هذه الطريق وفيها معمل

(ورشة) لإصلاح القواطر ومخازن للسكة الحديدية ، ويليها في العظم محطة تبوك . والأراضي التي بعد عمان ومعان إلى المدينة ليست خصبة بل هي صحارى وقفار إلا العلا فإنها قرية عامرة ذات ينابيع وأشجار وحدائق تزرع فيها أنواع البقول والفاكهة والنخيل وتجود في أرضها فواكه البلاد الحارة كالنخيل والموز والليمون ، وأهلها بارعون في فن الزراعة لأن أكثرهم يذهبون إلى دمشق ويزاولون فن الزراعة عملاً في غوطتها ولا سيا في قرية جوبر المشهور أهلها بالبراعة في فن الزراعة . ثم يعودون إلى بلدهم لأجل الاعتمال في الأرض . ولقد كان بعد المسافة بينهم وبين الشام يمنعهم من التوسع في إنشاء الحدائق والإكثار من زرع أنواع الفواكه والبقول والاتجار بها ، وأما الآن فالأمر ليس كذلك ، ولو اعتنى أهل هذه القرية بزرع النخيل والموز واستكثروا من الجيد منها لانتفعوا بذلك كثيراً لأن دمشق محرومة من هذين الصنفين من الفاكهة لأن جوّها لا يناسبها في الشتاء لشدة البرد والصقيع .

هذا ومن الضروري أن يمدّ ناشط من هذه السكة الحديدية من معان إلى العقبة وطول هذا الخط نحو ٩٠ كيلومتراً ، أو من المدّور وهو أقصر مسافة من ذاك ، لأن هذا الفرع يفيد الدولة من الوجهة العسكرية جداً ، ريثما يصل الخط إلى اليمن .

وكل من رأى خط السكة الحجازية لا يسعه إلا شكر القائمين بالعمل فيه كمسير باشا ومختار بك وباقي المهندسين والعمال ، ولا سيما المشير كاظم باشا رئيس إنشاء الخط الذي بذل من الهمة في إنجازه والعناية في شأنه مالا يستكثر على رجل عظيم مثله ، وإنا لنرجو بعد توليه منصب الولاية في الحجاز أن يساعد على إتمام هذا الخط ووصوله إلى مكة ثم اليمن بما في إمكانه ، ليكون شكر الأمة له مضاعفاً جزاه الله وكل العاملين لإنجاز هذا الخط خير الجزاء .

المنار مج ١١/ج ١٠/ص٧٦٥ـ٧٧٠

الملحق

١٠

العرب والترك

قد علم قراء المنار أن السعي في حسن التفاهم بين العرب والترك قد كان أحد القصدين الجليلين من رحلتنا إلى دار السلطنة في آخر الخريف ، حيث يعود المصريون منها ومن سائر البلاد التي يصطافون فيها لقضاء فصل الشتاء بمصر التي لا يفضُل شتاءها شتاء ، وعلموا أيضاً أنه كان من السعي زيارتنا لصاحب جريدة (إقدام) ومعاتبته على ما كتب في شأن العرب ، وعرض مقالات عليه في حسن التفاهم بين العنصرين اللذين هما قوام الدولة العثمانية ووعده بنشرها ، ولكن أكثرهم لا يعلمون أن صاحب إقدام نشر ثلاثاً من تلك المقالات وامتنع عن نشر ثلاث : نشر المقدمات وامتنع عن نشر المقصد الذي فيه بيان أسباب سوء التفاهم وطرق تداركها وتلافيها ، ومنها مسألة تنقيح اللغة التركية وحذف الألفاظ العربية منها وما سمع عن جريدة إقدام من سوء التعبير فيها . قال في بيان سبب امتناعه عن نشر المقالة الرابعة : إن هذه أمور مليّة تتعلق بنا (أي بالترك) فليس له حق في البحث فيها .

وقد استمر على نغماته الجنسية بقلمه وقلم أعوانه حتى نشر مقالة من مقالات عن اليمن بإمضاء (خليل حامد) وهو إمضاء مستعار لأحد الضباط هنا ، وقد جاء في هذه المقالة من الطعن في العرب أنهم - في زعم الكاتب - بمقتضى طبيعتهم يبيعون بالمال كل شيء حتى أعراضهم !!.. وقد قامت لهذه العبارة قيامة العرب الذين هنا ، حتى إن بعض الشبان استفزتهم حمية الغيرة على العرض التي لا يداني العرب فيها شعب من شعوب الأرض ، فدفعتهم عند قراءة هذه العبارة والدم

العربي يتبيغ في أجسامهم إلى إدارة جريدة إقدام ، وإهانة صاحبها ، وتحقيره على نشر هذه السفاهة ، حتى قيل : إنهم بصقوا في وجهه ، ولا عجب فصاحب الغيرة على العرض قد يقتل من يطعن في عرضه عندما يفاجئه ذلك ، والقوانين تعذر من تدفعه الحدة العارضة للدفاع عن عرضه إذا أطاعها من فوره ، ولا يعد هذا الدفاع منكراً قبيحاً كسائر أنواع الإهانات إلا من لم يعرف للغيرة على العرض معنى .

نحن لا نقول : إن الاعتداء أو الافتئات على الحكومة في القصاص أمر حسن مشروع ، وإنما نقول ويقول العقلاء كافةً : إن فرقاً عظيماً بين اعتداء مبتدأ لا يدفع له الطبع وبين مؤاخذة فورية لم توطن عليها النفس .

وكيف يستنكر من فتيان العرب مثل هذه الغيرة التي لا رأي لهم فيها ولا روية ، وقد اضطربت لهذا الطعن أعصاب الكهول والشيوخ من المبعوثين كغيرهم ، حتى إن بعضهم أصابه الصداع ولم يستطع في ذلك المساء تناول الطعام ، وذهب وفد منهم إلى الصدر الأعظم وكان في مجلس الوكلاء ، فأرسلوا إليه فخرج إليهم ووعدهم هو وناظر العدلية بتدارك الأمر وإحالة أحمد جودت بك مدير إقدام على ديوان الحرب العرفي لتعطيل جريدته ثم محاكمته في العدلية ، وقد حكم الديوان بتعطيل جريدة إقدام إلى أجل غير مسمى ، ولكنه لم يلبث أن أصدرها وكتب فوق كلمة اسمها كلمة (يكي) أي جديدة أو الجديدة ، وناهيك بهذا من عقوبة !! وحكم عليه أيضاً بمئة ليرة غرامة غرمها . وقد علم ديوان الحرب أن الناس صاروا يسخرون من تعطيل الجرائد لأن من عطلت جريدته صار يصدرها بإضافة لفظ (يكي) إليها ، فقرر أنه لا يجوز لمن يحكم هو بإلغاء جريدته أن يصدر جريدة ما إلا بإذن منه ولكن هذا القرار لم ينفذ على جريدة إقدام !

وقد كتب أحمد بك جودت مدير إقدام عندما عطلت جريدته مقالة نشرها

في جريدة (طنين) اعتذر فيها عن نفسه ولكن كان عذراً أقبح من ذنب ، فإنه نفث فيها سموم التغاير والتدابر بين العرب والترك بإيهامه القارئين لها أن العرب يتهمونه بأنه مندفع لعداوة العرب بجنسيته التركية ، ويرون أن الترك أعداء العرب ، وانتقل من هذه الدسيسة إلى الامتنان على العرب بفضل الترك عليهم ، وذكر من هذا الفضل ما يعلم هو أنه في غير محله ، فالظاهر أنه يريد بذلك أن يقوم كّتاب العرب للرد عليه وإنكار ماقاله مخالفاً للتاريخ ، ليتسنى له ولأمثاله حينئذٍ أن يوسعوا الخرق ويقولوا : إن العرب يحتقرون الترك . ونحن لم نسمع أحداً من العرب يقول : إن مدير إقدام يذم العرب بإغراء الترك أو رضاهم .

ادعى صاحب (إقدام) في مقالته هذه أن جريدته هذه ليست جريدة عنصرية ، ولا ترجح الترك على غيرهم من العثمانيين ، وأن جميع الأجناس يعترفون له بذلك . والمشهور خلاف ذلك ، وأنه ما وجدت جريدة تركية أساءت إلى العرب أو أغضبتهم كما أغضبتهم جريدة إقدام فهي أشهر الجرائد في التعصب الجنسي ولأجل هذا التعصب لم تنشر مقالاتنا التي طالبنا فيها بإنصاف العرب وحسن التفاهم بينهم وبين إخوانهم الترك ، وإلا فما هو عذره ولماذا أخلفنا وعده ؟

قال بعد تلك المقدمة التي مدح بها نفسه وبرأها كما شاء : « فالقول بأن التركية هي التي دفعت جريدة إقدام لكتابة تلك الفقرة هو اتهام للترك كلهم » فانظر إلى هذه النتيجة الخاطئة من تلك المقدمات الباطلة .

ثم قال : « نعم إن الترك فدوا في اليمن وغيرها مئات الألوف من أولادهم ، فهذا الفداء ليس لأجل أن يفترقوا عن العرب ، بل بالعكس يقتضي محبة الاتحاد معهم !! والتأريخ يشهد لنا بأن الذي خلص جزيرة العرب من استعمار الأجانب لها في أيام الصليبيين إنما هي دماء الترك وذلك خدمة للإسلام ، والعرب لا تنسى ذلك إلى يوم القيامة .

« ونقدر أن نقول بعبارة عامة إن الترك بذلوا أرواحهم في سبيل العرب !!
بناءً على ذلك كيف يكون الترك خصماء للعرب وسالكين سبيل الحاكمية العنصرية ؟ فهل هذه التهم هي مكافأة على الدماء التي أراقها الترك في سبيل العرب ؟ وهل بعد هذا يكون القول بأن صاحب إقدام عدو للعرب موافقاً للمنطق ؟ » اهـ.

الترك أخوة العرب في الدين وفي تكوين هذه الدولة التي هي تراث الإسلام في الحكم والسلطان ، فإذا قلنا إن صاحب إقدام جنى على التأريخ بزعمه أن الترك أنقذوا جزيرة العرب من الصليبيين لانكون بإبطال الباطل ناكثين للقتل الذي جعلنا مع الترك أمة واحدة . وكل من يعرف التأريخ يعلم أن جزيرة العرب كانت طول الزمان في أمان من الإفرنج ، وأما ماأخذوه من سواحل سورية فقد أنقذه منهم المسلمون كافة لاالترك خاصة .

وإذا قلنا إن سوء سياسة الدولة في سفك دماء العرب في اليمن لا يعد منة للترك على العرب ، لانكون مخلين بحقوق هذه الأخوّة ، لا لأن الدماء التي سفكت هناك بأمر قواد الترك وحكامهم هي دماء العثمانيين من الترك والعرب والأرناؤط والكرد ، بل لأن سفكها كان من جهل أولئك القواد بالسياسة وحسن الإدارة ، وقد خربت بلاد العرب ولم تعمر بلاد الترك ، على أن البلاد كلها مشتركة لأن الأمة واحدة .

كان من فضل الإسلام أن الترك بعد أن تشرفوا به لم يكونوا يعملون لأجل عنصرهم ولا لأجل عنصر العرب ، وإنما يعملون لأجله كما أخذوا عن أساتذتهم العرب ، حتى قام أمثال صاحب إقدام من متفرنجي هذا العصر يصخون الآذان كل يوم بما يثير العصبية الجنسية ويضعف الرابطة الإسلامية ، وهم يجنون على دولتهم من حيث يدرون أو من حيث لا يدرون ، ويخشى أن يعلموا سائر

العناصر العصبية الجنسية وقد ظهرت بوادر ذلك وهو أكبر خطر على هذه الدولة ، فنسأل الله تعالى أن ينقذها من شرور هؤلاء الأشرار بمنه وكرمه .

ثم إن صاحب إقدام أورد بعد بيان هذه المنن التي في رقاب العرب للترك موازنة بين ما نشره عن ذهول (كما ادعى) من الطعن في أعراض العرب ماضيهم وحاضرهم وآتيهم ، وبين إهانة بعض طلاب العرب له في إدارة جريدته وزعمه أنهم أهانوا عند ذلك الأمة التركية كلها إهانة لم يسمع بأن ملة من الملل أهينت بمثلها ، ولم يقع من عنصر من العناصر العثمانية إهانة لعنصر آخر بمثل ذلك !! وكبَّر هذه الدعوى وهوَّل فيها ما شاء ، وأشار بالنقط هكذا ... إلى أن ما طواه من ذلك وأغضى عنه هو فوق ما قاله تصريحاً وتلويحاً . ولو كان يحب الاتحاد والاتفاق بين العنصرين كما ادعى في هذه المقالة لما نشر خبر هذه الإهانة المزعومة بين الترك في جريدة هي أوسع من جريدته انتشاراً ، لأن ذلك يوغر صدور من يصدقون هذه الدعوى من الترك فتنفرج مسافة الخلف . فمقالته هذه شر من مقالة (خليل حامد) وأضر ، وأدهى وأمر ، ولا يظهر لنا علة لنشر هذه الدعوى والتهويل بها غير تعمد إلقاء الشقاق ، بين الأختين الشقيقتين : الترك والعرب . فإن ادعى أنه يريد بذلك تربية المعتدين عليه ، يقال له : كان يكفي في ذلك أن تذكر ما وقع للمحكمة العرفية أو العدلية من غير أن تنفث في جريدة طنين سموم التفرق والخلاف ، وما أنت بالمقصر في الشكوى وتعقيب الدعوى .

ثم إنه بعد إثارة هذه الفتن ، وإيقاد نار الشقاق والإحن ، أخذ يسخر من العرب بطريقة أخرى غير الامتنان عليهم بمذابح اليمن وتخريبها في عصور الاستبداد ، التي نرجو أن يبدلنا الله تعالى بها عصر العمران والنور في ظل الدستور ، تلك الطريقة هي استدلاله على إخلاصه وحبه إرضاء العرب بدليلين هما من أغرب ضروب الاستدلال التي لم يبين مثلها في باب السفسطة من علم المنطق (أحدهما) أنه قال لناظر الداخلية عندما بلغه خبر تعطيل جريدة

(إقدام) إن عنده رخصة باسم (يكي إقدام) ولكنه لا يصدرها لأجل أن يرضى العرب وتطمئن نفوسهم لحسن نيته . قال : لأن تعطيل الجريدة لا يقصد به ورقة مخصوصة أو اسم مخصوص ، وإنما الغرض منه إبطال هذه الإدارة أو تخريبها ، وأنا أتحمل هذه الخسارة لأجل أن تطمئن قلوب العرب وترضى خواطرهم !! وذكر أن ناظر الداخلية قد أعجب بهذه الأريحية وسرّ وشكر وأنه يظن أن سائر الوكلاء مثله في ذلك .

لو صدق في قوله لناظر الداخلية ولم يصدر جريدته باسم (يكي إقدام) لما شك أحد من العرب في صدقه بما ذكر من السبب ، وهو ابتغاء رضاهم واستمالتهم ، ولكنه قال هذا القول ولم يلبث أن خالفه وأصدر الجريدة ، فظهر أنه قال ذلك ليسخر من العرب وينبه الغافل منهم إلى أن حكم ديوان الحرب بإبطال جريدته لم يكن عقوبة ولا خسارة ، وإنما كان عبارة عن زيادة كلمة (يكي) في الجريدة !!!

وأما الدليل الثاني فهو أنه كان عزم على إصدار جريدة عربية ، واستحضر أشهر شعراء العرب وأكبرهم من بغداد لأجل تحريرها ، وكامه كلاماً حسناً ثم لم يصدرها . وهذا الدليل أغرب من الدليل الأول ، وإن كان يشابهه ويقابله في كون كل منهما عبارة عن وعدٍ وعَد به وأخلف وقول قاله ولم يصدق فيه . ويختلفان على تقرير الصدق في القولين والوفاء بالوعدين ، إذ لو وفى بالأول لكان دليلاً على حبه للترضية كما قال ، وإن لم يكن دليلاً على التأليف بين العنصرين . ولو وفى بالثاني لما كان مجرد الوفاء به دليلاً على حب العرب ولا على التأليف بينهم وبين إخوانهم الترك بل كان يجوز أن تكون جريدته العربية أشد تنفيراً للعرب من جريدته التركية ، فالعرب يعتقدون الآن بأن جريدته متعصبة هاضمة لحقوقهم مهينة لهم ، ويقل من يراها منهم أو يعلم بما ينشر فيها ، فلو نشر جريدة عربية وقال فيها : إنه يجب على الترك تطهير لسانهم من الألفاظ

العربية ، أو نشر فيها تلك المقالات عن السنوسية ، أو مقالات (خليل حـامـد) أو غير ذلك مما ينشر أحياناً في إقدام من العبارات التي ترمي إلى العصبية الجنسيـة لما كانت إلا شر آلات التحليل لهذا الجسم الواحـد الـذي يحيـا بروح واحـد ، وإن كان مركباً من عنصرين يسمى أحدهما العرب والآخر الترك .

لـمـا ظهرت في العـام المـاضي أسبـاب سوء التفـاهم بين العرب والترك كان من أقواها مـا ينشر في جريـدة إقـدام ، واشتهر ذلـك في سوريـة ومصر ، ولكنني على سماعي هـذا من الكثيرين لم أكن أسيء الظن بصـاحب (إقـدام) ولـذلـك سعيت إليه وأحببت أن أنشر في جريـدتـه مـا أريـد أن أكتبـه من المقـالات لإزالـة سوء التفاهم وتأكيد الوفاق والاتحـاد بين العنصرين ، ولكنـه أخلف فيما وعـدني بـه من كل ماأكتبه كما تقدم فساء ظني فيه ، وأكد سوء الظن مقالته التي نشرهـا في طنين وما فيها من موقظات الفتنة التي أشرنا إليها .

كدنـا ننجح في سعينـا ونزيل تلـك الأسبـاب التي أحـدثت سوء التفـاهم بمـا كتبناه من المقالات هنا وفي المنار ، ومن المكتوبات الخـاصـة للأدبـاء والفضلاء في البلاد العربية ، فجاءت هذه الحادثة المشؤومة ، فأعادت المسـألـة جـذعـة ، وكان صاحب إقـدام عـذيقهـا المرجب وجـذيلهـا المحكـك ولم تنتـه شرورهـا إلى الآن ، فديوان الحرب العرفي لا يزال يطلب الأفراد والمئات من طلاب العرب ورجالاتهم للتحقيق في مسألة إهانة صاحب إقدام لأنه ألبسها ثوب التعصب الجنسي .

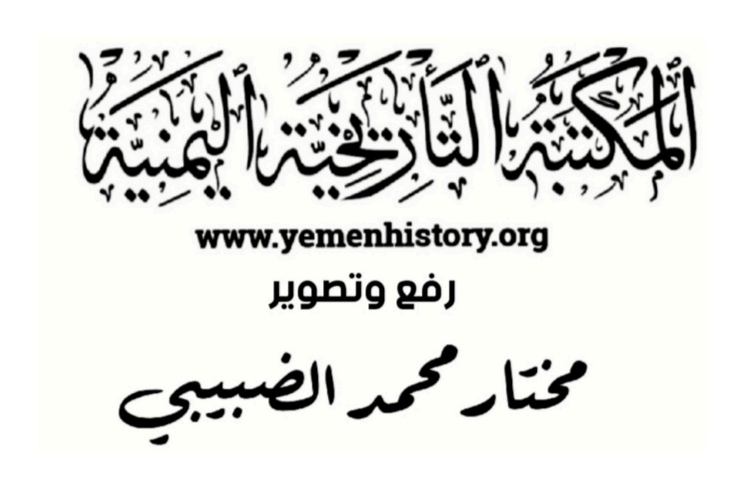
إن المقالة الأخيرة المتضمنة للطعن في أعراض العرب قد طير البرق خبرهـا إلى المدن العربيـة الكبرى ، وخـاضت فيهـا الجرائـد ، وكان لهـا من سوء التـأثير فوق ما يظن أولياء الأمور هنا ، فإذا كانت نتيجتها هنـا أن يعـاقب كثير من الطلاب بالحبس أو غير الحبس أو يتوسل بها إلى إقفال (المنتـدى الأدبي) الـذي يجتمع فيـه جمهور أولئك الطلاب للمدارسة والمذاكرة وتعلم اللغات القوميـة والأجنبيـة ليمنعوا

من أسباب الترقي كما يظن المتطيرون من الناس ، ويكتفى من معاقبة صاحب إقدام بإضافة لفظ (يكي) إلى جريدته فلا يعلم إلا الله ماذا يكون لذلك من سوء التأثير عند الأمة العربية وعند كل المخلصين لهذه الدولة .

مع هذا كله أكرر في المنار وغير المنار ، وما قلته للعرب في هذه الديار إنه لا يجوز لنا بحال من الأحوال أن نجعل ذنب الأفراد ذنباً للأمة أو أن ننسى أن الشعب التركي الخالص المتدين يحب العرب حب عبادة ، وإن العرب يحبونه حب الأخوة الخالصة . ويجب أن نتقي الانفعال من كلام بعض المتفرنجين الفاسقين أو الملحدين الذين يحركون العصبية الجنسية ليوقعوا الشقاق بين العنصرين فإن حدث ما يحرك الانفعال طبعاً فيجب أن نتقي فيما نقول وما نكتب كل ما يبعد أحد العنصرين عن الآخر ، ونجعل انتقادنا على أشخاص المفسدين المفرقين ، فإن التفرق والتعادي بين الترك والعرب يجلب الخطر عليهما معاً ، وعلى الدولة وإن جهل المتعصبون ، وتجاهل المفسدون .

المنار مج١٢/ج٣/ص٢١٩-٢٢٥





الملحق

١١

اليمن ودماء العثمانيين المهدورة فيه

إننا بعد أن كتبنا تلك العجالة في الرد على صاحب جريدة (إقدام) وتخطئته في التفرقة بين الترك والعرب ، وتوسله إلى ذلك بالافتراء على التأريخ في مسألة الحرب الصليبية والمخاتلة في مسألة اليمن ، رأينا أن نرجع إلى التأريخ فنقتبس منه قبساً يضيء سبيل الحق فيما أشرنا إليه هناك من كون الدماء التي سفكت في اليمن لم تكن دماء الترك وحدهم ولم يكن فيها شيء لمصلحة العرب ، لأنها خربت بلادهم ولم تعمرها وبدأت بالغدر والظلم والتخريب واستمرت على ذلك إلى اليوم ، ولا لمصلحة الترك لأنهم لم يستفيدوا في مقابلة تلك الدماء التي سفكوها والأموال التي أنفقوها من خزانة الدولة فائدة مادية ولا معنوية كما نوّه بذلك مجلس المبعوثين في إحدى جلسات الشهر الماضي إذ قال عبد الحميد أفندي الزهراوي مبعوث حماة : **لو عصرنا تراب اليمن لقطر دماً عثمانياً فماذا استفدنا من ذلك ؟**

ويظن بعض الناس أن معظم هذه الدماء سفكت في عهد السلطان عبد الحميد الذي انتهى إليه الاستبداد في هذه الدولة ، وأقله في زمن السلطان عبد العزيز قبله ، وقد ذكرت هذه المسألة هنا فقال بعض الناس : إنها بنت نصف قرن ، قلت : بل هي بنت أربعة قرون ، ثم رجعت إلى التأريخ فجئت منه بالشهيد الآتي :

جاء في (كتاب البرق اليماني في الفتح العثماني) أي فتح اليمن لقطب الدين

الحنفي المكي الذي قال في مقدمته : إنه خدم به سدة السلطان سليم بن السلطان سليمان . (وفي مكتبة كوبريلي زاده محمد باشا نسخة منه كتب في طرته بالذهب إنها أهديت إلى خزانة كتب الصدر الأعظم محمد باشا في عصره) .

إن ابتداء التصدي لفتح اليمن كان في عهد السلطان سليمان (القانوني) فإنه لما بلغ السلطان استيلاء الإفرنج من البرتغال على بلاد الهند أمر بإعداد أسطول في مصر وتجهيز عسكر فيه لمحاربتهم ، وجعل قائد هذا العسكر بيكلاربكي مصر سليمان باشا الخادم ، وهو أحد مماليك السلطان سليم خان بن بايزيد خان الذي « لم يتعلم من أخلاق سيده غير الفتك ، ولم يستقر في باله مما شاهده منه غير إراقة الدماء والسفك ، فاحتال قبل سفره بالأسطول على الأمير جانم الحمزاوي الذي كان من أعظم الناصحين في خدمة السلطنة ، وأمر بذبحه فقطعت رقبته بسيفه ، وهو يقول : لا إله إلا الله محمد رسول الله ! ثم قطع رقبة ولده يوسف أمير الحج ، وإنما قتلها بعد أن كتب إلى السلطان بأنه شم من الأمير رائحة العصيان ، ويخشى أن يطيعه العسكر لإحسانه إليهم فكتب إليه السلطان (ادفع شرهما) ونسي السلطان أن هذا الأمير هو الذي كان سبب إصلاح المملكة عند عصيان أحمد باشا ، وأنه لم يوافقه على العصيان . ثم أمر الباشا بسلخ الوالد والولد وحشوهما تبناً وتعليقهما على باب زويلة[☆] !!

(قال المؤلف) : « ثم إن سليمان باشا بعد قتله لجانم الحمزاوي تملح أيضاً بصلب الأمير داود بن عمر أمير الصعيد من غير جرم أتاه ، ولا ذنب سواه ، غير كثرة أمواله ، وبذل يده وسعة حاله ، فطمع الباشا سليمان ، فطلبه إلى الديوان ، فلما جاء أخذ هداياه أولاً ، ثم عاتبه لقصد قتله معللاً ، فقال ترسل إلينا قمحاً غير نظيف ؟ فقال : أنا ما جئت إلا بقمح مثل الجوهر اللطيف ، فأمر به إلى باب

☆ هو المعروف الآن ببوابة المتولي بمصر .

زويلة وعلق في عنقه منديلاً فيه قليل قمح وصلبه هناك ، وأحاط بجميع أمواله وخزائنه ، وظفر بكنوزه ودفائنه ، وقتله وهو مظلوم ، وعند الله تجتمع الخصوم ، وكان أحسن أمراء الصعيد كثير البر والصدقات ، محباً للخيرات والحسنات ، يحسن كل عام إلى كل واحد من علماء جامع الأزهر ، والمشايخ المسلكين في ذلك القطر الأزهر ، بالخمس مئة من الذهب فما دونها » إلخ ... ماذكر من فضائله وفواضله .

ثم سافر سليمان باشا إلى جدة ومنها إلى عدن « وكان صاحبها يومئذٍ عامر بن داود بقية بني طاهر ملوك اليمن سابقاً . فلما بلغه وصول سليمان باشا للغزو في سبيل الله ، وقطع جادرة الإفرنج عن الإضرار بعباد الله ، فتح له باب عدن ، وأمر أن تزين ، وجمع له من البلاد ، ماأراد من الأزواد ، وتوجه هو ووزيره للسلام عليه إلى الغراب (نوع من المراكب) الذي هو فيه ، فبمجرد أن رأى سليمان باشا باب عدن قد فتح أمر عسكره بدخول عدن وأخذها ، فلما وصل إليه عامر ألبسه ومن معه خلعاً ، ثم أمر بصلبهم على الصاري في الغراب الذي هو فيه ، ونهب العسكر داره ، ثم شرعوا في نهب البلد » وعد البلد من فتوحاته ، وأقام فيها نائباً وكتب على بابها إنه فتحها سنة ٩٤٥ هـ .

ثم ذكر المؤلف وصول خبر غدر الباشا إلى أهل الهند فنفر منه الناس ، وكانوا استعدوا لنصره وجمع العسكر له ، ثم كادوا له حتى رجع عنهم إلى اليمن ، قال : « وكان سليمان باشا خوّاراً خوّافاً لم يعهد منه شجاعة ولا إقدام ، وإنما كان يفتك بمن وقع في يده مأسوراً مربوطاً ، فركبه من ذلك (أي مما بلغوه إياه كيداً له وإيهاماً وليس هذا محل شرحه) خوف عظيم وتفرقت عساكره وصاروا يخدمون خوانين الهند طمعاً في كثرة العلوفة » .

ثم ذكر خبر وصوله بمن بقي معه من العساكر إلى (مخا) وغدره بصاحب

اليمن ، قال : « وأرسل إلى الناخود أحمد بخلعة ومرسوم فيه الأمان ، وأن يكون نائباً عن السلطنة بمملكة اليمن كما كان ، وأن يصل بنفسه يدوس البساط ، ويحصل له كمال الشرف والانبساط ، فلما وصل إليه المرسوم استشار أخصاءه فكلهم أشار عليه بعدم المواجهة ، وقالوا له : إنه لم يكن عنده شيء من الخيل ونحن عندنا سبع مئة حصان فإن قاتلنا قاتلناه ، وإن رضي منا بالإطاعة أطعناه ، فلم يستصوب هذا الرأي وركب إليه لملاقاته هو وخاصة عبيده وكانوا نحو الخمس مئة ، ووصل إليه طائعاً لابساً خلعته هو وولده وولد إسكندر رموز وهما صبيان دون المراهقة ، وقدم إليه من هدايا اليمن ماقدر عليه . فلما دخل عليه أمر بقتله في الحال ، وذلك في ثامن شوال سنة خمس وأربعين وتسع مئة . فتشتت عبيده فنادى فيهم منادٍ من أراد من العبيد السود العلوفة السلطانية عند الوزير فليأت ! فاجتمعوا بأسرهم ودخل معهم من ليس منهم طمعاً في العلوفة ، وأدخلوا حوشاً كبيراً له باب واحد وصاروا يخرجونهم اثنين اثنين ويكتب اسمها الكاتب بحضوره ويبرز بها إلى خارج الباب فيرمي رقابها ولم يشعر بها أحد منهم ممن داخل الحوش ، ولم يعلموا ما يفعل بها عند الباب إلى أن قتل الجميع !! » .

ثم ذكر عوده وحجه وما فعل في الحرم من الإلحاد والظلم والنهب والسلب من أهل عرفات الحجاج ، ومن أميري الحج الشامي والمصري ، ثم عودته إلى مصر ، وافتخاره أمام الوزير لطفي باشا زوج أخت السلطان سليمان بفتوحاته لعدن واليمن وانتصاره . ولا ندري على أيّ الأعداء انتصر ، وما كان صاحبا عدن واليمن إلا فرحين به مستأمنين له من غير ضعف ولا خوف . ثم قال المؤلف رحمه الله مانصه وهو الحكمة البالغة والعبرة المؤثرة :

« ولو نظروا في حقيقة الحال ، وتدبروا ماسيؤول إليه في المآل ، علموا أنهم كانوا في غنى عن هذا العناء ، وتيقنوا أنه جرَّ إليهم محناً وإحناً ، ولقد سمعت المرحوم محمد حلبي المقتول دفتردار مصر يفاوض المرحوم داود باشا في حدود سنة

ثلاث وخمسين وتسع مئة فقال : ما رأينا مسبكاً مثل اليمن لعسكرنا كلما جهزنا إليه عسكراً ذاب ذوبان الملح ولا يعود منهم إلا الفرد النادر ، ولقد راجعنا الدفاتر في ديوان مصر من زمن إبراهيم باشا إلى الآن فرأينا قد جهز من مصر إلى اليمن في هذه المدة ثمانون ألفاً من العسكر لم يبق منهم في اليمن ما يكمل سبعة آلاف نفر » اهـ كلامه .

(قال المؤلف) قلت : وقد تجهز بعد ذلك إلى هذا الزمان أضعاف ما ذكره محمد بك رحمه الله تعالى وهلمَّ جراً إلى آخر الزمان . وهذا سر إلهي لا يعلم حقيقته إلا الله تعالى . والذي يلوح للخاطر أن سبب نقصان بركتهم ، وتقهقر عددهم ، ما يرتكبونه من ظلم العباد ، وما يتصاعد من المظلومين من الأدعية التي تصدر عن قلوب منكسرة ليس لها ناصر إلا الله تعالى ، والله سبحانه يلهم حكامنا وأمراءنا العدل والإنصاف ، ويعدل بهم عن الجور والاعتساف ، إنه مجيب الدعوات ، ومقيل العثرات ، اهـ.

(**المنار**) إن أعجب ما في هذه النبذة التي اقتبسناها من هذا التأريخ قوله « وهلم جراً إلى آخر الزمان » فلله درّ المؤرخين إن أشعة بصائرهم لتخترق حجب القرون ، فتبصر ما وراءها وتخبر بمضمرات الغيوب ، فقد صدقت حوادث هذه القرون الأربعة قول الرجل وما أراه إلا كان يعتقد بعلة خفية لهذا الخذلان في تلك البقعة لهذه الدولة التي كانت في تلك الأيام أقوى دول الأرض ولعلها هي ما أشار إليه في مقدمة الكتاب من الأحاديث الصحيحة الواردة في اليمن الناطقة بأن الإيمان يمان والحكمة يمانية ، وأن نفس الرحمن يأتي من جهة اليمن على أن الرجل كان متعصباً للدولة على الزيدية مفتخراً بما كان يحصل لها من الانتصار ، متألماً مما كان يحدث لها من الانكسار ، ذامّاً للزيدية مشنعاً عليهم بالبدعة ، مادحاً للدولة وعسكرها بنصر السنة ، ولم تكن عنده نعرة جنسية عربية فإن الإسلام نزع من قلوب العرب هذه العصبية الجاهلية ، فلم تعد إليهم حتى اليوم بل

نرى المؤلف يذم عرب اليمن أحياناً مع التعبير عنهم بـالعرب ، ويمـدح الترك معبراً عنهم بـالترك ، ويبتهج بنصرهم ويـدعو لهم ، وهـذا شـأن العرب إلى اليوم في كل البـلاد يفرحـون بنصر الـدولـة على عرب اليمن ، وإن ظلمت هنـالـك العبـاد ، وخربت البلاد ، حتى إنهم كانوا يقولون في السلطان عبد الحميد :

لاأزال الإلـــه دولتـــه الغرا (م) وإن كان قـــد طغى وتجبر

وقد قرأنا في جريدة الإصلاح التي تصدر في سنغافورة كتابة من عهد قريب لبعض عرب حضرموت يتمنون فيها أن تعجل الـدولـة بـاحتلال بلادهم والاستيلاء عليهـا . ولكن متعصبي فروق أمثـال صـاحب جريـدة (إقـدام) مجـدون في التفريق ، فهم الذين يعيـدون بـأقوالهم وأفعـالهم إلى العرب عصبيـة الجنس إلا إذا تدارك رجال السياسة هذا عاجلاً كما نصحنـا لهم أمس حين جئنـا العـاصمـة ، ولمـا يستبينوا النصح في ضحى الغد .

اتقوا الله ياساسـة الـدولـة ، وانزعوا هـذا الوسواس من صـدوركم ، اتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم ، اتقوا الله فإنكم تقولون : إننا في حاجة إلى المسـاواة والاتحـاد مع جميع العنـاصر العثمـانيـة ، وكيف يكون الاتحـاد إذا لم يكن قبـل كل شيء بين العرب والترك ؟ اتقوا فنحن في أشد الحاجة إلى الاعتصـام بـالأخوة الإسلاميـة مع جميع المسلمين ، والأخوة العثمانية مع جميع العثمانيين ، فلا يهدمنَّ السفهاء مـا يبنيـه الحكماء ، فإن الهدم أسهل وأسرع من البناء ، والسلام على من اتبع الهدى ، ورجح العقل على الهوى .

المنار مج١٣/ج٣/ص٢٢٥ـ٢٣٠

☆ ☆ ☆

الملحق

١٢

حل مشكلة اليمن وسائر جزيرة العرب

إن أقصى أمانينا أن تكون الدولة العلية أقوى دول الأرض بـأسـاً ، ومملكتهـا أوسع الممالك عمراناً ، وشعوبها أشد الشعوب اتحاداً ، ولا شيء أعز علينا من دولتنـا إلا ديننا ، ولا قوام لديننا إلا بلغته ، فلهـذا كثر الكلام في مثل سوريـة من بلاد الحضارة العربية بالمسألة العربية ، وقد صدق ذلـك الكاتب التركي الـذي كتب إلى جريدة (طنين) أنه ليس في سورية مسألة ترك وعرب ، وإنما فيها مسألة عربية وتركية ، فأهم ما يطلبه العرب أهل الحضارة من الـدولـة هو المحـافظـة على اللغـة العربية وترقيتها بجعلهـا إجبـاريـة في جميع مـدارسهـا الرسميـة ، وتسهيل طريق تعليمها في المدارس الدينية والأهلية .

وأمـا من تغلب عليهم البـداوة من العرب كأهـل اليمن ونجـد وخليـج فـارس وبوادي العراق ومـا بين النهرين ، فنتمنى أن يـدخلـوا في الاتحـاد العثمـاني كافـة ، وترتقي بلادهم في ظل الدولة ، ولكننا نعتقد أن هـذا الاتحـاد يستحيل أن يكون بالقوة العسكرية القاهرة ، كما يرتئي المغرورون بالعاصمة ، وإن إبادتهم أسهل من إخضاعهم بالقوة لشعب لا يعدونه منهم ، ولا يحترم حالهم الروحيـة والاجتماعيـة ، وإنما يسهل إخضاعهم بالإسلام والحكمة ، فلهذا اقترحت على الحكومة الـدستوريـة مساعدة جمعية من فضلاء الأمـة على تـأسيس مـدرسـة لتخريج المرشـدين الـذين يسهلون لها هذه السبيل في جزيرة العرب وبلاد الأكراد والأرناؤوط .

إن جـزيرة العرب لم ترَ الـدولـة العليـة حـاكمـة فيهـا إلا في بعض البـلاد

الساحلية ، وليس لها عند القوم هنالك أثر حسن ولا ذكر صالح في شيء من الأشياء ، وإنما يوجد في اليمن والعراق آثار الخراب والدمار وتواريخ الغدر وسفك الدماء ونهب الأموال ، ويعرف عنهم هذا جيرانهم ، وهم لا يفرقون بين نوع الحكم الاستبدادي الماضي والحكم الدستوري الذي وقفت الدولة ببابه الآن ، فلا ينتظرون منها إلا مثل الأيام التي خلت من قبل ، ومع هذا كله ، فإنني أعتقد أنه يمكن وضع قانون لإصلاح جزيرة العرب يكون من أوائل مواده أن هذه البلاد كلها تابعة للدولة العلية ، وليس لأحد من أمرائها ولا زعمائها حق في معاملة دولة من الدول الأجنبية معاملة ما ، لا تأذن لها بها قوانين الدولة ، وأن تدفع للدولة أموالاً أميرية ، وأن تقر الدولة إمام اليمن على إمامته في طائفته ، وكذا كل أمير وزعيم على إمارته ، بأن يكون هو المنفذ للنظام الداخلي فيها . وأن يترك لهم سلاحهم ويحتم عليهم حفظ الأمن في هذه البلاد ، وتكافل الأمراء والزعماء على منع الغزو ، ومساعدة الدولة على نشر التعليم ، وتحضير الأعراب ، وتتبع ذلك الجندية .

إذا وفقت الدولة لمثل هذا العمل فإنها تملك جزيرة العرب ملكاً حقيقياً من غير سفك دماء أبنائها ، ولا إضاعة الملايين من الليرات التي تأخذها من أوربا بالربا الفاحش والذل ، وتفتح لنفسها باباً واسعاً من الثروة ، وإن أبت إلا التعجيل بإزالة نفوذ كل ذي نفوذ بالقوة العسكرية ، فإنني أخشى أن يكون الخطر عليها من هذه السياسة من أشد الأخطار ، لأنها تكون سياسة سفك دماء وتدمير بلاد ، وتمزيق القوة العسكرية في بلاد لا يمكنها البقاء فيها ، وما وراء ذلك إلا العذاب الواصب ، أو استيلاء الأجانب .

المنار مج١٣/ ج١٢/ ص٩٥٨-٩٥٩

الملحق

١٣

الفتنة في اليمن

اشتدت الفتنة في اليمن وطـال عليهـا العهـد ، وقـد أرسلت الـدولـة إلى اليمن بالخميس العرمرم ، وجعلت عزت باشا رئيس أركان الحرب في نظـارة الحربيـة هو القائد العام للجيش هنالك ، لأنه قـد سبق لـه الحرب في اليمن ، وكان الإمـام قـد أسره ثم أنقذه فيضي باشا ، وقـد اجتمع هـذا القـائـد في جـدة بـأمير مكـة المكرمـة الشريف حسين بأمر من الآستانة ، واشتهر أنه اتفق معه على طريقة التعاون على إخضـاع اليانيين للـدولـة وذلـك بـأن يـزحف الأمير بجيش من العرب ، وكـذا العسكر المنظم الذي في الحجاز كما قيل على عسير لمحاربـة الإدريسي وإخضـاعـه ، ليتمكن القائد من توجيه جيشـه الزاحف كلـه إلى محـاربـة الإمـام يحيى ، عسى أن ينتهي أمر الفتنة في وقت قريب ، وهذا هو الرأي بعـد أن صـارت الحرب ضربـة لازب في نظر الدولة .

كان قـد أشيـع أن بين الأمير والإدريسي عـداءً ، وأن الأمير سيحـاربـه بعـد عودته من نجد في العام الماضي ، ويظن بعض الناس أن هذا هو السبب في استعانة الدولة بالشريف علي الإدريسي ، لأنها ترى أنه لا يدخر وسعاً في التنكيل بـه متى قدر ، كما يظنون أن سبب إرسالها عزت باشا إلى محـاربـة الإمـام هو أنـه أشـد من غيره كراهة له . ويرد على هؤلاء الظانين ظن السوء بأن سبب اختيار عزت باشا هو معرفته بأرض اليمن واختباره البلاد بالفعل ، وسبب الاستعانـة بـالشريف هو أن يكفيها إرسال العسكر الكثير وإنفاق المال الكثير ، وهي تعلم كما علم كل الناس الـذين علموا مـا كان منـه في نجـد أنـه يفضل السلم على الحرب ، والحلم والعفو على

الانتقام ، والخير للدولة إنما هو في حل هذه العقدة حلاً مرضياً لا دخن فيه ، ولا تحذر عقباه ومغبته ، ونحن نرى أن هذا أمر ممكن لمن أراده بصدق وإخلاص ، كما أنه كان ممكناً بغير دماء تسفك ، ولا قناطير من المال تبذل ، ولكن هكذا كان ، والواقع ينسخ الإمكان ، ويتمنى كل مسلم لو تنتهي هذه المسألة عاجلاً بسلام ، ويكفي الله المؤمنين القتال ، والرجاء في حكمة الأمير كبير ، والله أكبر ، وله الأمر من قبل ومن بعد .

المنار مج ١٤ / ج ٢ / ص ١٥٨ ـ ١٥٩



الملحق

١٤

مسألة اليمن واتفاق الحكومة مع الإمام

كنا اقترحنا على الدولة قولاً وكتابةً أن تتفق مع الإمام فتعترف له بزعامته وتقره على إمامته في قومه حسب اعتقادهم ، وترضى منه بما يقبله في مقابلة ذلك من الاعتراف بسيادة الدولة على اليمن وكونه هو تابعاً لها . وبعد الاتفاق على هذين الركنين يسهل الاتفاق على كل شيء ، بل نبهنا الدولة على ما هو أعم من ذلك لتمكين سلطتها في جزيرة العرب كلها بمثل هذا الاتفاق مع أمرائها .

كان من سعيي في مسألة اليمن أن اقترحت على رؤوف باشا المعتمد العثماني بمصر ـ والفتنة في ريعانها والعسكر يساق إلى اليمن تباعاً ـ أن يخاطب حكومة الآستانة في أمر الاتفاق مع الإمام بلسان البرق ، وقلت له : إنني موقن بأن الإمام يرضى بالاتفاق ، ويكره أن يحارب الدولة باختياره ، وإنني أتجرأ أن أضمن ذلك بشرط أن تعترف الدولة بإمامة الإمام وزعامته في قومه ، وعدم نزع السلاح منهم ، والإمام يعاهدها على عدم الخروج عليها وعلى تأمين البلاد ، وما زالت العرب تدين بالوفاء في الجاهلية والإسلام إلخ ماذكرته له . فقال : إن الخطابات البرقية وغير البرقية لاتكفي للإقناع في مثل هذه المسألة ، ولعلنا نتكلم فيها عندما نذهب إلى الآستانة في فصل الصيف .

أما الأصول التي قررتها اللجنة التي ألفت في الباب العالي لأجل وضع النظام لإصلاح اليمن فهي على مانشر في الجرائد عشرة :

١ ـ تقسيم اليمن وعسير إلى ثلاث ولايات .

٢ ـ أن يعين مشايخ القبائل حكاماً إداريين أي متصرفين في الألوية وقائمقامين في الأقضية ومديرين في النواحي .
٣ ـ أن يصرف النظر عن أصول المحاكات التي عليها العمل في الدولة هنالك ويستبدل بها محاكم شرعية تحكم في الدعاوى .
٤ ـ أن تنشأ الطرق والمعابر الكافية وتؤسس المدارس وأخصها الابتدائية .
٥ ـ أن يمنح الإمام يحيى رياسة اليمن الروحية .
٦ ـ أن تبتاع نسافات تحافظ على السواحل وتكون سدّاً دون تهريب السلاح والذخائر الحربية ، وأن تنشأ المعاقل العسكرية اللازمة .
٧ ـ أن يعفى اليمانيون كافة من الخدمة العسكرية ويوفد من سورية وطرابلس أناس يقومون بها هناك ، أو يأخذ لها أناس من العربان بالأجرة .
٨ ـ أن يسمح للعربان بحمل السلاح مؤقتاً .
٩ ـ أن تلغى الضرائب ويحصر التبغ (الدخان) لأنه يسهل تهريب السلاح .
١٠ ـ أن يعين الولاة من أصحاب الفطنة والحنكة والدراية ويمنحوا السلطة الواسعة .

هذه الأصول ليست فيا نرى إصلاحاً كافياً لليمن ، ولكنها ترضي اليمانيين وتسكن ثائرتهم إلى أن تتمكن الدولة من ضبط السواحل ، ومنع السلاح ، ومن امتلاك أعنة الرؤوساء والمشايخ بالوظائف والرواتب ، وإعداد القوة العسكرية من غير أهل البلاد لتنفيذ كل ماتريده الحكومة بالقوة . وبعد هذا يجمع السلاح من الأهالي ويحملون على كل ماتريده الحكومة منهم ومساواتهم بسائر العثمانيين . ولو كان لنا أن نقترح لاقترحنا ، ولكننا نتمنى أن توفق الدولة إلى اختيار الولاة من الرجال الموصوفين بما ذكر في الأصل العاشر وبالديانة والإخلاص في العمل ،

فعلى هذا جل المعوّل ، وما حرك الفتن هنالك في كل زمن إلا أولئك الولاة الطغاة العتاة الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون .

وسوف نرى ما هي المدارس التي تنشأ هناك وماذا يعلم فيها ، وما هي الطرق والمعابر التي تنشأ للعسكر وللزراعة والتجارة ، وكيف تكون المحاكم ، ونبدي رأينا في ذلك ، فإنه هو كل حظ اليمانيين من الإصلاح العملي . وكان من مصلحتهم ومصلحة الدولة أن يدخلوا في الخدمة العسكرية ، ويتعلموا في بلادهم ، ويقوموا فيها بكل ما تحتاجه الحكومة من الجند في الداخل ، وينفروا إذا استنفروا لمحاربة كل عدو مهاجم ، وإذا جرى الإصلاح في طريقه المستقيم ، وزالت مخاوف القوم وريبتهم التي غرستها في نفوسهم المظالم السابقة فإنهم يطلبون ذلك من تلقاء أنفسهم .

أما مسألة عسير فكادت تكون أعسر من مسألة اليمن وأعقد ، وأعصى على من يحلها وأبعد ، فقد عظم فيها نفوذ السيد الإدريسي الروحي ، وارتابت فيه الدولة فحاربته ، واستعانت عليه بأمير مكة الشريف حسين المشهور بالروية والحزم والإخلاص للدولة ، فسار إلى عسير بنفسه وبعض أنجاله يقود جيشاً مؤلفاً من عسكره الخاص وعسكر الدولة النظامي فحارب الإدريسي بقوتيه العسكرية والمعنوية حتى فكّ الحصار عن أبها عاصمة بلاد عسير ، وأجلى الإدريسي إلى عصم الجبال فامتنع فيها ، والأمير أعزه الله كان أجدر من قواد الحروب بإيثار الصلح والسلام ، وحفظ الدماء بالنفوذ الروحي وقوة الخطابة والبرهان ، ويقال : إنه كان يريد هذا وأن الإدريسي أبى عليه فتح باب الكلام ، وقد داوى الأمير ما جرح بالإحسان إلى أهل البلاد التي دخلها في عسير وإنشاء المساجد والمدارس لأهلها ، ثم عاد إلى الحجاز مؤيداً منصوراً ، ولكن الدولة ترى أن عقدة عسير العسكرية لما تنحل .

المنار مج١٤/ج٩/ص٧١٧-٧١٩

الملحق

١٥

الخطر الأكبر على بلاد العرب والرأي في تلافيه

طرابلس الغرب مملكة عظيمة مساحتها أضعاف مساحة إيطالية الطامعة في استعمارها ، وإغناء فقراء أمتها بخيراتها ، وكانت في يد الدولة العثمانية من عهد بعيد ولم تقدر على الاستفادة منها ولا على مساعدتها على الترقي والعمران ، لأن فاقد الشيء لا يعطيه . ثم إنها لم تحصن فيها الثغور ولا أقامت فيها معدات الدفاع لحفظها من الأجنبي الطامع ، بل كان من سياسة الاتحاديين الذين حلّوا محل السلطان عبد الحميد أن أخرجوا منها معظم ما كان فيها من العسكر والسلاح ، فبادرت إيطالية إلى احتلال ثغورها ، ولولا قيام أهلها بالدفاع عنها لاحتلوا سائر أرجائها . كل هذا معروف ولكن ماذا كان بعده ؟

انبرت إيطالية بعد فعلتها بطرابلس إلى سواحل جزيرة العرب المقدسة فأنشأت تضرب ثغورها بمدافع أسطولها ، تقتل من تقتل وتدمر ما تدمر ، والدولة تسمع وتبصر ، ولا تستطيع أن تعمل شيئاً ، بل نراها تهدد إيطالية بطرد رعاياها من المملكة العثمانية إذا هي اعتدت على بعض جزائر الأرخبيل أو سواحل الروملي أو الأناضول ، ولكنها لا تهددها ولا تفعل شيئاً ولا تقول كلمة في ضرب إيطالية لثغور اليمن وحصرها هي وثغور الحجاز (ماعدا جدة التي تعارض الدول الآن في حصرها ، وما يدرينا عاقبة أمرها) . ومن أسباب ذلك أن الدولة جعلت من تقاليدها أن مركز عظمتها وشرفها ومجدها هو الروملي ثم الأناضول ، فهي تهتم بأدنى قرية أو جزيرة من الروملي ، وإن كان جميع سكانها من الروم أو

البلغار ، مالا تهتم لمملكة عربية وإن كان سكانها أبناء رسول الله ﷺ وقومه . وهذا من أكبر أسباب ضعف الدولة .

لولا معارضة فرنسة لضربت إيطالية ثغور سورية واحتلتها كلها أو بعضها ، ولو كانت ترى لها ربحاً أو نفعاً من احتلال بعض ثغور اليمن والحجاز لاحتلتها ، ولكنها قد تخشى من الضرر أكبر مما ترجو من النفع ، وهي على كل حال لم تعتدِ إلا على البلاد العربية إذ هي البلاد التي لا تدافع عنها أوربة لأنه ليس فيها نصارى أو إفرنج ، ولا الدولة ذات السيادة عليها لأنها عندها من أطراف نعم السلطنة لا من الأعضاء الرئيسة في الدولة ، ولذلك لم تحصن ثغورها ، ولم ترسل إليها عسكراً إلا لقهر أهلها على كل ما تطلبه من المال ، أو إكراههم على التجرد من السلاح ، فقد علم المصريون مما نشر في الأهرام نقلاً عن مدير معارف اليمن ما كان يعلمه أهل الآستانة قبل من أن حملة اليمن الأخيرة كانت مبنية على طلب الوالي من الإمام إعطاء ما عند قومه من السلاح للدولة وامتناع الإمام من ذلك .

لم تكن محاربة اليمن وحدها هي التي قصد بها جمع السلاح من أهالي البلاد ، بل كانت حملة حوران والكرك لأجل جمع السلاح من أرجاء سورية ، وكانت الحكومة الاتحادية تريد جمع السلاح من عرب طرابلس الغرب أيضاً ، ولكنها لقيت من معارضة المبعوثين ما حال دون تقرير ذلك وتنفيذه . وقد سمعت في الآستانة من مصادر مختلفة أن من أصول سياسة جمعية الاتحاد والترقي جمع السلاح من العرب في كل ولاياتهم ومن الألبانيين والأكراد ، ثم ظهر صدق ذلك .

نحن لا نبحث الآن عن مقاصد الاتحاديين ونيتهم ، ولا عن ضرر سياستهم التي جروا عليها أو عدم ضررها ، ولا في إثبات ما يقوله خصومهم من عزمهم على بيع بعض الأطراف للأجانب بتجريده من أسباب الدفاع ، والسماح لهم بالنفوذ فيه ووسائل الانتفاع ، الذي هو الطريق المعبد للفتح السلمي والاستعمار ، وإنما

ننبه أهل الغيرة والروية في الآستانة وسائر المملكة ثم المسلمين عامة على ما ظهر بالحس والعيان فهدم جميع النظريات المخالفة له ، وهو أن البلاد العربية لا يمكن حفظها من اعتداء الأجانب عليها ، ودوام ارتباطها بسائر المملكة العثمانية ، إلا بقوتها الذاتية وتعميم السلاح والتعليم العسكري فيها .

فالواجب المحتم الذي لا تخيير فيه هو أن تبادر الدولة العلية إلى إرسال السلاح الكامل حتى المدافع بأنواعها إلى بلاد الشام والعراق والحجاز ونجد وكذا اليمن من غير سواحل البحر الأحمر ، وأن ترسل الضباط البارعين لأجل تعميم التعليم العسكري ، والأهالي كلهم يقبلون ذلك ولا يكلفون الدولة مالاً ولا نفقة تذكر . ويجب على جميع الأهالي مطالبتها بذلك ملحين ملحفين . وإلا فلينتظروا الساعة تأتيهم بغتة ، كما أتت أهل طرابلس وبرقة ، **فقد جاء أشراطها** وأنى لهم إذا جاءتهم ذكراهم ؟

المنار مج١٤/ج١٢/ص٩٥٠-٩٥١



الملحق

١٦

الدولة العلية واليمن

نشر كاتب إنكليزي شهد حصار صنعاء في العام الماضي وعاد في هذه الأيام إلى إنكلترة مقالة في (التايمز) وصف فيها ذلك الحصار وحالة البلاد في هـذا الأوان . ترجمت جريدة المقطم خلاصتها ، فرأينـا أن ننشرهـا لتكون تتمـة لـما نشرنـاه من قبل في مسألة اليمن ، قال الكاتب :

« عقدت الحكومة العثمانية صلحاً غير مجيد مع الإمام يحيى بعدما رشت زعماء الثورة بالأموال الطائلة ووعـدتهم بـالإصلاح ، فنـال الإمـام بـذلـك أكثر ممـا كان يطمع فيـه ، وثبت في مركزه حـاكماً على قبـائـل الـزيـديـة . ولم تتغير الحـال في ماسوى ذلك عما كانت عليه قبل بـدء القتـال . فـالأتراك يملكون صنعـاء ، وقـد استرجعوا معظم المراكز التي كانوا يحتلونها في الماضي ، والإمام يملك شهـارة وسـائر المعاقل التي كانت له . وقد أطلق الإمـام أخيراً سراح خمس مئـة أسير من الجنود ، ولكنه لم يعد المدافع التي غنمها في هـذه الثورة أو في ثوراتـه السـابقـة . واضطرت الحكومة أن ترسل خمسين ألف عسكري بقيـادة عزت بـاشـا وهو من أكبر قوادهـا للحصول على النتائج التي مرّ ذكرها .

ولا يستطيع الواقف على حقيقـة أحوال اليمن أن يقـابـل الأنبـاء التي وردت من الآستانة عن استعداد الإمام لتقديم مئـة ألف مقـاتل ليحـاربوا الإيطـاليين في طرابلس الغرب إلا بالابتسام . ذلك لأن سلطة الإمام اسمية أكثر مما هي فعليـة ،

ولأن الحكومة العثمانية تعجز عن نقل هؤلاء المتطوعين إلى ساحة الحرب . فالإمام إذن في حل من ذلك ولا تثريب عليه إذا لم يبر بوعده .

قد أتيح لي أن أكون في صنعاء لما كان الإمام محاصراً لها ، وظل الحصار من شهر يناير إلى أواخر شهر أبريل من العام الماضي . وكان عدد الحاصرين يتراوح بين عشرة آلاف وخمسين ألف مقاتل . ولو هجم الثوار على المدينة بغتة لتيسر لهم فتحها عنوة لأن حاميتها ـ وكانت مؤلفة من خمسة آلاف من المشاة وبعض الفرسان ونحو ٣٠ مدفعاً ـ لم يكن في استطاعتها الدفاع عن السور الذي يبلغ محيطه اثني عشر كليومتراً . ويقال إن الإمام كان عازماً على إتيان ذلك وأعد السلالم اللازمة لتسلق الأسوار ولكن المقربين إليه ثنوه عن عزمه .

وقد أنفق الفريقان مقداراً عظيماً من الذخائر سدىً ، ولم يحتدم وطيس القتال إلا لما دنا عزت باشا بجيشه من صنعاء ، فكانت الحامية تخرج من المدينة حينئذٍ وتهاجم الثوار فتنشب بينهما معارك شديدة يخسر فيها الفريقان خسارة جسيمة .

وكان الثوار مسلحين ببنادق موزر من عيار ٧٤ وغني عن البيان أن هذه البنادق شديدة الفتك ، ولقد كانت الذخائر متوفرة عندهم وإلا ما استطاعوا أن يطلقوا على الأسوار ناراً حامية أكثر من ثلاثة أشهر ، ومما يستغرب في هذا الأمر أن البنادق والذخائر في شبه جزيرة العرب أرخص منها في أوروبا ، ولم يستعمل الثوار المدافع العديدة التي غنموها من الأتراك كثيراً لأنه ليس بينهم من يحسن الرماية بها (؟) ولأن معظم الذين تصيبهم قنابلها داخل المدينة هم من إخوانهم وأتباعهم .

وحدث أنهُ لما عصفت ريح الثورة خرج بعض الجنود المحليين من العرب من المدينة وانضموا إلى الثوار ، فشدد ولاة الأمور على من تخلف من هؤلاء الجنود في

المدينة واعتقلوهم هم وسائر الذين اشتبهوا فيهم من الأهالي إلى أن انتهى الحصار ، ولم يشددوا إلا في هذا الأمر وتجاوزوا عن سيئة الذين سعوا في نسف الثكنات ، ويؤول تسامحهم هذا بخوفهم من قيام العرب عليهم إذا سقطت صنعاء وانتقامهم منهم ، وحرصهم على حياة الجنود الكثيرين الذين أسرهم العرب .

وزحف عزت باشا بجيشه من الحديدة على داخلية البلاد من غير أن يلاقي المقاومة التي كان يتوقعها ، نعم إنه قاتل كثيراً في طريقه ، ولكن الثوار لم يدافعوا عن معقل من معاقلهم العديدة بين الحديدة وصنعاء مدافعة تستحق الذكر ، وقد دلت النتائج على أن تقاعدهم عن مقاومة الجيش كانت حكمة من الإمام ، وليس جبناً منهُ ومن رجاله ، ولما بلغ الجيش صنعاء رأى أنهُ لا يستطيع أن يخطو إلى ماوراءها ، ولم تكن خسارته في الحرب عظيمة ، ولكن الأوبئة فتكت به فتكاً ذريعاً وزد على ذلك أنهُ لقي في طريقه مشاق وصعاباً ، وأنفق مالاً كثيراً في الانتقال من مكان إلى مكان ، وشاع بعد رفع الحصار أن الجيش كان ناوياً التقدم إلى شهارة ولكن عرب السواحل استأنفوا القتال الذي انتهى بواقعة جيزان المشؤومة فحال ذلك دون إخراج هذا العزم واضطر ولاة الأمور أن يسرعوا بمفاوضة مشايخ عرب الجبال ليشتروا خضوعهم وولاءهم بالمال .

ويستدل من هذه النتائج السلبية أن الحكومة العثمانية لاتستطيع إخضاع اليمن إخضاعاً تاماً ، وأن الأسباب التي تمنع الإدريسي من الاتحاد مع الإمام - وهي اختلافات دينية - تمنعهُ أيضاً من الاتفاق مع الحكومة ، هذا وإن منع تكرر الثورات في تلك البلاد ضرب من المحال إلا إذا نزع السلاح من الأهالي ، ولكن الحكومة بدلاً من أن تفعل ذلك مكنت العرب من غنم عدد عظيم من البنادق وبعض المدافع من جيشها ، وهم يرفضون الآن ماتعرضهُ عليهم من الاقتراحات لرد هذه الأسلحة أو رد بعضها رفضاً باتاً .

وعلاوة على ماتقدم ، فإن التغلب على البلاد الجبلية في اليمن محفوف بأخطار ومصاعب جمّة إذا كانت الحال ملائمة لذلك ، لأن البلاد وعرة المسالك تتخللها الجبال والهضاب من جميع الأنحاء فتجعل المواصلات أمراً صعباً جداً إن لم نقل محالاً ، وفيها كثير من المعاقل الطبيعية ، ويسكنها قوم أشداء عرفوا بالبسالة والإقدام ، لأنهم شبوا على الحرب وشن الغارات ، ولأنهم مستكملو العدة والسلاح ، نعم إن التمرس والتدرب على القتال يعوزانهم ، ولكنهم متحدو الكلمة ، تراهم قلباً واحداً ويداً واحدةً في الذود عن كل ما يوجب إذلالهم وإخضاعهم . اهـ .

(المنار) يعتقد الكاتب أن الدولة لاتستطيع إخضاع اليانيين بالقوة ، ثم هو ينصح لها بأن تأخذ منهم أسلحتهم فكأنه ينصح لها بأن تستمر على إنفاق الملايين مما تقترضه من أوربة بالربا الفاحش وعلى بذل دماء الألوف من المسلمين كل عام ، لأجل أن يهلك الفريقان ويكونا غنيمة باردة للطامعين فيهم جميعاً . ولو كان مخلصاً في نصحه لاستنبط من علمه واختباره أنه يجب على الدولة وهي لا يمكنها إذلالهم وإخضاعهم أن ترضى بأن يتولوا أمور أنفسهم بمساعدتها تحت سلطتها ، وأن تؤلف منهم قوة يحمون بها بلادهم من الأجانب إذا اعتدوا عليها ، ويكونون عوناً للدولة عند الحاجة إليهم . فحسبها أنها حاربتهم أربعة قرون وخسرت في ذلك الملايين من الرجال وبذر المال ، ولم تستفد في مقابلته شيئاً قط .

المنار مج ١٥/ج ٢/ص ١٠٦-١٠٨



الملحق

١٧

الصلح بين الدولة والإمام

رسالة طويلة أرسلها إلى جريدة (الحقيقة) البيروتية من اليمن ضابط عثماني شهد الحرب والصلح هنالك بنفسه ، لما فيها من الفوائد الجديرة بالتأريخ قال :

كان يوم السبت الواقع في ٨ ت١ سنة ٣٢٧ هـ يوماً عظيماً في اليمن حيث تجلت السعادة على تلك الربوع وانمحى الشقاء والبؤس اللذين كانا يرفرفان عليها ، وأراني فخوراً في زف هذه البشرى لإخواني في الدين والوطنية .

إن قرية (دعان) الواقعة على مسافة خمس ساعات من الشمال الشرقي من قضاء (عمران) سيكون لها شأن في التاريخ حيث عقد فيها الاتفاق وتمّ توقيع شروط الصلح بين الإمام يحيى بن حميد الدين وقائد الحملة عزت باشا فانحسم بذلك الخلاف ، وهدأت الخواطر ، وارتاحت النفوس ، ولعمري إن الاتفاق خير وسيلة لحقن الدماء ، لأن التطاحن لا يجدي نفعاً بل يكون سبباً لتأصل البغض وضعف القوة .

وقد قام الإمام بحضور القائد وأركان حربه ونواب اليمن وألوف من سكانها داعياً للدولة بدوام العز ، حتى اعتقد الناظر أن رابطة الاتحاد والإخاء ستكون أبدية إلى ماشاء الله لما ظهر على الوجوه من علائم الإخلاص وسيماء الاتحاد .

وفي اليوم الرابع من الشهر المذكور كان العلم العثماني يخفق على قلعة (عمران) بين دخان كثيف حيث كانت أحد عشر مدفعاً تطلق استقبالاً للقائد

وهيئة أركان حربه الذي جاء من صنعاء لاقتطاف ثمرة أتعابه ومساعيه التي صرفها منذ ستة أشهر في هذه الأصقاع ، فلم تكد تنتهي أصوات المدافع حتى ظهر ذلك البطل والتعب بادٍ على وجهه ، والشيب عام رأسه ، فشعرت عندئذٍ بفضله ، لأن الصلح كان على يديه ، وذلك لحكمته ودرايته ، وكم من قواد أوفدتهم الحكومة إلى ذلك القطر رجاء إصلاحه فآبوا من حيث أتوا ، ولم يستطيعوا أن يفيدوا شيئاً . وإليك أسماء الذين جاؤوا معه :

الميرالاي أحمد عوني بك رئيس أركان حرب الحملة . والميرلوا عبد السلام باشا رئيس أطباء الحملة . والقائمقام رجب بك البكباشية عاصم وعزت . والقول غاسية قدري وعصمت بك ، واليوزباشية عاشور وسيفي وصالح وصفوت وناظم بك ، وياور القائد الملازم سرور بك ، والكاتبان إلهامي وسليمان بك ، ومبعوث الحديدة محمود نديم بك مع مبعوث صنعاء ، وقومندان الجندرمة برتو بك ، ومدير مكتب الرشدية والعسكرية بصنعاء ، والبكباشي بهاء الدين بك وأحد علماء الروضة والميرالاي أحمد بك ، والسيد أحمد قاسم من أشراف اليمن وأحد الساعين في هذا الصلح .

وقد ضرب موعد الاجتماع في قرية دعان الواقعة على بعد خمس ساعات من الشمال الشرقي من عمران (بينهـا) وبين قريـة (خمر) التي هي مركـز لاجتماع رجال الإمام يحي كما ذكرنا .

وقد قدم الإمام يحي إلى (دعان) قبل أن يغادر عزت باشا صنعاء لكي يعد المعدات لاستقباله . وفوق ذلك فإنه أرسل لاستقباله حفيد الإمام الأسبق السيد محمد بن المتوكل الملقب بسيف الإسلام مع كثير من المشايخ ورؤساء القبائل ، وهو الذي حاصر قلعة عمران قبل ستة أشهر وضيق عليها الحصار بدفاعه مدة أربعة أشهر ، وهاهوذا قد قصد اليوم هذه القرية حيث تستقبله الجنود التي كان يحاربها وتحييه التحية العظيمة .

كانت مخايل النجابة وعلائم الذكاء تتلألأ على ذلك الوجه الذي يخالط سمرة لونه شيء من الاصفرار ، فكان يخيل للناظر إليه في أول وهلة أنه في حضرة هونغ هنغ زعيم الثورة الصينية من حيث بهاء طلعته وربعة قامته وقلة شعر لحيته وسدول شاربيه ولباسه الحرير الأصفر .

وكان بين وفود الإمام الموفدين لاستقبال القائد أيضاً ناصر مبخوت من مشاهير قواد الإمام ، وقد كان مستخدماً برتبة يوزباشي بالجندرمة (أي الشرطة) ، ثم فرّ منها ولحق بالإمام ، وهناك ظهر منه ما ظهر من قوة وشجاعة .

وفي صباح يوم الأربعاء توجه عزت باشا من (عمران) إلى (دعان) مع من ذكرنا أسماءهم وعشرين من الخيالة النظامية وخمسة وعشرين من خيالة الجندرمة ، ولو كان ذلك قبل هذا اليوم لما تسنى لعزت باشا أن يبتعد عن عمران مسافة ساعتين إلا بقوة ألاي (٤ توابير) كامل العدد والعدة ، لأنها آخر الأراضي الداخلة تحت إدارة الدولة ، أما اليوم فقد أصبح تحرسه قلوب اليمانيين وترعاه نفوسهم . فلما اقتربنا من دعان مسافة ساعة ونصف وجدنا المستقبلين على وجوههم آثار الشجاعة والنبل ، وفي مقدمتهم سيف الإسلام السيد أحمد [بن] قاسم والمقدم المشهور مقداد والشيخ عبد الله أبو منصر وعلي السراجي[١] ويحي شبام وراجح باشا شيخ قبيلة « عيال سريح »[٢] وكانت الحكومة وجهت عليه رتبة ميرميران لاستمالته إلا أنه بقي من رجال الإمام حتى الآن ، والسيد عبد الله بن إبراهيم ، وهذا كان قد أرسله الإمام للآستانة في السنة الماضية للمفاوضة مع الدولة بشروط الصلح .

---

(١) السراجي ، في الأصل (سراجي) .

(٢) عيال سريح ، في الأصل (سراح) ، وراجح باشا المقصود ابن الشيخ راجح بن سعد .

كان هؤلاء الأبطال يقودون العربان ويحاربون الحكومة من مناخة إلى صنعاء . ويلقب الإمام ثلاثة من رجاله بسيف الإسلام وهم السيد محمد بن المتوكل والثاني السيد قاسم والثالث أبو نبيلة إلا أن هذا الأخير لم يكن حاضراً الاحتفال بل بلغني أنه موجود مع رجاله بجهة (سعدا) .

أما السيّد قاسم فهو عم مبعوث صنعاء الميرالاي أحمد بك وقد خرج من صنعاء منذ خمسة وثلاثين سنة ، وهو من ذاك التاريخ بجانب الإمام ، وقد رويت عنه رواية قالها يوماً : إنني لما خرجت من صنعاء كنت لا أملك سوى بندقية إبراهيمية ، أما اليوم فإننا نملك على مئة ألف بندقية من أحدث طرز ، وما يقرب من مئة مدفع .

أما علي المقداد فهو من عائلة قديمة يرجع تاريخها إلى ألفي سنة ، وقد حارب الدولة منذ عشرين عاماً إلا أن لذلك أسباباً عظيمة حملته على محاربتها والوقوف بوجهها ، وهي أنه قدم أحد القواد العثمانيين في الزمن السالف ، وأراد أن ينتقم من العربان فدعا الأمير إليه ، فلما حضر لديه أمر أتباعه بربط هذا الجليل بعجل المدفع ثم أمر بإطلاقه فقطعت يداه من عظم القوة ، وكادت روحه تخرج من صدره ، ثم فكه وتركه مغمىً عليه ، فلما أفاق عاهد الله والرسول على أن لا يقرب هو ولا أولاده من الدولة وأن يقف حياته لمحاربتها مادام فيه عرق ينبض .

هذا نموذج من الإساءة التي يستعملها رجال الدولة الذين يقصدون اليمن للإصلاح فلذا كان اليانيون يقفون في وجه الدولة مهما أرسلت إليهم من المصلحين ذلك لأنهم رأوا الإساءة من السابقين وذهبت ثقتهم من اللاحقين .

يبلغ الأمير من العمر ٨٥ سنة ، وكان رجاله ينقلونه على ألواح الخشب أثناء

المحاربة لعجزه وعدم استطاعته ركوب الخيل ، وكان يصدر أوامره الحربية وهو على هذه الحالة ، ويدير شؤون المحاربين ويقودهم بكل رصانة .

أما عبد الله أبو منصر فقد كان سبباً في انكسار حملة فيضي باشا سنة ١٣٢١ هـ شرقي (كذا والمراد السنة المالية) وكيفية ذلك أنه لما هجم الطابور المنسوب إلى ألاي (ريزا) على (شهارة) ودخلها استولى الرعب على قلوب العربان ، فأوشكوا أن يفروا من وجه الجنود ، لولا أن قام عبد الله أبو منصور وعقل ركبتيه كي لا يستطيع الفرار إذا هاجمه العدو - وهي وسيلة استعملها لتشجيع العربان ، وأمثولة وضعها ليعلمهم الثبات إبان القتال - وقتل بعض الفارين من العربان عبرة لغيرهم ، فكانت النتيجة أن ثبت العربان حتى أفنوا الطابور عن آخره ، وضعفت بذلك قوة الحملة .

نرجع إلى مسألة الصلح : كنا نتقدم إلى (دعان) وكان يتقدمنا ألوف من العربان يلعبون بخناجرهم ويطلقون بنادقهم في الفضاء احتفاءً بنا ، وهي نفسها التي كانوا يطلقونها علينا في الوقائع . وكانوا يسيرون إلى جانبنا وهم ينشدون الأناشيد الحربية التي لا تحلو إلا بالأمم المتصفة بالشجاعة والوفاء .

هناك أثّر فيّ هذا المنظر وقلت في نفسي ماأحلى هذه المؤآخاة وما أسلم هذه القلوب التي تزينها النية الصافية .

لا شك أن ما رأيناه من مظاهر الإخلاص وعلائم الاتفاق هو نتيجة سعي قادة الأفكار من الفريقين في إصلاح ذات البين ، وأنا على يقين أنه لولا وجود عزت باشا في اليمن لما تمّ الصلح ، ولا رجعت السكينة إلى تلك الربوع ، فكم من قواد أموا هذه البلاد فأهلكوا الحرث والنسل ، ولم يتركوا نوعاً من أنواع الظلم إلا فعلوه ، فكان ذلك سبباً في إبادة ألوف من الجنود الذين ذهبوا ضحية جور هؤلاء القواد من أبناء الأناضول والروم إيلي .

تلك هي سياسة القواد السابقين التي لم يلتفت إليها عزت باشا بل نظر إلى المصلحة العامة قبل كل شيء ، ولولا ذلك لما تسنى له الحصول على وفاق ووئام بين طائفتين من المسلمين تقتتلان ، فهيأ للجيش العثماني عضداً قوياً يبلغ عدده ثلاثة ملايين ، لأن الإمام يحكم على هذا العدد ، ويمكنه أن يكون محارباً مع الجيش العثماني جنباً لجنب إذا مست الحاجة ، ولا يستبعد القارئ هذا ، فالمثال حسّي ظاهر ، وهو أنه لما بلغ الإمام إعلان إيطالية الحرب على الدولة أرسلَ نبأ برقياً إلى مقام الخلافة العظمى يقول بأنه مستعد لتقديم مئة ألف مقاتل كاملي العَدد والعُدد .

بينما كنت غارقاً في بحور هذه التأملات ، إذ تذكرت صحيفة الماضي حيث كنت شاهد عدل على المقابلة التي وقعت منذ سنتين مع السيد الإدريسي في (صبيا) وجرى لنا استقبال حافل ، وأرسل لنا الإدريسي رؤساء العشائر والمشايخ ، وبقينا عنده ثمانية عشر يوماً لم يدر في خلالها على ألسنتنا غير حديث وجوب اتحاد المسلمين يداً واحدةً ، دفعاً للطوارئ الخارجية المحدقة بنا ، وكان السيد يقول لنا : إنه لا سلامة ولا راحة ولا سعادة للمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها إلا بإطاعة أكبر دولة إسلامية ، والالتفاف حولها ، وهي دولة الخلافة العظمى . إلا أن هذا الائتلاف كان وقتياً لأن بيننا وبينه الآن دماء تجري كالأنهر وسيوف تلعب بالرقاب فشتان ما بين ائتلاف الأمس واليوم[1] .

كان الاتفاق مع الإدريسي على أثر تهديده ، فكنا الساعين إليه قبله خوفاً من إراقة الدماء ، فعدّ ذلك ضعفاً من الحكومة ، أما اليوم فإن الاتفاق بخلاف ذلك فقد أدرك الإمام أن لا فائدة من هذه المحاربات ، ولا نتيجة من التطاحن ،

(١) البعد بين الائتلافين أن الأول كان غير مبني على الإخلاص من مندوب الدولة فيه ، وهي التي لا ترضى إلى الآن بالصلح مع الإدريسي بل ترى سحقه ، كما سيأتي بيانه عن ضابط عثماني آخر .

وأن ذلك يضعف القوى فتصافحنا مصافحة ولاء وإخلاص ، وتعاهدنا أن نكون يداً واحدةً في السراء والضراء .

(دعان) بلد مبني على قمة جبل يتألف من مئة منزل بين دور وأبراج جعل واحد منها للإمام يحي ، والثاني لعزت باشا قائد الحملة ، وبعد أن استرحنا من عناء السفر ساعتين قصدنا البرج الذي نزل فيه الإمام .

هناك وجدنا بعض العربان وقوفاً على الأبواب حاملين سلاحاً حديثاً ، ثم انتقلنا إلى رواق ضيق مظلم حتى بلغنا حجرة الإمام ، حيث كان جالساً على مقعد بسيط يلاصق الأرض متكئاً على وسادة ، وأمامه أدوات الكتابة وأوراق منها ورقة مكتوبة ممضاة بختم الإمام ، ولم تكن الغرفة مزينة إلا أننا رأينا على جدران الغرفة سبحة وساعة ومصحفاً في محفظة قماش خضراء وسيفاً ونظارة .

وأما الإمام فسنّه يناهز الأربعين ، وعلى وجهه أثر الجدري ، حنطي اللون أسود العينين حادهما ، قليل شعر الحاجبين والشاربين واللحية ، وكنا نرى حينما يبتسم أسنانه الناصعة البياض . وخلاصة القول فإن سيا الذكاء والنبل كانت تتلألأ على ذلك الجبين الوضاح والوجه المنير الذي يجذب القلوب .

وسأذكر لكم من قبل الاستطراد أربعة عشر شرطاً من شروط الإمامة سبعة منها فطرية والباقي كسبي .

الفطري : أن يكون علوياً ، فاطمياً ، سليم الحواس ، صحيح البنية ، حراً أن لا يكون ابن أمة ، عالماً ، عادلاً .

والكسبي : أن يكون مستقلاً في رأيه ، سخي الكف ، جسوراً لا يهرب من القتل ، وأن لا يتقاعد عن الحرب إذا كان هناك مسوغ شرعي ، وأن يكون وحيداً في الإمامة ، وذكراً ، قادراً على استمالة الأكثرية أي مصيباً في رأيه[1] .

(١) المنار : هكذا أوردها ، وقد خلط فيها بين الكسبي وغيره .

وقد رأيت أثناء إقامتي في تلك الربوع أن أحسن حكومة ديمقراطية هي إدارة الإمام .

وجدت الشيخ ناصر مبخوت واقفاً على باب حجرة الإمام حاملاً السلاح كأنه يؤدي وظيفة الخفر ، وكان هذا الشيخ قد قدم للإمام خدمات جليلة حين وفاة والده ، وهو الذي سعى مع العلماء في إتمام البيعة له .

إن للإمام يحي سلطة عظيمة على اليمن ، حتى إنه يمكن للرجل أن يتجول الأراضي اليمانية دون أن يمسه سوء إذا كان لديه رخصة من الإمام ، والعرب يحترمونه احتراماً زائداً وذلك لشدة تعلقهم به .

كان الوافد على الإمام حينما يقرب من منزله بـ (دعان) يطلق عياره الناري في الفضاء دلالة على الاحترام والتعظيم .

إن هذا الاحترام العظيم ، وتلك السلطة المطلقة ، هما معلقان على كلمة تخرج من فم شيخ الإسلام الزيدية ، وذلك إذا ظهر من الإمام عمل استبدادي أو أمر يخالف الشريعة الإسلامية ، فعندئذٍ ينزل عن تلك العظمة ، وأحياناً تقود هذه الفتوى الإمام إلى محل القصاص . وخلاصة القول أن فتوى شيخ الإسلام الزيدية كسيف بتّار معلق فوق رؤوس الأئمة .

قبل أن أبين لكم شروط الصلح التي عقدت في هذه المرة ، أرى أن أذكر للقراء شروط الصلح السابقة التي طلبها الإمام قبل الدستور ، لنقابل بين هذه وتلك .

لا يخفى أن الحكومة في الدور السابق كثيراً ما سعت في الائتلاف والصلح ، وكانت الوفود تلو الوفود ، ولكنه يا للأسف لم يتسن لهؤلاء حقن الدماء ودفع الخسائر التي كانت تتكبدها الحكومة من إزهاق الأرواح وضياع الأموال ، وآخر

وفد أرسلته الحكومة في سنة ١٣٢٤ هـ لإصلاح ذات البين بين الطائفتين طلب منه الإمام الشروط الآتية مفتتحة بهذه المقدمة :

شروط الصلح التي كان اقترحها الإمام :

« وافقت مستمداً بعون الله على شروط الصلح مابيني وبين مأموري سلطان الإسلام الذي أدعو الله أن يؤيد ملكه لإطفاء نار الحرب الموقدة ، وأن نستبدل الفوضى والعداوة بالصداقة ، لتسلم البلاد من القلاقل ، وتحقن الدماء ، وتزول المحن من هذه البقعة ، ويستتب الأمن ، ويربط المؤمنون برابطة الإخاء التي لاانفصام لها ، ويرتفع الظلم من بينهم .

١ ـ أن تطبق الأحكام على الشريعة الغراء .

٢ ـ أن يرجع عزل وتعيين القضاة وحكام الشرع إلى الإمام .

٣ ـ أن تكون معاقبة الخائنين والمرتشين منوطة بالإمام .

٤ ـ تخصيص رواتب كافية للحكام وللمأمورين كي لاتدفعهم القلة إلى الارتشاء .

٥ ـ إحالة الأوقاف إلى عهدتنا لإحياء المعارف في هذه البلاد .

٦ ـ إقامة الحدود الشرعية على مرتكبي الجرائم من المسلمين والإسرائيليين كما أمر الله بها ، وأجراها رسوله التي أبطلها المأمورون كأن لم تكن شيئاً مذكوراً .

٧ ـ يؤخذ العشر من المزروعات التي تسقى بماء السماء ، وأما التي تسقى بمياه الآبر فيؤخذ منها نصف عشر بعد أن يقدر ذلك أرباب الخبرة ، وإذا حصل اختلاف يرجع إلى الأصول التي وضعها عبد الله بن رواحة في الخرص . ويؤخذ من البقر والغنم والإبل النصاب الشرعي ، وأما الأراضي التي تغل مرتين أو ثلاثاً فيؤخذ عنها نصف العشر أو ربعه ورفع ماسوى ذلك من التكاليف .

٨ ـ إن جباية الأموال المار ذكرها تكون بواسطة مشايخ البلاد تحت نظارة مأموري الدولة ، وإذا تجاسر أحد على أخذ زيادة عن التكاليف المار ذكرها فعزله أو تحديد الجزاء له راجع إلينا ، ولا يكون لنا علاقة بقبض الأموال الأميرية .

٩ ـ تعفى عشائر حاشد وحولان وحدأ وأرحب من التكاليف .

١٠ ـ يسلم كل منا الخائنين الذين يلتجؤون إليه .

١١ ـ إعلان العفو العمومي في البلاد كي لا يسأل أحد عن ماضيه .

١٢ ـ أن لا يولى أحد من أهل الكتاب على المسلمين .

١٣ ـ أن تشمل أحكام هذه المواد المار ذكرها صنعاء وتعز وملحقاتها .

١٤ ـ أن لا تتداخل الحكومة في شؤون (آنس) ولا تعارضني في تعيين المأمورين من قبلي لهذا القضاء ، لفقرهم وقلة حاصلاتهم ، ولما يخشى من وقوع محظور في مخالطة مأموري الحكومة لهم .

١٥ ـ أن تكون المحافظة على هذه البلاد من تعديات الدول الأجنبية راجع للدولة .

إن تنفيذ هذه الشروط في البلاد اليانية يكون سبباً لسلامة الأفراد البشرية ، وترقي البلاد ، وإحيائها ، فيظهر الأمن بأبهى مظاهره ، ويحصل منه خير كثير .

لا يخفى أن البعض يستفيدون من كثرة سوق العساكر إلى البلاد اليانية إذ لا يخلو ذلك من الفائدة المادية لهم ، ولعلهم لا يرضون بهذه الشروط ، لأن باتباعها يستتب الأمن ، وينقطع ورود العساكر إلى هذا القطر ، فيخسرون بذلك ما كانوا يؤمّلون .

لذلك أطلب صدور فرمان سلطاني يتضمن قبول الشروط المار ذكرها ، كي يطمئن اليانيون وترتاح قلوبهم ، ولا يعترضني المأمورون في إجراء الأحكام التي تخولنيها الشروط ، وإحالة إدارة بلاد (الشرقية) من اليمن التي تشابه بلاد (آنس) إلى عهدتي .

١٣ صفر سنة ١٣٢٤ هـ

هذه هي شروط الصلح التي كان طلبها الإمام من موفدي الدولة إلا أنه لم يتم الاتفاق عليها في زمن الحكومة الماضية ، لأن الذين نيط بهم أمر الصلح لم يكونوا أهلاً له .

كانت المسألة اليانية بعد إعلان الدستور شغل الدولة الشاغل ، وقد كادت تقرر أن تترك الجبال الآهلة بقبائل الزيدية للإمام يديرها كيف شاء ، لولا أن ظهرت في اليمن تلك الحركة الأخيرة وحصل ماحصل .

☆ ☆ ☆

أنقل للقراء اليوم الشروط التي حصل الاتفاق عليها وهي أخف وطأة من الأولى[☆] :

١ ـ عقد الاتفاق مابين الإمام المتوكل على الله يحيى بن حميد الدين وقائد الحملة اليانية عزت باشا على إصلاح أمور بلاد صنعاء ، عمران ، حجة ، كوكبان ، حجور ، آنس ، ذمار ، يريم ، رداع ، حراز ، وتعز ، التي يقطنها الزيديون الذين هم اليوم تحت إدارة الدولة .

(☆) نشرت طنين هذا الاتفاق بالتركية ، وترجمه مندوب (المقطم) فرأينا أن نشير إلى الفروق القليلة بين النسختين ، ونشير إلى المواد بأعدادها في الهامش دون الأصل .

(١) في المادة الأولى عند ذكر يريم كلمة (ميوم) بين قوسين كا رأيت . وفيها زيادة (وما حولها) بعد سرد أسماء البلاد وآخرها في الذكر (تعز ورداع) .

٢ ـ ينتخب الإمام حكام مذهب الزيدية ويبلغ الولاية ذلك ، وهذه تخبر الآستانة لتصدق المشيخة على ذلك الانتخاب .

٣ ـ تتشكل محكمة استئنافية للنظر في الشكاوى التي يعرضها الإمام .

٤ ـ يكون مركز هذه المحكمة (صنعاء) وينتخب الإمام رئيسها وأعضاءها وتصدق على تعيينهم الحكومة .

٥ ـ يرسل الحكم بالقصاص إلى الآستانة للتصديق عليه من المشيخة وصدور الإرادة السنية به ، وذلك بعد أن يسعى الحاكم في التراضي ولا يفلح . ولا ينفذ الحكم إلا بعد التصديق وصدور الإرادة بشرط أن لا يتجاوز أربعة أشهر .

٦ ـ إذا أساء أحد المأمورين (الحكام والعمال) الاستعمال في الوظيفة يحق للإمام أن يبين ذلك للولاية .

٧ ـ يحق للحكومة أن تعين حكاماً للشرع من غير اليانيين في البلاد التي يسكنها الذين يتمذهبون بالمذهب الشافعي والحنفي .

٨ ـ تتشكل محاكم مختلطة من حكام الشافعية والزيدية للنظر في دعاوى أصحاب المذاهب (المختلفة) .

٩ ـ تعين الحكومة محافظين تحت اسم مباشرين للمحاكم السيارة التي تتجول في القرى لفصل الدعاوى الشرعية ، وذلك دفعاً للمشقات التي يتكبدها أرباب المصالح في الذهاب والإياب إلى مراكز الحكومة .

١٠ ـ تكون مسائل الأوقاف والوصايا منوطة بالإمام .

---

(٥) في نسخة (طنين) « أن الفريقين يسعيان في الصلح والتراضي » .

(٧) في نسخة (طنين) « الحكومة تعين الحكام للشافعية والحنفية فيا عدا الجبال » .

١١ ـ صدور عفو عام عن الجرائم السياسية والتكاليف (الضرائب) الأميرية التي سلفت .

١٢ ـ عدم جباية التكاليف الأميرية لمدة عشر سنوات من أهالي أرحب وحولان لفقرهم وخراب بلادهم ، على شرط أن يحافظوا على صداقتهم وارتباطهم التام بالحكومة .

١٣ ـ تؤخذ التكاليف الأميرية بحسب الشرع .

١٤ ـ إذا حصلت الشكوى من جباة الأموال الأميرية لحكام الشرع أو للحكومة ، فعلى هذه أن تشترك مع الحكام في التحقيق ، وتنفذ الحكم الذي يحكم به عليهم .

١٥ ـ يحق للزيدية تقديم الهدايا للإمام بشرط أن تكون بواسطة مشايخ الدولة أو الحكام .

١٦ ـ على الإمام أن يسلم عشر حاصلاته للحكومة .

١٧ ـ عدم جباية الأموال الأميرية من (جبل شيرق) لمدة عشر سنوات .

١٨ ـ يخلي الإمام سبيل الرهائن الموجودين عنده من أهالي صنعاء وما جاورها وحراز وعمران .

١٩ ـ يمكن لمأموري الحكومة وأتباع الإمام أن يتجولوا في أنحاء اليمن بشرط أن لا يخلوا بالسكينة (بالأمن) .

---

(١٣) « لا تكلف الحكومة أهل اليمن غير التكاليف الشرعية » .

(١٥) « للزيدية أن يقدموا الهدايا للإمام إما توا وإما بواسطة مشايخ الدولة أو الحكام » ففيها زيادة جواز تقديمها بغير واسطة .

(١٦) « يؤدي الإمام عشر أراضيه » وليس فيها ذكر الحكومة .

(١٧) في نسخة (طنين) أن جبل شيرق حوالي آنس وأن أهله في غاية الفقر .

٢٠ ـ يجب على الفريقين أن لا يتعديا الحدود المعينة لهما بعد صدور الفرمان السلطاني بالتصديق على هذه الشروط . اهـ.

☆ ☆ ☆

استفدنا من هذا الاتفاق فوائد جمة أهمها :

أولاً ـ ترك الإمام لقب أمير المؤمنين للخليفة والاكتفاء بالإمامة .

ثانياً ـ ثبوت القطر اليماني تحت إدارة الدولة وإقرار الإمام بحاكمية الدولة على البلاد اليمانية كما طلب أحمد مختار باشا في تقريره ، اليوم بعد أن كانت الدولة تعتبر الإمام يحيى عدواً مبيناً أصبح الصديق الحميم واعترفت له بالإمامة رسمياً لتنظيم إدارة الزيديين .

أعلن الإمام يحيى عدم صلاة الجمعة صباح هذا اليوم لأننا كنا مسافرين فذهبنا لتناول الطعام حيث كنا مدعوين عند الإمام ، فعند وصولنا إلى المنزل وجدنا العربان مصطفين بأيديهم البنادق من طرز موزر لأداء السلام .

دخلنا المنزل فوجدنا شرشفاً (أي سماطاً) ممدوداً على الأرض حوله الأرغفة ، فجلسنا حوله ، وكان إذ ذاك الإمام لابساً لباساً من الحرير أبيض حاملاً خنجراً ذا حمائل من ذهب حتى إن الناظر إلى الإمام كان يرى في شخصه ولباسه حالة السلم .

كان شيخ الإسلام الزيدية[1] جالساً على يمينه وعلى شماله (سيد عمرو) وهو

(٢) « بعد التصديق على هذه الوثيقة الائتلافية (ائتلافتامة) بالفرمان السلطاني لا يتعدى أحد الفريقين على البلاد التي هي تحت إدارة الفريق الآخر » .

(١) المقصود بـ (شيخ الإسلام) العلامة القاضي حسين بن علي العمري (ت ١٣٦٢ هـ / ١٩٤٣ م) وهو جد الكاتب .

أول من سعى في الائتلاف والوفاق مع السيد قاسم بين الإمام يحيى وعزت باشا الذي كان حينئذٍ بجانب سيد عمرو ، فكأن هذا يفتخر وهو جالس بالتوفيق بين قائد الحملة وقائد اليمن .

كان سيف الإسلام جالساً عن شمال السيد قاسم ، وعلى يمين شيخ الإسلام رئيس أطباء الحملة اليانية عبد السلام باشا الذي كانت له اليد البيضاء في تطمين قلوب العساكر حين أصابتهم الكوليرا بين صنعاء ومناخة فجمع أطباءه وأوصاهم أن لا يفشوا خبر وجود الوباء بين الجند لئلا ترتعد فرائصهم وتنحل قواهم .

كان على يسار عبد السلام باشا الميرألاي أحمد عوني بك رئيس أركان حرب الحملة الذي مكث في اليمن عامين في حملة سنة ١٣١٤ هـ مع المرحوم عبد الله باشا ، وهو الذي أخمد فتنة الألبان في السنة الماضية ، ولم يكد يتم مهمته حتى ندب للذهاب إلى اليمن ، حيث كانت المسألة اليانية في دورها الأخير فلبى الطلب فخوراً .

هناك أقام خطوط الهجوم والدفاع بين صنعاء ومناخة حتى تمكن من الاستيلاء على الأولى ، وشهد له بالمقدرة الحربية كثيرون .

كنت أرى على وجهه مخايل التعقل ، فكأني به يقول للناظر إليه والمستطلع فكره : إن الذي يود فتح اليمن والاستيلاء عليها يجب عليه أن يجذب قلوب أهلها ويعاملهم بالرقة ، لاأن يخرب بلادهم ويدعها قاعاً صفصفاً . وكان لايحول نظره عن الإمام لأنه لم يتمكن مدة وجوده باليمن عامين من رؤية ذلك الوجه الوضاح .

دار البحث أثناء جلوسنا حول مائدة الطعام في علم الحكمة والكيمياء وخاض كل في هذين الموضوعين ، وكنا نقارن بين اجتهاد الأقدمين والمتأخرين من هذا العصر .

ولما أزف وقت الظهر من يوم الجمعة قام الأعراب لتأدية فريضة الجمعة فأمر عندئذٍ الإمام الخطيب أن يخطب في القوم الخطبة الآتية :

أحمد الله سبحانه وتعالى الذي وفق بين المسلمين الذين تجمعهم كلمة التوحيد وفرض عليهم أن يكونوا يداً واحدةً في السراء والضراء ، وأمرهم أن يقاوموا كل من يتعدى عليهم بقوله : ﴿ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيكُمْ فَاعْتَدُوا عَليهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَليكُمْ ﴾ ، ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ ﴾ ، ﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَليكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْداءً فَأَلَّفَ بَينَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً ﴾ بعد أن كنتم أعداء تضمرون الوقيعة بعضكم ببعض . عباد الله ! ابتعدوا عن الاختلاف ، فإنه مدعاة للشر والشَّرُّ مجلبة الخراب ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا ﴾ ، ﴿ وَلاَ تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾[1] إلخ ما قال .

كثيراً ما دار الحديث بين القواد ورؤساء القبائل عن المحاربات التي كانت تجري في القطر اليماني ، وتوصلنا بالحديث إلى أسرار المحاربة ، وكم كانت قوة العربان في المحاربات الأخيرة في كل موقعة .

كان عدد جيش العرب في واقعة بيت شعبان ٨٠٠ فقتل منهم خمسون وجرح كثيرون ، واضطر الجيش إلى الانسحاب ليلاً .

أما في محاربة (مفحق) فقد كانت قوة العرب مؤلفة من ثلاثة آلاف محارب وفي (بيت سلوم وغملان) كانت عشرة آلاف ، وقد قال لي أحد المقدمين : إننا نعترف ببسالة الأرناؤوط ، لأنهم كانوا يهجمون ولا يبالون بالرصاص الذي كان ينصب عليهم كالمطر .

---

(١) المنار : نقل الكاتب ماعدا الآية الأولى من الآيات (وكذا سائر الخطبة) بالمعنى لأنه لم يكن يحفظها فزاد ونقص وقدم وأخر فنقلناها كما هي لأنه الواجب .

وقد قال لي رئيس ثانٍ من العربان : إننا لانلتذ بمحاربتكم ولا نقدم عليها إلا مكرهين ، لأننا نتدين بدين واحد ، فلذا كنا في أكثر المواقع مدافعين ولا نهاجم إلا مضطرين ، ونحن نود أن نكون معاً في محاربة دولة ترغب في التعدي على حقوقنا ، هناك ترون منا ما يشيب له الطفل الرضيع ، وتتأكدون أن العرب يحقرون الموت في سبيل الدفاع .

إن هذا الاتفاق جعل ما كان بيننا نسياً منسياً ، غير أننا آسفون محزونون لما أصاب إخواننا بطرابلس الغرب من تعدي تلك الدولة الطاغية .

كان العرب جميعهم يتألمون من الحرب القائمة بين الدولة وإيطاليا ، وكثيراً ماوفد علينا رؤساء العشائر يسألوننا هل من سبيل للوصول إلى طرابلس الغرب لمساعدة إخواننا ؟

بينما الجميع في هذا الحديث إذ قام سيف الإسلام بين الجميع وصرخ بصوت جهوري ملأ الفضاء وقال : إن أعظم قوة للإسلام هي الاتفاق ووحدة الكلمة ، ثم رفع يديه ودعا للطرابلسيين بالنصر ، وسأل الله أن يثبت أقدامهم على محاربة الدولة الطاغية . وأمّن له الجميع .

ثم التفت عزت باشا وخاطب الجميع بقوله : إننا نفضل الموت على أن نرى الإسلام مستذلاً ـ فأجابه سيف الإسلام : أن ذلهم يتوقف على انشقاقهم وجهلهم ، وإني لاأجد معرة أعظم من هذه ، فيجب أن تتجدد للإسلام قوته ويرجع مجده وعظمته .

وفي يوم السبت أخذنا نستعد للرجوع ، فخرج الإمام يحي بموكب عظيم ، ودعا لنا بالتوفيق ، وقد أرسل معنا ابن المتوكل وناصر مبخوت لمرافقتنا إلى (عمران) فلما اقتربنا منها أطلقت المدافع من القلعة أحد عشر طلقاً كأنها تشير إلى أن السلم في اليمن قد انتشر ، والأمن استتب ، بفضل حكمة القائد عزت باشا .

إن هذا الاتفاق كان سبباً لحقن الدماء وعدم تيتم الأطفال وثكل الأمهات أبناءها ولا شك أنه سيزين تاريخ العثمانية .

كانت الدولة تنظر إلى اليانيين بنظرة العداء ، وقد روّت أرضهم من دماء أبناء الروملي والأناضول (وغيرهم) فقتل فيها ما ينيف على الخمس مئة ألف[1] وأنفقت الملايين من الدراهم في هذا السبيل ، إلا أن ذلك يرجع لسوء الإدارة في تلك القطعة .

لما حصل الانقلاب في المملكة العثمانية أخذ رجالها يبحثون عن علاج يداوون به هذا الداء العضال المتأصل في جسم الدولة إلى أن قدر لعزت باشا أن يكون الشفاء على يديه ، وقد وفق لعقد الائتلاف مع الإمام يحيى الذي هو رئيس مليون ونصف من الزيدية الذين لا يبالون بالحروب ، يأتمرون بأمره ويخضعون لإشارته ، وللإمام ثروة عظيمة يبلغ ريعها ٢٠٠٠٠٠ ليرة سنوياً ، وله نفوذ عظيم في اليمن .

يجدر بنا أن نعترف بأن سياسة القوة التي سارت عليها الدولة في اليمن لا تفيد شيئاً ، وأنه لمن الظلم الفادح أن تغتصب أموال اليانيين وتخرب ديارهم ، لا لذنب جنوه بل لهوى في نفوس القواد الذين كانوا يؤمون البلاد اليانية فيهلكون الحرث والنسل .

أي صلاح أدخلناه في اليمن منذ استيلائنا عليها . وأي صلاحية تخولنا الحاكمية عليها مادامت الإدارة سيئة ، وأرباب الحل والعقد في الحكومة السالفة لا يرقّون لحال اليانيين ولا يرحمون .

---

(١) يريد الكاتب قتلى الحروب الأخيرة من عهد حملة أحمد مختار باشا إلى حملة عزت باشا ، وإلا فالقتلى هنالك يعدون بالملايين إذا ارتقينا في عدهم إلى أول تصدي الدولة لليمن في زمن السلطان سليمان ، وكان أكثر الجيش الذي يرسل إلى هنالك من العرب المصريين وغيرهم (راجع ص ٢٢٥ من المجلد الثالث عشر) .

كانت إدارتنا لليمن حتى اليوم بالمدفع ، وتمنعنا يـالأسف عن تنفيذ خطة الإصلاح التي وضعت له ، فنحن لاننكر على الحكومة الحالية ماأجرته في المدة الأخيرة لأن الإصلاح لا يتأتى إلا بالقوة[1] .

على أن فرنسا لما دخلت الجزائر أدارت أمورها بستين ألف جندي لكننا نحن العثمانيين ، لا يجمل بنا أن نفعل فعلها في اليمن من حيث الظلم ، بل من حيث الإصلاح .

أخطأ الذين كانوا يقولون بوجوب الزحف على (شهارة) فماذا ينفعنا ؟

فقد سبق لنا الدخول إلى (غفلة) غير أننا رجعنا بخفي حنين بعد أن أريقت دماء كثيرة من الطائفتين الإسلاميتين . فليس الإصلاح في الاستيلاء على البلاد وإنما الإصلاح كل الإصلاح أن نجذب قلوب اليانيين ، فيميلون بطبيعتهم إلى الدولة ، ويعترفون بحاكميتها ، ويتفيؤون ظلالها .

لواستعمل القواد السابقون مااستعمله عزت باشا من الحكمة والدراية لكانت اليمن جنات تجري من تحتها الأنهار .

إن عزت لما أعلن أنه سيأمر بين الناس بالعدل ، ما كان من اليانيين إلا أن وفدوا عليه في (صنعاء) زرافات زرافات ، واثقين من كلامه ، ثم كانوا لا يلبثون بعد دخولهم ومحادثتهم له أن يخرجوا من عنده ملآنة أعينهم بالدموع ، (لأنهم أيقنوا إخلاصه في الخدمة) وحاملي الهدايا الثمينة ، إلى أن حصل الاتفاق

---

(١) إن الكاتب على إنصافه لم ير بدأ من عذر الحكومة الحاضرة على سوقها الحملة التي هو أحد رجالها لحرب اليمن ليبرئ نفسه بتبرئتها ، والحق أن إثمها كإثم ماسبقها أو أكبر ، وقد أخطأ في تقليده بعض ساسة الدولة بجعل الترك من العرب كالفرنسيس من أهل الجزائر ، وأخطأ أيضاً في جعله هذا الصلح أثر قوة الحملة وهي لم يتم لها الظفر ، وكان الإمام قد رغب في الصلح قبلها وكاد يتم في وزارة حلمي باشا لولا أن أوقفه الاتحاديون لتنفيذ سياسة المدفع السابقة .

☆ ☆ ☆

بينهم ورفع الخلاف ، وبدل اليمن ثوبه البالي بثوب جديد .

نعم إن هذا الاتفاق الذي حصل بين الزعيمين سيدر بالخير والبركة على الأقطار اليانية ، فتنجلي سماؤها التي كانت متلبدة بدخان البنادق والمدافع الكثيف ، وتحرث أرضها ، ويشتغل فيها أهلها ، ويذوقون طعم الأمن والسكينة فيهدأ بالهم ، وتسعد حالهم ، وستكون الحوادث الماضية درساً لرجال الدولة ، فلا يضعون الشدة حيث يجب أن يكون اللين . اهـ ما نشر في (الحقيقة) بتصحيح قليل للعبارة .

المنار مج ١٥/ج ٢/ص١٣٨ ـ ١٥٢



الملحق

١٨

حديث في صلح اليمن لضابط عثماني كبير

نشرت جريدة (المفيد) البيروتية حديثاً لأحد صاحبيها أو محرريها مع أمير الألاي إحسان بك الذي كان رئيس أركان الحرب لفيلق اليمن عند إلمامه ببيروت عائداً من اليمن ، قال الكاتب :

ضمني وأمير الألاي إحسان بك مجلس ولما علمت أن قدومه من اليمن وأنه من كبار الضباط استطردته في الكلام إلى البحث في شؤون الاتفاق مع الإمام . قلت : وهل لإحسان بك معرفة بعزيز بك ؟ قال : نعم ، هو من أعز أصدقائي ، وهو الرجل الذي جمع إلى همة الشباب حكمة الشيوخ ، قلت :وما عندك من نبئه ؟ قال : إنه بطل هذا الاتفاق .

قلت : وكيف كان ذلك ؟ قال : « إن عزيز بك شاب غيور أنف فخور يعز عليه أن يستمر القتل بين الجنود العثمانية وبين عرب البادية (كذا) ، وقد أتى هذا القطر والتحق بحملة اليمن ، وفي النية أن يوفق بين عزت باشا والإمام يحيي حقناً للدماء ، وقد نجح مسعاه لدى قائد الحملة ، فإن عزت باشا لم يكن ممن يحبون سفك الدماء دون طائل ولا ممن يقودون الجيوش بقصد التخريب والتدمير .

هذه العاطفة التي وجدها عزيز بك في قلب عزت باشا سهلت عليه سبيل الاتفاق مع الإمام » .

قلت : إن عزيز بك هو بطل هذا الاتفاق وأؤكد لكم أن هذا البطل هو من أصدق الرجال الذين خدموا الدولة والأمة معاً ، فإن خوفه على دولته من الانقراض لاشتغالها عن الأمور الخارجية بتجريد الحملات على أبنائها ، و (حبه) بقاء العرب ذخراً للدولة تستصرخهم عند الحاجة ، حملاه على عقد الاتفاق ، وقد تمكن بطلاقة لسانه من إقناع الإمام بأن القتال إذا استمر بينه وبين الدولة فإن الأجانب الذين يتربصون بنا الدوائر سوف يستولون على هذه البلاد .

على هذه الفكرة بني أساس الاتفاق بين عزت باشا والإمام يحي ، ومن ذلك يظهر لكم أن عزيز بك هو بطل هذا الاتفاق .

ـ ما وجه الخلاف الذي من أجله كانت تسفك دماء الأبرياء ؟

« إن الإمام منذ أعوام كثيرة يدعي الإمامة وأنكم إذا قرأتم نص ختمه تعلمون وجه الخلاف وسبب خروجه على الدولة . كان للإمام قبل الاتفاق ختم كبير نقش عليه : (نصره الله) ومن تحتها بصورة هلال (السيد يحي بن محمد حميد الدين) ويلي ذلك كلمة (أمير المؤمنين المتوكل على الله رب العالمين) . هذا هو ختم الإمام قبل الاتفاق . وأما بعده فأصبح كذلك (إمام الزيود السيد يحي بن محمد حميد الدين) ، ومن ذلك تعلمون بسبب الحروب اليمنية ، فعزت باشا وعزيز بك لم يحقنا دماء أبناء الأمة اليوم فقط بل إنهما حقنا دماء أبناء كثيرة لم يخلقوا بعد ، والله يعلم كم كانت هذه الحروب تستغرق من الأجيال لولا هذا الاتفاق » .

هذا هو ختم الإمام قبل الاتفاق . وأما بعده فأصبح كذلك (إمام الزيود يحي بن محمد حميد الدين) ، ومن ذلك تعلمون بسبب الحروب اليمنية ، فعزت باشا وعزيز بك لم يحقنا دماء أبناء الأمة اليوم فقط بل إنهما حقنا دماء أبناء كثيرة لم يخلقوا بعد ، والله يعلم كم كانت هذه الحروب تستغرق من الأجيال لولا هذا الاتفاق » .

- كم يبلغ عدد الجند في اليمن اليوم وما هي خسارتهم في الحرب الأخيرة ؟

« يناهزون ستين طابوراً ، وتقدر خسارتهم بستة آلاف ، ومعظمهم مات بسبب الأمراض التي كثيراً ماتنتشر بين الجنود لحرارة الإقليم » .

- هل يتقاضى الإمام راتباً من الدولة ؟

« نعم يتقاضى ألف ومئة ليرة عثمانية مشاهرة ولمشايخ العربان رواتب مقننة أيضاً » .

- ماذا كانت فوائد الاتفاق بعد أن عقد ؟

« وزع الإمام منشوراً على جميع القبائل الموالية له يحذرهم من الخروج على الدولة والتعدي على الجنود النظامية والانصراف عن مناوأة الدولة إلى الاهتمام بزراعة الأرض ، فكان من ذلك أن الجندي النظامي أصبح يروح ويغدو بسلاحه الكامل في أنحاء اليمن دون أن يعارضه معارض .

أما الرسوم الأميرية فتجبى بواسطة رجال الإمام الذين يصحبون رجال الجندرمة ، ولم نسمع بعد عقد الاتفاق بشيء مما كان يقع بين الجباة وبين العربان ، الأمر الذي كان يفضي إلى امتشاق الحسام وسفك الدماء بين الفريقين .

أكثر بلاد الدولة أمناً اليوم هو القطر اليماني ، غير أن اليمن هي اليوم في حالة البداوة ، وإن في خصب أرضها وطيب تربتها ما يساعد الدولة على نقلها من حال إلى حال .

تمد الدولة اليوم خطاً حديدياً من الحديدة إلى جميلة وما مدته إلى الآن يقدر بثلاثة كيلومترات ، إلا أنها ساعية بتسوية الأرض وبسط الطريق لكن مد السكة الحديدية لا يجدي الأهالي نفعاً إذا لم تكن البلاد غنية ، وإذا أتيح لهذه البلاد أن تغنى فأرضها ستكون كنز هذه الثروة .

إن الخط الحديدي يسهل نقل الجنود إلا أن الدولة إذا جرت على سياسة عزت باشا عقدت مع مشايخ القبائل عقود الاتفاق في بطن الجزيرة ، وساعدت على زراعة الأرض أصبح هذا الخط اقتصادياً أكثر منه عسكرياً ، فإن اليمانيين متى قعدوا عن قتال الدولة وتعاهدوا معها انصرفوا إلى الزراعة والصناعة ، وإن ذكاء هؤلاء القوم يساعد كثيراً على انتشار المدنية في تلك الربوع ، وإن من مصلحة الدولة أن يساس هؤلاء بسياسة الحلم لا سياسة العنف والشدة .

في بعض الأنحاء من اليمن تنبت الأرض أربع مرات في السنة ، وبعضها تنبت مرتين ، فإذا عنيت الدولة بزراعة البلاد اليمنية كان لها مورد جديد يزيد في ماليتها ، وإنه ليؤسفني أن أصرح لكم بأن الحكومة أرسلت كثيراً من الأدوات الزراعية ، ولكنها لم ترسل معلمين زراعيين حتى الآن ، وهذا الإهمال كان السبب في تعطيل هذه الأدوات .

إن حكومة الآستانة لم تغفل هذا الأمر فقط ؛ بل إنه مضى على عقد الاتفاق شهور ، ولم يصادق عليه إلا أول من أمس ، وكثيراً ما كان عدم وفائنا سبباً في خروج مشايخ اليمن علينا ، فإن الوفاء بالعهد عند العرب من الأمور التي يتوقف عليها بقاء ثقة المحكوم بحاكمه » .

هل تعهد الإمام لقاء الامتيازات التي منحته إياها الدولة بالمساعدة عند الحاجة ؟

« نعم وعد بتقديم مئة ألف مقاتل بالعدة الكاملة وهذه قوة لا يستهان بها » .

ـ ما هي سياسة عزت باشا مع الإدريسي وهل يمكن عقد اتفاق معه ؟

« من رأيي أن تعقد الدولة اتفاقاً مع الإدريسي ، ولكن الامتيازات التي تكون للإدريسي هي لا شك غير امتيازات الإمام ، فإن الإدريسي حديث في

المهدوية غير أن في عزم عزت باشا أن يجرد عليه قوة من الجيش اليمني وستبدأ عماقريب الحركات العسكرية في عسير ، ومن رأي عزت باشا أن الإدريسي قد ادعى المهدوية حديثاً ، وأما الإمام يحي ؛ فنسبه ثابت ، والإمامة وراثية في عائلته ، فإذا عقد القائد معه اتفاقاً يخشى من ظهور مئات أمثال الإدريسي ، فقضاء على كل دعوى من هذا القبيل ، يرى القائد من الضرورة خضد شوكة الإدريسي ، ولكن رأيي الخاص هو أن عزت باشا إذا جرد على الإدريسي عسكراً لابد وأن يرجع إلى فكرة الاتفاق ، فإذا كان لعقد الاتفاق سبيل فمن واجب الحكومة أن لاتدع هذا السبيل » .

ـ وهل في تلك الأنحاء غير الإمام يحي والإدريسي من مشايخ العرب يعتدُّ بهم ؟

« يوجد شرقي اليمن بعض السلاطين وسياسة عزت باشا اليوم استمالة هؤلاء السلاطين دفعاً لما يتهدد البلاد من الأخطار فإذا تغاضت الحكومة عن إرضاء هؤلاء فإن دولة أجنبية تستميل إليها هؤلاء خفية بما تمنحهم إياه من الأموال وما تقدمه لهم من الأسلحة . وأذكر لكم من هذا القبيل أن سلطانين من سلاطين شرقي اليمن لما سمعا باتفاق عزت باشا مع الإمام وعلما باستقامة هذا القائد ورويته قدما إليه وعرضا عليه الإطاعة للدولة ، وقد اعترفا لعزت باشا بدسائس بعض الدول ، وأطلعاه على رسائل سرية كان عمال تلك الدولة يبعثون بها إليهما .

إن عزت باشا يتبع الآن سياسة حسنة ، وقد أحسن وفادة هذين السلطانين واعترف بسلطتهما شرقي اليمن ، وأعطى كلاً منهما علماً عثمانياً ، وأنعم عليهما بالخلع ، ومنحهما الأموال ، وعندي أن من الواجب على الحكومة أن تسير على هذه السياسة مع العرب ومع بقية العناصر العثمانية .

وقد ينبغي للحكومة حفظاً لهذا الملك من الانقراض أن تسير في الداخلية

على سياسة الحلم واللين ، وأن تدخر هذه القوات للعدو الخارجي الذي يتهدد البلاد . اهـ .

☆ ☆ ☆

(المنار) إن ما رآه هذا الضابط العاقل من وجوب اتفاق الدولة مع الإدريسي هو الصواب المحتم ، وأن قتاله خطأ أو خطر ، وأنه هو يتمنى الاتفاق والخضوع للدولة كما نعتقد ، وكنا قبل أن تقاتله الدولة وتقاتل الإمام اقترحنا عليها الاتفاق معهما كليهما ، وكلمنا رؤوف باشا في ذلك ، وجزمنا له بأن الإمام والإدريسي يرغبان فيه ، ويخلصان للدولة ما وفت بعهودهما ، كما بيّنا ذلك في المنار . وقد تبين صدق رأينا في الاتفاق مع الأول وسيتبين في الثاني . ثم يتبين صدق رأينا في الاتفاق مع سائر أمراء جزيرة العرب وزعمائها أيضاً . وكان بعض الزعماء في حضرموت وغيرها كتبوا إلينا من بضع سنين يخبروننا بدبيب الدسائس الأجنبية في بلادهم ، ورغبتهم في أن ترسل الدولة إليهم أعلامها وعمالها ، ليديروا أمرهم ، فعرضنا ذلك على أحمد مختار باشا الغازي فقال : إنه الآن غير ممكن لوعورة الطرق وقلة أو فقد الرجال الأكفاء الذين يرضون أن يقيموا في تلك البلاد ، وتعذر إقناع السلطان بذلك . والآن قد سنحت الفرصة ، فعلى الدولة أن تغتنمها ، وتجعل جزيرة العرب هي الركن الأقوى لمظاهرتها وتأييدها ، على نحو ما أشرنا إليه في الجزء الأخير من السنة الماضية .

كان ساسة الدولة يظنون أن إصلاح جزيرة العرب وتقويتها خطر على سلطة الترك يخشى أن يفضي إلى إيجاد دولة عربية مستقلة يدعي حاكمها الخلافة ، وهذا هو السبب لجعلهم بلاد الحجاز خراباً ، ومتابعة الحرب في اليمن وغيرها ، كما أشار إلى ذلك إحسان بك ، ولكنه لا يرجى منه أن يذكره بغير الصيغة التي ذكره بها . ولم يوجد في الدولة رجل أمكنه أن يجعل الجزيرة ولايات

تركية أو عثمانية ، ولا أن يجعلها ولايات ممتازة مرتبطة بالدولة بعسكريتها وخارجيتها ، مع بقائها مستقلة في إدارتها .

أما الآن وقد ظهر للعيان أن العرب أشد العناصر العثمانية حرصاً على الارتباط بالدولة والإخلاص لها ، باستقتالهم في حرب إيطالية بطرابلس الغرب ، وشرائهم بقاء التبعية العثمانية بكل ما يملكون من مال ودم ، وظهر أيضاً أن الدولة تعجز عن حفظ جزيرة العرب - وهي مهد الإسلام - من تعدي الدول البحرية ، كما عجزت عن الدفاع عن طرابلس الغرب ونيط الدفاع عنها بأهلها وظهر أيضاً أن الدولة العلية نفسها على خطر ، بعدما أجمعت أوربا على عدم التزام معاملتها بقوانين حقوق الدول - أما وقد ظهر كل هذا فقد صار من الواجب المحتم على الدولة أن تعقد الاتفاق مع جميع أمراء الجزيرة ، فتقر كل أمير منهم على ماهو عليه ، وتساعده على التعليم والتمرين العسكري وسائر ضروب الإصلاح ، ويكون أهم أصول الاتفاق بينها وبينهم هو الاتحاد العام في الجيش عند الحاجة وكيفية الإنجاد والدفاع عن المملكة .

المنار مج١٥/ج٢/ص١٥٣-١٥٨

☆ ☆ ☆

الملحق

١٩

حال اليمن على عهد السلطان محمود الثاني

كان ابتداء تحرش الدولة العثمانية باليمن في سنة ٩٢٤ هـ في عهد السلطان سليمان القانوني أي زهاء أربع مئة سنة ، وقد بيّنا ذلك في المجلد الثالث عشر نقلاً عن كتاب (البرق اليماني في الفتح العثماني) ، ومن ذلك أن الحرب كانت سجالاً بين الدولة واليمانيين ، وبقيت كذلك إلى الآن .

ولما ولي السلطان محمود الثاني كانت الدولة محفوفة بالنوائب والأحداث ففي زمنه كانت فتنة الانكشارية ، والحرب الروسية ، وعصيان والي يانية ووالي بغداد ، وثورة اليونان ، وحرب إيران ، وحرب محمد علي باشا ودخوله الشام ، ثم حرب الوهابية في نجد والحجاز ، ولكن اليمن كانت راضية في ذلك العهد بالصلح بينها وبين الدولة العلية على مال تؤديه . وقد وقف بعض أصدقائنا في بعض دور الكتب في الآستانة على صورة بعض المكتوبات الرسمية في ذلك وهذا نصها :

١

بسم الله الرحمن الرحيم

من خليل باشا إلى الجناب العالي الفاضل الأديب والكامل الأريب العالم العلامة والمنصح الفهامة حضرة أخينا الشيخ محمد بن أحمد الحرازي سلمه الله تعالى آمين . وبعد السلام على الدوام وصلت كتاب حضرة أخينا الإمام حفظه الله

تعالى ، وذكر قدومكم إلى بندر الحديدة ، وصحبتكم المبلغ المئة الألف الريال الفرانسة المعجلة ، فصادر إلى طرفكم معتمدنا الحاج يوسف آغا لقبض المبلغ المذكور وتسليم البنادر إلى طرفكم ، ويقيم عندكم لقبض المئة الألف الريال الفرانسة المؤجلة كل شهر خمسة وعشرين ألف ريال فرانسة من أول شهر شوال عام سنة ١٢٣٤ هـ وآخرها شهر محرم الحرام عام سنة ١٢٣٥ هـ فليعلم ذلك . حرر في شهر رمضان عام ألف ومئتين وأربعة وثلاثين سنة ١٢٣٤ هـ .

صورة الختم

رب سهل أمور خليل

٢

الحمد لله تعالى

بلغني من يد القاضي محمد الحرازي وسيد الفيروز وأمير اللحيّة فتح الله موكلين من طرف الإمام المهدي مئة ألف ريال معجلة التي يوكلني بقبضها أفندينا خليل باشا حفظه الله تعالى بتاريخ شهر شوال سنة ١٢٣٤ هـ وقبضتها بالتمام والكمال من المذكورين الموكلين والسلام ختام .

صورة الختم

يوسف عبده

١٢٢٨

المنار مج١٥/ج٢/ص١٥٨ـ١٥٩



الملحق

٢٠

اللغة العربية(☆)

مَنْ هم الأصليون في الجزيرة العربية القحطانيون(١) أم العاديون(٢) ؟

هذه المسألة على ما يخيل لي من المسائل الصعبة التي لم يتصدَ لها أحد بعد فيما أعلم ، ليزيح عنها الخفاء أو ليقطع فيها الالتباس ، وكأني بالشائع المتعارف أن العاديين والعمالقة وغيرهن من القبائل العادية هم الأصليون ، وأن القحطانيين تغلبوا عليهم وحلوا محلهم ، فانقرض هؤلاء وبقي أولئك . والذي أراه أن القحطانيين هم قرارة سكان العربية والأصليون في اليمن وجباله وما يليها من المواطن كحضرموت ونجد وأرض البحرين وجنوبي الحجاز مما يتصل باليمن . وأن العاديين جاؤوا إليها متأخرين ، ومع الأيام وبالاستيلاء على طريق التجارة تقووا شيئاً فشيئاً إلى أن دانت لهم العربية كلها وأخضعوا القحطانية لسلطتهم ، واستمروا على ذلك زماناً إلى أن أصابت إحدى دولهم جائحة سماوية في الراجح ، فذلوا وقامت القحطانية تطلب الملك والاستيلاء ورفع سلطة العاديين عنها فتمّ لها ذلك . وما زال النزاع بين الفريقين يتجدد من زمن إلى زمن إلى أن قام الفرع الحميري الظفاري فتغلب على البلاد ، واشتدت وطأته على أهل مأرب فارتحلوا في البلاد ، فمنهم من قصد نجران ، ومنهم من أمّ عمان ، ومنهم من استمرت به رحلته

(☆) تابع لما نشر في الجزء السابق وهو خطاب للأستاذ جبر أفندي ضومط .

(١) أعني بالقحطانيين هذا الفرع الذي كان يتكلم بالقحطانية السريانية والحميرية التي خلفتها .

(٢) وأعني بالعاديين الذين كانوا يتكلمون بالعربية تسمية بأشهر قبائلهم عاد .

حتى بلغ العراق وهم لخم وغسان . وأذلوا من بقي في البلاد من العاديين وأشياعهم من العدنانيين في الحجاز ونجد واليمامة وأرض البحرين ذلاً شديداً ، فاشتدت بسبب ذلك البغضاء بين القحطانيين والعدنانيين ، حتى ضرب بها المثل واستمر ذلك فيهم إلى أن ظهر الإسلام ، فأخمد ظهوره شيئاً من تلك الثائرة بما كان له من التأثير في نفوسهم ، وبما شغلهم به من المغازي والفتوحات وامتداد السلطة والغلب . على أن تلك العداوة لم تلبث أن عادت إلى شدتها في أيام المروانيين من بني أمية وانتقلت مع القوم حيث انتقلوا . وبلغ من حدتها في الجيل الرابع للهجرة المبلغ الذي وصفه أبو الطيب المتنبي في إحدى كافورياته حيث يقول في شبيب الخارجي وكان خرج فيمن تبعه من قيس على كافور وحاصر دمشق وكاد يفتحها عنوة :

برغم شبيب فارق السيف كفه وكانا على العلات يصطحبان

كأن رقاب الناس قالت لسيفه رفيقك قيسي وأنت يماني

والذي يظهر لي أيضاً أن العدنانيين الذين بقيت فيهم اللغة العربية كانوا من العاديين (إلا من انضم إليهم بأخرة من ولد إسماعيل بن إبراهيم الخليل) ، ولذلك أذلتهم القحطانية وناصبتهم العداء من حين ظهرت على العاديين أسلافهم في أوائل المسيحية ، ولم تألُ جهداً عن إذلالهم والتحكم فيهم إلى أن عادت لهم الدولة بواسطة قريش وبفضل الإسلام .

فإن لم يكونوا أي العدنانيين من العاديين والعمالقة في النسب ، فلا أقل من أنهم كانوا حلفاءهم ينقلون لهم تجارتهم وبقوا على ذلك أحقاباً متطاولة جعلت لسانهم وعصبيتهم مع لسان العاديين وعصبيتهم أمراً واحداً . أقول هذا وأنا أرجح ما قلته أولاً ، أي أن العدنانيين (معظمهم إن لم يكن كلهم) عاديون[1] داراً

(١) من أكبر الفروع العدنانية قيس عيلان . وقيل في عيلان هذا إنه عبد لقيس وقيل فرس له ولكنني أرجح أن عيلان تحريف عيلام . وعيلام بلاد شرقي رأس خليج فارس وهي خوزستان =

ولساناً . وإقامة الدليل على ذلك خارج عن موضوعي ولعلي أعود إليه في فرصة أخرى .

بيان أن القحطانية أصلية في شبه جزيرة العرب وأن قرارة دارهم اليمن

قلت : إن المسألة صعبة الحل لما في الأخبار المنقولة إلينا من التشويش والتضارب ، وكان يمكنني أن أضرب عنها صفحاً إلا أني لا أرى هيئة من أهل العلم والأدب أرقى من الهيئة التي أمامي الآن تستطيع أن تتبعني في هذه المزالق التاريخية ، ولذلك لا أرى بدأ من الإشارة إلى البراهين التي حملتني على ترجيح ماقلت ، أي إن القحطانيين هم أصليون في جزيرة العرب وقراراتهم منها اليمن وهم سابقون فيها على العاديين . وبيانه :

أولاً ـ إنه لاخلاف أصلاً بين العدنانيين والقحطانيين لافي تاريخ ولا في تقليد أن القحطانية هي العريقة بسكنى اليمن وأنها هي التي بقيت في البلاد بعد انقراض الدولة العادية . وقد أجمع المؤرخون عن آخرهم على تسمية العاديين بالعرب البائدة بعدما نقلوا عنهم مانقلوه من الغنى والقوة وضخامة الملك . ولو كانوا عريقين في البلاد كالقحطانيين ولهم مثل مالهم من العدد والتأصل في السكنى لكان يستحيل انقراضهم حتى لا يبقى من يشار إليه منهم ، فالأقرب إلى المعقول إذن أن المعنى بانقراضهم انقراض دولتهم . ولما انقرضت دولتهم وزالت السلطة من أيديهم ظهر بعدهم بالضرورة سكان البلاد الذين كانوا خضعوا لدولتهم ، وظهورهم معناه خروجهم من ربقة العاديين واسترداد استقلالهم أولاً ثم

= أو قسم من خوزستان . وخوزستان تركيب فارسي يعني به بلاد خوز . وخوز وكوش أحدهما محرف عن الآخر . وكوش وقيس كذلك في الأرجح . وعليه فقيس عيلان تعني به كوش عيلام ، أي أضيفوا إلى المكان الذي جاؤوا منه وهو ليس ببعيد .

منازعة العاديين الغلبة والملك في ديارهم التي نزلوها إلى أن تمّ لهم ذلك وذهبوا بالملك والسيادة من أيديهم جملةً . وهذا معنى انقراضهم .

ثانياً ـ كانت عاد في هذا الرمل من الأحقاف بين عمان واليمن إلى حضرموت ، فكيف يعقل أنهم انقرضوا ولغتهم باقية في هذه البلاد لحد هذه الساعة . ثم كيف ينقرض أهل اللغة وتبقى اللغة نفسها ؟ إن هذا لغريب وأغرب منه أن يكون العاديون الذين انقرضوا هم أهل البلاد الأصليون والذين قرضوهم من القحطانيين دخلوا عليهم البلاد فاتحين ولهم لغة خاصة بهم ، ثم بعد أن استمر ملكهم ولغتهم مئات سنين عدنا فرأينا في آخرها أن لغة البلاد حينئذٍ كانت لغة العاديين الذين انقرضوا لا القحطانيين الذين بقوا .

ثالثاً ـ يكاد يكون كالمجمع عليه أن اليمن دار القحطانية وإليك ما نقل في ذلك . قال الإمام العلامة الطبري : وولد لعابر ابنان أحدهما فالغ ومعناه بالعربية قاسم ، وإنما سمي بذلك لأن الأرض قسمت والألسن تبلبلت في أيامه ، وسمي الآخر قحطان فولد لقحطان يعرب ويقطان ابنا قحطان بن عامر بن شالح فنزلا أرض اليمن وكان قحطان أول من ملك اليمن (جزء أول طبع ليبسك وجه ٢١٧) وقال أيضاً (وجه ٢٢٢) : ولحقت بنو قحطان ابن عامر باليمن فسميت اليمن حيث تيامنوا إليها .

وقال ابن خلدون : فأما عاد فكانت مواطنهم الأولى بأحقاف الرمل بين اليمن وعمان إلى حضرموت . ويقال : إنهم انتقلوا إلى جزيرة العرب باديةً مخيمين ثم كان لكل فرقة منهم ملوك وآطام وقصور حسبما نذكره إلى أن غلب عليهم بنو يعرب بن قحطان . (قال) : وكان أبوهم عاد فيما يقال أول من ملك من العرب وطال عمره وكثر ولده ـ وعاش ألف سنة ومئتي سنة ـ وذكر المسعودي أن الذي ملك من بعد عاد وشداد منهم هو الذي سار في الممالك واستولى على كثير من بلاد

الشام والهند والعراق (الجزء الثاني طبعة بولاق وجه ١٩) . وقال أيضاً (وجه ٢٠) : ثم ملك لقمان ورهطه من قوم غاد واتصل لهم الملك فيما يقال ألف سنة أو يزيد . ولم يزل ملكهم متصلاً إلى أن غلبهم عليه يعرب بن قحطان ، واعتصموا بجبال حضرموت إلى أن انقرضوا .

وقال أيضاً : (قال ابن سعيد) فيما نقله عن كتب التواريخ التي اطلع عليها في خزانة الكتب بدار الخلافة من بغداد ، قال : كانت مواطن العمالقة تهامة من أرض الحجاز ، فنزلوها أيام خروجهم من العراق أمام النماردة من بني حام (وجه ٢٧) ، و (قال أيضاً) : وأما (جرهم) فقال ابن سعيد : إنهم أمتان أمة على عهد عاد وأمة من ولد جرهم بن قحطان ، ولما ملك يعرب بن قحطان اليمن ملك أخوه جرهم الحجاز (وجه ٣١) .

وظاهر من هذه النقول وغيرها أن القحطانيين أصليون في الجزيرة وقرارتهم منها اليمن ، وأما العاديون وإخوانهم العمالقة فجاؤوا على أثر مضايقة الملوك النماردة لهم . فنزل العاديون أحقاف الرمل بين اليمن وعمان إلى حضرموت والشحر ونزل بقية إخوانهم من العمالقة وطسم وجديس وجاسم أرض البحرين وعمان ونجد والحجاز إلى تيماء . ولم يلبثوا مدة بعد دخولهم حتى صار لهم الغلب على كل الجزيرة وشادوا لهم دولة من أعظم وأقوى الدول التي قامت في تلك البلاد ، ومن ثم غزوا[1] الشام ومصر والهند والعراق ، وما زال الملك فيهم إلى أن ضعفوا في أواخر دولتهم الثانية فغلبهم على الملك يعرب بن قحطان وأزال سلطتهم عن اليمن .

نتيجة ما ذكرناهُ :

أن المتدبّر ما مرّ بنا « أن مهد السامية هو جزيرة العرب ، وأن القحطانيين

(١) لا يبعد أن يكون غزوهم الهند غزو تجارة ومهاجرة أكثر منه غزو قهر وتغلب .

هم الأصليون في البلاد وقرارتهم اليمن ، وأن العاديين قدموا عليهم من أرض بابل »
يحكم على ماأرجح أن القحطانية الأولى انشعبت إلى فرعين فرع بقي في شبه جزيرة العرب وفرع ذهب شمالاً إلى العراق واستعمر بابل ، وهناك تأثل هذا الفرع وما زال أهله حتى زاحمهم النماردة أبناء كوش[1] ، فخرج من هناك آشور وبني نينوى ورحوبوت عير وكالح وراسن بين نينوى وكالح على ما جاء في التاريخ المقدس - الأصحاح العاشر من سفر التكوين - وخرج أيضاً عاد وعماليق وقبائلها فعادوا إلى العربية بعد زمن طويل ، ونزلوا بين أظهر القحطانيين ، وكان قد تحيز لسانهم واستقل ، كما تحيزت قبائلهم واستقلت عن غيرها أيضاً .

والأرجح أن الذين رحلوا إلى نينوى وكالح كانوا من الحضر أهل المدن والقرى بدليل أنهم بنوا المدن حالاً ، وأما الذين رحلوا إلى الجنوب فكان أكثرهم أهل ظعن وخيام . وعبارة العلامة ابن خلدون واضحة في ذلك فإنه ذكر أنهم لما زاحمهم بنو حام انتقلوا إلى جزيرة العرب وسكنوها بادية مخيمين . ويقوي ذلك ماهو متواتر مشهور من سكنى العاديين رمال الأحقاف بين عمان واليمن إلى حضرموت والشحر . وسكنى بديل وراحل وغفار من العمالقة بنجد وبنو الأرقم منهم بالحجاز إلى تيماء . وكل هذه البلاد من منازل أهل البادية والغالب على أكثر أهلها الترحل والانتقال كانوا ولا يزالون لحد هذه الساعة .

وأرى أني وصلت على غير قصد مني إلى التقليد المشهور الذي يجعل السريانية أقدم من العربية لأننا رأينا الدليل التاريخي في جانب أن القحطانية متقدمة على العادية وسابقتها في الزمان . والقحطانية كما بينا من نص المؤرخين هي السريانية كما أن العادية هي العربية .

---

(١) كانت البلاد تسمى باسم الشخص أو الشخص يسمى باسم البلاد وعليه فكوش هذا إما تسمى باسم البلاد كوش أو البلاد تسمت به ، فيكون أصل النماردة من كوش أو خوز وتعرف اليوم بالأهواز أو خوزستان ، وهي بلاد عيلام القديمة أيضاً .

تجريح ماقاله العلامة نولدكي :

لنرجع الآن إلى ماقاله العلامة نولدكي في شأن لغة سبأ . قال هذا العلامة ما يؤخذ منه أن اللغة السبئية هي قسيمة اللغة العربية وأخت لها ، انشعبتا من الفرع الجنوبي ونسبتها إلى العربية كنسبة الحبشية إليها أي إلى العربية . وأنا أقول : إن كان يقصد بالسبئية الحميرية فبه ، لكن تكون السبئية والحبشية شعبتين من القحطانية أو السريانية لأن القحطانية والسريانية كما بينا بالنص التاريخي هما لغة واحدة أو هما شعبتان من جذم واحد هو القحطانية القديمة . وإن كان يريد أن السبئية هي لغة أخرى غير الحميرية الظفارية أي لغة الدولة التي قامت قبل التاريخ المسيحي بقليل وتعرف عند القوم الآن بدولة سبأ وريدان ، وأنها كانت أيضاً لغة بلاد سبأ التي عاصمتها مأرب وفيها السد المشهور ، فالأستاذ نولدكي واهم ، والتاريخ يعارض رأيه ، لأن لغة أهل هذه البلاد أعني أرض سبأ[1] كانت منذ أوائل التاريخ المسيحي ولا تزال إلى الآن اللغة العربية العادية العدنانية والتاريخ مؤيد ذلك وإليك البيان :

جاء في كتاب وصف جزيرة العرب للعلامة الهمداني طبع ليدن (وجه ١٣٤ إلى ١٣٦) قطعة خصها هذا العلامة بوصف لغات أهل الجزيرة العربية في أيامه « فليطالع هذه القطعة في موضعها من أراد » والذي يظهر منها أن الحميرية كانت لاتزال حية في كثير من جبال اليمن ، وإليك مايقول في لغة بعض تلك البلاد « حقل فإب فإلى ذمار » الحميرية القحة المتعقدة (وظفار مدينة هذا القسم) . حراز والأخروج وشم وماضح والأحبوب والجحادب وشرف أقيان والطرف وواضع والمغال خليطي من متوسط بين الفصاحة واللكنة ، وبينها ماهو أدخل في الحميرية المتعقدة لاسيما الحضورية من هذه القبائل ـ نجديّ بلد همدان البون منه

(١) أرض سبأ على مايظهر من الهمداني هي بلاد عاد ، لأنها الفلاة التي يشرع عليها ومأرب والجوف ونجران والمجيرة همداني (وجه ٢٧) وصف جزيرة العرب .

المشرق والخشب عربي يخلط حميرية ـ من ذمار إلى صنعاء متوسط ـ صنعاء في أهلها بقايا من العربية المحضة ونبذ من كلام حمير ـ شبام أقيان والمصانع وتخلى حميرية محضة .

والنفيس في هذه القطعة لهذا العلامة أنه فرق بين الحميرية والعربيـة . وسمى البلدان التي كان يُتكلم فيها بالعربية أو بالحميرية إلى أيامه . وأنفس منه أنه بين الفرق بين لغات المتكلمين بالعربية فقال في بعضهم : إنهم فصحاء ، وفي آخرين : إنهم أفصح ، وفي آخرين : إن لغتهم متوسطة أو خليطي ، كما بيّن الفرق في لغات المتكلمين بالحميرية ، فقال عن بعضهم : إنهم غتم وعن آخرين : إن لغتهم حميرية محضة ، وعن آخرين : إنها حميرية متعقدة ، وعن آخرين : إنها داخلة في الحميرية المتعقدة أو فيها عسرة من اللسان الحميري .

ثم إليك ماقاله في لغات أهل حضرموت وسبأ ، قال مانصه بالحرف الواحد : حضرموت ليسوا بفصحاء وأفصحهم كندة وهمدان وبعض الصدف . سر ومذحج[1] ومأرب وبيحان وحريب (وهي من بلاد سبأ) فصحاء ورديء اللغة منهم قليل . سكن الجوف[2] فصحاء إلا من خلطهم من جيرة لهم تهاميين . ثم الفصاحة من العرض في وادعة فجنب فيام فزبيد فبني الحارث فما اتصل ببلد شاكر من نجران إلى يام فأرض سنحان فأرض نهد . اهـ (همداني وجه ١٣٤ و ١٣٥ و ١٣٦) .

يظهر من شهادة هذا العلامة أن أهل مأرب والجوف ونجران وهي البلاد التي كانت فيها الدولتان السبئية والمعينية كانوا في أيامه أفصح من الكنديين قبيلة

---

(١) وفي الصحاح مذحج : مثال مسجد أبو قبيلة من العرب وهو مذحج بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ .

(٢) فمن أراد حضرموت من نجران والجوف جوف همدان ومأرب فمخرجه السر . (همداني وجه ٨٤) .

امرئ القيس وقبيلة المتنبي أشهر شاعرين قبل الإسلام وبعده . وكذلك كانوا في صدر الإسلام . فإن مذحج وبني مرة وطيّ والأشعريين أبناء عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ ، والهمدانيين أبناء مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ ، كلهم كانوا من فصحاء أهل العربية العدنانية المضرية في صدر الإسلام وقبله ، ومع أنهم كانوا يدعون أنهم هم والحميريين أبناء عم (لأن كهلان بن سبأ وحمير بن سبأ) لم يكن في لسانهم شيء من الحميرية ، بل كانوا في فصاحتهم العربية كفصاحة قبيلة امرئ القيس المشهور إن لم يكونوا أفصح منهم . وإذا نظرنا إليهم أي الكهلانيين من وُلد سبأ وممن كان منهم يسكن مأرب والجوف في الجيل الأول للمسيح أو في بدء الجيل الثاني رأيناهم أيضاً عرباً يتكلمون بهذا اللسان العربي . وبيانه أن الأزد من ولد كهلان وكانوا في مأرب فلما اشتدت عليهم وطأة الحميريين ملوك ظفار على الأرجح ارتحلوا من ديارهم جماعات كثيرة ، فمنهم من وصل العراق ، ومنهم من وصل الشام ، ومنهم من وقف بنجران ، ومنهم بمكة ، ومنهم بيثرب ، ومنهم وهم الطائيون (وكانوا يسكنون الجوف) رحلوا أولاً إلى فيد وسميرا ، ثم احتلوا الجبلين أجأ وسلمى ، وكل هؤلاء كانوا عرباً ومن الفصحاء الذين ترتضى فصاحتهم في العربية لم يسمع ولم يعرف أصلاً عن ملوك الحيرة من المناذرة ولا عن ملوك الشام من الغساسنة ولا عن الأوس والخزرج من أهل المدينة ولا عن الطائيين في جبليهم (وهؤلاء هم الذين ارتحلوا من أرض سبأ قبل سيل العرم أو بعده بقليل) أنهم تكلموا غير هذا اللسان العربي المضري . ولو كانت لغتهم الحميرية (أو السبئية) لاستحال أن تنقرض فلا يبقى لها أثر في مدى أربعة قرون كما لم تنقرض الحميرية من ظفار ولا من بلاد صنعاء في مدى أربعة قرون مع أنهم كانوا في ملكة المضريين ودولتهم الغالبة القاهرة بعزها وعز الإسلام ، وقد أسلم القوم عن آخرهم منذ بدء الإسلام .

☆ ☆ ☆

ماذا نصدق إذن ؟

التاريخ والعقل ، أم الآثار التي وجدها القوم مؤخراً في مأرب والجوف ونجران ؟

الجواب : أولى بنا أن نصدق التاريخ والعقل من غير أن نجرح في صدق الآثار وذلك بأن نقول : إن دلالة الآثار مغلوط في تأويلها ، ويمكننا أن نؤولها بما يوافق التاريخ والعقل ، وبيانه أن الآثار التي اكتشفها القوم (العلامة أدورد غلازر ويوسف هاليفي ويوليوس أوتين وتومس أرنو وآخرون) على ما نقله العلامة زيدان في كتابه النفيس (العرب قبل الإسلام) هي آثار واقعية لانشك بها . ولا يُشك أيضاً أنها من آثار الدولة الحميرية الظفارية التي استولت على بلاد سبأ في الجيل الأول قبل المسيح . نسلم بكل ذلك . ولكنا نقول : إن هذه الدولة كان حكمها في بلاد سبأ حكم دولة الأتراك الأخيرة في اليمن ، فإنا لانعدم آثاراً ونقوشاً كثيرة في صنعاء وغيرها من مدن اليمن مكتوبة باللغة التركية ، وكما لا يصدق الاستدلال بمثل هذه الآثار ، على أن لغة اليمن هي اللغة التركية كذلك لا يصدق الاستدلال بهذا القدر الذي وجده القوم من النقوش ، على أن لغة بلاد سبأ أعني بلاد مأرب والجوف كانت لغة حميرية . وهذا التلميح يرى منه العارف المتدبر ما يغنيني عن إطالة الشرح والإسهاب ، فإن مقالتي والغرض منها لا يحتملان من إطالة الشرح فوق ما أطلته . ولكني أرجح أن المستقبل سيكشف لنا آثاراً غير التي اكتشفت لحد الآن ، وتكون دلالتها وفقاً لما نظنه وفوق كل ذي علم عليم .



في سبب غنى اللغة العربية واتساع دائرة ألفاظها وعباراتها ، واقتدارها على التعبيرات الفلسفية والاجتماعية وما إلى ذلك ، مما فاقت به سائر أخواتها ولا تقل فيه عن أعظم وأشهر لغات العالم سواها :

إن العلامة نولدكي يُعجب باتساع قاموس هذه اللغة الشريفة ، ويذهب إلى أن ذلك مقتبس عن الآرامية بما كان لأهلها من مخالطتهم الآراميين بالتجارة والجوار . والذي حمل العلامة الموما إليه على هذا التعليل ؛ هو على الراجح ما كان يظنه أن اللغة العربية هي لغة القبائل العدنانية في الحجاز ونجد ، فاستبعد من ثم أن يكون لمثل هؤلاء القوم الذين غلبت عليهم البداوة مثل هذه اللغة الواسعة . أما وقد تبين لنا أن هذه اللغة كانت لغة الدولة العادية دولة غلبت على البلاد العربية كلها ، وامتدت سلطتها إلى الشام ومصر وإفريقيا ودامت سيدة التجارة على مانظن ما يزيد على ألف وخمس مئة سنة أولاً تحت اسم الدولة العادية ، وعلى نحو من ثمان مئة سنة تحت اسم الدولة السبئية[1] فلا داعي لمثل تعليل العلامة نولدكي . وما زال العاديون ومن خلفهم باسم السبئيين أرباب تجارة

(١) إذا كان يعتمد على إشارات اللغة البعيدة فأرجح أن اسم سبأ جعل لقباً لهذه الأمة التاجرة ، لأن معنى (سبأ) تاجر أو تجارة ، وأن الحبشة ومن جاورهم من البلدان لقبوهم بهذا اللقب وفقاً لما عرفوه عنهم . فإن هذا الأصل أي (سبأ) يفيد في اللغة الحبشية معنى التجارة على ما سمعت ، ولا يزال مألوفاً بهذا الاستعمال ، أما في لغتنا العربية فقد خرج عن هذا المألوف وبقي فيه ما يدل على سابق استعماله في قولهم سبأ الخمر وسباها . وفي السباء بمعنى بياع الخمر ، وفي السبأة بمعنى السفر البعيد الذي كانت تقتضيه تجارة العاديين ، وفي السباء والسبأ بمعنى العود يحمله السيل من بلد إلى بلد . وشاع هذا الاستعمال حتى أطلق على بلادهم الأصلية ، فعرفت به أخيراً عند الحبشة والقحطانيين من أهل اليمن .

وزارعة حتى بعد أن غلب عليهم الظفاريون بمئات من السنين وسدهم شاهد يؤيد ماذكرنا . إن الأمة التي بنت مثل سد مأرب وقصر غمدان وغير هذين من السدود والقصور والمصانع ، ووصلت من الغنى إلى الدرجة التي ضربت بها الأمثال ، لا يستبعد أن تكون لغتها في الغنى والاتساع كاللغة العربية .

والمرجح عندي أنه لم يقم في سورية ومصر والعراق دولة أعظم غنى وتجارة من الدولة العادية في عمان وحضرموت واليمن . ولم يقتصر العاديون على التجارة - والتجارة لوحدها من أكبر الأسباب لارتقاء لغة الأمة واتساع دائرة ألفاظها وتراكيبها - بل كان لهم في الزراعة شأن لم يبلغ البابليون ماهو أعظم منه على خصب بلادهم وأن فيها النهرين العظيمين الفرات والدجلة فإنهم بنوا سد مأرب وثمانين سداً غيره في يحضب العلو :

وبالربوة الخضراء من أرض يحضب   ثمانون سداً تقلس الماء سائلاً[1]

وسد مأرب هو إحدى أعاجيب الدنيا ، وكان لهم عن يمينه وشماله الجنتان اللتان مازال صدى ذكرها يتردد في أودية التاريخ مئات سنين بعد خرابها . ولعلي لاأكون مبالغاً إذا قلت : إن نسبة سد أسوان على ضخامته في عصرنا الحاضر إلى سد مأرب هي كنسبة الصبي الصغير إلى الرجل الكبير ، وأما قصورهم وهياكلهم التي بنوها فمنها قصر غمدان . وقد بقي هذا القصر والهيكل قائماً إلى خلافة عثمان بن عفان وكان من الفخامة والضخامة على مايضارع أعظم القصور البابلية ، وإليكم ماجاء في وصفه نقلاً عن ياقوت الحموي :

قال - مانصه - : فقال (ليشرح) : ابنوا القصر في هذا المكان ، فبنى هناك على أربعة أوجه وجه أبيض ووجه أحمر ووجه أصفر ووجه أخضر . وبنى في

(١) همداني وجه ١

داخله قصراً على سبعة سقوف بين كل سقفين منها أربعون ذراعاً . وكان ظله إذا طلعت الشمس يرى على عينان[1] وبينهما ثلاثة أميال . وجعل في أعلاه مجلساً بناه بالرخام وجعل سقفه رخامة واحدة ، وصير على كل ركن من أركانه تمثال أسد من شبه كأعظم ما يكون من الأسود . فكانت الريح إذا هبت إلى ناحية تمثال من تلك التماثيل دخلت من مؤخره وخرجت من فيه ، فيسمع له زئير كزئير السباع . وكان يأمر بالمصابيح فتسرج في ذلك البيت ليلاً ، فكان سائر القصر يلمع من ظاهره كما يلمع البرق ، فإذا أشرف عليه الإنسان من بعض الطرق ظنه برقاً أو مطراً ، ولا يعلم أن ذلك ضوء المصابيح . اهـ .

وقد نقل ياقوت هذا الوصف عن هشام بن محمد بن السائب الكلبي ، ولا يبعد أن يكون هشام هذا قد أخذ مانقل عنه من الوصف عمن شاهدوا القصر قبل أن يهدم بأمر الخليفة عثمان . ويوافق هذا الوصف المنثور ما جاء منظوماً عن ذي جدَن الهمداني قال :

دعيني لا أبا لك لن تطيقي	لحاك الله قد أنزفت ريقي
وهذا المال ينفد كل يوم	لنزل الضيف أو صلة الحقوق
وغمدان الذي حدثت عنه	بنـاه مشيداً في رأس نيق
بمرمرة وأعلاه رخام	تحامٌ لا يغيب بالشقوق
مصابيح السليط يَلُحْنَ فيه	إذا يمسي كتوماض البروق
فأضحى بعد جدته رماداً	وغير حسنه لهب الحريق

والظاهر مما قاله هذا الشاعر في بيته الأخير أن آثار هذا القصر كانت ظاهرة في أيامه ، وكان يظهر عليها أثر النار لأنهم استخدموها في هدمه على ما يرجح .

وقد ذكر الهمداني عدة محافد وقصور في كتابه (وصف جزيرة العرب) ،

---

(١) أرجح غيمان على ما في وصف جزيرة العرب .

وإليك ماقال ـ ونذكر الآن المشهور منها ذكراً مرسلاً ، فأولها وأقدمها غمدان ثم تلفم ، وناعط ، وصرواح ، وسلحين بمأرب ، وظفار ، وهكر ، وضهر ، وشبام ، وغيمان ، وبينون ، وريام ، وبراقش ، ومعين ، وروثان ، وأرياب ، وهند ، وهنيدة ، وعُمران ، والنجير بحضرموت ، اهـ (وجه ٢٠٣) .

والأرجح عندي أن معظم هذه الآثار كان في أيام الدولة العادية والسبئية الأولى دون الحميرية ، فإن هذه كانت دولة ظلم وبغي أكثر مما كانت دولة تجارة وزراعة أو دولة عدل وأمن . فإن في زمانها خرب السد المشهور ، وأقفرت الجنتان في أرض سبأ ، وفي أيامها كانت ملوك حمير تسطو على الأعراض وتحرق المخالفين في الدين وتذل الكهلانيين والعدنانيين ، وتسومهم كل نوع من الخسف فاضطروا إلى مهاجرة أوطانهم مرة ، وإلى الاستنجاد بالحبشة مرة أخرى ، وما زال سوء الحال والتدبير وشدة الظلم مرافقاً هذه الدولة حتى انقرضت ولم تطل أيامها كثيراً . ولعل الأحباش كانوا خيراً منها للبلاد . فاتني أن أذكر أن هذه الدولة أعني العادية أولاً والسبئية ثانياً اعتنت بالتعدين ، كما اعتنت بالتجارة والزراعة والصناعة ، ولا تزال آثار عشرات من معادن الذهب والفضة والنحاس والحديد والرصاص والحجارة الكريمة في اليمن ونجد والحجاز وعلى جانب إفريقيا المقابل شاهدة على ماكان لهذه الدولة والأمة من الاقتدار والهمة والنشاط . وأرجح أن المستقبل سيرينا من آثارهم التي لاتزال تحت الردم والرمال ما يزيد عن آثار إخوانهم الكنعانيين والفينيقيين .

قلت : وأعيد القول أن أمة كهذه الأمة وشعباً كهذا الشعب الذي من بقاياه العرب العدنانية في نجد والحجاز ، والكهلانية في أرض سبأ وحضرموت وعمان حري بأن يكون له لغة كاللغة العربية سيدة اللغات السامية . ولعلها سيدة اللغات القديمة كلها ، فقد ماتت تلك وبقيت هذه ، وستبقى بعدُ أجيالاً لا يعلمها إلا الله مهما عورضت واضطهدت أو صودرت واتهمت .

أرى أني استوفيت كل ما في وسعكم من الإصغاء ، فلا يليق بي من ثم أن أحملكم فوق ما حملتم ، فدعوني أختم بذكر خلاصة ما أراني وصلت إليه بالمسلك التاريخي الذي سلكته في شأن الأرومة السامية ، ونسبة اللغات المعروفة منها بعضها إلى بعض فأقول :

١ ـ إن اللغة السامية كان مهدها في البلاد العربية والأرجح أن قرارتها كانت بلاد اليمن وما إليها من السروات .

٢ ـ انشعب منها فرع إلى بلاد بابل وبقي فرع في قرارته الأولى وهم القحطانية الأولى ، ثم الفرع الذي اتجه شمالاً إلى العراق انشعب منه شعبتان شعبة تسكن المدن وأخرى تسكن البدو .

٣ ـ ما زال هذان الفرعان متجاورين إلى أيام دولة النماردة(☆) (فضيقت هذه الدولة عليها واضطرت كثيرين منهم إلى الجلاء عن البلاد ، فجلا أهل بابل العظمية وغيرها من مدن العراق إلى أرض الجزيرة ، وعمروا راسن وكالح ونينوى وغيرها من المدن الآشورية ، وجلا كثيرون آخرون معظمهم من أهل البدو إلى جزيرة العرب موطن أسلافهم الأقدمين ، ونزلوا الحجاز ونجد وأرض سبأ وعمان . وكانت لغتهم قد استقلت وتمايزت عن القحطانية التي فارقها أجدادهم الأولون في اليمن ، ثم ما لبثوا أن استولوا على ملك القحطانيين ، وضيقوا عليهم في يمنهم ، كما كان النماردة قد ضيقوا عليهم في جوار بابل ، فهاجرت جماعة كبيرة منهم إلى الحبشة ، وكان هاجر قبلها أو أثناءها جماعة أخرى إلى الأمهرة والشطوط

(☆) النماردة ملوك كوشيون من كوش أو خوز ، وهي بلاد خوزستان الآن ، وكانت لغتهم الآرامية كما يظهر ، فإن نمروذ أو نمروذو مصغر نمر في اللغة الآرامية ، وأرجح أنهم جاؤوا من بلاد العرب من اليمن عن طريق البحرين عبروا الخليج الفارسي من هناك ، ثم لما قويت شوكتهم غزوا بابل وطردوا من كان سبقهم إلى هناك ، فذهب بعضهم شمالاً إلى بلاد آشور ، وذهب آخرون جنوباً إلى الحجاز ونجد والأحقاف ، وهي بلاد سبأ كما مرت بنا الإشارة إلى ذلك .

المقابلة من إفريقيا ، فكان منهم هناك الأمهرية والحبشية . ثم هاجرت جوالٍ أخرى من العمالقة والعاديين إلى الشام وشطوط المتوسط ، إما رأساً من العراق هرباً من النماردة ، أو من البلاد العربية بقصد التجارة والاستعمار ، والأرجح أن كان الأمران معاً . ومن هؤلاء المهاجرين كان العبرانيون وأمم الشام من الكنعانيين والفينيقيين ، وعليه تكون العبرانية الفينيقية والعربية شعبتين من الفرع العادي والحميرية والحبشية من الفرع القحطاني .

هذا ماتدل عليه التقاليد وما وصلنا إليه من شذرات التواريخ ، وأظن أن الأبحاث الفيلولوجية لاتنافيه إن لم تطابقه ، ومعرفتي القليلة بالعبرانية والسريانية تسوغ لي بعض التسويغ أن أقول : إن العبرانية أقرب إلى العربية مما هي إلى السريانية . ولو لم يكن بينهما من المقاربة إلا أن في كلتيهما أداة للتعريف (ها) في العبرانية و (آ) في العربية ، فوُقف عند العرب مع الحروف القمرية على اللام بدلاً من المدّ ، وأدغم أي حرف المد بالحروف الشمسية ، لكفى ذلك شبهاً في أن يجعل اللغتين صنوين من فرع واحد . وكذلك أقول : إن الآرامية ويدل فيها على التعريف بالوقوف على الألف أي (حرف المد) ، ينبغي أن تكون صنواً لتلك التي يدل فيها على التعريف بالوقوف على حرف الغنة أي (النون أو الميم) فإن هذين الحرفين أعني حرف المد وحرف الغنة يبدل أحدهما بالآخر . وفي العربية مايدل عليه ويسمى تنوين الغنة ، ومعناه الوقوف على حرف الغنة بدلاً من الوقوف على حرف العلة . وأظن أن الحميرية (وهي التي سموها السبئية) هي التي رأوها ، وفيها هذا الضرب من الدلالة على التعريف ، أعني الوقوف على حرف الغنة (أي النون) ، فالأَوْلى من ثم أن تقرن بالسريانية وتجعل صنواً لها .

لكن هناك من المشابهة بين العربية والعبرانية في الإضافة مايؤيد المشابهة الحاصلة من حرف التعريف ويدعمها ، فإن طريقة الإضافة في هاتين اللغتين أعني العربية والعبرانية واحدة ، وكذلك هي في السريانية والحميرية (أو التي

سموها السبئية) قريبة الشبه جداً إن لم تكن واحدة .

ومما يزيد المشابهة بين العربية والعبرانية طريق استعمال الفعل ، فإن الماضي والمضارع يوضع أحدهما موضع الآخر كثيراً في كلتيهما ، كما يظهر ذلك لمن تأمل وهو عارف باللغتين . ويقل اعتمادهما على الصفة وإقامتها مقام الفعل كما هو الشائع أو الكثير في السريانية ، ومن التهجم أن أقول : إن السريانية في هذا تشابه الحميرية نظراً لقلة ما وقفت عليه من هذه اللغة ، ولكني أوجه أنظار الباحثين إلى هذا الأمر .

وهناك مشابهات أخرى بين العربية والعبرانية في الضمائر وحروف المضارعة مما لوجمعت كلها معاً لرجح بها جانب الكفة من الوجهة الفيلولوجية ، كما رجح من الوجهة التاريخية ، أي إن العربية والغبرانية صنوان من جذم واحد .

إن كنت وصلت في طريقة بحثي هذا إلى الحقيقة أو ما يقاربها أو إلى ما يدل على الوجهة التي هي فيها فحسبي ذلك ، وإلا فيكفيني أني نبهت إلى أهمية مقارنة البحث التاريخي بالبحث الفيلولوجي ، ولعل الحقيقة أقرب أن تكون في الجانب الذي يتفقان فيه أو على الأقل في الجانب الذي لا يعارض فيه أحدهما الآخر أو ينافيه . واسمحوا لي أن أختم بتقديم مزيد تشكراتي لرئيسنا الفاضل الدكتور هورد بلس الذي دعاني إلى درس هذا الموضوع أولاً ولكم على ما أوليتموني من المجاملة وحسن الإصغاء ثانياً ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . اهـ .

المنار مج١٥/ج٣/ص١٨٧ ـ ٢٠٠



الملحق

٢١

كتاب سياسي للعبرة والتاريخ

عثرنا على صورة هذا الكتاب الذي أرسله السيد محمد الإدريسي (إلى الإمام يحي حميد الدين)

بتاريخ ١٦ ربيع الأول الأنور سنة ١٣٢٠ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن علي الإدريسي إلى جناب المولى ، الذي هو بالمحامد أولى[١] ، الإمام يحي حميد الدين أشرق الله شموس سعده ، وأعلى مراتبه على سنن جده ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد تقديم تحيات بين نجوى هذه السطور ، تهديها إليكم نسمات الوداد ونفحات الإخلاص على أطباق النور ، فقد وردت كتبكم الكرام آخرها ماهو بصحبة السادة الأجلاء العلماء الأعلام ، السيد العلامة صفي الإسلام الصنو أحمد بن يحي بن قاسم عامر ، والصنو العلامة العزي محمد بن علي بن أحمد بن حسين الذاري ، والصنو العلامة الوجيه عبد العزيز بن يحي بن المتوكل ، والصنو العلامة العزي محمد بن محمد الشرعي الحوليّ ، وقد سرّنا وصولهم وشريف قدومهم وانشرح البال من لطائف علومهم ، وظرائف فهومهم ، وتذاكرنا في أبحاث شتى .

(١) حذف من هذا المكان ماعتيد من الألقاب والسجع .

أمـا مـادة **الصلح بيننـا وبين الحكومـة** فمن أول يوم ومـا نـدعـو إليـه هـو الوفاق ، وكلما أرادوا عقد ذلك نقضوه وكفى بما كان في هذه المدة الأخيرة ، فـإن المـذاكرة حصلت بيننـا وبينهم في هـذا الموضوع ثلاث مرات **بل أربـع (مرات)** بعد وصول رسلهم إلينا ، فإذا أجبنا بما فيـه الوفـاق أعرضوا تيهـاً وكبراً واحتقـاراً لنا .

فأولى المرات : بواسطة **محمد توفيق**[1] **في مجيئه الأخير** ، فـأجبنـاهم ذاكرين مواد بسيطـة ، لأن في ذلـك الوقت لم يكن قـد وقع بيننـا وبينهم سفـك دمـاء . وتلـك المـواد هي أن نكـون في جهـاتنـا آمرين بـالمعروف ، نـاهين عن المنكر ، ضابطين للبلاد من الفساد ، مع بقاء مراكزهم ، وإليهم تساق الحاصلات ، وعليهم القيـام بمـا يلزم من معـاش القضـاة والمترددين في مصـالـح البريـات ، وأن يبقـوا (جازان) برتبة المعتاد ، وأن لا يحدثوا زيادة من القوة في البلاد ، وأن يفك أمير مكة صـالح بن حسن وصـاحبـه من الحجـاج ، وأن نتوسـط فيما بينكم وبينهم من

(١) هو الشيخ محمد توفيق الأرنـاؤطي الأصل المعـدود من علمـاء الترك ، جـاور في الأزهر ، وعرف السيد الإدريسي فيه ، وقد أرسلـه إليـه الاتحـاديون بعـد الـدستور غير مرة ليكشف لهم حقيقـة أمره ، وقد كنت مرة في ناديهم الشهير (بنور عثمانية في الآستانة) حين جاءهم أول كتاب منـه ، فأخبروني أنه أثنى عليه فيما كتبه ووصفه بالإخلاص للـدولـة ولمقـام الخلافـة ، وأنـه لا يريـد إلا إرشاد الناس لما فيه صلاحهم في دينهم وطاعتهم للدولـة . فـذكرت هـذا الكلام للصـدر الأعظم حسين حلمي باشـا : فقـال الشيخ توفيق رجل بسيـط سـاذج إلخ ، ولم أسمع يومئـذٍ من رجـال الجمعية مثلما سمعت من الصدر من الارتيـاب وسوء الظن . وقد اجتمعت بعد ذلك بـالشيخ توفيق في الآستانة ثم في مصر بعد عودته المرة الثـانيـة من اليمن ، وكانت الحكومـة قـد أظهرت العـداوة للإدريسي وآذنته بـالحرب ، فسـألتـه عنـه فقـال : إنـه على مـاعهـدت من قبل من الاستقـامـة والإخلاص ، ولكن الحكومـة أعرف بسيـاستهـا ، أو مـا هـذا معنـاه ، وقـد رأيت بعض إخواننـا العرب في (بمبي) يطعنون في الإدريسي فعارضتهم ، وذكرت لهم ماسمعته ومـا رأيتـه من بعض كتبه لأهله في السودان الناطقة بإخلاصه للدولة ، حتى اضطره الاتحـاديون بضغطهم إلى مـا كان من المقاومة فاقتنعوا .

الصلح . وهذه المواد مما يضحك منها لأنها لبساطتها لا تكاد أن تكون مطالب ، ولكن أدّانا إلى ذلك حب الراحة للبلاد والعباد .

فما كان الجواب إلا بنقيض ذلك ، فساقوا تلك القوة التي يقدمها محمد راغب بك ومحمد علي باشا في جازان ، وملؤوه بالآلاف ، وازدادوا عدواناً على طلب الحجاج لحبسهم كما وقع في حبس بعض رجال (المعّ) في حج هذا العام ، وأشعروا أن العسيريّ تابع لإمارة حسين بن عون[1] . وأرسلوا إلينا بطريق **مصر في حين وصول القوة العامة** برفق عزت[2] إني إن أردت السلامة أفتح لهم الطريق إلى الإمام التي تمر على طرف البلاد التي بيدنا ، ففوضنا الأمور إلى الله واستعنا به في مدافعتهم وبحمد الله قد كان ما كان .

ثاني المرات : بواسطتكم عندما وصل إليكم عزيز[3] ، **ووافقناكم فكان منهم** الجواب بالتعليق على ما هو في حكم المستحيل ، وهو إجابتنا لحضور الآستانة ، وقد تحقق لكم من هذا نهاية الإعراض ، مع أنكم قد بذلتم الجهد كما أخبر عزيز عند وصوله مصر لبعض أصدقائنا بذلك ، وبما كررتموه من المراجعة فيما هنالك ، ومنع عزت وأخذ في تجهيز نحو تسعة وثلاثين طابوراً إلى أن حال بيننا وبينهم الله بما تداركنا به من رحمته فكشف عنا الغمة ، ونجانا كما هو سنته مع عباده المؤمنين ، وعكس عليهم القضية ، وسلط عليهم عباداً له أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً .

ثالثها : كان بواسطة السيد الشراعي مع بعض إخواننا فأجبنا فكان الجواب منهم بالسكوت .

---

(١) أي جعلوا بلاد عسير تابعة لأمير مكة الشريف حسين بن عون .

(٢) هو عزت باشا القائد الأخير لحملة اليمن وهو الآن القائد العام لجيش الدولة في شطلجة بجوار الآستانة لمدافعة البلقانيين عنها .

(٣) هو عزيز بك علي المصري الذي كان واسطة الصلح بين الإمام وعزت باشا في اليمن ، وهو الآن أمير العرب وقائدهم في قطر بنغازي يجاهد إيطالية .

رابعها : مع سليمان متصرف عسير لما أتانا جوابه[1] بعد أن قامت عليهم فتنة الطليان يدعونا فيه إلى الوفاق ، وأن نكون إخواناً ونهجر الشقاق ، فأجبنا عليه بالترحيب والتسهيل ، فأرسلنا بعض خلص أصحابنا إلى أن وصل بقرب معسكرهم وخاطبه بحضوره لأجل المذاكرة فيما يجمع الشأن ، فكان يساجل إلى أن تمكن من أرزاق ومعاش لأنه في ذلك الوقت كان عادماً ، فلما رأى أنه استغنى تكبر وأجاب بالغلظة وأعداد الطوابير الجملة للمخالفين فرجع صاحبنا بذلك .

ثم في هذه المدة مع ما رأيناه من فتك الطليان بهم أخذنا العطف فأمسكنا كل حركة ، وكتبنا لمن في مفرزة (ميدي)[2] إن دهمكم شيء فلكم مناعون ، فكان منهم أن محمد علي[3] مرّ بطريق القنفدة ، وليته لما مرّ قصر اشتغاله بمصلحة العسكر بل أخذ يحرق ما وجد في طريقه من بيوت السادات العلماء لأن هذا الرجل أكبر عداوته لأهل الدين لأن ما ناله من الشرف في الآستانة (كان) بأسباب شنقه لعالم في أطنة أيام تنازع وقع بين المسلمين والنصارى هناك ، ولما قدم جازان بالعساكر لم يختر لهم (خسته خانه) إلا جامع تلك البلدة ، ولا يهمه أن تلوث بالنجاسة ، وتعطلت إقامة الجمعة فيه .

وكأنه يظن أن هذه هي الأسباب في ارتزاقه النياشين والرتب من باب « من رزق من شيء فليلزمه » ، وهذا هو السبب في تجهيز ما وجهناه من الجند إلى جهة الشام[4] لأجل مدافعة هذا الطغيان ، والمحافظة على مراكز أهل الدين والإيمان .

---

(١) قد وقفنا على كتاب سليمان باشا هذا للسيد وجواب السيد له وسننشرهما بعد .

(٢) ميدي : ثغر من ثغور عسير بين الحديدة وجيزان أو جازان ، وفيه قلعة عسكرية وهو الآن من الثغور التي بيد السيد ، وقد عثرنا على كتاب من القومندان التركي الذي عرض السيد عليه المساعدة على إيطالية .

(٣) هو محمد علي باشا الذي كان والي اليمن وقائدها العام .

(٤) هي الحدود الشمالية لعسير يسمونها جهة الشام .

وقد حصلت المذاكرة بيننا وبين هؤلاء الإخوان في هذه الأحوال إلى أن ساق بنا الكلام إلى مفرزة (ميدي) ، وأخبرناهم أن الطليان قد ضرب قلاع الدولة ومراكزها من باب المندب إلى جدة ، وهدّ تلك الحصون بمدافعه المسلطة ، ولم يبقَ إلا هذه القلعة ، مع أن شيخ البلدة التي فيها قد سبقت له جناية مع الطليان بواسطة شهادة سبنوك ، طال الخلاف بين الترك والطليان فيه ، وتوقف الأمر على شهادة هذا الشيخ وتهددته الدولة بالشهادة لها فشهد . فإذا قصد الطليان هذه المفرزة لا يقتصر عليها بل يتعداها إلى تلك البلد لما جناه شيخها عليهم ، وسابقاً قد ضربوا هذه البلدة كما قد عرفته .

ومن المشاهد أن هذه العساكر كجملة من في كل موضع ، إذا ضرب الطليان المواقع هربوا من مواقعهم تلك إلى محلات العامة ، ولم يدافعوا ولا يضرب مدفع واحد ، وقد ضربت هذه القلعة من نحو شهر **وخرجوا منها كما ذكرنا** ، وهذا مما أوقع الناس في العجب ، فإن الدولة لما عجزت عن إصلاح الداخلية كان يرجى منها حفظ الخارجية ، والقيام بالمدافعة عن **الرعايا ممن قصدهم بسوء ، فعجزت الدولة الآن عن هذا وهذا** ، فما بقي لهم إلا أن يَسَعوا الناس بحسن الخلق لو كانوا يعقلون .

ثم إنه قد اشتد الخطب من الطليان بمحاصرتهم للحديدة إلى حالة يخشى معها أن تحتل الحديدة ، فتكلمنا مع العسكر الذين في القلعة بأن بقاءهم بها ضرره على الإسلام والمسلمين ، لأن الحديدة إذا احتلت يتبعها ملحقاتها ومن ذلك هذه القلعة ، ومن المعلوم حسب أصولهم أنه إذا احتلت الحديدة وجاء المحتلون ببوابيرهم لاستلام هذه النقطة تبعاً للمركز ومعهم الإذن بالتسليم من كبراء الترك ، فإن من في هذه النقطة لا يلتفت **إلى الإسلام ولا إلى المسلمين ، ولا يهتمون بأمر الوطن بل حالاً يعملون** الترتيب اللازم في التسليم إلى المحتلين ولو بطريق الحرب مع أهل الوطن ، بأن يضربوا من القلاع ، وتضرب البوابير من الساحل حتى يتصلوا

بالمحتلين ، ويدفعوا لهم موقع الحرب ، ويسلموا أهل الوطن إلى الأسر ، كما فعلوا في بني غازي إحدى متصرفيات طرابلس ، فإن أهلها عشية احتلال الطليان لما رأوا بوابير الطليان بالساحل أسرعوا إلى مركز الحكومة ليستعدوا للقتال ويودعوا أهاليهم وأموالهم في محل مكين ، فمنعهم الأتراك وألزموهم الطمأنينة ، فرجعوا إلى بيوتهم ، فلما جنّ الليل لم يشعروا إلا والمتصرفية بأجمعها صارت عساكر طليانية ، فقاموا للدفاع ولم يمكن الخروج من المنازل إلا للرجال دون النساء والذرية ، وهم الآن تحت قبضة الطليان . واشتهر أن هذه المعاملة من العساكر بأسباب ماأخذه كبراؤهم من الطليان خفية . وبأسباب ذلك استقال **الصدر فتبين أن بقاءهم حينئذٍ في المواقع** الحربية لا للدفاع وحماية الثغور كما هو اللازم لمن **يتولى إمارة المسلمين بل للأغراض الفانية** ، وبيع البلاد للمصلحة الشخصية ، فمن ينع الإسلام فلينعه من الترك ، ومن يندب الدين فليندبه مما لهم من اختلاق الإفك ، فلما خاطبناهم في النزول معنا ليبقوا مع العساكر العربية جنباً بجنب حتى إذا احتلت الحديدة يكون موقع المفرزة الميدية بأيدي المسلمين يؤدون فيه ماأوجب الله عليهم وإن امتنعوا فلاإلزام ، وإن أرادوا اللحاق بكبرائهم فلهم ذلك ، فأبوا هذا وهذا ﴿ وَلاَ يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّءُ إلاّ بِأَهْلِهِ ﴾ .

والعجب من هؤلاء الناس يذكرون أننا السبب في تركهم للمدافعة ، كما روى عنهم السادة الواصلون ، فليت شعري من أيّ وجه ؟ وأي قرب بيننا وبينهم في المسافة أن يقولوا نخشى أن نصلى بنارين إذ في الأقل بيننا وبين الحديدة ثمانية أيام ، ولو سلم هذا فما يكون جوابهم في احتلال الطليان لطرابلس ؟ وما المانع من المدافعة هناك مع أن أهل تلك الجهة من **المخلصين للحكومة ، بل هم قائمون بالقتال للمحتلين من الآن ، ومن العجاب** أن الحكومة قبل أن يحتل المحتلون رفعت الأسلحة والوالي والعسكر إلا شيئاً قليلاً ، وبعد ذلك لم تمد المجاهدين ولا بدرهم أو نَفَر . وفي عهدي أنا عرفناكم سابقاً أن في صبح ليلة خروج الأتراك من

جـازان ، وفي اليـوم الـذي بعـده جـاءت بـوسطـة بطريـق البحر فـوقعت بيـد المجاهدين ، فإذا بعض رسائلها يحتوي ترجمتها على إعلان حرب إيطاليا لهم ، وأنه يلـزم مـأميرهم هنـا العنـايـة برعـايـا الإيطـاليين وحفظهم ، فتعجبنـا من حسن معاملتهم ، هذا لمن **ناوؤوهم** بالعداء الأكبر ، وإذا حصل منا معـاشر المسلمين أدنى شيء معهم قامت القيامة ، وبينما نحن في هذا الموضوع إذ ورد منكم كتـاب كريم ، فتلقيناه بالترحيب والتكريم ، وسنوفي كل بحث مما أشرتم إليه حقه إن شاء الله .

فأما ماأشرتم إليـه من قولكم (والـدولـة العثمـانيـة وإن كان أمراؤهـا كما عرفتم فإنه عند الشدائد تذهب الأحقاد ـ إلى أن قلتم ـ أما مـا كان سـابقـاً ممـا ذكرتم من تباعد العثمانية عن الصلاح فإنه لا يغرنا الآن الإنصاف) .

وقد أنصف الغارات من راماها . فلا يخفـاكم أي حقـد عنـدنـا ؟ ولمـا جـاءني كتاب سليمان (باشـا) يجنح إلى السلم في وقت قيـام الطليـان وافقت وأجبت بمـا صدرت إليكم صورته ، وأرسلت من أخصاء إخواننا من يقوم **بحل هـذه المشـاكل كما قـد أشرنـا لكم في أول الجواب** ، ولم نلتفت إلى مـاسبـق منهم من الإيعـاد بـأنـواع المهالك حتى بشق بطون الحوامل ، فلمـا جـاء جواب سليمـان لـذلـك الأخ (**يعني مندوبه**) **بـالتهـديـد وإعـداد الطوابير للتربيـة** ، تعجبنـا من ذلـك ، ومـا زلنـا نتوقف عن عمل أي حركة رجـاء أن يهتـدوا إلى الصواب ، فمـا كان بعـد ذلـك إلا مرور محمد علي (باشا) في شهر ذي الحجة يحرق بيوت السادات والعلمـاء وأفـاضل الناس كما قد ذكرنا لكم أول الكتاب ، فياليت شعري مانصنع بعد هذا ، وهل فيـه إنصاف أعظم من هذا الإنصـاف حتى من كان لنـا بـالأمس عـدواً لـدوداً أصبحنـا نتقرب إليه بالمودة لالشيء ، بل كان حبـاً للصلاح مزيـداً ، وهل من العقل بعـد ذلك لنا أن نرمي بأنفسنـا إليـه ولو على المهـالـك ؟ وهل هـذا من الـدين ؟ كلا وأصـدق القـائلين يقـول : ﴿ وَلاَ تَهِنُـوا وَلا تَحْـزَنُـوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَـوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ .

ثم إن ماأشرتم إليه هو لم يزد عن كونه من قبلكم ، ولم ندر ماهم عليه إذ لم يرد من كبرائهم وأعيانهم من تحسن المخاطبة معه في ذلك ، **وفي كيفية مواصلة الخطاب إلى الآستانة** ، لأن ولاية اليمن صارت الآن منقطعة عن الولاية العثمانية للحيلولة بالقوة الإيطالية .

وأما ماأشرتم إليه (أن لواقترن مابيننا وبينهم بصلح مابينكم وبينهم) فاعلم أيها الإمام أني عندما أتلو ذلك أجد خاطري ينكسر مما هنالك ، **لأنه حين أرادوا أن يغتنموا الفرصة فيّ وإن كنتم** جزاكم الله خيراً كررتم التوسط في الصلح لكن لاعلى طريق الشرطية بخلاف الآن لما كان الصلح لمصلحتهم أوفق فآثرتموهم عليَّ مع أني الصاحب القديم ، والخل الذي هو على العهد إلى الممات مقيم :

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ... ما الحب إلا للحبيب الأول
ومنازل في الأرض يألفها الفتى ... وحنينه أبداً لأول منزل

وأما ماذكرتموه (إن الملل الكفرية كما عرفنا فوقت سهام انتقامها على الدين القويم ، وفعلت بالمسلمين أقبح الأفاعيل إلى آخر ماشرحتموه) ، فلا يخفاكم أن هذه الأمة قد أخذت هذه الأزمان الطويلة وهي في اطمئنان بال ، وسكون الأحوال ، لما كان سلاطين آل عثمان قائمين بحماية الشرع الشريف ، ولا مظهر لهم إلا أنهم نواب الأمة الإسلامية في حقوق دينهم الحنيف ، ولا شك أن أهل الملل المختلفة لا يتجاسرون على هدم هذه السياسة لأنها تستدعي الثورة العامة بين المسلمين وغيرهم في جميع الأقطار الشاسعة ، ولا أضر على الأجانب من هذه الحرب الدينية ، وبها كان يتهددهم السلطان السابق عند المشاكل الدولية ، فيجنحون إلى الموافقة ، فلهذا عشنا وعشتم طول النشأة لم نسمع في الخارج بمشاقة ، بل كان في آخر المدة الأخيرة ما رفع الدولة لأعلى مكان حيث **ظفرت باليونان ، واحتلت عاصمة ملكهم** بقوة عظيمة القدر والشان ، فلما جاءت هذه النشأة الأخيرة من

الأتراك تظاهروا بالحرية ليرضوا أهل الملل الأخرى ، وأن الاختصاص بدين الإسلام هم منه على فكاك ، ولهذا سموا أنفسهم بالجامعة العثمانية ، ليوحدوا الملل هرباً من الجامعة الإسلامية . وقد أرسل جنابكم إلينا تلك الرسالة المؤلفة لشيخ الإسلام سري زاده محمد صاحب ، ونبهتم عافاكم الله على مافيها من الإلحاد ، وجزاكم الله خيراً بتلك الإفادة ، فحينئذٍ حدث أمران : ضجّ أهل الإسلام من رغبة الأتراك عنهم ، وطمع أهل الملل في الأتراك لنفور الجمعية الإسلامية منهم ، فأخذوا في انتهاب البلاد منهم ، فاستقلت ولاية البلغار ، بعد أن كان ملكهم في زمن السلطان السابق برتبة ياوران ، وبيعت ولايتا البوسنه والهرسك علناً ، وطرابلس خفية ، وصدق لفرنسا على تبعية تونس ، وحينئذٍ قامت الأجانب يغار بعضهم من بعض فمدوا أيديهم إلى احتلال البلاد العثمانية ، لهذه الأسباب ولغير العثمانية بطريق أولى كتبريز وفاس كما ذكرتم ، مع أن فاس هذه من أعوام قريبة سعى السلطان السابق في استقلالها بواسطة ملك ألمانيا لتحفظ من غوائل الأجانب ، فتغيرت في هذه الأيام السياسة الإسلامية من أهلها ، فكان ما كان في مسافة ثلاث سنوات ، وهذه الرابعة أقبلت فيها تتداعى الشدائد **من كل الجهات ، وكل فريق يمد يده إلى ماشاء من النواحي المختلفات .**

وقد عرفناكم بمنشأ هذه الأحوال ، لتعرفوا من هم السبب في محاق البلاد الإسلامية والاضمحلال ، فهم الأحق بالملامة ، والتقريع والتوبيخ **وسلب الكرامة .**

وياليت شعري ماالمراد منا في الرابطة التي أشرتم إليها ، فإن كان لقصد التسكين المجرد إلى أن **توافق معهم الأمور ثم يثبوا كأن لم يكن بيننا وبينهم صداقة كما كان بالعام الماضي** إذ قدمنا لهم عشرة آلاف عود للسلك وأمنا لهم الطرق وتعهدنا لهم بالإصلاح حتى صاروا دولة **حقيقة يروحون** ويغدون بكل شرف ،

فما كان منهم إلا تدبير الحيلة في الهجوم للقبض علينا ، فنجانا الله ، وآل الأمر إلى ماهم فيه من الإهانة والحيرة ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

أولا توافق الأمور كما هو المنتظر إن لم يستعطفوا خواطر المؤمنين واشتد الحال إن آل إلى سقوط البلاد بأيدي الغير يسلمها الأتراك لهم ولا يلزمنا إلا قبول ماحلوه وأبرموه ، فما في هذه إلا إقامة الحجة علينا من الله ، **وما المعذرة في ذلك المقام الإلهي** ، **وإن كان القصد أن نكون نحن وهم شركاء في المواقع بدون خداع** في الحال والاستقبال ، شركاء في الدفاع عن الدين ، شركاء في الرأي حتى نعلم ما يراد بنا ، ونؤدي ماأوجب علينا ربنا ، ولا نكون ألعوبة للأتراك يسلموننا إلى الغير متى شاؤوا والعياذ بوجه الله ، بل **نكون على أمن من ذلك كله** ، **فأهلاً بالوفاق وسهلاً** .

وفي الحقيقة ، الحقير إن هو إلا رجل قام بتأييد الله في هذه البرية القفراء للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وإقامة الشريعة التي لا حرز لنا دونها ولا عصمة ، **إن كنا ممن يحتفلون بتعاليمها** الإلهية ويخدمونها .

فقامت هذه النشأة الجديدة من الأتراك ، وحشدوا العساكر المصحوبة بالمدمرات والسيوف البواتر ، وشاع وذاع أنه صدرت إرادة سلطانية ، وإشارة من لدن الجمعية ، باستئصالنا ، ولا يعلمون أن الأمر بيد الله وهو أكرم الأكرمين ، لا يضيع من منَّ عليه من بريته ، وكساه من الإيمان بحلل كرامته ، بل ينصره وينتقم ممن عاداه كما وعد في كتابه العزيز : ﴿ وَعْدَ اللهِ حَقّاً وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ قيلاً ﴾ . فقال عز وجل : ﴿ إِنّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنا وَالَّذينَ آمَنُوا في الْحَياةِ الدُّنْيا وَيَوْمَ يَقومُ الأَشْهادُ ﴾ . وقال عز وجل : ﴿ فَانْتَقَمْنا مِنَ الَّذينَ أَجْرَمُوا وَكانَ حَقّاً عَلَيْنا نَصْرُ الْمُؤْمِنينَ ﴾ . وإني والله **عند هذه الآيات أعلم من أين أُخذت** هذه الدولة فتداعت عليها الأهوال من كل جانب جملة واحدة على غير أسلوب

معروف ، ولا تقدير في الحساب مألوف : ﴿ وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِقَوْمٍ سُوءاً فَلا مَرَدَّ لَهُ ﴾ .

فاجأها القهر الإلهي بغتة ، وانقطعت في مدافعته كل حيلة ، فسبحان القائل : ﴿ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ والٍ ﴾ . وإني والله لأعلم بدواء تلك العلة ، فهل من سبيل إلى أن أكون الطبيب الرباني ، ولا تكاد تلبث هذه الدولة ساعة حتى يشفيها الله في جميع الأنحاء ، لكن إن رجعت سياستها إلى الصراط المستقيم الرحماني . وقد ذكرنا للسادة الواصلين تفاصيل الأمور ، وأبدينا لهم ما يصلح في المقام ، واكتفينا ببيانهم عن شرح ذلك هنا ، لأن للكلام مقامات طويلة ومباحث مختلفة ، كما سيوضحون لكم ، وهم من أفضل عباد الله ، وله الحمد أن جعل بيننا وبينهم التآلف وخالص الوداد في الله ، ومثلهم يقوم بالبيان ، وكونوا على يقين ، أن مافيه صلاح المسلمين والإسلام وحفظ البلاد بدون خداع ، فأنا فيه على وفاق . وكذلك اكتفينا ببيانهم في مادة الحدود من (الشرف) إلى (بني جماعة) وقد تحررت بذلك ورقة بخط العلامة المفضال بدر اللآلي السيد أحمد بن يحيى عامر ، هذا وشريف السلام وأسناه يعمكم ومن بالمقام ورحمة الله وبركاته .

الإمضاء

المنار مج١٦/ج٤/ص٣٠٠-٣١١



الملحق

٢٢

[لطيفة !]

اقتران صاحب المنار

في الليلة الثامنة عشرة من هذا الشهر بنى صاحب هذه المجلة على سعاد كريمة الشيخ حسن الصفدي ، وبيت الصفدي في طرابلس الشام من بيوتات العلم التي امتازت بمكارم الأخلاق وطهارة الأعراق . فأسأل الله تعالى أن يجعله بناءً مباركاً وقراناً ميموناً ﴿ رَبَّنا هَبْ لَنا مِنْ أَزْوَاجِنا وَذُرِّياتِنا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنا لِلْمُتَّقِينَ إماماً ﴾ .

المنار مج١٦/ج٥/ص٤٠٠

السيد الْهُمَام ـ آل رضا

في آخر الساعة الثانية بعد النصف من ليلة الخميس لثمان بقين من شهر ذي القعدة الحرام الحال (الموافق لحلول الشمس في الدرجة الخامسة من برج السنبلة سنة ١٢٩٦ هـ ش ـ٢٩ أغسطس) قد وهب الله جلّ ثناؤه لصاحب هذه المجلة غلاماً سوياً أزهر اللون جميل الخلق كأخيه (محمد شفيع) إلا أنه أوسع غرة وأنحف بنية ، فسميناه الهمام (بضم الهاء وتخفيف الميم) ، فنحمد الله ونشكره على ما حبانا به من مزيد نعمه ، ونسأله تعالى أن يجعل له أوفر نصيب من اسمه ، حتى يكون قرة عين لنا ولأمته وقومه ، ومثل ذلك لأخيه وأخته ﴿ رَبَّنا هَبْ لَنا مِنْ أَزْواجِنا وَذُرِّياتِنا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنا لِلْمُتّقينَ إماماً ﴾ .

المنار مج٢٠/ج٩/ص٤٠٨

☆ ☆ ☆

الملحق

٢٣

السيد الإدريسي والحكومة العثمانية

لصاحب الإمضاء

ولد السيد محمد الإدريسي في بلدة (صبيّة) من أعمال العسير ، واسم والده السيد علي ، وجده السيد محمد ، وجد والده السيد أحمد الإدريسي (رحمهم الله) ، وهذا هو الذي هاجر من المغرب منذ سبعين سنة تقريباً إلى جهات العسير .

اشتهر والد السيد الإدريسي وأجداده وجميع أفراد عشيرته بالصلاح والتقوى والعفة والاستقامة وخدمة الدين الحنيف والشريعة الغراء ، فأصبحت هذه العشيرة الكريمة موضع إجلال اليمانيين واحترامهم ، واتفقت كلمة الناس على حب رجالها وسماع نصائحهم والرجوع إليهم في كثير من الشؤون المهمة ، وهذا من أهم الأسباب التي مهدت للسيد محمد سبيل الظهور في هذا المظهر ، مظهر السيادة والإمارة .

حفظ السيد محمد القرآن وأخذ بعض العلوم والفنون على أساتذة يمانيين في (صبية) ، وكان والده رحمه الله يمنعه من الاختلاط بالناس . ويقال : إن الإدريسي لم يخالط الناس إلا بعد أن جاوزت سنه العشرين .

ذهب السيد محمد إلى الأزهر في مصر وهو في سن الخامسة والعشرين ، فدرس فيه بقية العلوم والفنون مدة ٧ ـ ٨ سنوات ، ثم غادر مصر إلى السودان فلبث هنالك سنة وأشهراً ومنها عاد إلى جهات العسير حيث يقيم الآن . وهو اليوم في

سن التاسعة والثلاثين ، قوي البنية ، طويل القامة ، صحيح الجسم ، أسمر اللون ، وعلائم الدهاء والذكاء والمتانة والرزانة بادية على وجهه .

لا يخاطب السيد الإدريسي اليانيين - في خطاباته - إلا بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، ولم يستملهم إليه ويمتلك قلوبهم ويتسلط على عقولهم إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وخدمة الدين والشريعة بالفعل ، ومنع الغزو وإبطاله ، وإزالة الشقاق والاختلافات القديمة من بين القبائل والعشائر ، وإحقاق الحق وتطبيق العدالة والمساواة بين الكبير والصغير والرفيع والوضيع من الأهلين .

نعم إن السيد الإدريسي لم يستمل اليانيين - كما زعم بعض الكاذبين المنافقين - باستعمال الفوسفور والكهرباء وغير ذلك من الاختراعات العصرية الجديدة التي لم ترها عربان اليمن بقصد إقناعهم بولايته أو نبوته ، بل استمالهم إليه بالحجة والبرهان والمبادئ القوية الصحيحة ، ولم نسمع ونحن من صميم اليمن أن السيد الإدريسي ادعى هذه الدعوى ؛ أي الولاية وما أشبه .

اليانيون يحبون السيد الإدريسي حباً كالعبادة ، وينقادون له انقياداً أعمى ويطيعونه طاعة زائدة ، وينفذون أوامره بكل ارتياح ، والسعيد منهم من يتشرف بمقابلته ويتبارك بتقبيل يده وركبته ، كل ذلك ناشئ من شدة تمسكه بقواعد العدل والمساواة وتطبيقها بين جميع الطبقات ، وعدم تمييزه زيداً الشريف (مثلاً) على عمرو الضعيف بحال من الأحوال ، واعتبار الجميع واحداً في القضاء والمعاملات .

قبل أن يعود السيد الإدريسي من مصر إلى العسير كانت الفوضى في هذه الأنحاء منتشرة والأمن مفقوداً ، والراحة مسلوبة والغزو كثيراً ، واعتداء القوي على الضعيف أمراً مألوفاً ، وكان الابن يخاف على نفسه من والده ، والوالد لا يأمن على حياته من ولده ، وكان الإنسان يجلس في الظلام ليلاً خوفاً من أن يراه عدوه إذا أنار المصباح فيطلق عليه الرصاص ، وكانت الطرقات مسدودة لكثرة اللصوص وقطاع الطريق .

والخلاصة كانت الأهالي بأشد حالات الضيق من هذه الأحوال التي تسلب الراحة ففرج الله عنهم بقدوم السيد الإدريسي إلى العسير ، حيث بدأ بنصح وإرشاد القبائل ، وشرع في نشر مبادئه وتعاليمه الدينية والمدنية بينهم ، فاستمالهم إليه وامتلك قلوبهم وجمع حوله منهم قوة ، ثم أخذ بتطبيق أحكام الشريعة عليهم بدون محاباة ولا مراعاة ، فأعدم المئين من الرجال الذين ارتكبوا جريمة القتل ، وقطع أيدٍ كثيرة إقامة لحد السرقة ، فاستتب الأمن ، وبطل الغزو ، وزال الشقاق ، وحل محله الوفاق بين القبائل ، ووقف القوي عند حده ، وامتد رواق العدل والمساواة في تلك الأصقاع ، فارتاحت الأهالي وأمنت على أرواحها وأموالها ، وصاروا كلما ذكروا عذاب الماضي وقاسوه بنعيم الحاضر يتضاعف حبهم للسيد الإدريسي ، وتزداد طاعتهم له وانقيادهم لأوامره ، وتقوى الروابط بينه وبينهم .

والخلاصة كانت الأهالي بأشد حالات الضيق من هذه الأحوال التي تسلب الراحة ففرج الله عنهم بقدوم السيد الإدريسي إلى العسير ، حيث بدأ بنصح وإرشاد القبائل ، وشرع في نشر مبادئه وتعاليمه الدينية بينهم ، فاستمالهم إليه وامتلك قلوبهم وجمع حوله منهم قوة ، ثم أخذ بتطبيق أحكام الشريعة عليهم بدون محاباة ولا مراعاة ، فأعدم المئين من الرجال الذين ارتكبوا جريمة القتل ، وقطع أيدٍ كثيرة إقامة لحد السرقة ، فاستتب الأمن ، وبطل الغزو ، وزال الشقاق ، وحل محله الوفاق بين القبائل ، ووقف القوي عند حده ، وامتد رواق العدل والمساواة في تلك الأصقاع ، فارتاحت الأهالي وأمنت على أرواحها وأموالها ، وصاروا كلما ذكروا عذاب الماضي وقاسوه بنعيم الحاضر يتضاعف حبهم للسيد الإدريسي ، وتزداد طاعتهم له وانقيادهم لأمره ، وتقوى الروابط بينه وبينهم .

أعدم السيد الإدريسي عدداً كبيراً من كبار القوم الذين ارتكبوا جريمة قتل

الأبريـاء الضعفـاء قصـاصـاً ، ولم يلتفت إلى علـو كعبهم ، ورفعـة منزلتهم بين قـومهم ، ولا إلى شرفهم وعظمتهم ونفـوذهم ، فلم يغضب لهـذا الأمر إنسـان لأنــه عدل وحق .

قاعدة السيد الإدريسي في الحكم والإدارة العدل ، وهو عنـده فوق كل شيء ، وهذا مما جعل الرأي العام في جهات جزيرة العرب عامة وفي جهـات العسير منهـا خاصة يميل إليه ، ويحب خطته ، ويطري مبادئه ، ويثني على منهجه القويم .

السيد الإدريسي لم يفاجئ الحكومة العثمانية بالعدوان ولم يعلن عليها الحرب في حين من الأحيان ، بل كان الأمر بـالعكس . فـإن البـاب العـالي كان يصغي لأكاذيب ولاة اليمن وقوادها الجهلة المغرورين الذين كانوا يوسوسون له ويـدسون الـدسـائس ضـد السيـد الإدريسي فيـأمر (أي البـاب العـالي) بتجييش الجيوش وتسيير الحملات على السيـد ، فيضطر هـذا إلى الـدفـاع فـالهجـوم فسحـق القـوات فحصار المدن والثغور فالاستيلاء عليها .

في واقعة واحدة من الوقائع العديدة العظيمـة التي حصلت بين رجـال السيـد وبين الجيش العثماني وهي (واقعة جازان) المشهورة قتل من الجنود العثمانيـة أكثر من أربعة آلاف عسكري ولم يعرف عدد الجرحى[1] ، والتجأ قائد الجيش الميرالاي محمد راغب بك إلى السيد خوفاً من فتك الضباط به بسبب الخطأ الذي ارتكبـه في هذه الواقعة على زعمهم . وبقي هذا القائد التركي عنـد السيـد معززاً مكرمـاً مـدة سنة ونصف ، ثم فرّ هارباً بدون أن يستأذن من السيـد ـ مع أن السيـد كان تـاركاً له الحرية في السفر أو البقاء ـ على باخرة إنكليزية كانت مرت بجازان .

☆ ☆ ☆

(١) أخبرنا أحـد الضبـاط الـذين كانوا في اليمن أن عـدد القتلى من العثـمانيين في جيزان كان أكثر من عدد جنود الإدريسي الذين قتلوهم (وجيزان بالياء كما في القاموس لا بالألف) .

لما أعلنت إيطالية الحرب على الدولة العثمانية أخلت هذه في الحال ميناء (جازان) من العسكر ، ولم يتيسر لها لضيق الوقت ولقلة وسائط النقل أن تنقل إلى الحديدة غير الجنود فقط ، وتركت السلاح والمؤونة والذخائر والخيام والبغال ، تركت أشياء كثيرة كانت معدة لحملة عسكرية مؤلفة من خمسة وعشرين طابوراً ، فاستولى السيد الإدريسي على كل ماتركوه ودخل (جازان) وهي أعظم ميناء على السواحل اليانية بعد الحديدة ، ولا تزال في يده كما أنه استولى بعد ذلك على غيرها من الموانئ مثل ميدي وشفيق وحبل وبركة والفوز . وفي ميدي قلعة كبيرة مهمة أخذها الإدريسي بما فيها من المدافع والذخائر .

ولقد تمكن السيد الإدريسي منذ نشبت الحرب بين الحكومة العثمانية وإيطاليا إلى الآن من جلب أكثر من مئة ألف بندقية وخمسين مدفعاً ونيف من درجات مختلفة أي كبيرة ومتوسطة وصغيرة ، لأن الطليان كانوا أغرقوا وأسروا بواخر خفر السواحل العثمانية كلها ، فخلا للسيد الجو وانتهز هذه الفرصة الثمينة واستعد استعداداً عظيماً ، ولديه الآن أكثر من عشرين مدفعاً من المدافع الكبيرة التي ترمي إلى مسافة ١٢ ـ ١٥ كيلومتراً وهي موضوعة في الحصون التي أنشأها في السواحل والثغور التي بيده . وقد تعلمت الجنود العربية استعمال المدافع واستخدامها في الحروب ، وبرعوا جداً في إطلاق القنابل ، ولا يزال عند السيد عشرات من أفراد الجند وضباط الصف (الجاويشية) العثمانيين الذين أسروا أو التجؤوا إليه في الحروب ، ومعظم هؤلاء من صنف المدفعية ، وإذا أضفنا عدد المدافع التي أخذها السيد من جيوش الدولة في الحروب والبنادق التي استولى عليها والتي كانت عند العربان من قبل إلى الأرقام السالفة الذكر يمكننا ـ بلا مبالغة ـ أن نقول : إن لدى رجال السيد الإدريسي الآن أكثر من تسعين مدفعاً ومن مئتي (٢٠٠) ألف بندقية جديدة من أحدث طرز ، ومعظم البنادق الجديدة محفوظة

مع ذخيرتها الكافية الوافية ـ لوقت الحاجة ـ في المخازن التي بنيت بصورة مخصوصة لها .

☆ ☆ ☆

في قبضة السيد الإدريسي الآن عدة موانئ أهمها جازان وميدي وشفيق وبركة وحبل والفوز ـ كما ذكرنا آنفاً ـ وفي كل ميناء منهن جمرك له عمال موظفون من قبل السيد لاستيفاء الرسوم الجمركية من الواردات والصادرات ، والرسوم التي يتقاضاها السيد أقل من الرسوم التي كانت تأخذها الدولة ، والتجارة كثيرة جداً بين هذه الثغور وبين عدن ومصوع ، لأن هذه الثغور هي موانئ قطعة العسير كلها وبعض جهات اليمن والحجاز ، والسنابك[1] تروح وتغدو بينها وبين مصوع وعدن دائماً ، والأمن مستتب والرشوة ـ ولله الحمد ـ مفقودة ، والعدل موجود ، والظلم معدوم ، والتسهيلات متوفرة ، والناس كلها ألسن مدح وثناء على السيد الإدريسي الذي أحيا هذه القطعة وأصلح شؤون أهلها .

ولقد انتشر نفوذ السيد الإدريسي كثيراً من الشمال إلى الجنوب ، ومن الشرق إلى الغرب حتى السواحل ، بقدر ما قلّ وتناقص نفوذ الإمام يحيى ، لأسباب لا محلّ لذكرها هنا ، حتى إن كثيراً من القبائل التي كان عليها معظم المعول عند الإمام يحيَ أتت لعند السيد الإدريسي وبايعته ، ووضعت عنده الرهائن من أولاد زعمائها ، وفي مقدمة هذه القبائل قبيلة حاشد العظيمة التي يقودها الشيخ ناصر بخيت[2] .

---

(١) المنار : السنابك : جمع سنبوك في لغتهم وهي نوع من السفن الشراعية . وفي سواحل الشام يطلقون لفظ السنبك (بضم السين والباء) على نوع من قوارب الصيادين الصغيرة وجمعه سنابك .

(٢) ناصر بن مبخوت .

على رأس كل قبيلة من قبائل العسير قاضٍ وأمير من قبل السيد الإدريسي ، فالأول ينظر في الشؤون القضائية ، والثاني ينظر في الشؤون الإدارية والحربية ، ويجمع الزكاة الشرعية للسيد ، والمخابرات الرسمية جارية بكمال الدقة والاهتمام بين المركز والضواحي .

عند السيد الإدريسي وكيل اسمه (يحي زكريا) وهو بمثابة رئيس الحجاب أو الصدر الأعظم ، وأمين لبيت المال واسمه (محمد يحي) وهو بمثابة ناظر المالية ، وكثير من القواد ، وكلهم يحملون السيوف دائماً ، ولهم شارات مخصوصة كل بحسب رتبته ومقامه .

أرسل قائمقام لحيّة إبراهيم بك خليل بتاريخ ١٠ مارس [آذار] سنة ١٩١٣ م كتاباً إلى السيد الإدريسي يطلب فيه الإذن بمقابلته فأذن له فجاء وأخبر السيد بأن الوالي محمود نديم بك تلقى من الباب العالي أوامر تقضي بمخابرته بأمر الصلح وحسم المشاكل وفض الاختلافات التي بينه وبين الدولة ، وسأله هل يقبل بفتح المفاوضات ؟ فقبل السيد ، فقفل القائمقام المذكور راجعاً إلى لحية ، وأخبر بذلك الوالي برقياً ، فغادر محمود نديم بك ومعه القائد سعيد باشا صنعاء ووصلا إلى لحية في ٢٧ مارس سنة ١٩١٣ م ، وأرسلا كتاباً إلى السيد يطلبان فيه حضوره لثغر ميدي ليقترب منها ، فأرسل السيد من قبله هيئة لمخاطبتها على رأسها أمينه محمد يحي بخطاب يقول فيه : بلغوا كل ماتريدون لهذا الأمين وهو يوصله إليّ حتى أعلم ماتريدون[١] .

☆ ☆ ☆

(١) المنار : أورد الكاتب هنا نبذة من كتاب الإدريسي إلى الإمام استدل بها على كونه لم يكن يقصد عداوة الدولة بل خدمتها والاتفاق معها ، وقد حذفناه لأننا كنا نشرنا ذلك الكتاب برمته في ج ٤ ص ٣٠٠ م ١٦ من المنار .

كانت مطالب السيد الإدريسي قبل ثلاث سنوات ـ كما ذكرها هو في كتابه إلى الإمام بسيطة جداً ، أما مطالبه اليوم فهي لا تشابه تلك المطالب بوجه من الوجوه ، ففي ذلك الحين لم يكن في يد السيد الإدريسي ثغر من الثغور البحرية ، وقد أصبح اليوم في قبضة يده عدة موانئ كما تقدم في كل واحدة منهن بضعة مدافع كبيرة تحميها . وفي ذلك الحين لم يكن قد وقع بين رجاله وبين الدولة سفك دماء ، وكان ذلك قبل حرب الطليان وما تلاها من المصائب وحرب البلقان وما أعقبها من النوائب ، وجملة القول إن كلاً من حالته وحالة الدولة لم تكن مثل ما هي الآن .

يحق للسيد الإدريسي اليوم أن لا يرضى بما كان رضي به قبل ثلاث سنوات ، ولم ترضَ به الحكومة العثمانية ، لأن نفوذه خلال هذه المدة انتشر بين القبائل انتشاراً هائلاً ، وأحواله انتظمت ، ورجاله تسلحت ، وقبائله استعدت ، وعساكره تعلمت وتمرنت على إطلاق القنابل واستعمال المدافع الكبيرة والصغيرة ، وقد علمت من رجل كبير من رجاله أنه سيستمسك بالمطالب الآتية :

١ ـ الاستقلال الإداري التام تحت سيادة الدولة .

٢ ـ أن لا تتدخل الدولة في شؤون موظفي البلاد التي في قبضة يده والتي سيبين حدودها في المعاهدة .

٣ ـ أن تكون الراية الهلال والنجم مع كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) من جهة (محمد رسول الله) من الجهة الأخرى .

٤ ـ أن تكون الجنود محلية وعددها كافٍ لحماية البلاد في زمن السلم والحرب .

٥ ـ أن تكون الجمارك في الثغور راجعة إلى الإمارة الإدريسية والمعاهدات التجارية مع الدول من حقها أيضاً .

٦ ـ أن تكون الأحكام طبق الشريعة الغراء واللغة الرسمية هي اللغة العربية فقط ، بحيث لا تعرف لغة سواها في التعليم والقضاء والإدارة وفي المخابرات الرسمية مع الآستانة .

٧ ـ كل ما ينشأ من المنافع العمومية كالسكك الحديدية والتلغراف والتليفون في جهات العسير يجب أن تكون لمنفعة الإمارة وخاصة بها وخاضعة لها .

٨ ـ أن يصدر بهذا الاتفاق فرمان سلطاني قبل أن يجتمع مجلس المبعوثين العثماني يؤتى به من الآستانة على يد مندوب عالٍ ، وعلى سفينة حربية ، ويقرأ باجتفال عام في المكان الذي يختاره الأمير الإدريسي .

هذه هي أهم المواد الأساسية العمومية التي سيطلبها السيد الإدريسي ، وهناك مسائل أخرى خصوصية وفرعية لا أهمية لها ، ولا نظن أن الصلح يتم بين السيد الإدريسي وبين الحكومة العثمانية إذا رفضت هذه مطلباً واحداً من هذه المطالب الثانية . ومن قاس هذه المطالب بمطالب السيد الأولى يتبين له الفرق العظيم بين هذه وتلك ، كما يظهر له جلياً بعد نظر رجال الحكومة العثمانية وطول باعهم في السياسة والإدارة والسلام .

مصوع ٧ مايو سنة ١٩١٣ م   يماني

(المنار) لم يبق للدولة مع هذه المطالب إلا اسم السيادة ، فلا يعقل أن تقبلها ، فإن كانت تعجز عنه الآن فإنها تفضل السكوت على إعطائه فرماناً تقيد نفسها به ، والمعقول أن يكون للدولة مع الاستقلال الإداري بعض الحقوق العامة كاشتراط موافقتها على العهود التجارية مع الدول وأخذ شيء مما يزيد على نفقات البلاد من دخلها..

المنار مج/١٦ ج/٦ ص/٤٦٥ ـ ٤٧٠



الملحق

٢٤

الإرادة السلطانية

بشأن الإصلاح في البلاد العربية

نشرت صحف الآستانة يوم ٢٣ أغسطس [آب] الجاري الإرادة السلطانية الصادرة بتنفيذ ماقرره مجلس الوكلاء من التغيير الإداري في البلاد العربية ، وهذه ترجمتها :

نشرت صحف الآستانة يوم ٢٣ أغسطس الجاري الإرادة السلطانية الصادرة بتنفيذ ماقرره مجلس الوكلاء من التغيير الإداري في البلاد العربية ، وهذه ترجمتها :

« إن من وسائل الإصلاح الأساسية التي قرر مجلس الوكلاء تنفيذها والعمل بها :

١ ـ أن يعهد إلى مجالس الطوائف المحلية بإدارة أملاك ومعاهد الأوقاف المشروط صرف ريعها على الجهات الخيرية مع مراعاة شروط الواقفين والتزام نصوص القانون الخاص الذي باشرت الحكومة وضعه .

٢ ـ أن يؤدي الجنود خدمتهم الجندية في زمان السلم والأمن داخل دائرة التفتيش التي هم تابعون لها ، وإذا رأت الدولة أن الحال تقتضي بزيادة عدد

الجنود المحتشدة على جهة من جهات الحدود فللحكومة أن تحشد وتسوق كل صنف من أصناف العساكر من غير قيد ولا شرط ، وأما العساكر الذين تمس الحاجة الآن إلى إرسالهم إلى الحجاز واليمن وعسير ونجد وأمثال هذه الأقطار فيؤخذون من كل البلاد العثمانية بنسبة صحيحة .

٣ ـ لأجل الاطمئنان على حصول ماتحتاج إليه البلاد العربية بوجه خاص من وسائل الحضارة والعمران في الحاضر والمستقبل ، فإن من المفيد لذلك أن تكون لغة التعليم في مدارس تلك البلاد هي اللغة العربية ، ويبادر من الآن إلى التعليم بهذه اللغة في المدارس الابتدائية والثانوية مع جعل تعليم اللغة التركية إجبارياً ، وينظر من الآن في أسباب جعل التعليم العالي في المستقبل بالعربية في البلاد العربية ، ولكن لأجل تعميم اللسان الرسمي ينبغي أن يبقى التعليم بالتركية في المدارس الثانوية التي في مراكز الولايات .

٤ ـ يجب أن يلاحظ في تعيين الموظفين للبلاد العربية أن يكونوا عارفين اللغة العربية عدا اللغة الرسمية ، أما الموظفون الذين من الدرجة الثالثة فتعينهم الحكومة المحلية في الولايات على النهج المنصوص عليه في القوانين الخاصة بذلك ، وأما الذين يتوقف تعيينهم على صدور إرادة سنية فيناط تعيينهم بالحكومة المركزية في الآستانة .

على مجلس الوكلاء تنفيذ إرادتنا السنية هذه .

في ١٤ رمضان سنة ١٣٣١ هـ

محمد رشاد

المنار مج/١ ج/٩ ص/٧٢٠

☆ ☆ ☆

الملحق

٢٥

تركيا في بلاد العرب

عقد محرر جريدة (التايمز) الإنكليزية الشهيرة مقالة في مسألة شبه جزيرة العرب ترجمتها بالعربية جريدتا الهدى ومرآة الغرب الشهيرتين في نيويورك فأحببنا أن ننشر ترجمتها في المنار وهي :

اهتم الناس كل الاهتمام بالمأساة العظيمة التي تمثلت في شبه جزيرة البلقان حتى إنهم لم يكترثوا كثيراً للمعارك الصغيرة التي نشبت من مضي شهرين أو ثلاثة أشهر في بلاد العرب .

وقد كانت بلاد العرب من مضي عدة قرون أرضاً مجهولة مهجورة مرت حولها مجاري التاريخ البشري دون أن تتوغل فيها ، وهي شبه جزيرة كبرى واقعة بين ثلاث قارات كبرى تتكسر أمواج البحار العظمى على شواطئها من ثلاث جهات ، وكل سنة يسير على سواحلها العارية الجرداء عشرات الألوف من الناس ، ولكنها بالرغم من ذلك لا يعرف الناس عنها أكثر مما عرفوه عن آشور في أيام آشور بانيبال .

ولكننا نسمع بعض الأحيان من وراء كثبانها المحرقة أصداء ضعيفة عن قتال شديد ناشب هناك ، وترد على أسواق بومباي والقاهرة أخبار معارك شديدة بين محاربين مدرعين وجيوش تتاصع بالسيوف وتتطاعن بالذوابل وتتراشق بالسهام وتتقاتل في الليل ويقع بينها حصار وخروج وهجوم ومباغتة .

وهؤلاء الناس بالرغم من أنهم لا يزالون على بـداوتهم يتـأثرون بمجرى الشؤون الحـديثـة كما أثبتت الحوادث الأخيرة ، فلمـا انتصر البلغـاريـون على العثمـانيين في تراقية وأرجعوهم إلى خطوط شتالجة قال النـاس إن تركيـا تقـدر أن تنشئ مملكـة عثمانية مجددة في آسيا الصغرى ، وقد وافقهم على قولهم هـذا القليلون الـذين عرفوا الحقيقـة ولكنهم ارتـابـوا في مــا إذا كان الأتراك يقــدرون أن يـؤيــدوا سلطتهم المتداعية في أطراف بلاد العرب ، فلم تكد معاهدة الصلح توقع في لنـدن حتى ثـار العرب في أواسـط شبـه جزيرة العرب ، ولكن ثورتهم لم تكن منظمـة ، إذ لم تسر كتائب من الجنود المنظمة على الطرق الصحراوية بل وقع القتال بين ثلات قليلـة من فرسان العرب غير المـدربين على أسـاليب القتـال الحـديثـة وشراذم من الجنود العثمـانيين ذوي المـلابس الرثـة ، وقـد انتصر العرب في الشهر المــاضي على الجنـود العثمانيين وأخرجوهم من شرقي بلاد العرب ، وبذلك ذهبت فتوحات مدحت باشا المتقلقلـة في بلاد العرب وأصبحت الطرق الشرقيـة إلى مـدينتي الإسلام المقـدستين (مكة والمدينة) تحت رحمة زعماء العرب المنتصرين .

ولا يمكن القول بأن اندحار الأتراك في الحرب البلقانية أحدث هذه الحركة في بلاد العرب ، فإنها بدون تلك الحرب ممكن حدوثهـا ، لأن سيطرة الأتراك على بلاد العرب لم تكن قط قـائمـة على ركن منيع ، فمن مضي مئـة سنـة قـامت الحركـة الوهـابيـة في بلاد العرب ، واستولى الوهابيون الخارجون على الدين الإسلامي (؟) والخلافـة الإسلاميـة على أكثر جهات شبـه جزيرة العرب ، ونهبوا مكـة مقـدس المسلمين السنيين ، وكربلاء محجة الشيعيين ، وهددوا مدينة دمشق ، فعجز الأتراك عن إخمـاد ثورتهم ، فـاستعـانوا بمحمد علي باشا خديوي مصر فقمع من نخوتهم ، وأخمد الحركة الوهابية ، ومنـذ الغـارة المصرية الكبرى على بلاد العرب نال الهلال انتصارات قليلة في تلك البلاد حتى إن الخـط الحجـازي لم تستطع الحكومـة العثمـانيـة تـأمينـه إلا برشوة القبـائل العربيـة ، فـالخـط الحديدي الممتد إلى المدينة هو دائماً تحت خطر .

وقد نشبت بالأمس ثورة طال عهدها في ولاية العسير جنوبي مكة ، وثورة أخرى أعظم منها في ولاية اليمن ، ولا تزال نيران هاتين الثورتين كامنة تحت الرماد ، أنفق الأتراك كثيراً من المال والرجال على إخمادها فما نجحوا ، ولذلك أخذ مركز الأتراك في تلك البلاد يتداعى يوماً بعد آخر ، ورؤية جنودهم المغلوبة المنطرحة على متن باخرة إنكليزية في خليج بلاد فارس هي من الأدلة الكثيرة الراهنة على تداعي مكانتهم في شبه جزيرة العرب .

هذا وإن تجدد القوة العربية في شكلها الحاضر يرجع إلى عهد يزيد قليلاً عن عشر سنين ، أما مُنْشِئُها الحقيقي فهو مبارك بن الصباح أمير الكويت ذلك السياسي الشيخ والمحارب المنيع الجانب الذي ينبسط نفوذه على أكثر جهات بلاد العرب مع أنه لم يطمع بأرض خارجة عن حدود مسقط رأسه .

وبيان الأمر أن المصريين بعد أن أخمدوا الحركة الوهابية وأسقطوا أمراءها بني السعود ، انتقلت السيطرة على أواسط بلاد العرب إلى أيدي أمراء بني الرشيد الذين جعلوا عاصمتهم بلدة (حائل) في قلب شبه جزيرة العرب وحكموا هناك سبعين سنة وقد كانوا أقوياء الجانب أجرياء .

وفي أوائل القرن الحاضر كان أميرهم المقيم في حائل ذا مطامع تتجاوز قوته فدعا نفسه بـ (ملك بلاد العرب) ، وباشر الزحف على خليج فارس وهدد الكويت فخرج الأمير مبارك بن الصباح من عاصمة إمارته الصغيرة لملاقاته وقتاله فقاتله وانتصر عليه ، وتعقب رجاله المغلوبين حتى منتصف الطريق عبر بلاد العرب واستولى على حائل عاصمة ولايته ، وكان غرض الأمير مبارك من هذه الغارة تأديب ابن الرشيد فقط لا بسط حكمه على نجد ولذلك قفل راجعاً ، وعند رجوعه إلى الكويت أخذه ابن الرشيد على غرة ، فإنه جمع جموعه وباغت رجال الأمير مبارك ليلاً وهم يعبرون معبراً صخرياً وضربهم ضربة قاضية فقتل منهم

خلقاً كثيراً ، والـذين نجوا من الموت في هـذه المعركـة ترادف كل ثلاثـة منهم على متن جواد ووصلوا سالمين إلى الكويت .

غير أن الأمير مبارك كان شجاعـاً جريئـاً ، فـأضمر الشر لابن الرشيـد ودعـا أبنـاء أسرة السعود الوهـابيـة التي أسقطهـا المصريون وعـالهم وآواهم وأعطـاهم مـالاً وسلاحاً وأرسلهم إلى الصحراء العربية لاسترجاع مملكتهم المفقودة .

وكانت لابن الرشيـد عـاصمتـان الحـائـل في الشمال والريــاض في الجنـوب ، فزحف أحد شبان أسرة ابن السعود على الريـاض ، وكان يجمع الرجـال في مسيره حتى بلغ عـددهم ثلاثـة آلاف ، وقـد تـوقف بهم سرّاً في إحـدى القرى القريبـة من الرياض ، وهجم تحت الظلام الحالك على المدينة بخمسين فـارسـاً بـاسلاً لا يهـاب الموت .

وقـد وقعت هـذه الحـادثـة من مضي عشر سنين ، وبهـؤلاء الفرسـان الخمسين تجـددت ولايـة ابن السعود ، فـإنهم عنـد وصولهم إلى بـاب المـدينـة جعلـوا رئيس الحراس يفتحها لهم بخـدعـة حربيـة ، ولمـا دخلوا أعملوا المهـاميز في شواكل خيولهم واجتـازوا أسـواق المـدينـة بسرعـة البرق ، وهجمـوا على قصر الحـاكم ابن الرشيــد وذبحوه ، وعند انشقاق عمود الفجر دخل بقية رجالهم وجددوا الولاية الوهابيـة في تلـك الجهـة ، وقـد حصر ابن الرشيـد ثلاث سنين في مـدينـة حـائل ، ولكن ابن السعـود انتصر عليـه في آخر الأمر وقهره في إقليم قـاسم على منتصف الطريـق بين المدينتين .

أما المعركة الأخيرة التي نشبت بين رجـال ابن السعود من جهـة ورجـال ابن الرشيد وبعض الجنود العثمانية من جهة أخرى ، فقد أسفرت عن انتصـار الأولين ، وقتل ابن الرشيد بثلاثة سهام أصابه أحـدهـا في فخـذه فسمره بسرج جواده ، وقـد أبلى رجال ابن السعود في هذه المعركـة بلاءً حسنـاً ، فكانوا لا يرمون سهماً إلا بعـد معرفتهم أنهم سيصمون به رجلاً من أعدائهم .

وكانت نتيجة هذه المعركة أن ابن السعود صار مسيطراً على كل نجد وتمّ له ماأراد من مضي عهد طويل من إخراج الأتراك من بلاد العرب وإرجاعهم إلى سواحل خليج العجم ، ولكن انتصاره هذا لا يدل على تجدد الحركة الوهابية الحقيقية ، بل هو تجدد موقت لها ، كا أنه لا ينوي إعلان جهاد جديد لأن العالم لم يعد يرى بعد تياراً سريعاً من القوات الإسلامية متدفقاً من رمال بلاد العرب .

نعم إن عرب البادية هناك يتضامون ولكنهم غير متحدين اتحاداً يستطيعون به إيقاد حروب وفتوحات ، ولا تجول في صدورهم حمية دينية كافية لأن تمكنهم من إعلان جهاد جديد أو إرغام غير المسلمين بالقوة ، ولكن تجدد قوتهم يبطن خطراً على الأتراك ، ولذلك ترى أصدقاء تركيا المخلصين لها ينصحون لها بنية صافية أن تصالح ابن السعود الذي يعتقد أنه يميل إلى مفاوضة السلطان بطاعة واحترام ، فواحات الأحساء القليلة غير مفيدة لتركيا في حين أن علائقها الولائية بحاكم نجد تنفعها كثيراً ، والأمر الذي يهم تركيا أكثر من غيره في بلاد العرب هو أن تبقى لها السيطرة على مدينتي الإسلام المقدستين ، لتحفظ اعتبارها وهي صاحبة الخلافة الإسلامية في عيون المسلمين ، وخير ما يساعدها على إدراك غايتها هذه هو اتفاقها مع ابن السعود .

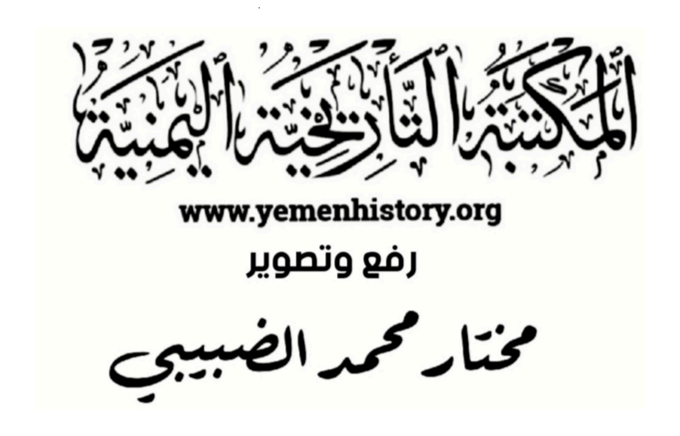
وكان من الواجب عليها أن تكف عن إرسال الجنود إلى اليمن ، وتنشئ لها علائق ولائية مع إمام صنعاء ، على قاعدة أن تسلطه على تلك الولاية تحت سيادتها ، وكذلك يجب عليها أن تنهي ثورة العسير بهذه الصورة فتسلط الإدريسي على تلك الولاية تحت سيادتها أيضاً . وبهذه الطريقة تكتفي مؤونة إرسال كثير من المال والرجال إلى تلك البلاد على غير فائدة ، ولا تخسر حقوقاً أرضية لا ينازعها إياها منازع في الوقت الحاضر ، وتستطيع بعد أن يهدأ بالها من جهة العرب أن تنصرف كل الانصراف إلى المهام الحيوية التي لاتزال تنتظرها في آسيا الصغرى . اهـ .

(المنار) خير ما في هذه المقالة خاتمتها ، فهو النصح الخالص للدولة العثمانية الذي سبقنا إليه غير مرة (وقد يستفيد الظنة المتنصح) ، والقسم التاريخي منها يشوبه شيء من الخطأ كقوله : إن الوهابيين كانوا خارجين على الدين الإسلامي والخلافة ، فهذا خطأ فهم مسلمون متشددون في التمسك بالإسلام ، وجل ما عزي إليهم من الشذوذ كذب افترته السياسة ، وبعضه من الخطأ الذي اقتضته طبيعة القتال لا تعاليم المذهب . وكقوله : إن مكة مقدس أهل السنة ومحجهم ، وكربلاء محج الشيعة ، والصواب : أن مكة هي محج جميع المسلمين ، وأما كربلاء فليست محجاً واجباً لأحد ، ولكن يزورها الشيعة كثيراً وغيرهم قليلاً ، وما ذكره الكاتب من أن ابن سعود وإمام اليمن والإدريسي كلهم يودون الاستقلال في بلادهم تحت سيادة الدولة صحيح ، وأصح منه قولاً ونصحاً قوله : إن الواجب على الدولة أن تترك قتالهم ، وتعطيهم استقلالهم ، ولكن هل يعقل هذا رجال الآستانة ويعملون به ؟ الله أعلم .



المنار مج١٦/ج١٠/ص٧٧٣-٧٧٦

☆ ☆ ☆



الملحق

٢٦

صفات الباري تعالى

تحقيق الحق في مذاهب السلف واختلاف الخلف فيها

فتوى للإمام الشوكاني رحمه الله تعالى

اعلم أن الكلام في الآيات والأحاديث الواردة في الصفات قد طالت ذيوله ، وتشعبت أطرافه ، وتباينت فيه المذاهب ، وتفاوتت فيه الطرائق ، وتخالفت النحل . وسبب هذا عدم وقوف المنتسبين إلى العلم حيث أوقفهم الله ، ودخولهم في أبواب لم يأذن الله لهم بدخولها ، ومحاولتهم لعلم شيء استأثر الله بعلمه ، حتى تفرقوا فرقاً ، وتشعبوا شعباً ، وصاروا أحزاباً ، وكانوا في البداية ومحاولة الوصول إلى ما يتصورونه من العامة مختلفي المقاصد ، متبايني المطالب .

فطائفة وهي أخف هذه الطوائف المتكلفة علم مالم يكلفها الله سبحانه بعلمه إثماً ، وأقلها عقوبةً وجرماً ، وهي التي أرادت الوصول إلى الحق والوقوف على الصواب ، لكن سلكت في طلبه طريقة متوعرة ، وصعدت في الكشف عنه إلى عقبة كؤود ، لا يرجع من سلكها سالماً فضلاً عن أن يظفر فيها بمطلوب صحيح . ومع هذا أصّلوا أصولاً ظنوها حقاً ، فدفعوا بها آيات قرآنية ، وأحاديث صحيحة نبوية ، واعتلوا في ذلك الدفع بشبهة واهية ، وحالات مختلفة .

وهؤلاء هم طائفتان : الطائفة الأولى هي الطائفة التي غلت في التنزيه فوصلت إلى حد يقشعر عنده الجلد ، ويضطرب له القلب ، من تعطيل الصفات

الثابتة بالكتاب والسنة ثبوتاً أوضح من شمس النهار ، وأظهر من فلق الصباح ، وظنوا هذا من صنيعهم موافقاً للحق ، مطابقاً لما يريده الله سبحانه ، فضلوا الطريق المستقيمة وأضلوا من رام سلوكها .

والطائفة الأخرى هي الطائفة التي غلت في إثبات القدرة غلواً بلغ إلى حدّ أنه لاتأثير لغيرها ، ولا اعتبار بما سواها ، وأفضى ذلك إلى الجبر المحض ، والقسر الخالص ، فلم يبقَ لبعثة الرسل وإنزال الكتب كبير فائدة ، ولا يعود ذلك على عباده بعائدة ، وجاؤوا بتأويلات للآيات البينات ، ومحاولات لحجج الله الواضحات ، فكانوا كالطائفة الأولى في الضلال والإضلال ، مع أن كلا القصدين صحيح ، ووجه كل منهما صبيح ، لولا ماشأنه من الغلو القبيح .

وطائفة توسطت[1] ورامت الجمع بين الضب والنون ، وظنت أنها قد وقفت بمكان بين الإفراط والتفريط ، ثم أخذت كل طائفة من هذه الطوائف الثلاث تجادل وتناضل وتحقق وتدقق في زعمها ، وتجول على الأخرى وتصول بما ظفرت به مما يوافق ماذهبت إليه ، وكل حزب بما لديهم فرحون ، وعند الله تلتقي الخصوم .

ومع هذا فهم متفقون فيما بينهم على أن طريق السلف أسلم ، ولكن زعموا أن طريق الخلف أعلم ، فكان غاية ماظفروا به من هذه الأعلمية بطريق الخلف أن تمنى محققوهم وأذكياؤهم في آخر أمرهم دين العجائز ، وقالوا : هنيأ للعامة ! فتدبر هذه الأعلمية التي كان حاصلها أن يهنأ من ظفر لأهل الجهل (؟) البسيط ، ويتمنى أنه في عدادهم ، وممن تدين بدينهم ، ويمشي على طريقتهم ، فإن هذا ينادي بأعلى صوت ، ويدل بأوضح دلالة ، على أن هذه الأعلمية التي طلبوها الجهلُ خير منها بكثير . فما ظنك بعلم يقرُّ صاحبه على نفسه أن الجهل خير منه ، ويتمنى عند البلوغ إلى غايته ، والوصول إلى نهايته ، أن يكون جاهلاً به ، عاطلاً عنه ؟ ففي

(١) هي فرقة الأشعرية التي توسطت بين المعتزلة والجبرية السابق ذكرهما .

هذا عبرة للمعتبرين ، وآية بيّنة للناظرين ، فهلا عملوا على جهل هذه المعارف التي دخلوا فيها بادئ بدء ، وسلموا من تبعاتها ، وأراحوا أنفسهم من تعبها ، وقالوا كما قال القائل :

رأى الأمر يفضي إلى آخر فصير آخره أولا

وربحوا الخلوص من هذا التمني والسلامة من هذه التهنئة للعامة ! فإن العاقل لا يتمنى رتبة مثل رتبته أو دونها ، ولا يهنئ لمن هو مثله أو دونه ، بل لا يكون ذلك إلا لمن رتبته أرفع من رتبته ، ومكانه أعلى من مكانه ، فيالله العجب من علم يكون الجهل البسيط أعلى رتبة منه ، وأفضل مقداراً بالنسبة إليه ! وهل سمع السامعون بمثل هذه الغريبة أو نقل الناقلون ما يماثلها أو يشابهها .

وإذا كان حال هذه الطائفة[1] التي قد عرفناك أنها أخف الطوائف تكلفاً ، وأقلها تبعة ، فما ظنك بما عداها من الطوائف التي قد ظهر فساد مقاصدها ، وتبين بطلان مواردها ومصادرها ، كالطوائف التي أرادت بالمظاهر التي تظاهرت به كياد الإسلام وأهله ، والسعي في التشكيك فيه ، بإيراد الشبه وتقرير الأمور المفضية إلى القدح في الدين وتنفير أهله عنه[2] .

وعند هذا تعلم أن خير الأمور السالفات على الهدى ، وشر الأمور المحدثات البدائع[3] ؛ وأن الحق الذي لا شك فيه ولا شبهة ، هو ما كان عليه خير القرون ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ، وقد كانوا رحمهم الله تعالى وأرشدنا إلى الاقتداء بهم ، والاهتداء بهديهم ، يمرون آيات الصفات على ظاهرها ، ولا يتكلفون علم

---

(١) الأشعرية .

(٢) هذا وصف طوائف الباطنية كالإسماعيلية والبابية .

(٣) هذا بيت شعر أوله : وخير الأمور إلخ . جعله نثراً .

مـا لا يعلمـون ، ولا يحرفـون ولا يـؤوّلـون ، وهـذا المعلـوم من أقـوالهم وأفعـالهم ، والمتقرر من مـذاهبهم ، لا يشـك فيـه شـاكّ ، ولا ينكره منكر ، ولا يجـادل فيـه مجـادل ، وإن نـزغ من بينهم نـازغ ، أو نجم في عصرهم نـاجم ، أوضحـوا للنـاس أمره ، وبينوا لهم أنه على ضلالة ، وصرحوا بذلـك في المجـامع والمحـافل ، وحـذروا الناس من بدعته ، كما كان منهم لما ظهر معبد الجهني وأصحابه وقـالوا : « إن الأمر أنف »[1] فتبرؤوا منه ، وبينوا ضلالته ، وبطلان مقالته للنـاس ؛ فحـذروه ، إلا من ختم الله على قلبه ، وجعل على بصره غشاوة .

وهكـذا كان من بعـدهم يوضح للنـاس بطلان أقوال أهـل الضـلال ويحـذرهم منها ، كما فعله التابعون رحمهم الله بالجعد بن درهم ومن قال بقولـه وانتحل نحلتـه الباطلة[2] .

ثم ما زالوا هكذا لا يستطيع المبتـدع في الصفـات أن يتظـاهر ببـدعتـه ، بل يتكتمون بهـا كما يتكتم الزنـادقـة بكفرهم ، وهكـذا سـائر المبتـدعين في الـدين على اختلاف البدع وتفاوت المقالات الباطلة .

ولكننا نقتصر ها هنا على الكلام في هذه المسـألـة التي ورد السؤال عنهـا وهي مسألة الصفات وما كان من المتكلفين علم مـا لم يـأذن الله بـأن يعلموه ، وبيـان أن إمرار آيـات الصفـات على ظـاهرهـا هـو مـذهب السلف الصـالـح من الصحـابـة والتـابعين وتـابعيهم ، وأن كل من أراد من نـزاغ المتكلفين ، وشـذاذ المحرفين المتأولين ، أن يظهر مـا يخـالف المرور على ذلـك الظـاهر ، قـاموا عليـه وحـذروا الناس منه ، وبينوا لهم أنه على خلاف ما عليه أهل الإسلام .

---

(١) أنف بضمتين أي مستأنف جديد . يعني أن أفعال البـاري تعـالى ليست بقـدر سـابق ، ولا نظـام اقتضته الحكمة ، وإنما يبتدئ كل فعل ابتداءً ، وهم القدرية ؛ أي منكرو القدر .

(٢) هم الجهمية منكرو الصفات الإلهية .

فصار المبتدعون في الصفات ، القائلون بأقوال تخالف ماعليه السواد الأعظم من الصحابة والتابعين ، وتابعيهم في خبايا وزوايا لا يتصل بهم إلا مغرور ، ولا ينخدع بزخارف أقوالهم إلا مخدوع ، وهم مع ذلك على تخوف من أهل الإسلام ، وترقب لنزول مكروه بهم من حماة الدين ، من العلماء الهادين ، والرؤساء والسلاطين ، حتى نجم ناجم المحنة ، وبرق بارق الشر من جهة الدولة ، ومن لهم في الأمر والنهي والإصدار والإيراد أعظم صولة ، وذلك في الدولة المأمونية بسبب قاضيها أحمد بن أبي دؤاد ، فعند ذلك أطلع المنكمشون في تلك الزوايا رؤوسهم ، وانطلق ماكان قد خرس من ألسنتهم ، وأعلنوا مذاهبهم الزائغة ، وبدعهم المضلة ، ودعوا الناس إليها ، وجادلوا عنها وناضلوا المخالفين لها ، حتى اختلط المعروف بالمنكر ، واشتبه على العامة الحق بالباطل والسنة بالبدعة .

ولما كان الله سبحانه قد تكفل بإظهار دينه على الدين كله وحفظه عن التحريف والتغيير والتبديل ، أوجد من علماء الكتاب والسنة لهم في كل عصر من العصور من يبين للناس دينهم ، وينكر على أهل البدع بدعهم ، فكان لهم - ولله الحمد - المقامات المحمودة ، والمواقف المشهودة ، في نصر الدين ، وهتك المبتدعين .

وبهذا الكلام القليل الذي ذكرناه تعرف أن مذهب السلف من الصحابة والتابعين وتابعيهم **هو إمرار آيات الصفات على ظاهرها** ، من دون تحريف لها ، **ولا تأويل متعسف لشيء منها ، ولا جبر ولا تشبيه ولا تعطيل** ، يفضي إليه كثير من التأويل ، وكانوا إذا سأل سائل عن شيء من الصفات تلوا عليه الدليل ، وأمسكوا عن القال والقيل ، وقالوا : قال الله هكذا ولا ندري بما سوى ذلك ، ولا نتكلف ولا نتكلم بما لم نعلمه ولا أذن الله لنا بمجاوزته ، فإن أراد السائل أن يظفر منهم بزيادة على الظاهر زجروه عن الخوض فيما لا يعنيه ، ونهوه عن طلب ما لا يمكن الوصول إليه ، إلا بالوقوع في بدعة من البدع التي هي غير ماهم عليه ،

وما حفظوه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وحفظه التابعون عن الصحابة ، وحفظه من بعد التابعين عن التابعين .

وكان في هذه القرون الفاضلة ، الكلمة في الصفات متحدة ، والطريقة لهم جميعاً متفقة ، وكان اشتغالهم بما أمرهم الله بالاشتغال به ، وكلفهم القيام بفرائضه ، من الإيمان بالله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والصيام والحج والجهاد ، وإنفاق الأموال في أنواع البر ، وطلب العلم النافع ، وإرشاد الناس إلى الخير على اختلاف أنواعه ، والمحافظة على موجبات الفوز بالجنة والنجاة من النار ، والقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والأخذ على يد الظالم بحسب الاستطاعة ، وبما تبلغ إليه القدرة ، ولم يشتغلوا بغير ذلك مما لم يكلفهم الله بعلمه ، ولا تعبدهم بالوقوف على حقيقته ؛ فكان الدين إذ ذاك صافياً عن كدر البدع ، خالصاً عن شوب قذر التمذهب .

فعلى هذا النمط كان الصحابة والتابعون وتابعوهم ، وبهدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اهتدوا ، وبأفعاله وأقواله اقتدوا ، فمن قال : إنهم تلبسوا بشيء من هذه المذاهب الناشئة في الصفات أو غيرها ، فقد أعظم عليهم الفرية ، وليس بقبول في ذلك ؛ فإن نقول الأئمة المطلعين على أحوالهم العارفين بها الآخذين لها عن الثقات الأثبات ، ترد عليه وعليهم وتدفع في وجهه .

يعلم ذلك كل من له علم ، ويعرفه كل عارف ، فاشدد يديك على هذا ، واعلم أنه مذهب خير القرون ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، ودع عنك ماحدث من تلك التمذهبات في الصفات ، وأرح نفسك من تلك العبارات التي جاء بها المتكلمون واصطلحوا عليها ، وجعلوها أصلاً يرد إليه كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، فإن وافقاها فقد وافقا الأصول المقررة في زعمهم ، وإن خالفاها فقد خالفا الأصول المقررة في زعمهم ، ويجعلون الموافق لها

من قسم المقبول والمحكم ، والمخالف لها من قسم المردود والمتشابه ؛ ولو جئت بألف آية واضحة الدلالة ظاهرة المعنى ، أو ألف حديث مما ثبت في الصحيح ، لم يبالوا به ولا رفعوا إليه رؤوسهم ، ولا عدوه شيئاً . ومن كان منكراً لهذا فعليه بكتب هذه الطوائف المصنفة في علم الكلام ، فإنه سيقف على الحقيقة ويسلم هذه الجملة ولا يتردد فيها .

ومن العجب العجيب ، والنبأ الغريب ، أن تلك العبارات الصادرة عن جماعة من أهل الكلام ، التي جعلها من بعدهم أصولاً ، لا مستند لها إلا مجرد الدعوى على العقل والفرية على الفطرة . وكل فرد من أفرادها تنازعت فيه عقولهم ، وتخالفت فيه إدراكاتهم ، فهذا يقول : حكم العقل في هذا كذا ، وهذا يقول : حكم العقل في هذا كذا ، ثم يأتي بعدهم من يجعل ذلك الذي يعقله من يقلده ويقتدي به أصلاً يرجع إليه ، ومعياراً لكلام الله وكلام رسوله ، يقبل منها ما وافقه ويرد ما خالفه . فيالله ويا للمسلمين ويا للعلماء الدين ! من هذه الفواقر الموحشة التي لم يصب الإسلام وأهلها بمثلها ؟

وأغرب من هذا ، وأعجب ، وأشنع ، وأفظع ، أنهم بعد أن جعلوا هذه التعقلات التي تعقلوها ـ على اختلافهم فيها ، وتناقضهم في معقولاتها ـ أصولاً ترد إليها أدلة الكتاب والسنة ، جعلوها أيضاً معياراً لصفات الرب سبحانه ، فما تعقله هذا من صفات الله قال به جزماً ، وما تعقله خصمه منها قطع به . فأثبتوا لله الشيء ونقيضه ، استدلالاً بما حكمت به في صفات الله عقولهم الفاسدة وتناقضت في شأنه ، ولم يلتفتوا إلى ما وصف الله به نفسه : ووصفه به رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، بل إن وجدوا ذلك موافقاً لما تعقلوه جعلوه مؤيداً له ومقوياً ، وقالوا : قد ورد دليل السمع ، مطابقاً لدليل العقل ؛ وإن وجدوه مخالفاً لما تعقلوه جعلوه وارداً على خلاف الأصل ، ومتشابهاً وغير معقول المعنى ، ولا ظاهر الدلالة ، ثم قابلهم المخالف لهم بنقيض قولهم ، فافترى على عقله ، بأنه قد تعقل

خلاف ماتعقله خصمه ، وجعل ذلك أصلاً يرد إليه أدلة الكتاب والسنـة ، وجعل المتشابه عند أولئك محكماً عنده ، والمخالف لدليل العقل عندهم موافقاً له عنده .

فكان حاصل كلام هؤلاء أنهم يعلمون من صفات الله مـا لا يعلمـه ، وكفـاك بهذا وليس بعده شيء ؛ وعنده يتعثر القلم حياء من الله عز وجل .

وربما استبعد هذا مستبعد ، واستكبره مستكبر ، وقـال : إن في كلامي هـذا مبالغةً وتهويلاً ، وتشنيعاً وتطويلاً ، وإن الأمر أيسر من أن يكون حاصلـه هـذا الحاصل الذي ذكرت ، وثمرته مثل هذه الثمرة التي أشرت إليها . فأقول : خذ جملة البلوى ودع تفصيلها ، واسمع ما يصك سمعك ، ولولا هذا الإلحاح منك مـا سمعتـه ولا جرى القلم بمثله .

هـذا أبو علي[1] وهو رأس من رؤوسهم ، وركن من أركانهم ، وأسطـوانـة من أساطينهم ، قد حكى عنه الكبار منهم ، وآخر من حكى ذلك عنه صـاحـب (شرح القلائد) يقول : والله لا يعلم الله من نفسه إلا ما يعلم هو !! فخذ هـذا التصريح ، حيث لم تكتف بـذلـك التلـويـح ، وانظر هـذه الجرأة على الله التي ليس بعـدهـا جرأة ، فيا لأم أبي علي الويل ! أينهق بمثل هذا النهيق ، ويـدخل نفسـه في هـذا المضيـق ؟ وهـل سمـع السـامعـون بيمين أفجر من هـذا اليمين الملعـونـة ؟ أو نقـل الناقلون كلمة تقارب معنى هذه الكلمـة المفتونـة ؟ أو بلغ مفتخر إلى مـا بلغ إليـه هذا المختال الفخور ؟ أو وصل من يفجر في إيمـانـه إلى مـا يقـارب هـذا الفجور ؟ وكل عاقل يعلم أن أحدنا لو حلف أن ابنه أو أباه لا يعلم من نفسه إلا مـا يعلمـه هو

---

(١) يعني الجبائي ، وإنما جاء بالشاهـد من قول المعتزلـة لفظـاعتـه ، ولأن أهل وطنـه (اليمن) من الزيدية لا يزالون يأخذون بأقوالهم ، وما من فرقة من الفرق إلا ولهـا شـذوذ في هـذه المسـائل ، حتى لم يسلم منه من سمّوا أنفسهم الأثرية أو الحنابلة ، فإن منهم من بالغ في الرد على غيره ، حتى قال مالم يقله سلفه ، وكذلك الأشعرية الذين حاولوا الجمع بين المأثور والمنقول .

لكان كاذباً في يمينه فاجراً فيها ، لأن كل فرد من أفراد الناس ينطوي على صفات وغرائز لا يحب أن يطلع عليها غيره ، ويكره أن يقف على شيء منها سواه ، ومن ذا الذي يدري بما يجول في خاطر غيره ويستكن في ضميره ؟ ومن ادعى علم ذلك وأنه يعلم من غيره من بني آدم ما يعلمه ذلك الغير من نفسه ، ولا يعلم ذلك الغير من نفسه إلا ما لا يعلمه هذا المدعي ؛ فهو إما مصاب العقل ، يهذي بما لا يدري ويتكلم بما لا يفهم ، أو كاذب شديد الكذب عظيم الافتراء ، فإن هذا أمر لا يعلمه غير الله سبحانه ، فهو الذي يحول بين المرء وقلبه ، ويعلم ما توسوس به نفسه ؛ وما يسر عباده وما يعلنون ، وما يظهرون وما يكتمون ، كما أخبرنا بذلك في كتابه العزيز في غير موضع ، فقد خاب وخسر من أثبت لنفسه من العلم ما لا يعلمه إلا الله سبحانه من عباده ، فما ظنك بمن تجاوز هذا وتعداه وأقسم بالله أن الله لا يعلم من نفسه إلا ما يعلمه هو ؟ ولا يصح لنا أن نحمله على اختلال العقل ؟ فلو كان مجنوناً لم يكن رأساً يقتدي بقوله جماعات من أهل عصره ومن جاء بعده ، وينقلون كلامه في الدفاتر ويحكون عنه في مقامات الاختلاف .

ولعل أتباع هذا ومن يقتدي بمذهبه لو قال لهم قائل وأورد عليهم مورد قول الله عز وجل : ﴿ وَلا يُحيطُونَ بِهِ عِلْماً ﴾ ، وقوله : ﴿ وَلاَ يُحيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إلاّ بِمَا شَاءَ ﴾ ، وقال لهم : هذا يرد ما قاله صاحبهم ، ويدل على أن يمينه هذه فاجرة مفتراة ـ لقالوا : هذا ونحوه مما يدل دلالته ويفيد مفاده من المتشابه الوارد على خلاف دليل العقل المدفوع بالأصول المقررة .

وبالجملة فإطالة ذيول الكلام في مثل هذا المقام إضاعة للأوقات ، واشتغال بحكاية الخرافات المبكيات لا المضحكات ؛ وليس مقصودنا هاهنا إلا إرشاد السائل إلى أن المذهب الحق في الصفات هو إمرارها على ظاهرها من دون تأويل ولا تحريف ، ولا تكلف ولا تعسف ، ولا جبر ولا تشبيه ولا تعطيل ، وإن ذلك هو مذهب السلف الصالح الصحابة والتابعين وتابعيهم .

فإن قلت : وماذا تريد بالتعطيل في مثل هذه العبارات التي تكرّرها : فإن أهل المذاهب الإسلامية يتنزهون عن ذلك ويتحاشون عنه ، ولا يصدق معناه ويوجد مدلوله إلا في طائفة من طوائف الكفار ، وهم المنكرون للصانع قلت : ياهذا إن كنت ممن له إلمام بعلم الكلام ، الذي اصطلح عليه طوائف من أهل الإسلام فإنه لا محالة قد رأيت ما يقوله كثير منهم ، ويذكرونه في مؤلفاتهم ، ويحكونه عن أكابرهم ، أن الله سبحانه وتعالى وتقدس لا هو جسم ولا جوهر ولا عرض ولا داخل العالم ولا خارجه[1] فأنشدك الله أي عبارة تبلغ مبلغ هذه العبارة في النفي ؟ وأي مبالغة في الدلالة على هذا النفي تقوم مقام هذه المبالغة ؟ فكان هؤلاء في فرارهم من شبهة التشبيه إلى هذا التعطيل ، كما قال القائل :

فكنت كالساعي إلى مثعب   موائلاً من سبل الراعد[2]

أو كالمستجير من الرمضاء بالنار ، والهارب من لسعة الزنبور إلى لدغة الحية ، أو من قرصة النملة إلى قضمة الأسد .

وقد كان يغني هؤلاء وأمثالهم من المتكلمين المتكلفين كلمتان من كتاب الله تعالى وصف بهما نفسه ، وأنزلهما على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، وهما : ﴿ وَلاَ يُحيطُونَ بِهِ عِلْماً ﴾ ، و ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ ﴾ فإن هاتين الكلمتين قد اشتملتا على فصل الخطاب ؛ وتضمنتا ما يغني أولي الألباب ، السالكين في تلك الشعاب والهضاب ، الصاعدين في متوعرات هاتيك العقاب .

---

(١) قولهم هذا له تتة وهي : ولا هو متصل به ولا هو منفصل عنه ، ولا مباين له ولا محايث له ، ولا هو فينا ولا خارج عنا .

(٢) المثعب : المكان الذي يتفجر منه الماء المجتمع في حوض ونحوه . والموائل : اللاجئ إلى مأمن يأمن به من ضر أو شر يخافه . والمعنى : فكنت كالهارب من مطر يخافه إلى سيل متفجر يجرفه . ولعل (سبل) محرفة عن (سيلة) .

فالكلمة الأولى منها دلت دلالة بينة على أن كل ماتكلم به البشر في ذات الله وصفاته على وجه التدقيق ، ودعاوي التحقيق ، فهو مشوب بشعبة من شعب الجهل ، مخلوط بخلوط هي منافية للعلم مباينة له ، فإن الله سبحانه قد أخبرنا أنهم لا يحيطون به علماً ، فمن زعم أن ذاته كذا أو صفته كذا ؛ فلا شك أن صحة ذلك متوقفة على الإحاطة ، وقد نفيت عن كل فرد ، لأن هذه القضية هي في قوة : لا يحيط به فرد من الأفراد علماً ، فكل قول من أقوال المتكلفين صادر عن جهل ، إما من كل وجه أو من بعض الوجوه ، وما صدر عن جهل فهو مضاف إلى جهل ، ولا سيا إذا كان في ذات الله وصفاته ، فإن في ذلك من المخاطرة بالدين مالم يكن في غيره من المسائل ، وهذا يعلمه كل ذي علم ويعرفه كل عارف ، ولم يحظَ بفائدة هذه الآية ويقف عندها ويقتطف من ثمارها ، إلا الممرون للصفات على ظاهرها ، المريحون أنفسهم عن التكلفات والتعسفات ، والتأويلات والتحريفات ، وهم السلف الصالح كما عرفت ، فهم الذين اعترفوا بعدم الإحاطة وأوقفوا أنفسهم حيث أوقفها الله . وقالوا : الله أعلم بكيفية ذاته ، وماهية صفاته ، بل العلم كله له : وقالوا كما قال من قال ، ممن اشتغل بطلب هذا المحال ، فلم يظفر بغير القيل والقال :

العلم للرحمن جل جلاله ... وسواه في جهلاته يتغمغم
ما للتراب وللعلوم وإنما ... يسعى ليعلم أنه لا يعلم

بل اعترف كثير من هؤلاء المتكلفين بأنه لم يستفد من تكلفه وعدم قنوعه بما قنع به السلف الصالح إلا مجرد الحيرة التي وجد عليها غيره من المتكلفين ، فقال :

وقد طفت في تلك المعاهد كلها ... وسرّحت طرفي بين تلك المعالم
فلم أرَ إلا واضعاً كف حائر ... على ذقن أو قارعاً سنَّ نادم

☆ ☆ ☆

وهاأنا(ذا) أخبرك عن نفسي ، وأوضح لك ما وقعت فيه في أمسي ، فإني أيام الطلب وعنفوان الشباب ، شغلت بهذا العلم الذي سموه تارة علم الكلام ، وتارة علم التوحيد ، وتارة علم أصول الدين ؛ وأكببت على مؤلفات الطوائف المختلفة منهم ، ورمت الرجوع بفائدة ، والعود بعائدة ، فلم أظفر من ذلك بغير الخيبة والحيرة ؛ وكان ذلك من الأسباب التي حببت إليّ مذهب السلف ، على أني كنت من قبل ذلك عليه ، ولكن أردت أن أزداد فيه بصيرة وبه شغفاً ، وقلت عند النظر في تلك المذاهب :

وغاية ما حصلته من مباحثي ... ومن نظري من بعد طول التدبر

هو الوقف ما بين الطريقين حيرة ... فما علم من لم يلق غير التحير

على أنني قد خضت منه غماره ... وما قنعت نفسي بدون التبحر



وأما الكلمة الثانية وهي : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ فبها يستفاد نفي المماثلة في كل شيء ، فيدفع بهذه الآية في وجه المجسمة ، ويعرف به الكلام عند وصفه سبحانه بالسميع والبصير ، وعند ذكر السمع والبصر واليد والاستواء ونحو ذلك مما اشتمل عليه القرآن والسنة ، فيتقرر بذلك الإثبات لتلك الصفات ، لا على وجه المماثلة والمشابهة للمخلوقات ، فيندفع به جانبي[1] الإفراط والتفريط ، وهما المبالغة في الإثبات المفضي إلى التجسيم ، والمبالغة في النفي المفضي إلى التعطيل ، فيخرج من بين الجانبين ، وغلو الطرفين ، حقية مذهب السلف الصالح . وهو قولهم بإثبات ما أثبت لنفسه من الصفات على وجه لا يعلمه إلا هو ، فإنه القائل : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ .

(١) كذا والصواب (جانبا) لأنه فاعل يندفع ، إلا أن يكون في الكلام نقص سقط به فاعل (يندفع) .

ومن جملة الصفات التي أمرّها السلف على ظاهرها وأجروها على ماجاء به القرآن والسنة من دون تكلف ولا تأويل ، صفة الاستواء التي ذكرها السائل ، فإنهم يقولون : نحن نثبت ماأثبته الله لنفسه ، من استوائه على عرشه ، على هيئة لا يعلمها إلا هو ، وفي كيفية لا يدري بها سواه[1] ولا نكلف أنفسنا غير هذا ، فليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ، ولا يحيط عباده به علماً .

وهكذا يقولون في مسألة الجهة التي ذكرها السائل وأشار إلى بعض مافيه دليل عليها ، والأدلة في ذلك طويلة كثيرة في الكتاب والسنة ، وقد جمع أهل العلم منها - لا سيما أهل الحديث - مباحث طوّلوها بذكر آيات قرآنية وأحاديث صحيحة ، وقد وقفت من ذلك على مؤلف بسيط في مجلد جمعه مؤرخ الإسلام الحافظ الذهبي استوفى فيه كل مافيه دلالة على الجهة من كتاب أو سنة أو قول صاحب[2] والمسألة أوضح من أن تلتبس على عارف ، وأبين من أن يحتاج فيها إلى التطويل ، ولكنها لما وقعت فيها تلك القلاقل والزلازل الكائنة بين بعض الطوائف الإسلامية ، كثر الكلام فيها وفي مسألة الاستواء وطال ، خصوصاً بين الحنابلة وغيرهم من أهل المذاهب . فلهم في ذلك تلك الفتن الكبرى ، والملاحم العظمى ، وما زالوا هكذا في عصر بعد عصر .

والحق هو ماعرفناك من مذهب السلف الصالح : فالاستواء على العرش والكون في تلك الجهة ، قد صرح به القرآن الكريم في مواطن يكثر حصرها ،

---

(١) إنما يذكر لفظ الهيئة والكيفية في هذا المقام كما يذكر لفظ الصفة ، بناءً على أن ما يستعمل في الكلام عن الباري تعالى من الألفاظ إنما يشار بها إشارة إلى المعنى الشريف الذي يعرفه الخلق من أنفسهم مع نفي التشبيه والتمثيل من كل وجه بناءً على ماثبت من التنزيه عقلاً ونقلاً ، ومن العلماء من يعبر عن مذهب السلف بنفي الكيف لا بإثباته مع نفي العلم به ، وهو ماعبروا عنه بالبلكفة المنحوتة من قولهم : بلا كيف .

(٢) قد طبع هذا الكتاب في مطبعة المنار ، وفيه أيضاً مانقل عن أشهر علماء السلف ومن بعدهم من كبار الفقهاء والمتكلمين في إثبات الصفات .

ويطول نشرها ، وكذلك صرح به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في غير حديث ، بل هذا مما يجده كل فرد من أفراد المسلمين في نفسه ، ويحسه في فطرته ، وتجذبه إليه طبيعته ، كما تراه في كل من استغاث بالله سبحانه ، والتجأ إليه ووجه أدعيته إلى جنابه الرفيع ، وعزه المنيع ، فإنه يشير عند ذلك بكفه ، أو يرمي إلى السماء بطرفه ، ويستوي في ذلك عند عروض أسباب الدعاء ، وحدوث بواعث الاستغاثة ، ووجود مقتضيات الانزعاج ، وظهور دواعي الالتجاء ، عالم الناس وجاهلهم ، والماشي على طريقة السلف ، والمقتدي بأهل التأويل ، القائلين بأن الاستواء هو الاستيلاء ـ كما قاله جمهور المتأولين ـ أو الإقبال ـ كما قاله أحمد بن يحيى ثعلب والزجاج والفراء وغيرهم ـ أو كناية عن الملك والسلطان[1] ـ كما قاله آخرون ـ فالسلامة والنجاة في إمرار ذلك على الظاهر والإذعان بالاستواء والكون[2] على مانطق به الكتاب والسنة من دون تكييف ولا تكلف ولا قيل ولا قال ، ولا فضول في شيء من القال ، فمن جاوز هذا المقدار بإفراط أو تفريط فهو غير مقتدٍ بالسلف ولا واقف في طريق النجاة ،

---

(١) هذا القول لا ينافي إمرار اللفظ على ظاهره ، والتسليم باستواء يليق بالرب ويفوض إليه علم كنهه ، لأن الكناية لاتنافي الحقيقة كما ينافيها المجاز عند الجمهور المانعين من جمعه معها . فذكر الاستواء في القرآن في سياق خلق السموات والأرض يفيد معنى القيام بأمر الملك وتدبيره ، وصرح به في سورة يونس فقال : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ ﴾ [سورة ١٠ / الآية ٣] ، وهذا المعنى هو الذي يتبادر إلى فهم كل عربي قحّ من كلمة استوى فلان على عرش الروم أو الفرس مثلاً . فهو لا يفكر عند سماع الكلمة في كيفية الكرسي الخاص بملك تلك البلاد ، ولا في كيفية جلوس الملك عليه ، وإنما يفكر في المراد من هذا التعبير ، ولو أن خادماً من خدم قصر الملك جلس على عرشه عند تنظيف الحجرة التي هو فيها لا يقال فيه إنه استوى على عرش تلك المملكة . فإذا قلنا إنه ينبغي لنا في تدبر آيات الاستواء على العرش أن نفكر في لازم الاستواء ، وهو الانفراد بالملك والسلطان والتدبير ، لم نكن بذلك متأولين للآيات ، ولا خارجين عن مذهب السلف في إمرارها كما جاءت ، من غير أن نجيز لأنفسنا البحث عن كيفية ذلك الاستواء من حيث معناه الحقيقي .

(٢) لعله سقط من هاهنا (في جهة العلو) .

ولا معتصم عن الخطأ ، ولا سالك في طريق السلامة والاستقامة .

وكما نقول هكذا في الاستواء والكون في تلك الجهة ، فكذا نقول في مثل قوله سبحانه : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ ﴾ ، وقوله : ﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلاَ خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ ﴾ ، وفي نحو : ﴿ إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ ، و ﴿ إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ إلى ما يشابه ذلك ويماثله ويقاربه ويضارعه ، فيقول في مثل هذه الآيات : هكذا جاء القرآن أن الله سبحانه مع هؤلاء ، ونتكلف بتأويل ذلك كما يتكلف غيرنا بأن المراد بهذا الكون وهذه المعية هو كون العلم ومعيته ، فإن هذه شعبة من شعب التأويل تخالف مذاهب السلف ، وتباين ما كان عليه الصحابة والتابعون وتابعوهم[1] :

وإذا انتهيت إلى السلامة في مداك فلا تجاوز

☆ ☆ ☆

وهذا الحق ليس به خفاء فدعني من بُنيات الطريق

وقد هلك المتنطعون ، ولا يهلك على الله إلا هالك ، وعلى نفسها براقش تجني ، وفي هذه الجملة ، وإن كانت قليلة ما يغني من يشح بدينه ويحرص عليه عن تطويل المقال وتكثير ذيوله ، وتوسيع دائرة فروعه وأصوله ، والمهدي من هداه الله ، والله أعلم . انتهى .

المنار مج١٧/ج١١/ص٨١٧-٨٢٩

---

(١) ورد عن الإمام أحمد وغيره من علماء السلف جعل المعية بمعنى العلم فصار هذا التأويل مما يعترف به الحنابلة والأثريون ، وإنما ألجأهم إليه رد قول الجهمية وغيرهم أنه تعالى في كل مكان . وقد نقل الذهبي ذلك في كتابه المشار إليه آنفاً عن كثيرين .

الملحق

٢٧

أشهر أئمة الإصلاح وكتبهم النافعة

لم يجئ بعد الإمام ابن حزم من يساميه أو يساويه في سعة علمه وقوة حجته وطول باعه وحفظه للسنة وقدرته على الاستنباط إلا شيخ الإسلام مجدد القرن السابع أحمد تقي الدين ابن تيمية ، وهو قد استفاد من كتبه واستدرك علمَه عليها ، وحرّر فهمه ما كان من ضعف فيها ، وكان على شدته في الحق أنزه منه قلماً وأكثر أدباً مع أئمة الفقهاء من أهل الرأي والقياس ، على أنه لم ينف القياس البتة ، ولكن فرق بين القياس الصحيح الموافق للنصوص ، والقياس الباطل المخالف لها ، لم يسبقه إليه أحد من علماء الأمة فيا يظهر .

وكان الإمام أبو عبد الله محمد بن القيم وارث علم أستاذه ابن تيمية وموضحه ، وكان أقرب من أستاذه إلى اللين ، والرفق بالمبطلين والمخطئين ، فلذلك كانت تصانيفه أقرب إلى القبول ، ولم يلق من المقاومة والاضطهاد ما لقي أستاذه بتعصب مقلدة المتفقهين ، وجهل الحكام الظالمين .

وإن أنفع ما كتب بعدهم لأنصار السنة كتاب (فتح الباري) شرح صحيح البخاري ، لقاموس السنة المحيط الحافظ أحمد ابن حجر العسقلاني شيخ الحفاظ والفقهاء بمصر في القرن التاسع ، فإنه هو الكتاب الذي لا يكاد يستغني عنه أحد يخدم السنة في هذا العصر ؛ لأنه جامع لخلاصة كتاب السنة وزبدة أقوال العلماء في العقائد والفقه والآداب ، ومن أنفعها في كتب فقه الحديث كتاب (نيل الأوطار في شرح منتقى الأخبار) ، ومن كتب أصول الفقه كتاب (إرشاد

الفحول في تحقيق الحق من علم الأصول) **كلاهما للإمام الجليل المجدد مجتهد اليمن في القرن الثاني عشر محمد** بن علي الشوكاني ، رحمهم الله ونفع بهم .

فهؤلاء أشهر أعلام المصلحين في الإسلام من علماء الحديث والفقه الذين تعد كتبهم أعظم مادة للإصلاح فيما نحن بصدده ، ومن دونهم كثير من العلماء والحفاظ في كل عصر وكل قطر ، اكتفينا بذكر من اعتمدنا على كتبهم في هذا البحث ، وهي أمتع الكتب فيه ، وإن حسن اختيار الكتب نصف العلم .

مقطع من مقال طويل ـ المنار مج ١٨ / ج ٥ / ص ٣٢٨



الملحق

٢٨

تحقيق الإمام الشوكاني في مسألة القياس

بيّن الإمام محمد بن علي الشوكاني في كتابه (إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول) الخلاف في القياس الفقهي هل يجوز التعبد به عقلاً أم لا ؟ واختلاف القائلين بالجواز هل وقع بالفعل أم لا ؟ واختلاف القائلين بالوقوع في شروطه ودلائله هل هي سمعية أو عقلية ؟ وانقسام القائلين بعدم الوقوع إلى فريقين : فريق يقول لم يوجد في الشرع ما يدل عليه فوجب الامتناع من العمل به ، وفريق يستدل على نفيه بالكتاب والسنة وإجماع الصحابة وإجماع العترة وبالعقل . ثم قال :

« وقد استدل المانعون من القياس بأدلة عقلية ونقلية ولا حاجة بهم إلى الاستدلال ، فالقيام في مقام المنع يكفيهم ، وإيراد الدليل على القائلين به ، وقد جاؤوا بأدلة عقلية لاتقوم بها الحجة فلا نطول بذكرها ، وجاؤوا بأدلة نقلية فقالوا : دلّ على ثبوت التعبد بالقياس الشرعي الكتاب والسنة والإجماع » .

ثم أورد ماقالوه وبحث فيه بحث الإمام النحرير ملتزماً قواعد الأصول وآداب المناظرة فنلخص ذلك بما يأتي :

الدليل الأول من القرآن : قوله تعالى : ﴿ فَاعْتَبِرُوا يَاأُولي الأَبْصَارِ ﴾ وقد نقل عن (المحصول) للإمام الرازي ردّ الاستدلال بهذه الآية على القياس الفقهي من وجوه ، وبحث فيا أختاره من كون الاعتبار حقيقة في المجاوزة ، ووافقه على كون الآية غير حجة للقياسيين فقال : « والحاصل أن هذه الآية لاتدل على

القياس الشرعي لا بمطابقة ولا تضمن ولا التزام ، ومن أطال الكلام في الاستدلال بها فقد شغل الحيز بما لا طائل تحته » .

الدليل الثاني والثالث : قوله تعالى : ﴿ فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوا عَدْلٍ مِنْكُمْ ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ وَحَيْثُمَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾ وهذان مما استدل به الإمام الشافعي في رسالته .

قال الشوكاني : ولا يخفاك أن غاية ما في آية الجزاء هو المجيء بمثل ذلك الصيد ، وكونه مثلاً له موكول إلى العدلين ومفوض إلى اجتهادهما ، وليس في هذا دليل على القياس الذي هو إلحاق فرع بأصل لعلة جامعة . وكذلك الأمر بالتوجه إلى القبلة فليس فيه إلا إيجاب تحري الصواب في أمرها ، وليس ذلك من القياس في شيء .

الدليل الرابع : ما استدل به ابن سريج وهو قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ قال الشوكاني : قالوا : أولو الأمر هم العلماء ، والاستنباط هو القياس ، ويجاب عنه بأن الاستنباط هو استخراج الدليل من المدلول بالنظر فيما يفيده من العموم أو الخصوص أو الإطلاق أو التقييد أو الإجمال أو التبيين في نفس النصوص ، أو نحو ذلك مما يكون طريقاً إلى استخراج الدليل منه ، ولو سلمنا اندراج القياس تحت مسمى الاستنباط لكان ذلك مخصوصاً بالقياس المنصوص على علته وقياس الفحوى لا بما كان ملحقاً بمسلك من مسالك العلة التي هي محض رأي لم يدل عليها دليل من الشرع ، فإن ذلك ليس من الاستنباط من الشرع بما أذن الله به ، بل من الاستنباط بما لم يأذن الله به . اهـ .

أقول : وقد بيّنا في تفسير الآية أن أولي الأمر ليسوا هم علماء الفقه المعروف وأصوله بل هم أولو الحل والعقد من الأمة فراجعه في محله .

الدليل الخامس : ماستدل به ابن سريج ، وهو قوله تعالى : ﴿ إنَّ اللهَ لا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾ قال : لأن القياس هو تشبيه الشيء بالشيء ، فما جاز من فعل من لا تخفى عليه خافية فهو ممن لا يخلو من الجهالة والنقص أجوز . واعتمد الشوكاني في ردّ هذا الاستدلال قلبه على صاحبه ببيان أن من لا تخفى عليه خافية فكل ما يضربه من مثل وما يثبته من تشبيه شيء بشيء يجب أن يكون صحيحاً ، وأما من لا يخلو من النقص والجهل فلا نقطع بصحة ذلك منه ولا نظنه لما في فاعله من الجهالة والنقص .

وأقول : إن تقرير هذا الاستدلال هفوة من أكبر الهفوات ، بل سقطة من أقبح السقطات ، فإنه - على كونه ليس من الموضوع في وردٍ ولا صدر - عبارة عن قياس العبد على الرب ، وجعله أحق بالتشريع وأجدر . وقد أطال ابن القيم رحمه الله تعالى في مسألة أمثال القرآن من سياقه الذي اختصرناه فيراجع في كتابه .

الدليل السادس : قوله تعالى في الرد على من أنكر إحياء العظام وهي رميم : ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذي أَنْشَأَها أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ قال الشوكاني : ويجاب عنه بمنع كون هذه الآية لاتدل[1] على المطلوب لا بمطابقة ولا تضمن ولا التزام ، وغاية مافيها الاستدلال بالأثر السابق على الأثر اللاحق ، وكون المؤثر فيهما واحداً ، وذلك غير القياس الشرعي الذي هو إدراج فرع تحت أصل لعلة جامعة بينهما .

الدليل السابع : قوله تعالى : ﴿ إنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ ﴾ وقد نسبه إلى ابن تيمية (قال) : وتقريره أن العدل هو التسوية ، والقياس هو التسوية بين مثلين في الحكم ، فيتناوله عموم الآية ، ويجاب عنه بمنع كون الآية

---

(١) كذا . والمراد بمنع كونها تدل على المطلوب بوجه ما . وأما منع كونها لاتدل فهو من قبيل نفي النفي إثبات وهو ليس بمراد .

دليلاً على المطلوب بوجه من الوجوه ، ولو سلمنا لكان ذلك في الأقيسة التي قام الدليل على نفي الفارق فيها لا في الأقيسة التي هي شعبة من شعب الرأي ، ونوع من أنواع الظنون الزائفة ، وخصلة من خصال الخيالات المختلة . اهـ .

أقول : أخطأ الشوكاني هاهنا وأصاب ـ أصاب فيما رمى إليه من كون الأمر بالعدل ليس دليلاً على القياس الفقهي المعروف الذي يجعل كل ما يوزن في حكم النقدين من الذهب والفضة وكل ما يكال في حكم البُر والشعير والتمر والملح ، ويجعل مسبر الجراح مفطراً للصائم كالطعام والشراب ، وأخطأ مراد ابن تيمية من القياس والعدل إذ يظهر أنه لم يطلع على ما كتبه هو ثم تلميذه ابن القيم في ذلك ، وسنعود إلى ذكر مذهبهما فيه .

☆ ☆ ☆

الاستدلال على القياس بالحديث والإجماع :

ثم أورد الشوكاني ما استدلوا به على حجية القياس من الحديث والإجماع ، وبدأ الكلام بحديث معاذ إذ أقره النبي ﷺ على قوله : « أجتهد رأيي ولا آلو » في القضاء بما لا يجده في كتاب الله ولا سنة رسوله ، وقد تقدم تضعيف ابن حزم لهذا الحديث ، وقد قال الشوكاني : إن الكلام في إسناده هذا الحديث يطول ، وقد قيل : إنه مما تلقي بالقبول ، ثم أجاب عنه وعن سائر أدلتهم بعد تلخيصها بما نصه :

« وأجيب عنه بأن اجتهاد الرأي هو عبارة عن استفراغ الجهد في الطلب للحكم من النصوص الخفية » ورد بأنه إنما قال : « أجتهد رأيي » بعد عدم وجوده لذلك الحكم في الكتاب والسنة ، وما دلت عليه النصوص الخفية لا يجوز أن يقال إنه غير موجود في الكتاب والسنة . وأجيب عن هذا الرد بأن القياس عند القائلين

به مفهوم من الكتاب والسنة ، فلا بد من حمل الاجتهاد في الرأي على ماعدا القياس ، فلا يكون الحديث حجة لإثباته ، واجتهاد الرأي كما يكون باستخراج الدليل من الكتاب والسنة يكون بالتمسك بالبراءة الأصلية ، أو بأصالة الإباحة في الأشياء أو الحظر على اختلاف الأقوال في ذلك ، أو التمسك بالمصالح ، أو التمسك بالاحتياط .

وعلى تسليم دخول القياس في اجتهاد الرأي ، فليس المراد كل قياس ؛ بل المراد القياسات التي يسوغ العمل بها والرجوع إليها ، كالقياس الذي علته منصوصة ، والقياس الذي قطع فيه بنفي الفارق في الدليل الذي يدل على الأخذ بتلك القياسات ـ لا القياسات المبنية على تلك المسالك التي ليس فيها إلا مجرد الخيالات المختلة والشبه الباطلة .

وأيضاً فعلى التسليم لا دلالة للحديث إلا على العمل بالقياس في أيام النبوة ، لأن الشريعة إذ ذاك لم تكمل ، فيمكن عدم وجدان الدليل في الكتاب والسنة ، وأما بعد أيام النبوة فقد كمل الشرع لقوله : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ ، ولا معنى للإكمال إلا وفاء النصوص بما يحتاج إليه أهل الشرع ، إما النص على كل فرد أو باندراج مايحتاج إليه تحت العمومات الشاملة . ومما يؤيد ذلك قوله تعالى : ﴿ مَافَرَّطْنا في الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ ، وقوله : ﴿ وَلاَ رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إلاّ في كِتابٍ مُبينٍ ﴾ .

واستدلوا أيضاً بما ثبت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من القياسات كقوله : « أرأيت لو كان على أبيكِ دين فقضيتِه أكان يجزئ عنه ، قالت : « نعم » ، قال : فدين الله أحق أن يقضى » ، وقوله لرجل سأله فقال : أيقضي أحدنا شهوته ويؤجر عليها ؟ فقال : « أرأيت لو وضعها في حرام أكان عليه وزر ؟ قال : نعم ، قال : فكذلك إذا وضعها في حلالٍ كان له أجر » ، وقال لمن

أنكر ولده الذي جاءت به امرأته أسود : « هل لك من إبل ؟ قال : نعم ، قال : فما ألوانها ؟ قال : حمر ، قال : فهل فيها من أورق ؟ قال : نعم ، قال : فمن أين ؟ قال : لعله نزعه عرق ، قال : وهذا لعله نزعه عرق » . وقال لعمر وقد قبّل امرأته وهو صائم : « أرأيت لوتمضمضت بماء » ، وقال : « يحرم من الرضاع مايحرم من النسب » ، وهذه الأحاديث ثابتة في دواوين الإسلام ، وقد وقع منه صلى الله عليه وآله وسلم قياسات كثيرة حتى صنف الناصح الحنبلي جزءاً في أقيسته صلى الله عليه وآله وسلم .

ويجاب عن ذلك بأن هذه الأقيسة صادرة عن الشارع المعصوم الذي يقول الله سبحانه فيما جاءنا به عنه : ﴿ إنْ هُوَ إلاّ وَحْيٌ يُوحَى ﴾ ، ويقول في وجوب اتباعه : ﴿ وَمَا أتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ ، وذلك خارج عن محل النزاع ، فإن القياس الذي كلامنا فيه إنما هو قياس من لم تثبت له العصمة ولا وجب اتباعه ولا كان كلامه وحياً ، بل من جهة نفسه الأمارة وبعقله المغلوب بالخطأ ، وقد قدمنا أنه قد وقع الاتفاق على قيام الحجة بالقياسات الصادرة عنه صلى الله عليه وآله وسلم .

واستدلوا أيضاً بإجماع الصحابة على القياس . قال ابن عقيل الحنبلي : وقد بلغ التواتر المعنوي عن الصحابة باستعماله وهو قطعي . وقال الصفي الهندي : دليل الإجماع هو المعول عليه لجماهير المحققين من الأصوليين . وقال الرازي في المحصول : مسلك الإجماع هو الذي عول عليه جمهور الأصوليين . وقال ابن دقيق العيد : عندي أن المعتمد اشتهار العمل بالقياس في أقطار الأرض شرقاً وغرباً قرناً بعد قرن عند جمهور الأمة إلا عند شذوذ متأخرين . قال : وهذا أقوى الأدلة .

ويجاب عنه بمنع ثبوت هذا الإجماع ، فإن المحتجين بذلك ، إنما جاؤونا بروايات عن أفراد من الصحابة محصورين في غاية القلة ، فكيف يكون ذلك

إجماعاً لجميعهم مع تفرقهم في الأقطار ، واختلافهم في كثير من المسائل ، ورد بعضهم على بعض وإنكار بعضهم لما قاله البعض كما ذلك معروف ؟

وبيانه أنهم اختلفوا في (الجد مع الإخوة) على أقوال معروفة ، وأنكر بعضهم على بعض ، وكذلك اختلفوا في مسألة (زوج وأم وإخوة لأم وإخوة لأب وأم) وأنكر بعضهم على بعض ، وكذلك اختلفوا في مسألة الخلع ، وهكذا وقع الإنكار من جماعة من الصحابة على من عمل بالرأي منهم ، والقياس إن كان منه فظاهر ، وإن لم يكن منه فقد أنكره منهم من أنكره ، كما في هذه المسائل التي ذكرناها ، ولو سلمنا لكان ذلك الإجماع إنما هو على القياسات التي وقع النص على علتها والتي قطع فيها بنفي الفارق ، فما الدليل على أنهم قالوا بجميع أنواع القياس الذي اعتبره كثير من الأصوليين وأثبتوه بمسالك تنقطع فيها أعناق الإبل ، وتسافر فيها الأذهان حتى تبلغ إلى ماليس بشيء ، وتتغلغل فيها العقول حتى تأتي بما ليس من الشرع في ورد ولا صدر ، ولا من الشريعة السمحة السهلة في قبيل ولا دبير ؟ وقد صحّ عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « تركتكم على الواضحة ليلها كنهارها » ، وجاءت نصوص الكتاب العزيز بما قدمنا من إكمال الدين ، وبما يفيد هذا المعنى ويصحح دلالته ويؤيد براهينه .

وإذا عرفت ماحررنا ، وتقرر لديك جميع ماقررنا ، فاعلم أن القياس المأخوذ به هو ما وقع النص على علته ، وما قطع فيه بنفي الفارق ، وما كان من باب فحوى الخطاب أو لحن الخطاب على اصطلاح من يسمي ذلك قياساً ، وقد قدمنا أنه من مفهوم الموافقة .

ثم اعلم أن نفاة القياس لم يقولوا بإهدار كل ما يسمى قياساً وإن كان منصوصاً على علته أو مقطوعاً فيه بنفي الفارق ؛ بل جعلوا هذا النوع من القياس مدلولاً عليه بدليل الأصل ، مشمولاً به ، مندرجاً تحته ، وبهذا يهون عليك الخطب ،

ويصغر عندك ماستعظموه ، ويقرب لديك مابعدوه ، لأن الخلاف في هذا النوع الخاص صار لفظياً ، وهو من حيث المعنى متفق على الأخذ به والعمل عليه ، واختلاف طريقة العمل لا يستلزم الاختلاف المعنوي لا عقلاً ولا شرعاً ولا عرفاً ، وقد قدمنا لك أن ما جاؤوا به من الأدلة العقلية لا تقوم الحجة بشيء منها ، ولا تستحق تطويل ذيول البحث بذكرها ، وبيان ذلك أن أنهض ماقالوه في ذلك أن النصوص لا تفي بالأحكام فإنها متناهية والحوادث غير متناهية ، ويجاب عن هذا بما قدمناه من إخباره عز وجل لهذه الأمة بأنه قد أكمل لها دينها ، وبما أخبرها رسوله صلى الله عليه وآله وسلم من أنه قد تركها على الواضحة التي ليلها كنهارها .

ثم لا يخفى على ذي لب صحيح وفهم صالح ، أن في عمومات الكتاب والسنة ومطلقاتها وخصوص نصوصها ما يفي بكل حادثة تحدث ، ويقوم ببيان كل نازلة تنزل ، عرف ذلك من عرفه وجهله من جهله » اهـ.

ثم قال الشوكاني عند الكلام على النص من مسالك العلة في القياس مانصه :

« واعلم أنه لا خلاف في الأخذ بالعلة إذا كانت منصوصة ؛ وإنما اختلفوا هل الأخذ بها من باب القياس أم من العمل بالنص ؟ فذهب إلى الأول الجمهور ، وذهب إلى الثاني النافون للقياس ، فيكون الخلاف على هذا لفظياً ، وعند ذلك يهون الخطب ويصغر ماستعظم من الخلاف في هذه المسألة . قال ابن فورك : إن الأخذ بالعلة المنصوصة ليس قياساً ، وإنما هو استمساك بلفظ نص الشارع ، فإن لفظ التعليل إذا لم يقبل التأويل عن كل ماتجري العلة فيه كان المتعلق به مستدلاً بلفظ قاض بالعموم » اهـ.

أقول : إن بعض الناس لا يعد كل تعليل في النصوص من قبيل العام فيجري كل ما تحققت فيه العلة مجرى إفراد العام في حكمه ؛ فالخلاف بين هؤلاء وبين

الـذين ينوطون الأحكام بـالعلل المنصوصـة حقيقي لا لفظي ، سواء كانوا يسمون ذلك عملاً بالنص أو قيـاسـاً ، وإنمـا الخلاف اللفظي بين هـذين الفريقين المتفقين على تحكيم العلل المنصوصـة . وابن تيميـة وابن القيم من علمـاء الأثر إنمـا يوافقـان الجمهور على إثبات القيـاس بهـذا المعنى ؛ ويريـان أنـه بهـذا المعنى داخل في مفهوم كلمتي العدل والميزان . وهذا حق ، ومن مقتضاه أنه خاص بأحكام المعاملات دون العبادات المحضة ، فإن العبادات قد استوفتهـا النصوص وبينتهـا السنـة العمليـة ، فلا وجه للزيادة فيها أو النقص منها ، ولا لإيقاع شيء منها على غير ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه .

قال حذيفة رضي الله عنه : « كل عبادة لم يتعبدها أصحاب رسول الله ﷺ فلا تعبّدوها » . والآثار عن الصحابة والتابعين وغيرهم من علماء السلف الصـالحين في هذا كثيرة . ومن تتبع ما زاده بعض الفقهاء في أحكام العبـادات بـالقيـاس على المأثور عن أهل الصدر الأول لم يرَ لشيء منه حجة قيمة ولا قياساً صحيحاً .

من مقال في المنار مج١٨/ج٦/ص٤١٦-٤٢٣

☆ ☆ ☆

الملحق

٢٩

وصف بلاد العرب الجنوبية

التي يسميها اليونان العربية السعيدة

يراد بالعربية السعيدة اليمن وما جاورها ، وسميت بذلك لكثرة خيراتها بالنسبة إلى البادية في الشمال ، فكأنهم يريدون بها بلاد العرب العامرة أو الخضراء ، ويحدها عندهم خليج العجم من الشرق وبحر العرب من الجنوب والبحر الأحمر من الغرب - ويسمونه خليج العرب - ومن الشمال البادية وهي بادية الشام والعراق والعربية الحجرية (بلاد بطرا) ، فيدخل في اسم العربية السعيدة : اليمن ، وحضرموت ، والشحر ، وعمان ، واليمامة ، ونجد .

وأما العرب فيريدون باليمن الجزء الجنوبي من جزيرة العرب وهو يقسم عند العرب الأقدمين إلى ٤٨ مخْلاَفاً والمخلاف ينقسم إلى مدن وقرى ، ويوجد فيه الأودية والجبال والسدود ، وقد فصل الهمداني كل مخلاف بقراه وأوديته وجباله في كتابه (صفة جزيرة العرب) .

ماقاله اليونان عن تاريخ اليمن : لم يدون اليونانيون وسواهم من أمم التاريخ كتاباً في تاريخ اليمن أو تاريخ غيرها من بلاد العرب ، ولكنهم ذكروه عرضاً في أثناء كلامهم في الجغرافية العامة والرحلات وغيرها . وأكثر اليونان ذكراً لبلاد العرب : سترابون وبلينيوس وبريليوس وبطليموس ، ذكر كل منهم مدناً وأمماً وأحوالاً أخرى من أحوال بلاد اليمن بعضها يوافق ماذكره العرب والبعض

الآخر يخالفه . وذكروا مدناً وأقواماً ولم يعرفها العرب أي أنها لم ترد في تاريخهم أو جغرافيتهم . وأهم هؤلاء الأقوام هم (المعينيون) وذكروا الطرق التجارية ووصفوا الأحوال الاجتماعية فنرى بين ماذكره اليونان من الأمم والمدن أمماً لم يذكرها العرب أو ذكروها عرضاً بما لا يستحق الذكر ، والمعينيون لم يعرفهم العرب وهم عند اليونان أمة عظيمة ذات تجارة واسعة وشأن كبير ومثلهم (القوريون) و (الجبائيون) .

ومن المدن التي نوهوا بها (مأرب) ولم يذكرها العرب إلا في عرض الكلام عن سدها وانفجاره .

كانت اليمن في أصل نظامها تقسم إلى (محافد) وهو يشبه نظام الإقطاع في الأجيال الوسطى لأوربة ، وكانت الأقيال[1] في اليمن يتعاطون التجارة ، ولتوسط بلاد اليمن والهند والحبشة ومصر والشام والعراق كانوا ينقلون التجارة بين هذه البلدان بعد دخولها إلى جزيرة العرب بالقوافل بطرق خاصة .

الدولة المعينية

تنبه العلماء إلى هذه الدولة كما ذكره اليونان عنها فقال استرابون في كلامه عن بلاد اليمن : « يشغل القسم الجنوبي من جزيرة العرب أربعة شعوب : المعينيون وعاصمتهم (قرنا)[2] والسبئيون وعاصمتهم (مأرب) » وذكر في مكان آخر أن المعينيين يحملون التجارة إلى (بطرا) مدينة الأنباط . وذكر بلينيوس أن المعينيين يقيمون في بلاد كثيرة الغابات والأغراس ، وذكرهم أيضاً ديونيوس وبطليموس وأطروا سلطتهم وسعة تجارتهم . ولم يكن العلماء يعرفون (معين)

---

(١) الأقيال : لقب ملوك اليمن ، واحدها قيل بوزن بيت .

(٢) لعل أصلها قرن بالتحريك .

فذهب بعضهم إلى أن المراد بلفظ (معين) منى وهو ـ بقرب مكة ـ وقال آخرون غير ذلك حتى وفق المستشرق (هاليفي) إلى ارتياد بلاد الجوف الجنوبي شرق صنعاء واكتشف أنقاض معين ، وقال الهمداني في كتاب الإكليل : « محافد اليمن : مراقش ، ومعين وهما بأسفل جوف الرحب » ولا يظهر أنها كانت دولة حرب وفتح بل كانت دولة تجارة مثل إخوانهم الفينيقيين على شواطئ سورية ودولة الأنباط في بطرا ، وأكبر دول اليمن على هذه القاعدة أي تجارية . وكانت طرقها التجارية ممتدة في أواسط جزيرة العرب بين تلك البحار وانتشرت سيادتهم ومستعمراتهم إلى أعالي الحجاز شمالاً بدليل ما وقفوا عليه من النقوش المعينية في العلاء ـ قرب وادي القرى ـ وفي الطبقاء وفي حوران وغيرها .

الدولة السبئية

لم يعلم الوقت الذي تأسست فيه الدولة السبئية ولكنه قد ثبت أنهم أنشأوا في اليمن دولة كبرى جاء ذكرها في أخبار آشور منقوشاً في آجرّة للملك (سرجون) الثاني سنة ٧٠٥ قبل الميلاد ذكر فيها أنه أخذ الجزية من (يثعمر) السبئي . فيدل هذا القول على وجود السبئيين في بلاد العرب في القرن الثامن قبل الميلاد ، ولكن الراجح عند العلماء اليوم أن سرجيون لم يصل بفتوحه إلى اليمن ، والظاهر أن السبئيين كانوا يدفعون الجزية عن تجارتهم في شمال جزيرة العرب حتى يؤذن لهم بالمرور إلى شواطئ البحر المتوسط وخصوصاً إلى غزة لأنها فرضة تجارية قديمة ، وقد اتسع ملكهم ولا يراد بسعة الملك أنهم دوخوا البلاد كما فعل اليونان والرومان أو كما فعل العرب بعد الإسلام فإن سبأ ليست دولة فتح بل هي دولة قوافل وتجارة ولا تجد للفتح ذكراً في آثارها إلا قليلاً خلافاً للآشوريين والمصريين معاصريها فإنك لا تكاد تقرأ على آثارهم غير قولهم : فتحت ، وغلبت وحملت الغنيمة . وأما السبئيون فأكثر ما وصل إلينا من

أخبـارهم : بنيت ، ووقفت ، ورممت . وإنمـا يراد بسعـة ملكهم نشر نفـوذهم بواسطة تجارتهم وذكرت مملكة سبأ في التوراة أيـام سليمـان في القرن التـاسع قبل الميلاد ، ويتضح من ذلك أنهم أقدم من مملكة سليمان أيضاً .

☆ ☆ ☆

حضارة اليمن القديم

بعـدمـا تحقـق أن دولـة حمـورابي عربيـة علم أن العرب من أسبـق الأمم إلى الحضـارة والمـدنيـة لأنهم أنشـأوا الـدول وشـادوا المـدن ونظموا الحكومـات وسنـوا الشرائع ، وبنوا المدارس والهيـاكل ، ورقوا الهيئـات الاجتماعيـة لترقيـة شـأن المرأة منذ أربعة آلاف سنة .

ونقتصر هنـا على مـدنيـة عرب اليمن ، وقـد رأيت أنهم كانـوا أهـل حضـارة ودولة لاتقل عن دول معـاصريهم في آشور وفينيقيـة ومصر وابتنوا المـدن وشـادوا القصـور والهيـاكل وتبسطـوا في العيش ، لكن تمـدنهم لم يكن حربيـاً كتمـدن الآشوريين والفرس والمصريين بل كان تجـاريـاً كتمـدن الفينيقيين فكانـوا واسطـة للتجارة بين الشرق والغرب والشمال والجنوب فانقطعوا لأعمـالهم وتفرغوا لاستثمـار أرضهم بغرس الشجر وزرع الحبوب وحفر المنـاجم واصطنـاع العطور والأطيـاب وركوب القوافل في القفـار والسفن في البحـار لنقل السلع ، وتوالت أجيـال منهم كانوا هم وحدهم تجار العالم كإخوانهم الفينيقيين . وقد تعـاصروا حينـاً وتعـاونوا على ذلك دهراً طويلاً .

على أن التمـدن لم يرد لـه ذكر في كتب العرب إلا قليلاً وإنمـا ذكره اليونـان عن التاريخ القـديم واكتشفـه العلمـاء من آثـار المـدن ومـا قرأوه على أطلالهـا من أخبارها وقلما كانوا يعتنون بتنظيم الجند لقلـة الحرب والفتوح وإنمـا كانوا يجمعون

الرجال في استخدامهم لبناء المدن أو القصور أو إنشاء السدود . وقد ضرب اليانيون نقوداً نقشوا عليها صور الملوك وأسماءهم وأسماء المدن التي ضربت فيها بالحرف المسند وزينوها برموز سياسية أو اجتماعية كصورة البوم أو الصقر أو رأس الثور رمزاً للزراعة أو صورة الهلال وهو رمز ديني عندهم . وكانوا يركبون المركبات التي تجرها الخيول أو الأفيال .

كانت الأمة في اليمن مؤلفة من أربع طبقات : الجند المسلح لحفظ النظام ، والفلاحون لزراعة الأرض ، والصناع ، والتجار ، ولكل فئة حدود لا تتعداها ولا ينتقل أحد منها إلى سواها .



الصناعة

ليست جزيرة العرب بلاداً صناعية وإنما صناعتهم تحضير بعض أصناف التجارة والبخور واللبان والطيوب وغيرها وكان ذلك مشهوراً عنهم بين الأمم القديمة لا يشاركهم فيه أحد .

قال هيرودتس : وبلاد العرب فيها وحدها البخور والمر والقرفة والدارسين واللادن ، والعرب يجنون كل هذه الأشياء وبلاد العرب زكية الرائحة حيث ما سرت ..



الزراعة

من يحب بلاد العرب ير أن بلاد المعينيين والسبئيين قد تغيرت معالمها ، فيستغرب ما يسمعه عن ثروة تلك الأمم وسعة سلطانها إذ لا يرى فيها إلا قليلاً من

الناس وكانت على عهد ذلك التمدن بساتين ورياضاً فيها الأغراس من الأشجار والرياحين والحنطة والأزهار ، وكانت الزراعة في رقي حسن مع مشقة الريّ في بلاد لا أنهر فيها إلا ما يخزنونه بالسدود من أمطار الصيف ، فبلغ من رغبتهم في العمران وعلو همتهم أنهم أنشأوا سدوداً كالجبال يحجزون بها المياه في الأودية حتى ترتفع ويسقون بها المرتفعات ويصرفون الماء إليها من نوافذ حسب الحاجة كما يفعل بخزانات هذه الأيام ، فالعرب أول من اصطنع الخزانات وهي السدود وأعظمها سد (مأرب) وسنذكره .

وذكر (استرابون) أن بلاد سبأ أخصب بلاد العرب وعد من محصولاتها المرّ والبخور والقرنفل والبلسم وسائر العطريات فضلاً عن النخيل والغاب .

ووصف الهمداني (وادي ظهر ؟) باليمن وقد شاهده فذكر أن فيه نهراً عظيماً يسقي جنبات الوادي وعليها من الأعناب نحو عشرين نوعاً وفيه أصناف الفواكه الأخرى .



المعادن

التعدين أي استخراج المعادن من بطن الأرض ، وقد اشتهرت بلاد العرب بمعادنها وجواهرها عند القدماء وإن ظهر ذلك غريباً الآن لتقلب الأحوال وتحول الأزمان ، ولكن التاريخ أصدق شاهد على ما كان في جزيرة العرب من الثروة في جوفها فضلاً عن سطحها . كان فيها كثير من مناجم الذهب والفضة والحجارة الكريمة وكان ذلك من أهم أسباب طمع الفاتحين في ذلك العهد وقد شبهها بعضهم بكاليفورنيا هذا الزمان لكثرة مناجمها ، وأقدم هذه المناجم في بلاد (مدين) ولها شهرة واسعة في التاريخ القديم حتى ألف بعضهم كتباً في معادنها وذهبها . وذكر

الهمداني في (صفة جزيرة العرب) وياقوت في (معجم البلدان) وغيرهما كثيراً من مناجم الذهب بعضها في اليمن والبعض الآخر في اليامة . منها معدن (نحب) في ديار بني كلاب ، ومعدن (بيشا) ومعدن (قضاعة) في اليمن و (ذهب خولان) الوارد ذكره في التوراة باسم حويلة . وفي اليامة كثير من المعادن خصص لها الهمداني فصلاً سماه (معادن اليامة) وهي معدن (الحسن) وهو معدن ذهب غزير ، ومعدن (الحفير) بناحية (عماية) وهو معدن ذهب غزير أيضاً ، ومعدن (الضبيب) عن يسار (هضب القليب) ومعدن (الثنية) ثنية ابن عاصم الباهلي ومعدن (العوسجة) ثم معدن (شمال الفضة والصفر) ومعدن (نياس) ومعدن (العقيق) ومعدن (المحجة) ومعدن (العمق) بين (أفيعيه) ومعدن (المجيرة) ومعدن (بني سليم) ومعادن كثيرة أخرى .

وقول العرب : « معدن كذا » يراد به معدن الذهب إلا إذا عرفوه بالفضة أو الصفر أو غيرهما . وفي بلاد العرب سوى مناجم الذهب مناجم الجواهر الأخرى كمعدن الفضة في (الرضاض) الذي لا نظير له ، وفي (نقم) معدننا فصوص (البقران) ، ويبلغ المثلث منها مالاً كثيراً وهو أن يكون وجهه أحمر فوق عرق أبيض فوق عرق أسود ، والبقران ألوان ومعدنه بجبل (آنس) ، و (السعوانية) من سعوان واد جنب صنعاء ، وفيه أيضاً فص أسود بعرق أبيض ومعدن (بشهارة وعبشان) من بلاد (حاشد) ، والبلور يوجد في مواضع فيها وأشياء أخرى يطول شرحها وهذه الأشياء لا يوجد لها نظير إلا في بلاد الهند والهندي بعرق واحد وليس بثلاثة ، دع مغاوص اللؤلؤ بالبحرين .



الأسداد

الأسـداد هي جـدران ضخمـة كانوا يقيمونهـا في عرض الأوديـة لحجز السيول ورفع المياه لري الأراضي كا يفعل أهل التمدن الحـديث في بنـاء الخزانـات . وإنما عمـد العرب إلى بنـاء الأسـداد لقلـة الميـاه في بلادهم مع رغبتهم في إحيـاء زراعتهم فكثرت بكثرة الأودية حتى تجاوزت المئة وكانوا يسمون كل سد بـاسم خـاص . من أكبر هذه الأسداد سد (مأرب) و (ربوان) و (شحران) .. و (لحج) إلخ .



الحضارة

أهل اليمن حضر من أقدم أزمانهم فهم أهل مدن وقصور ورياش ، لبسوا الخز وافترشوا الحرير واقتنوا آنيـة الـذهب والفضـة واغترسوا الحـدائـق . قـال (أغـاثر سيـدني) : وللسبئيين في منـازلهم مـا يفـوق التصـديـق من الآنيـة والمـاعـون على اختـلاف أشكالهـا من الفضـة والـذهب ، وعنـدهم الأسرة والمـوائـد من الفضـة ، والريـاش من أفخر الأنسجـة وأغـلاهـا ، وقصـورهم قـائمـة على الأسـاطين المحـلاة بالذهب أو المنزلة بالفضة ، يعلقون على أفـاريز منـازلهم وأبوابهـا صفـائح الـذهب مرصعة بالجواهر ويبذلون في تزيين قصورهم أموالاً طائلـة لكثرة مـا يـدخلون في زينتها من الذهب والفضة والعاج والحجارة الكريمة .

وذكر الهمـداني في وصف قصر (كوكبـان) في القرن الرابع الهجري أنـه كان مؤزر الخارج بالفضة ومـا فوقهـا حجـارة بيضـاء ، وداخلـه ممرد بـالعَرعَر والجزع وصنوف الجواهر .

☆ ☆ ☆

تاريخ البلاد العربية الحديث

قد لخصنا تاريخ البلاد العربية القديم على قدر ما يسمح به المقال ، والآن نبين حالتها الحاضرة وسبب انحطاطها فنقول :

إن ملوك اليمن اعتنقوا قديماً الديانة اليهودية ونشروها في بلادهم فلما تنصر أباطرة الرومان البيزانطيين ونشروا ديانتهم في سورية ومصر وأرادوا أن يوسعوا نفوذهم بواسطة ديانتهم النصرانية أرسلوا إلى الحبشة قسوساً نصرتها وأرادوا أن يمدوا نفوذهم إلى بلاد العرب فنزلوا في عدن ونصروا أهاليها ثم تخطوا إلى (نجران) و (حضرموت) ونصّروهما وبنوا في نجران مزاراً أو حجاً عرف (بكعبة نجران) فيه القسيسون والرهبان . وآلت حكومة (حمير) اليهودية في أوائل القرن السادس للميلاد إلى ملك منهم اسمه (ذونواس) كان شديد التعصب لليهودية فغزا أهالي نجران فحصرهم ثم إنه ظفر بهم فخدّ لهم الأخاديد وعرض عليهم اليهودية فامتنعوا فأحرقهم بالنار وأحرق الإنجيل وهدم بيعتهم ثم انصرف إلى اليمن . فلما بلغت هذه الأخبار ملك الروم أرسل إلى ملك الحبشة وأمره أن يغزو أهالي اليمن وينتقم من اليهود فجهز لهم سبعين ألفاً فخرجوا إلى اليمن وبعد معارك يطول شرحها انتصر الأحباش النصارى على اليهود وأفنوهم ، وانفلت (سيف بن ذي يزن) وتوجه إلى كسرى وهو من الأسرة المالكة فاستنجد كسرى فأمده بالرجال في المراكب وخرجوا في (ظفار) فلما سمع الأحباش بقدوم سيف بالفرس قابلوهم فوقعت معارك انهزمت فيها الأحباش فأفنوهم وأفنوا كل من تنصر من أهل اليمن ثم مات سيف بن ذي يزن وخلفه والٍ من قبل كسرى أنو شروان .

وفي هذه المدة ظهرت الديانة الإسلامية وأسلم الوالي الفارسي وأهل اليمن إلا قليلاً منهم بقي على اليهودية إلى الآن **فلما تولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه**

الخلافة وابتدأ يجهز لغزو الروم والفرس أمر عماله في البلاد العربيـة أن يسوقوا كل من يقدر على حمل السلاح وكل من يحسن الخطابة والكتابة فصاروا يسوقون الإمدادات متتـابعـة إلى عهـد دولـة بني أميـة ، من أجل ذلـك ومـا تقـدمـه من حروب الأحباش والفرس خلت البلاد العربية من اليد العاملة وأهملت الزراعة وبناء الأسداد ، فهذا هو سبب الانحطاط .

فبلاد العرب الآن تراجع إليهـا شيء من القوة حسب التنـاسل ، وعـدد أهل الجـزيرة الآن لا يقـل عن ١٤ مليـونـاً ولإهمـال العلم والتعليم في الجـزيرة وتنـافس الأمراء فيما بينهم أُهمل أمر الزراعة والصناعة .

ويوجـد الآن في الجزيرة خمس حكـومـات مستقلـة في الحجـاز ونجـد واليمن وعسير ومسقـط ، وبين أمراء هـذه البلاد شيء من التنـافس فلـو قيض الله لقـادة أفكار العرب أن يسعوا في التوفيق بينهم على شرط أن يكون كل مستقلاً في محله ، ويوحدوا سيـاستهم وجنـديتهم كما هو حـاصل في الولايـات المتحـدة أو في ألمـانيـة وينشروا المعارف في بلادهم ويعنوا بالزراعة مع إعـادة السـدود كما كانت سـابقـاً ، ويبحثوا عن المناجم ويعنوا بزراعـة القهوة التي لا يوجـد مثلهـا في البلاد الأخرى فإنها تجلب الربح العظيم للبلاد كالقطن بالنسبـة لمصر . وفي بلاد اليمن يزرع أنواع الحبوب والنخيل والفواكه .

والحاصل أن البلاد العربيـة يمكن أن تسترجع قوتهـا عن قريب إذا قيض لهـا حكومة صالحة ولا يقوم بهذا إلا السوريون ، فإن سوريـة عنـد العرب هي العين التي يبصرون بها ، وسورية من الأراضي المقدسـة والعرب يحترمون أهـالي سوريـة ويجلونهم . ولو عني السوريون بخدمة الجزيرة فنظموا هيئة لإرشاد الأمة العربيـة بالنصح للتوفيق بين الأمراء وإزالـة سوء التفـاهم والحسـد (لأن وقتنـا هـذا وقت عمل وليس وقت مفـاخرة وحسـد) لوجـدوا آذانـاً صـاغيـة من أهـالي البلاد لأن

العرب يشعرون بما هو محيط بهم ولو اجتهد السوريون لمد السكـة الحـديـديـة من المدينة إلى صنعاء لارتباط البلاد والأمن وتسهيل التجارة والانتقال لتم المقصود .

عبد الله المغيرة

ج/٨ م/٢١ ص/٤١٥ ـ ٤٢٢
رمضان ١٢٣٨ هـ = يونيه ١٩٢٠ م



الملحق

٣٠

وفاة زعيم عربي علوي عظيم

السيد محمد علي الإدريسي

في منتصف شهر شعبان نعت إلينا أنباء عدن السيد محمد علي الإدريسي أمير عسير وتهامة اليمن السفلي فشككنا كعشيرته وجماهير الناس هنا في صحة الخبر ، ولم نستيقن إلا في آخر شعبان ، وكان سبب الشك أنه كان قد جاء قبل ذلك بأشهر نبأ من الحجاز بوفاته ثم ظهر كذبه .

قد امتاز السيد محمد علي الإدريسي في عشيرته بمزايا عظيمة لا يجتمع مثلها عادة إلا للأفراد الأفذاذ في الأجيال ، كالذكاء والسخاء والشجاعة والحزم والإقدام ، مزايا مكنته من تأسيس مملكة مستقلة بنفسها في بلاد يتنازع الحكم والسلطان فيها أقدم دولة عربية إسلامية ـ وهي دولة أئمة اليمن ـ وأقوى دولة إسلامية عسكرية ـ وهي الدولة العثمانية ـ وقد اجتمعت الدولتان على مناوأته وقتاله واستعانت الدولة العثمانية عليه بحكومة الحجاز فكان له الفلج والظفر ، وبذلك تأيد حكمه واستقر .

الإدريسيون شيوخ طريقة صوفية ، لا قواد جيوش ولا رجال أحكام وسياسة ، ولجدهم السيد أحمد بن إدريس شهرة ذائعة بالصلاح والولاية ، وهو مدفون بجوار (صبيا) عاصمة عسير ، ولطريقته في تلك البلاد أتباع كثيرون يخضعون لشيوخ الطريقة خضوعاً روحياً إذعانياً ، لا يقبل أهله فيه بحثاً

ولا برهاناً عقلياً ولا دينياً ، كدأب عامة بلاد اليمن وإفريقية ، فمثل الإدريسية كمثل إخوانهم السنوسية .

ومما امتاز به السيد محمد علي رحمه الله تعالى على شيوخ طريقتهم في هذا العصر أنه طلب العلم في الأزهر بجد وعناية فاستفاد في سنوات قليلة ما لا يدرك أكثر المجاورين في هذا المعهد مثله في بضع عشرة سنة ، بل ما يقصر عنه فيه أكثر الشيوخ الذين يقضون عشرات السنين هنالك متعلمين ومعلمين ، ذلك بأنه كان نير العقل مستقل الفكر ، لم تقو خرافات الطريقة ولا طريقة التعليم الأزهري العقيمة على أن تغلب على فطرته الزكية ، ومن آيات ذلك أنه كان راضياً عن المنار معجباً به كثير الثناء عليه ، وقد اقتنى جميع مجلداته السابقة على الحرب العامة الكبرى التي قطعت الصلة بيننا وبينه ، ولما عادت في هذا العام جدد الاشتراك فيه ، وكنا على وشك بإرسال بقية المجلدات التي تجددت لإكمال مجموعته عنده ، ومنها أنه عقد اتفاقاً رسمياً مع سلطان نجد كان من وسائله أنه هو على مذهب السلف في عقيدته وقد هدم القبة التي كانت مبنية على قبر جده معترفاً بأنها من البدع المخالفة للأحاديث الصحيحة .

ذهب الفقيد إلى بلاد عسير بعد ما كان من طلبه للعلم بقصد الإرشاد والتعليم ، ولم يبلغنا عنه أنه كان مستشرفاً للإمارة والحكم ، فكان إقبال الناس عليه عظيماً ، وكانوا يتحاكمون إليه حيث لا حكم للدولة العثمانية في داخلية البلاد فيحكم بينهم بالشرع على مذهب الإمام الشافعي الذي ينتمي إليه أكثر الناس هنالك ، فارتابت فيه الدولة العثمانية ، فكان رجالها يكيدون له ، ويذيعون عنه أنه يغش الناس بالدجل والتلبيس وإظهار الكرامات المصنوعة ، كزعمهم أنه يظهر للناس في بعض الليالي أنواراً كهربائية من أدوات يخفيها عنهم فيوهمهم أنها تفيض من صدره على وجهه ، وأمثال ذلك . والمعروف عنه أنه لم يكن يخطر بباله أن يخرج الدولة من البلاد ليؤسس له ملكاً فيها ، بل كان يريد مساعدتها

على إدارتها وإصلاح شؤونها بنفوذه الديني بشرط أن تكون أحكامها فيها شرعية محضة ، وأن يلتزم حكامها الإداريون والقضائيون شعائر الدين ، لا كذلك الباشا الذي أرسلوه إليه ليفاوضه فذهب مخاصراً لامرأة أفرنجية بملابسها المعتادة ومعها كلب لها فدخلت المسجد مع الباشا وتبعها الكلب ..

وقد أرسل الاتحاديون إليه بعد إعلان الدستور الشيخ توفيق خوجه العالم السائح المشهور ليكشف لهم حقيقته وكان يعرف شخصه إذ كانا مجاورين في الأزهر ، فكتب إليهم بما وقف عليه من حسن نيته وكذب الطاعنين فيه ، وأخبروني بذلك في نادي نور عثمانية بالآستانة فذكرته للصدر الأعظم حسين حلمي باشا فرمى الشيخ توفيقاً بالبلاهة والغفلة ، ولكن التهمة إغراء ، وفي الحكم النبوية : « إن الأمير إذا ابتغى الريبة في الناس أفسدهم » رواه أبو داود والحاكم عن أربعة من الصحابة رضي الله عنهم .

وقف الرجل على كيد رجال الدولة له فأخذ حذره وأجمع أمره على المقاومة ، وانتهى ذلك بالحرب ، فقتل في معركة واحدة من عسكر الدولة بعدد جميع رجاله ، وعجزت الدولة مع إمام اليمن وشريف مكة عن القضاء عليه ، بل كان ذلك هو السبب لرسوخ قدمه وتوطيد سلطانه .

وقد أنكر المسلمون عليه في كل قطر مصافاته للحكومة الإيطالية في أثناء حربها لطرابلس واستمداده للسلاح والمال منها . وكان بعض العقلاء يجيب هؤلاء المنكرين بأنه لا حرج على من يأخذ من الأجنبي وإنما الحرج على من يعطيه ، وهو لم يعط أحداً شيئاً ولم يساعد إيطالية على أهل طرابلس ولا على الترك بشيء . ثم أنكروا عليه موالاته للدولة البريطانية في أثناء الحرب الكبرى وأخذه منها السلاح والمال ، ولذلك كافأته بإعطائه ثغر الحديدة ، وأجاب عنه المحبون له بأن اتفاقه مع الإنكليز لم يكن إلا كاتفاقه مع الطليان من قبل ، وهو أن يأخذ

ولا يعطي ، فلم يرض أن يقاتل الترك وإنما التزم للإنكليز أن لا يساعدهم أيضاً .
وقيل : إنه كان يسمح للأهالي بإمدادهم بالقوت وأن الإنكليز عاتبوه على ذلك فأجاب بأنه لم يساعدهم بنفسه ، ولم يدخل في مواد الاتفاق أن يمنع الأهالي من الاتجار معهم ، ولكن يقال إن في اتفاقه معهم الاعتراف لهم بحماية سواحله .

وقد نقل إلينا عنه أنه قال : إنه لا يستحل أن يبدأ أحداً من المسلمين بقتال وإنما يقاتل من يقاتله ، فحكم الأقوام والشعوب عنده كحكم الأفراد ، فاعتداء بعضها على بعض كاعتداء الصائل إذا لم يمكن دفعه إلا بالقتل أبيح قتله كما هو مقرر في الفقه . ولكن لا ندري أكان يلتزم الدفاع في حربه لإمام اليمن ويقف فيه عند حد الضرورة ؟ كيف وقد روي أنه استولى على عدة مواقع من مملكة الإمام ؟ وأنه كان يطمع في أخذ سائر البلاد التي يقطنها الشافعية . ولو كان يعتقد صحة إمامة الإمام يحيى أو السلطان التركي لما كان لاجتهاده هذا وجه شرعي لأن الإمام الحق هو صاحب السلطان فلا يعد إخضاعه البلاد صيالاً .

كانت الروايات التي تصل إلينا في التنازع والتقاتل بينه وبين الإمام متعارضة وقد سعينا للتأليف والاتفاق بينهما قبل الحرب العامة وبعدها ، وكنا نرجو أن نبلغ هذه الغاية بالرغم من أولي الدسائس بينهما الذين كانوا يمنون كلاً منهما بمساعدته على الآخر إذا هو واتاهما ، ولكن الله توفاه إليه قبل ذلك ، وقد بايع زعماء البلاد نجله السيد علي على أن يكون إماماً لهم من بعده ، وسننظر ما يكون من أمره ، ونرجو أن يوفقه الله تعالى إلى ما فيه السلام والخير لقومه ، والمرضاة لربه باتباع شرعه ، وقد ذكر لنا عن نجله هذا أنه شاب مهذب في الثانية والعشرين . وأنه مشتغل بطلب العلم ، وله من أبناء عمومته مستشارون أولو تجربة واختبار ، وبصيرة في أحوال تلك البلاد ، فعسى أن ينصحوا له بمكاتبة الإمام ، والاتفاق معه على الاتحاد اليماني العام ، ومنه أن يكونوا مستقلين

الملحق

٣١

منشور للإمام يحي حميد الدين

جاءنا من اليمن المنشور الآتي مطبوعاً في مطبعة (المقام الشريف بصنعاء) ، متوجاً بعد البسملة بختم الإمام يحي حميد الدين الرسمي الملقب بأمير المؤمنين ، المتوكل على الله رب العالمين ، وهو في دعوة المسلمين إلى جمع الكلمة ، والاعتصام بالكتاب والسنة ، والاستمساك بالعترة الطاهرة ، وترك الخلاف والفرقة .

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين ﴾ . ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ﴾ .

الحمد لله الهادي إلى السنن القويم ، وكل خير عميم ، بقوله عز وجل : ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ﴾ ﴿ ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم ﴾ ﴿ ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين ﴾ ﴿ وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرّق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ﴾ .

والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله ذي الخلق العظيم ، المبعوث رحمة للعالمين من رب العرش الكريم ، بالشريعة السمحة الكافلة بخيري الآخرة والأولى ، القائل : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً ـ المؤمنون كرجل

واحـد إن اشتكى رأسـه اشتكى كلـه وان اشتكى عينـه اشتكى كلـه ـ يـد الله على الجماعـة ـ لا ترجعوا بعـدي كفـاراً يضرب بعضكم رقـاب بعض ـ المؤمن أخو المؤمن يكف عليه ضيعتـه ويحوطـه من ورائـه ـ لا تزال طـائفـة من أمتي ظـاهرين على الحق حتى تقوم الساعة » ، وعلى آله المخصوصين برعايـة التقـديم والتكريم ، قرنـاء الذكر الحكيم ، الـذين ورد فيهم « إني تـارك فيكم مـا إن تمسكتم بـه لن تضلوا من بعدي أبداً كتاب الله وعترتي أهل بيتي إن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض ـ أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجـا ، ومن تخلف عنهـا غرق وهوى ـ أحبوا الله لمـا يغـذوكم بـه من نعمـة وأحبوني لحب الله وأحبـوا أهـل بيتي لحبي » وغير ذلـك من الأحـاديث الكثيرة ، والأخبـار الشهيرة ، وعلى أصحـابـه الذين قاموا بنصرته وبإيضاح طريقه المستقيم ، وبذلوا أنفسهم ونفيسهم في مرضـاة الرب العليم .

أما بعد فهذا بلاغ واف ، وبيان شاف ، أردنا به نصح أخوان الدين وإيقاظ همم المسلمين ، وحررناه إلى كل مطلع عليـه من العلمـاء العـاملين ، وإخواننـا أهل الـدين ، وفقهم الله لصـالح القول والعمل ، وحرسهم بطـاعتـه عن مزالق الزلل . وحياهم بشريف السلام ، ورحمة الله وبركاته على الدوام .

إنه قد علم ما دهى الإسلام والمسلمين من داء التفرق والاختلاف ، والمخـاصات التي أغلقت بهـا أبـواب الـوفـاق والائتـلاف ،حتى فشـل المسلمـون وذهبت ريحهم وصاروا كأنهم أدنى عنصر في العالم غير مهاب الجناب ؛ ولا مصون من الاغتصاب ، إلى أن طمعت في استئصالهم وإخضاعهم الدول الأجنبية ،وخصوصاً العرب الذين هم منشأ هذا الدين ومبـدأ ظهوره ، وأفق تجليـات نوره ، وهم الـذين أعز الله بهم الإسلام ، وملكوا أكثر العالم وانفتحت لهم قاراته وحصين قصوره لما كانوا عليه من التوحيد ديانة وسياسة وعلماً وعملاً ، والتعاضد والتعاون لا يبغون عنه حولا ، ولا يرضون بسواه بـدلا ، حتى خضعت لهم الرقـاب ، وذللت لهم الصعـاب ، وضربت

بعزهم الأَمثـال ، وسعـدت بصولتهم الأَجيـال ، وقـد استبـان في هـذا القرن شـؤم التفرق والاختلاف ، وأنه السبب الوحيد لتمزيق الأَجـانب بلاد المسلمين ثم الأَخـذ والاختطاف ، وانهدام ذلك المجد الشامخ ، والعز البـازخ ،وحل بكثير من المسلمين ذوي العقول عظيم التـأسّف والنـدم ، ولكن بعـد أن صـاروا في أشراك الاقتنـاص وبعد زلة القدم .

وقـد آن لنـا معشر المسلمين أن ننظر لأَنفسنـا بعيون الاستبصـار ، وأن نحيـد آراءنا لما يكون به عزنا وشرفنـا ورجوع أيـامنـا التي ارتقينـا فيهـا صهوة كل عزة وانتصار ، وليس لنا إلى ذلك من سبيل ، إلا اتباع مـاأرشـدنـا إليـه الرب الجليل من الاعتصـام بحبل الله وعـدم التفرق والتنـازع واتبـاع صراط الله المستقيم وترك اتباع السبل المتفرقة المضلة عن سبيله كما جاء في الـذكر الحكيم وإدارة كل شئوننـا على منهاج شريعة الله عبادة ومعاملة ودفاعاً ،وكفى بهدي الله لنا وسيلـة إلى نيل كل مطلوب ، ودفـع كل مخـوف مرهـوب ، ولقـد قمنا بقـامنـا هـذا الحرج طلبـاً لخدمة الله باصلاح مانقدر عليـه من أحوال المسلمين والـدعـاء إلى الله وطـاعتـه ، بامتثال أوامره ونواهيه والانقيـاد لشريعتـه ، وقـد حصل لنـا في أكثر هـذه البلاد المرام ، وترتبت الأَعمـال على مراضي الرب العـلام ، ولم نـزل نجـدد الإرشـاد ، إلى كثير من البـلاد ،راجين الله تعـالى أن يجمـع كلمـة المسلمين لمـا بـه حفـظ دينهم وبلادهم ، وحوزتهم وعـزهم وكيـانهم ، ولمـا كانت بـلاد اليمن قطعـةواحـدة وأهلهـا متحدو العنصر والديانـة متفقو اللغـة متقـاربو الأَنســاب من الأَشراف والقبـائل ، لا اختلاف بينهم في شيء . فربهم واحـد ونبيهم واحـد ، وكتـابهم واحـد ، ودينهم واحـد ، بلا اختلاف يعـول عليـه إلا من لا معرفـة لـه بـالشريعـة ، ولا بـواضح مناهجهـا الوسيعـة ، ومـا أهل الـديـانـة والعرفـان ، وأولو العقول التي بهـا تعرف طرائق الإحسـان . فهم يعرفون أن أهل القطعـة المبـاركـة اليمنيـة كأهل مـدينـة واحدة ، ومع هذا فالواجب علينا جمع الكلمة ، واتحاد الرأي وتوحيـد الطـريقـة ،

وعقد الولاء على الحقيقة ، حتى تكون كالجسم الواحد وكالبنان أو كالبنيان ، كما وصف به الرسول صلى الله وسلم عليه وآله وصحبه أهل الإيمان .

وقد عممنا دعوتنا هذه التي هي دعوة حق إلى كل من بلغته ، وحررنا هذا الكتاب مع غيره إلى أهل جهاتكم وما والاها من العلماء الأعلام ، والرؤساء الفخام ، والمشايخ والأفراد ، ندعوكم بدعوة الحق إلى ماأسلفناه في هذا الكتاب ، ونقول هلموا أيها الإخوان إلى ما به عز الدنيا والدين ؛ والوصول إلى الخير المستبين ، لنعمر أمور ديننا ودنيانا ، على طريقة الأسلاف الذين هم أسوتنا ومقتدانا ، وليس المراد ملكاً نشيده ، ولا مالاً نستزيده ، ولا جاهاً نستفيده ، وإنما المراد اجتماع المسلمين بالمحجة البيضاء والصراط المستقيم ، وسنقر كل بلاد بيد رؤسائها ، ونحيل إليهم مجرى أعمالها ومرساها ، هلموا إلينا للعمل بكتاب الله وسنة رسول الله والسلف الصالح : نحيي ماأحيا الله ، ونميت ماأمات الله ، نأمر بالمعروف ، وننهى عن المنكر المخوف ، ونمنع التظالم ، ونأخذ على يدي الظالم ؛ ونحقن الدماء ، ونعمل بشريعة خالق الأرض والسماء ، ونجري الأعمال ، على محور إرشادات ذي الجلال ، فكل ما خالفها فهو الباطل المضمحل ، وما وافقها فهو الحق المستفحل ، بإرشادات الشريعة صلاح الدين والدنيا وقد خاب من عدل عنها . ولم يتم للسلف الصالح نصرة الدين وفتح الأقطار الشاسعة إلا بالعمل بإرشادات شريعة الله .

ونقول أيضاً أيها العلماء الأعلام : أنتم المكلفون ببث ما علمكم الله ونشره للناس ، وثمرة العلم إنما هي العمل والإرشاد إلى ما به ذهاب البأس ، فقد أخذ الله عليكم ميثاقه الأكيد ، وألزمكم القيام بالتعليم والوعظ والنصيحة للعامة وإرشادهم إلى الخير والمزيد ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والتخويف من عقاب الله ، والإنذار بسخطه ومقته على من أعرض عما أوجبه الله عليه ، ولم يوجب الله على العامة السؤال بقوله سبحانه ﴿ فاسألوا أهل الذكر إن كنتم

لا تعلمون ﴾ حتى أوجب عليهم البيان بقوله ﴿ وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتو الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه ﴾ وقال صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم « لتأمرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم[1] عهد الله أحق ما أدى[2] » فشمروا كثر الله سوادكم عن ساق الهمة في هذا السبيل ، وبينوا وعظوا وانصحوا لتفوزوا بالأجر الجزيل ، وأحيوا سنة السلف الصالح في هذا الجيل ، فقد قام بالدعوة إلى آل محمد من السلف الصالح من به يقتدى ، ويقتفى أثره وبنور إرشاده يهتدى ، منهم الإمام الشافعي والإمام أبوحنيفة رضي الله عنهما .

واعلموا أن هذا الذي ندعوكم إليه هو أمر محبوب عند كل بني الإنسان خصوصاً عند الدول المتمدنة فإنها تعتبر هذا من الأمور الواجبة على الأمم ، **وخصوصاً الحكومة البريطانية ، وإنا نؤمل منها غاية المساعدة[3] لأمور مهمة ، مما تتقوى به هذه الدعوة المبنية على أساس متين ، فهي الدولة المفتخرة بمحبتها للعرب ،وإعانتها لهم في كل ما يتم به الأرب ، خدمة للإنسانية ورعاية لحقوقها التي ترشد إليها الضمائر الوجدانية .**

وقد وصل إلينا رؤساء البيضا[4] في هذه الآونة وأعلمناهم ما ندعو إليه ، وما نحرض الناس عليه ، وضربنا لهم الأمثال ، بأحوال الجهات التي نفذت فيها

---

(١) المنار : تتمة الحديث « شراركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم » .

(٢) المنار هذا حديث آخر .

(٣) يعني بهذه المساعدة - والله أعلم - تمكينه من نشر دعوته ورفع لواء إمامته في البلاد المجاورة التي كانت قد قيدتها بالحماية ولعل سبب هذا الأمل أنه قد تم الاتفاق بينه وبين الدولة البريطانية وقد بلغنا أنهم قد حذفوا من مواده كل القيود التي تنافي الاستقلال المطلق إلا تقديمهم على غيرهم من الأجانب في كل مشروع أو امتياز اقتصادي عند تساوي الشروط وأن تمنح الإمام البلاد التي كانت محمية الاستقلال الإداري تحت سيادته كحضرموت ولحج ، وسننشر نص الاتفاق متى جاءنا بعد العلم الصحيح بالتوقيع عليه ووضعه موضع التنفيذ .

(٤) البيضا : من بلاد اليمن بالقرب من حضرموت .

أحكام ذي الجلال ، وما ضرب فيها من العدل والإحسان والأمان ، وما ارتفع عنها من الفحشاء والمنكر والبغي والعدوان ، ثم كان عزمهم من لدينا متقلدين الطاعة ، منخرطين في سلك الجماعة ، ونحن إن شاء الله على أهبة إرسال شرذمة من الأجناد ، إلى هاتيك البلاد ، لصلاح أحوالها ، ومحق أهوالها ، ونسأل الله تعالى أن يأخذ بنواصي الجميع إلى مراضيه ، ويوفقنا إلى سلوك السبيل الأقوم واجتناب معاصيه ، ويفتح لسماع نصيحتنا وإرشاداتنا أسماع كافة الاخوان ، إنه الكريم المنان ، فهذا ما ندعوكم إليه ، ونأمركم به ، وهو معذرة إلى الله وحجة عليكم عند الله ﴿ إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ﴾ والسلام عليكم . بتاريخه في ٤ ذي القعدة الحرام سنة ١٣٤١ هـ .

ج/٧ ، م/٢٤ ، ص ٥٥١ ـ ٥٥٥
ذو القعدة ١٣٤١ هـ = يوليه ١٩٢٢



الملحق

٣٢

منشور الإمام يحيى والإنكليز

قال الإمام يحيى في منشوره الذي نشرناه في الجزء السابع إن الدولة البريطانية تفتخر بحب الخير للعرب ، فاستنبط بعض أصحاب الأهواء من هذه الكلمة أنه قد ارتبط بحمايتهم كغيره من أمراء العرب ، وطفق بعض الكتاب في سورية ينوه بذلك وبعضهم ينصح للإمام ويحذره من الإنكليز وهو أحذر من غراب وأعلم من هؤلاء الناصحين وممن هم أعلم منهم بكنه القوم ، وآخر ما جاءنا من أخبار الإمام أنه لا زال ممتنعاً عن عقد أي اتفاق معهم وإن لم يكن ضاراً به ، فليوجه أولئك الناصحون نصحهم إلى من هم أحوج إليه من الخادعين لهم والمخدوعين بهم . إلى الملك حسين بن علي الذي أسس نهضته على الحماية الإنكليزية في الداخل والخارج وكتب في كتاب رسمي أنه يكون خارجاً من رحمة الله تعالى إذا قبل من الدول كلها أضعاف ما يعطيه الإنكليز لأمته بدون وساطتهم !!

ج/ ٨ ، م/ ٢٤ ، ص٦٢٨

١٣٤١ هـ = ١٩٢٣ م

☆ ☆ ☆

كنز الرشاد ، وزاد المعاد : « تأليف أمير المؤمنين ، الهادي إلى الحق المبين ، عز الدين بن الحسن عليه السلام » وهو الإمام الهادي الذي ولي الإمامة في اليمن سنة (٨٨٠ هـ) وتوفي سنة (٩٠٠ هـ) وكان عالماً متفنناً وعابداً ناسكاً ، وكتابه

هذا مختصر من أجمع المختصرات في تصوف الأخلاق والآداب الدينية ، وهو يستمد من إحياء العلوم للغزالي وأمثاله من كتب التصوف والرقائق والمواعظ ، وقد علق عليه صديقنا الشيخ عبد الواسع الواسعي اليمني بعض الحواشي لإتمام الفائدة ، وطبع في هذا العام (بمطبعة أمين طبيش الكبرى) بمصر على ورق أصفر غير صقيل فبلغت صفحاته تسعين صفحة من حجم رسالة التوحيد .

ج/٨ ، م/٢٤ ، ص ٦٣٩
١٣٤١ هـ = ١٩٢٣ م



الملحق

٣٣

المطبوعات الحديثة

شرح الأزهار، المسمى بالمنتزع المختار، من الغيث المدرار

كتاب الأزهار في فقه الأئمة الأخيار : متن جامع في فقه الزيدية أو العترة النبوية ، لعلامتهم المتفنن الإمام المهدي . وهو أحمد بن [يحيى] المرتضى الهدوي الذي بويع بالإمامة العظمى لما مات الإمام صلاح الدين سنة ٧٩٣ هـ وقد حدث عقب مبايعته أحداث سجن في أثنائها في قصر صنعاء ، وقيل في الدار العمراء ، وكانت مدة حبسه سبع سنين ، ألف في أثنائها متن الأزهار ، وشرحه الغيث المدرار ، ثم خرج وذهب إلى الإمام الهادي واتفقا وتوادا وتم له الأمر بعده ، قال العلامة المقبلي صاحب العلم الشامخ : الإمام المهدي هو الذي أخرج مذهب الزيدية إلى حيز الوجود ، وقد شرح الأزهار كثيرون من علماء اليمن المستقلين المجتهدين كالإمام الشوكاني وسمى شرحه السيل الجرار ... والمقلدين كالعلامة أبي الحسن عبد الله بن مفتاح المتوفى سنة ٨٧٧ هـ وسمى شرحه (المنتزع المختار من الغيث المدرار) فهو مختصر من شرح المصنف .

فأما الإمام الشوكاني فهو يذكر الأحكام بأدلتها ، ويقيم ميزان التعادل والترجيح بينها ، على طريقته في كتاب (نيل الأوطار) في فقه الحديث ، وأما ابن مفتاح فيعنى بتحقيق الراجح في مذهبهم ، ويذكر خلاف كبار علماء الأمصار كالأئمة الأربعة ـ أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد ـ وقلما يخرج مذهب الزيدية

عن هذه المذاهب ، وإنما يتحقق بأربعة أصول : العـدل والتوحيـد بـالمعنى المشهور عن المعتزلة فيها ، والقول بإمامـة زيـد بن علي رضي الله عنـه ، ووجوب الخروج على الظلمة .

طبع هذا الشرح (المنتزع المختار) في العام الماضي مع حواش عليـه في أربعـة مجلـدات كبيرة ، طبع بمصر في عـدة مطـابع على نفقـة ملتزمـه (الشيـخ علي يحي اليماني) ووقف على طبعـه وعني بتصحيحـه صـديقنـا الشيخ عبـد الواسع الواسعي اليماني فيحسن بـالمتـوسعين في علم الفقـه أن يقتنـوا هـذا الكتـاب ويطـالعـوه أو يراجعوه عند الحاجة .

ج/٩ ، م/٢٤ ، ص ٧١٩ ـ ٧٢٠
١٣٤٢ هـ = ١٩٢٣ م



الملحق

٣٤

العالم الإسلامي

الدعوة الرسمية إلى مؤتمر الحجاز

قد جدد السلطان عبد العزيز آل سعود الدعوة إلى عقد مؤتمر إسلامي في مكة ولكن بصورة رسمية لا في الجرائد كما فعل أول مرة ، فأرسل مكتوبات باسمه مختومة بختمه إلى الملوك والأمراء ورؤساء الحكومات الإسلامية كمصر وإيران والترك والأفغان واليمن وتونس ، وإلى أشهر الجماعات العلمية الإسلامية في الهند وسورية وفلسطين . وعبارة هذه المكتوبات واحدة لا فرق فيها إلا عناوين المرسلة إليهم . وإننا ننشر نص ما أرسله إلى إمام اليمن تخطئة للمقطم الذي زعم تأييداً لهواه أن هذه الدعوة لم ترسل إليه . وهذا نصها :

بسم الله الرحمن الرحيم

السلطنة النجدية وملحقاتها

مكة المكرمة ٨ ربيع الآخر سنة ١٣٤٤ هجرية

عدد ٢٢١

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود إلى حضرة الحسيب النسيب الأخ المكرم الإمام يحي حميد الدين حفظه الله تعالى .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد : فإننا نرجو لكم ولشعبكم النبيل كل خير وسعادة ويمن وتقدم ، وإني لسعيد أن أمد يدي ليدكم الكريمة بالتعاون على خدمة الإسلام والمسلمين والبلاد الطاهرة ، وإني مملوء ثقة أنه بتعاوننا على الخير سيكون السبيل السعيد لجميع الشعوب الإسلامية .

يا صاحب الشهامة إني لست من المحبين للحرب وشرورها ، وليس لديّ شيء أحب من السلم والسكون والصفاء والهناء والتفرغ للإصلاح ، ولكن جيراننا الأشراف أجبروني على امتشاق الحسام ، وخوض غمرات الحرب خمس عشرة سنة لا في سبيل شيء سوى الطمع على ما بأيدينا . لقد صدونا عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعله الله للناس سواء العاكف فيه والباد ، ودنسوا البيت الطاهر بكل نوع من الموبقات مما لا يتحمله مسلم .

لقد رفعنا علم الجهاد لتطهير بلد الله الحرام وسائر بلاد الله المقدسة(☆) من هذه العائلة التي لم تترك سبيلاً لحسن التفاهم وحسن النية ، ولما اقترفت من الشرور والآثام . وإني والذي نفسي بيده لم أرد التسلط على الحجاز ولا تملكه ، وإنما الحجاز وديعة في يدي إلى الوقت الذي يختار الحجازيون لبلادهم والياً منهم يكون خاضعاً للعالم الإسلامي ، وتحت إشراف الأمم الإسلامية ، والشعوب التي أبدت غيرة تذكر كالهنود .

إن الخطة التي عاهدنا عليها العالم الإسلامي ، التي لا نزال نحارب من أجلها مجملة فيما يلي :

(١) إن الحجاز للحجازيين من جهة الحكم ، وللعالم الإسلامي من جهة الحقوق التي لهم في هذه البلاد .

(☆) وفي بعض المكتوبات البقاع المقدسة .

(٢) سنجري الاستفتاء التام لاختيار حاكم الحجاز تحت إشراف مندوبي العالم الإسلامي ، ويحدد الوقت اللازم لذلك فيما بعد . وسنسلم الوديعة التي بأيدينا لهذا الحاكم على الأسس الآتية :

(١) يجب أن يكون السلطان الأول ، والمرجع للناس كافة هو الشريعة الإسلامية المطهرة .

(٢) حكومة الحجاز يجب أن تكون مستقلة في داخليتها ، ولكن لا يصح لها أن تعلن الحرب على أحد . ويجب أن يوضع لها النظام الذي لا يمكنها من ذلك إذا أرادت .

(٣) لا تعقد حكومة الحجاز اتفاقات سياسية مع أية دولة كانت .

(٤) لا تعقد حكومة الحجاز اتفاقات اقتصادية مع دولة غير إسلامية .

(٥) تحديد الحدود الحجازية ووضع النظم المالية والقضائية والإدارية للحجاز موكول للمندوبين المختارين من الأمم الإسلامية ، وسيحدد عددهم باعتبار المركز الذي تشغله كل دولة في العالم الإسلامي والعربي . وسيضم لهؤلاء ثلاثة مندوبين من جمعية الخلافة وجماعة أهل الحديث وجمعية العلماء في الهند .

هذا ما نويناه لهذه البلاد ، وما سنسير عليه في المستقبل إن شاء الله تعالى . وإنا لنا الأمل العظيم في أن تسرعوا في إرسال مندوبيكم ، وإخبارنا عن الوقت المناسب لعقد هذا المؤتمر . هذا ما لزم بيانه ، وفي الختام تقبلوا ما يليق من التحيات والاحترام .

(ختم السلطان)

ج/٧ ، م/٢٦ ، ص ٥٤٠ ـ ٥٤٢

١٣٤٤ هـ = ١٩٢٦ م

☆ ☆ ☆

الملحق

٣٥

تقريظ المطبوعات الحديثة

سبل السلام

من الكتب القيمة التي أخرجتها المطابع في هذا العام كتاب (سبل السلام ، شرح بلوغ المرام ، من جمع أدلة الأحكام) فقد قام بطبعه جماعة من العلماء الذين يهمهم نشر السنة وأعنوا بتصحيحه جد العناية ، وأحسن ما نصف به الكتاب ذلك التعريف الذي وضعه له في صدر الجزء الأول مصححه صديقنا الشيخ محمد عبد العزيز الخولي المدرس بقسم التخصص في مدرسة القضاء الشرعي فنثبت هنا مجمل ما قال في ذلك التعريف وهو :-

(**بلوغ المرام**) : كتاب جمع فيه الحافظ ابن حجر كل الأحاديث التي استنبط الفقهاء منها الأحكام الفقهية مبيناً عقب كل منها من خرجه من أئمة الحديث كالبخاري ومسلم ، موضحاً درجة الحديث مرتباً له على أبواب الفقه ، وضم إلى ذلك في آخر الكتاب قسماً مهماً في الآداب والأخلاق والذكر والدعاء :

فجاء محمد بن اسمعيل الأمير اليمني الصنعاني وشرح ذلك الكتاب وذكر ما يدل عليه الحديث من الأحكام الفقهية ومن قال بها من كبار المجتهدين صحابة وتابعين وأئمة المذاهب (رضوان الله عليهم أجمعين) ومن خالفها مبيناً نوع المخالفة ودليلها ثم يقضي بينهم بالحق الذي يؤيده الكتاب والسنة غير متحيز إلى مذهب من المذاهب عملاً بقوله تعالى ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم

لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً ﴾ وقوله ﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً ﴾ . فمقتضى الإيمان أن نحكم رسول الله ﷺ في كل خلاف بين المسلمين وخاصة الفقهاء المشرعين الذين يرسون لنا أحكام العبادات والمعاملات ، ولا يكفي مجرد التحكيم بل لا بد معه من الاذعان النفسي وتنفيذ الحكم كا أمر العليم الحكيم الذي صرح في الآية الثانية بأن من قدم حكم غيره على حكمه وحكم رسوله فقد عصى الله ورسوله وضل ضلالاً مبيناً ، وكان واجباً على علماء المسلمين وأولي المكانة فيهم في العالم الإسلامي كله وخصوصاً مصر التي هي قطب رحى البلاد الإسلامية والتي فيها الأزهر كعبة الرواد للعلوم الإسلامية - كان الواجب عليهم أن يعرضوا آراء الفقهاء على كتاب الله وسنة رسوله فما كان قريباً منها أو يوافق صريحها أخذ ، وما كان خلاف ذلك ترك . وليس في ذلك غمط للمذاهب جزى الله أهلها خير الجزاء - ولكن في ذلك إحقاق الحق وترك التقدم بين يدي الله ورسوله امتثالاً لقوله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم ﴾ إنهم إن فعلوا ذلك وحدوا بين المسلمين في العبادات فكان مظهرهم فيها واحداً ، ووحدوا بينهم في المعاملات فاستطاع المشرعون أن يضعوا القوانين المدنية والجنائية من هذه الشريعة الحكيمة الصادرة عن علم الله المحيط بأمراض النفوس والجماعات وما تداوى به :

الدين الآن ليس له وجود إلا بين المشتغلين به فلا هو في النفوس ولا هو في المحاكم أللهم إلا بقايا يلتهمها الزمان شيئاً فشيئاً - فجدير بالعلماء أن يفكروا طويل التفكير في السبيل الذي يصلون منه إلى إحلال الدين في القلوب والعمل به في محاكم المسلمين . وإن هذا الكتاب - سبل السلام - الذي محص صحيح الآراء من سقيمها ووزنها بميزان الكتاب والسنة خطوة في هذا السبيل نتقدم به إلى كل مسلم غيور على دينه محب أن تكون له الكلمة .

والكتـاب لم يخل من عثرات لكنهـا قليلـة ولكل جواد كبـوة ، ولكل صـارم نبوة ، والعصمة لله وحده . ومع ذلك لم تفتنا هذه العثرات بل نبهنـا عليهـا وبينـا صريح الحق فيها فجاء الكتاب بحمـد الله فيما نعتقـد من خيرة كتب الأحكام التي ينبغي العكوف على تعلمها وتعرف ما فيها .

الكتب المؤلفة في أحاديث الأحكام وشرحها كثيرة وكتابنا هـذا وسـط فيهـا خيار منها ، فإنه يقصـد المحز ويطبق المفصل فيـأتي بـالسمين دون الغث ويعرض عن ذكر الخلافـات التي لا ترتكز على دليـل ، ويقتصـد في بيـان الطعـون التي في الأسانيد فجاء من أجل هذا كتاباً وسطاً في أربع مجلدات .

ولقد عانينا في تصحيحه مشقات كبيرة فإن النسخـة التي طبعنـا منهـا فيهـا خطأ كثير اضطررنا إلى الرجوع إلى الأصول التي منها استمد الكتاب وأصلـه وكنـا نراجع الأصل أيضـاً على كتـاب (فتح العلام) الـذي طبـع في المطبعـة الأميريـة والذي هو نسخة ثانية من سبل السلام سميت باسم جديد ، ولم تخل من التحريف والخطأ كأصلها سبل السلام - وان من حسنات مدرسة القضـاء الشرعي أن قررت دراسة هذا الكتاب في أحاديث الأحكام لطلبة التخصص فيها فكانت تلك حسنـة في الدين إلى حسناتها في خدمة القضاء .

وفي الختـام نـدعو المفكرين من المسلمين إلى أن يقومـوا بـواجبهم نحـو الـدين ﴿ قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ☆ يهـدي بـه الله من اتبع رضوانـه « سبل السلام » ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم ﴾ .

والكتاب أربعة أجزاء صفحات الأول ٢٩٠ والثاني ٣٠٤ والثـالث ٣٦٨ والرابع ٣١٢ عدا فهارسـه الواسعـة التي حوت كل مسـألـة في الكتـاب وترجمـة مؤلف المتن ومؤلف الشرح . والكتـاب مطبـوع على ورق أبيض نـاعم ولكنـه أصنـاف ثـلاثـة

عادي ، وجيد ، وممتاز وثمن الصنف الأول ٥٠ قرشاً والثاني ٦٠ والثالث ١٠٠ عدا أجرة البريد . ويباع في مكتبة المنار ويطلب من مصححه الشيخ محمد عبد العزيز الخولي المدرس بمدرسة القضاء الشرعي .

ج/٤ ، م/٢٧ ، ص ٣١٦ ـ ٣١٩
١٣٤٤ هـ = ١٩٢٦



الملحق

٣٦

باب الانتقاد على المنار

وهب بن منبّه وكعب الأحبار

بينا في الجزء الأول ما رأيناه كافياً في إثبات جرح كعب الأحبار والرد على المنتقد الذي ذهب إلى أن جرحه يشين السنة المحمدية (برأها الله وأغناها عن كعب الأحبار وعن وهب بن منبه أيضاً) .

وأما وهب بن منبه فقد كان تابعياً عابداً ، ولم يتهم في شيء من دينه إلاّ بالقول بالقدر ، وذكروا عنه أنه رجع عنه ، وقد ضعفه عمر بن الفلاس ، واغترّ به الجمهور لأن جل روايته للإسرائيليات ولم يكونوا يدققون النظر في نقدها تدقيقهم في نقد روايات أصول الدين وفروعه ، وقلما كان أحد من رجال الجرح والتعديل يعرف شيئاً من كتب أهل الكتاب ليصح حكمه على الرواة عنها ، على أن البخاري رحمه الله تعالى لم يرو عنه حديثاً في صحيحه مرفوعاً ولا قصة إسرائيلية ، ولا مسألة علمية ، وإنما روى عنه أثراً واحداً وهو ماحدّث به عن أخيه همام عن أبي هريرة من قوله : ليس أحد أكثر مني حديثاً إلا عبد الله بن عمرو بن العاص ، فإنه كان يكتب ولا أكتب . ولم ينفرد به وهب بل تابعه عليه معمر عن همام فلا يصح أن يعد وهب من رواة صحيح البخاري الذين ائتمنهم على سنة الرسول ﷺ .

هذا وإن مانقلوه عنه من الرجوع عن عقيدة القدر لرميٌ له بعقيدة الجبر المحض وهي شر منها ، فكانوا بذلك كمن يغسل الدم بالبول ، وهو مع ذلك يدل

على كذبه فيما يرويه عن كتب الأنبياء عليهم السلام ، فقد ذكروا عنه أنه قال : كنت أقول بالقدر حتى قرأت بضعة وسبعين كتاباً من كتب الأنبياء في كلها « من جعل إلى نفسه شيئاً من المشيئة فقد كفر » فتركت قولي . اهـ ، من تهذيب التهذيب ومقدمة فتح الباري للحافظ ابن حجر .

أقول : (أولاً) إن كتب الأنبياء التي بأيدي أهل الكتاب لاتبلغ هذا العدد .

(ثانياً) إننا تصفحنا أشهرها فلم نجد هذا القول فيها ، ولا رأينا أهل الكتاب ينقلونه في مجادلاتهم في هذه المسألة .

(ثالثاً) إن هذا القول باطل قطعاً بدليل الآيات الكثيرة في القرآن ، المثبتة لمشيئة الإنسان ، كقوله تعالى : ﴿ فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ﴾ ، ﴿ لمن شاء منكم أن يستقيم ﴾ ، ﴿ اعملوا ماشئتم ﴾ ، ﴿ فأذن لمن شئت منهم ﴾ ، ﴿ لمن شاء منكم أن يتقدَّم أو يتأخر ﴾ وفي معنى الآيات أحاديث كثيرة أيضاً . ولا ينافي هذه الآيات قوله تعالى : ﴿ وما تشاؤن إلا أن يشاء الله ﴾ بل يقررها ويؤكدها إذ هو صريح في أن الله تعالى شاء أن يكون للبشر مشيئة خلقها لهم فيما خلقه من صفاتهم وغرائزهم وقواهم .

(رابعاً) إن وهباً قد انتقل من بدعة القدرية إلى بدعة الجبرية التي هي شر منها وأضر ، وأدهى وأمرّ ، فهي التي أماتت قلوب المسلمين وهممهم التي فتحوا بها البلاد ، ودكوا بها الأطواد ، وأرضتهم بالذلّ والهوان ، وتعبدتهم للظلمة منهم ، ثم للمستعبدين لهم من غيرهم . إن المشيئة هي أعظم الصفات التي يتفاضل بها بعض البشر على بعض ، وإن عقائد الإسلام وعباداته كلها مبنية على صحة المشيئة ، ومربية لقوة الإرادة ، التي أعمل الجبرية فيها معاول التأويل لهدم الإسلام بهدمها . وقد فعلت في إضعاف المسلمين مالم يفعله جميع أعدائهم منذ وجدوا إلى

هـذا اليوم . وإنما راجت دسائسها بما كانت تنفثه مواعظ الْعُبَّاد الجاهلين أو الخادعين الدساسين من سمومها القاتلة ، أي إن الإنسان لا مشيئة له ولا إرادة ، وإنما هو كالريشة الملقاة تقلبها الرياح باختلاف مهابّها ، وأن هذا هو المراد بالقدر الوارد في الكتاب والسنة ، وقد بينا بطلان ذلك مراراً . وأن التقدير هو النظام والسنن التي اقتضتها الحكمة الإلهية في الخلق .

هذا وإن عمدتنا في جرح رواية وهب ماجاء به من الإسرائيليات التي نقطع ببطلانها وهو آفتها كروايات كعب فيها . وقد شوها تفسير كتاب الله بما بثا فيها من الخرافات ، وبما أدخلا فيها من العقائد الباطلة ، ومن تأييد عقائد أهل الكتاب والشهادة لكتبهم التي بين أيديهم بالصحة .

ونكتفي في هذه وهي شرها بما نقله الحافظ ابن كثير عنه في تفسير قوله تعالى : ﴿ وإن منهم لفريقاً يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ، ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ، ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون ﴾ قال : قال وهب بن منبه : إن التوراة والإنجيل كما أنزلهما الله تعالى لم يغير منهما حرف ولكنهم يضلون بالتحريف والتأويل وكتب كانوا يكتبونها من عند أنفسهم ﴿ ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ﴾ فأما كتب الله فإنها محفوظة ولا تحول ، رواه ابن أبي حاتم .

قال ابن كثير : « فإن عنى وهب مابأيديهم من ذلك فلا شك أنه قد دخلها التبديل والتحريف والزيادة والنقص . وأما تعريب ذلك المشاهد بالعربية ففيه خطأ كبير ، وزيادات كثيرة ، ونقصان ووهم فاحش ، وهو من باب تفسير المعرب المعبر[1] وفهم كثير منهم بل أكثرهم بل جميعهم فاسد . وأما إن عنى كتب الله التي هي كتبه من عنده فتلك كما قال محفوظة لم يدخلها شيء » اهـ .

---

(١) وفي نسخة مكتبة الأزهر : المعبر المعرض . ولعل مراده بالمعبر العبري أي العبراني .

أقول : إن ابن كثير قد علم من حال كتب أهل الكتاب مالم يكن يعلم أئمة الجرح والتعديل ممن فوقه كأحمد وابن معين والبخاري ومسلم الذين لم يروا هذه الكتب كما رآها ، ولم يطلعوا على ما بينه المطلعون عليها قبله من تحريفها وأغلاطها ومخالفتها لما نقطع به من أصول الإيمان بالله ورسوله .. إلخ ، كابن حزم وابن تيمية أستاذه ، ولو علم أولئك ماعلمه هؤلاء من ذلك لجزموا بأن وهباً كان كذاباً غاشاً للمسلمين بصلاحه ، ولم يقبلوا له رواية قط . كما كانوا يجزمون بجرح من يقول في الدين بدون مازعمه من كون التوراة والإنجيل اللذين في أيدي أهل الكتاب كما أنزلهما الله تعالى لم يتغير منهما حرف واحد . وإن تحريفهم لهما إنما كان في تأويلهما ، وفي نسبة بعض المسائل التي ليست فيهما إليهما ، أي كما يفعل المبتدعون في الإسلام والمتعصبون للمذاهب في تأويل القرآن والحديث لإثبات بدعهم ومذاهبهم . وكما أراد ابن كثير عفا الله عنه أن يلتمس لوهب تأويلات كتأويلات متعصبي المذاهب لمشايخهم . ولو نقل هذا القول عن جهمي أو معتزلي أو شيعي لقطع هو وأمثاله بخروجه به من الملة ، ـ فهذا التأويل بديهي البطلان ، لأن كل أحد يجزم بأن وهباً يتكلم عن التوراة والإنجيل الموجودين في الأرض لا عن اللوح المحفوظ ، ولا عن علم الله عز وجل ، وعن كلامه الذي هو صفة من صفاته ـ ولو أردنا أن نجمع من تفسير ابن كثير وحده ما فيه من الإسرائيليات وغيرها عن وهب نفسه وعن صنوه في روايتها كعب الأحبار ، وننتقدها لألفنا في ذلك كتاباً خاصاً ، مع العلم بأن ابن كثير رحمه الله تعالى يحترس مما لم يحترس غيره منها . وأما إذا رجعنا إلى كتب القصاصين والمفسرين الذين جمعوا كل ماسمعوا فإننا نجد هنالك العجب العجاب ! والذي يقال فيه : إنه لاتلبس عليه ثياب . ويا حسرتا على من يظنون أن سنة النبي المختار ، تزول الثقة بها بجرح وهب وكعب الأحبار . اهـ .

ج/٩ ، م/٢٦ ، ص ٧١٦ ـ ٧١٩

١٣٤٤ هـ = ١٩٢٦ م

الملحق

٣٧

باب الانتقاد على المنار

بسم الله الرحمن الرحيم

مبحث في الجرح والتعديل

إثبات توثيق كعب الأحبار ووهب بن منبه

حضرة صاحب الفضيلة السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار المحترم .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أما بعد فإنكم كثيراً ما تدعون إلى انتقاد المنار . وإن هذه أكبر مزية له لأن تحقيق المباحث العلمية من أسمى ما يتشوق إليه طلاب الحقائق الذين لا يستريحون إلا بالوقوف عليها ، ولا سبيل إلى ذلك إلا بالانتقاد ، والمناقشة والأخذ والرد . فإن الحقيقة بنت البحث . وإن المناقشة في أي مبحث كان تولد فيه من الفوائد العلمية ما تجعله مقدماً على غيره من المواضيع الغفل التي لم يطرقها بحث فلم تنضج بعد . ولم يكن لها في نفس القارىء ذلك الأثر الثابت الذي يشعر به عند تلاوة مواضع البحث والمناظرة . وشتان بين اطلاعه على ما يحتمل أنه رأي شخصي وبين ما يعلم عنه من سميته في الحال ، لذلك أكتب ما يأتي :

أتيتم من خلال تفسير قوله تعالى ﴿ فألقى عصاه ﴾ من سورة الأعراف بما يؤخذ منه أنكم تجرحون وتطعنون على كعب الأحبار ووهب بن منبه بأنها

(١) رويا أخبار غرائب بني إسرائيل المكذوبة (٢) وكانا يدسان في الدين الإسلامي بكذب الراوية (٣) وأنهما من جمعيتين دبرتا قتل الخليفتين عمر وعثمان رضي الله عنهما كما هو موضح بصحيفة ١٦٩ من الجزء الثالث الصادر في ٢٩ شعبان سنة ١٣٤٢ هـ ولما كان هذا التجريح غير المعروف عنهما عند رجال الحديث من المتقدمين والمتأخرين إلى عصرنا هذا . ويوجب سوء سمعتهما عند قراء المجلة ويترتب عليه الحط من اعتبار أشهر كتب الحديث (البخاري ومسلم وأبي داود والنسائي والترمذي وابن ماجه وموطأ الإمام مالك) لذكرهما فيها على سبيل الرواية عنهما والاحتجاج بهما في عدةمواضع . وكنا في وقت كثر فيه الملحدون والمارقون الذين يثيرون على الدين الإسلامي أقل شبهة ، فخشية أن يقول مارق : إن صاحب المنار قد أظهر في رجال كتب الحديث التي تدعون صحتها من هو كذاب دساس ويحاول أن يقيم من وراء ذلك دليلاً على تقصير أصحابها في

انتقاء رجالهم ، ولا يخفى ما في ذلك من الخطر . وإيفاء للرجلين حقهما بادرت إلى انتقاد هذا الطعن والتجريح مثبتاً براءة الحبرين مما ذكر بالإشارة إلى محال نصوص علماء الجرح والتعديل الصريحة في توثيقهما توثيقاً لا يصح معه جرحهما بشيء مما ذكر . فلم تنشروا الانتقاد إلا بعد أكثر من عام أي في صحيفة ٧٣ من الجزء الأول الصادر في ٢٩ رمضان سنة ١٣٤٣ متبعين له بشيء من الرد عليَّ . ثم لم تنشروا بقية الرد إلا بعد عام آخر بصحيفة ٧١٦ من الجزء التاسع الصادر في ١٥ شعبان سنة ١٣٤٤ فلما كمل الرد ولم أجد فيه ما يشفي الغلة بل زاد الطين بلة . فإنكم وإن سلمتم ببراءتهما من الطعن الثالث فقد بالغتم في نسبتها إلى الأولين وهما محل الخطر (فوقفت حائراً) لأن الأمر أصبح في احتياج لمزيد بحث ودرس ، وأنا مشتغل بالحرث والدرس . ولم يكن بد من بيان الواقع من توثيق الحبرين وإلا كنت جانياً عليهما بتركهما بعد تعريضهما لأسنة البحث والمناظرة . فرجعت إلى ردكم منقباً عما حال دون إدراك الحقيقة فوجدت السبب ينحصر في ثلاثة

مواضع مهمة . فتجدد أملي في أنه مع بيانها يزول ما كنت أحذر . حيث إنها في نفس المنار تنشر . ومن علق بنفسه شيء مما سبق يزول . وننال معكم بذلك من الله تعالى الرضى والقبول .

الموضع الأول

قلب نص قاطع في الموضوع من الإثبات إلى النفي ـ وذلك فيما نقلتم في سياق جرحكم كعب الأحبار بصحيفة ٧٧ من الجزء الأول المذكور ونصه « وقد صرح الحافظ الذهبي في الطبقات بأنه ليس له شيء في صحيح البخاري وغيره » ولما كان هذا غير المعروف راجعت ترجمته في الطبقات أي تذكرة الحفاظ بصحيفة ٤٥ من الجزء الأول فوجدت النص هكذا « وله شيء في صحيح البخاري وغيره » هذا وقد قال الحافظ الذهبي في أول هذا الكتاب الجليل ما نصه « هذه تذكرة بأسماء معدلي حملةالعلم النبوي ومن يرجع إلى اجتهادهم في التوثيق والتضعيف والتصحيح والتزييف » واسما الحبرين ثابتان فيها وقال في ترجمة كعب المذكورة « إنه من أوعية العلم ومن كبار علماء أهل الكتاب أسلم في زمن أبي بكر فقدم من اليمن في دولة أمير المؤمنين عمر فأخذ عنه الصحابة وغيرهم وأخذ هو من الكتاب والسنة عن الصحابة وتوفي في خلافة عثمان وروى عنه جماعة من التابعين مرسلاً . وله شيء » الخ وترجمة وهب بن منبه في صحيفة ٨٨ من الجزء نفسه وقال فيها : « إنه عالم أهل اليمن ولد سنة ٣٤ هـ وروى عن أبي هريرة وعن عبد الله بن عمر وابن عباس وأبي سعيد وجابر بن عبد الله وغيرهم وعنده من علم أهل الكتاب شيء كثير فإنه صرف عنايته لذلك وبالغ .وحديثه في الصحيحين عن أخيه همام » .

وقد نص صاحب الفضيلة الشيخ محمد عبد العزيز الخولي المدرس بقسم التخصص في القضاء الشرعي في رسالته (مفتاح السنة) المطبوعة والمنشورة بمجلة

المنار على أن تذكرة الحفاظ هذه من كتب الثقات . كما نص العلامة القاسمي في كتابه الجرح والتعديل المطبوع والمنشور بالمنار أيضاً « على أن من الوجوه التي تعرف بها ثقة الراوي ذكره في تاريخ الثقات » وحيث ثبت ذكر الحبرين في هذه التذكرة وهي من تواريخ الثقات فيكون هذا حكماً بتوثيقهما توثيقاً لا يقبل نقضاً ، ومن ادعى غير ذلك فعليه البيان .

الموضع الثاني

حمل بعض أقوال بعض سلف الأمة وعلمائها على غير مرادهم لعدم البحث ، وذلك ثابت في قولكم ضمن الرد بصحيفة ٧٧ من الجزء الأول المذكور ما نصه « أما كعب الأحبار فإن البخاري لم يرو عنه في صحيحه شيئاً ولكن ذكره فيه بما يعد جرحاً له لا تعديلاً . قال الحافظ ابن حجر في ترجمته من تهذيب التهذيب : وروى البخاري من حديث الزهري عن حميد بن عبد الرحمن أنه سمع معاوية يحدث رهطاً من قريش بالمدينة وذكر كعب الأحبار فقال : إن كان لمن أصدق هؤلاء المحدثين عن أهل الكتاب وإن كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب (تأمل) قال الحافظ بعد نقل هذه العبارة عن الأصل (قلت) : هذا جميع ماله في البخاري وليست هذه رواية عنه فالعجب من المؤلف كيف يرقم له رقم البخاري وليست هذه رواية عنه فيوهم أنه أخرج له الخ يعني أن ذكر صاحب التهذيب رقم البخاري وهو حرف (خ) عند اسم كعب غلط وقد صرح الحافظ الذهبي في الطبقات بأنه ليس له شيء في صحيح البخاري وغيره . والمنتقد يبدي ويعيد ذكر رواية البخاري عنه وتوثيقه له . وأقول : إن قول معاوية إن كعباً كان من أصدق المحدثين عن أهل الكتاب وانهم مع ذلك اختبروا عليه الكذب طعن صريح في عدالته وفي عدالة جمهور رواة الإسرائيليات إذ ثبت كذب من يعد من أصدقهم ومن كان متقناً للكذب في ذلك يتعذر أو يتعسر العثور على كذبه في ذلك العصر

إذ لم تكن كتب أهل الكتاب منتشرة في زمانهم بين المسلمين كزماننا هـذا (إلى أن قلتم) : وجملة القول أن جرح كعب لا يقتضي خسران شيء يـذكر من العلم الـذي في صحيح مسلم ويوافق ما عند البخاري من إثبات معاويـة لكـذبه عنـده وعنـد غيره ولذلـك امتنع البخـاري عن الروايـة عنـه على غرور الجمهور بعبـادتـه » اهـ منار .

فهذه الجملة اشتملت عدا رأيكم على ثلاث عبارات للمتقدمين (الأولى) عبـارة سيدنا معاوية المروية في البخاري (الثانية) عبارة الحافظ ابن حجر المنصوصة في كتابه تهذيب التهذيب (الثالثة) عبارة الحافظ الذهبي المثبتة في كتابه الطبقـات المذكورة . أما عبارة الذهبي فقد بينا ما فيها قريباً وآفتهـا من كلمـة (ليس) التي حشيت فيها فقلبتها من الإثبـات إلى النفي . وعبـارة ابن حجر مترتبـة معنى على عبارة سيدنا معاوية . فوجب الكلام أولاً على عبارة معـاويـة رضي الله عنـه من جهة نصها ومعناها مع بيان غرض الإمـام البخـاري من ذكرهـا في صحيحـه حتى يتبين بجلاء إن كانت طعناً على كعب أو توثيقاً له .

أما من جهة نصها في صحيح البخـاري فهي في كتـاب الاعتصـام بـالكتـاب والسنة وقد أتى بها البخاري عقب ترجمته هكذا « بسم الله الرحمن الرحيم باب قول النبي ﷺ لا تسـألوا أهل الكتـاب عن شيء . وقـال أبـو اليان أخبرنـا شعيب عن الزهري أخبرني حميد بن عبد الرحمن سمع معاوية يحدث رهطاً من قريش بالمدينة وذكر كعب الأحبار فقال : إن كان لمن أصدق هؤلاء المحدثين الـذين يحـدثون عن أهل الكتاب وإن كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب » اهـ بخاري . وأثبت صـاحـب الفتح (إنْ) في رواية « وحدثنا أبو اليان » وأنّ إنْ مخففـة من الثقيلـة . وضبـط شيخ الإسلام (وذكر) بالبناء للمفعول وفي النسخ المضبوطـة بـالقلم علامـة صحـة حذف كلمة (أهل) عن أبي ذر الهروي فتكون روايته هكذا « الذين يحدثون عن الكتاب » هذا ما يتعلق باللفظ .

وأما من جهة المعنى فأحسن ما يبين معناها هو نفس كلام سيدنا معاوية ذاته عن كعب الأحبار شخصه . وقد اطلعتم على عبارة أخرى لسيدنا معاوية صريحة في الثناء على كعب وهي قوله « الا أن كعب الأحبار أحد العلماء إن كان عنده لعلم كالثمار وإن كنا فيه لمفرطين » كما هو منصوص في تهذيب التهذيب قبل ما نقلتم منه مباشرة . والعبارتان صدرتا منه رضي الله عنه بعد وفاة كعب لتصريحه بالتفريط في الأخذ عنه في هذه . والأولى قالها لما حج بالناس في خلافته كما نص عليه في الفتح ، وكعب توفي في خلافة عثمان رضي الله عنه كما سبق أي فلم يطرأ ما يوجب تغيير رأيه بين العبارتين .

فلا يصح مع ذلك قولكم إن العبارة - طعن صريح في عدالة كعب - إذ ثبت كذبه - بل كان متقناً للكذب - ومغرراً للجمهور بعبادته -) كما سبق نقله عن الناس لأن هذا تناقض بين عبارتي خليفة من خلفاء الإسلام وصحابي من أكابر الصحابة هداة الأنام مشهور بحصافة الرأي ومعروف بالبلاغة . فلا يتأتى منه أن يأسف على التفريط في الأخذ عن كذاب وليس من البلاغة وصفثين وفي آخرها بأنه من أكذب الكذابين وكيف يكون ذلك من أحد الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين .

على أن العبارة من حيث تركيبها العربي لا تصلح دليلاً مطلقاً على أقل ألفاظ هذا التجريح فإن إسناد الكذب فيها إلى (الكتاب) باعتبار ما فيه من التبديل أقرب من إسناده إلى (كعب) كما قرره شراح البخاري في توجيه احتمال رجوع الضمير في (عليه) إلى (الكتاب) ولأنه أقرب مذكور . وعلى كل حال فقد صارت هذه العبارة لا تصلح حجة على الطعن في كعب لأن الدليل متى تطرقه الاحتمال بطل به الاستدلال .

لذلك لم يقل أحد من علماء الحديث الذين شرحوا البخاري وغيرهم إلى هذه

العبارة قصد بها سيدنا معاوية تجريح كعب مطلقاً بل بعكس ذلك فهموا أنها صدرت منه للدلالة على توثيق كعب بأنه كان من أصدق المحدثين عن الكتاب وأن الخليفة ابتلى الكذب على نفسه لما علمه فيه من التحريف والتبديل بناء على عود الضمير على أقرب مذكور - وقد رأى ذلك العلامة السيوطي كما يؤخذ من كتابه (اسعاف المبطأ) المطبوع حديثاً مع الموطأ بمطبعة عيسى الحلبي حيث ترجم لكعب الأحبار بصفته أحد رجال الموطأ (المعروف بانتقاء الإمام مالك لرجاله من أوثق رجال الحديث) مقتصراً على صدر عبار سيدنا معاوية في الاستدلال على توثيق كعب لكونه يرى اعادة الضمير على الكتاب وأنه بناء على ذلك لا ارتباط بين صدر هذه العبارة وآخرها . فالسيوطي جعل العبارة توثيقاً وهومتوفي سنة ٩١١ هـ (هذا) ومن رأي عود الضمير على كعب حمل الكذب في العبارة على ما يوجد في بعض أخباره من الخطأ الذي سرى إليه من أهل الكتاب قبل إسلامه ولا علاقة له بأمر الدين كالاخبار بوقوع حوادث في المستقبل فلم يقع بعضها كما أخبر كعب .

يوضح هذا كله عبارة الحافظ ابن حجر في الفتح ونصه « قوله عليه الكذب أي يقع بعض ما يخبرنا عنه بخلاف ما يخبرنا به » فلفظ يقع يدل على أن المخبر به أمور من قبيل ما يسمونه ملاحم ، ولا علاقة لذلك بأمر الدين الإسلامي . ثم نقل الحافظ ابن حجر عقب رأيه الشخصي المذكور عبارة ابن التين على طولها وعبارة ابن حبان في توثيق كعب بما يقرب من هذا المعنى ، ثم شرح توجيه إعادة الضمير على الكتاب ونقل التصريح عن القاضي عياض بأن العبارة ليس فيها تجريح لكعب بالكذب على كلا الاحتمالين ، ثم ترجم لكعب موثقاً له وأتى في ضمن أدلة توثيقه بقول سيدنا معاوية بلفظ « إلا أن كعب الأحبار أحد العلماء إن كان عنده لعلم كالبحار وإن كنا فيه لمفرطين » والثمار أو البحار كلاهما كناية عن سعة علمه ونفعه » اهـ فتح ، بتصرف فانظره .

أما القسطلاني فابتدأشرح الموضوع بتوجيه الاحتمالين في مرجع الضمير مباشرة ونقل عن الحافظ ابن الجوزي المعروف في تشدده في التعديل ما نصه توثيقاً « يعني أن الكذب فيما يخبر به عن أهل الكتاب لا منه . فالأخبار التي يحكيها عن القوم يكون في بعضها كذب فأما كعب الأحبار فهم من خيار الأحبار » وكذا عبارة العيني والكرماني والسندي ، وهو آخر من كتب على البخاري فيما نعلم . واستدل صاحب كتاب إظهار الحق بعبارة سيدنا معاوية هذه على أن الصحابة كانوا يعتقدون أن كتابي أهل الكتاب (التوراة والانجيل) الموجودين محرفان كما في الجزء الأول منه في الكلام على إثبات تحريف وتبديل التوراة والانجيل ، فاتضح من ذلك معنى عبارة سيدنا معاوية وأنه ليس فيها تجريح لكعب بالكذب وأن غرضه منها إرشاد القرشيين إلى الثقة بما صح سنده إلى كعب مما حدّث به عن كتب أهل الكتاب القديمة لأنه من أصدق المحدثين عنها . وذلك مثل ما أخبر به كعب من أن النبي ﷺ موصوف بالتوراة بصفةواضحة حيث قال في السطر الأول منها « محمد رسول الله عبدي المختار . مولده بمكة ومهاجره المدينة وملكه بالشام » كما نقله الحافظ ابن حجر على موضعين كلاهما في الفتح في شرح باب ﴿ إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيرا ﴾ من سورة الفتح في كتاب التفسير من صحيح البخاري ، وأشار إليه في تهذيب التهذيب في آخر ترجمة كعب وهذا من ثمار علمه التي صرح الخليفة أنهم فرطوا في الأخذ منها .

أما من جهة بيان غرض البخاري من ذكر عبارة سيدنا معاوية في صحيحه فيؤخذ من قول الإمام العيني في شرحها ما نصه « مطابقته للترجمة في ذكر كعب الأحبار الذي كان يتحدث من الكتب القديمة ويسأل عنها أحبارهم » ومنه نعلم أن غرض البخاري هو الاحتجاج بكعب الأحبار في دفع التعارض بين النهي في الترجمة بقول النبي ﷺ « لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء » وبين الأمر في قول الله تعالى ﴿ فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك ﴾ بأن كعباً كان ممن

يسألون لأنه قرأ الكتاب من قبل ثم أسلم وشهد له سيدنا معاوية بأنه من أصدق المحدثين عن الكتاب ، والنهي هو عن سؤال من لم يسلم كما نص عليه في الفتح في آخر شرح هذه الترجمة وهذا يدل على عظيم ثقة الإمام البخاري بكعب الأحبار لأن احتجاجه به في أمر الدين كما ذكر أبلغ في الدلالة على ثقته به من الرواية عنه وعلى أنه لم يمنعه من الرواية عنه إلا عدم توفر السند الصحيح له ... على شرطه المعروف ومثل كعب في ذلك كمثل الإمام أبي حنيفة وكثير من أوثق المحدثين الذين لم تذكر لهم رواية في البخاري للسبب المذكور والإمام الشافعي لم يكن له رواية في البخاري وإنما له شيء يسير في التعليقات فقط فلا يقال إن البخاري امتنع عن الرواية عن هؤلاءالأئمة لعدم ثقته بهم وإلى هنا انتهى الكلام على عبارة سيدنا معاوية من كل أوجهها المذكورة وعلم غرضه فيها وغرض البخاري من ذكرها في صحيحه بما توضح .

ولم يبق في هذا الموضوع سوى الكلام على عبارة الحافظ ابن حجر المتوفى سنة ٨٥٢ هـ من جهة تعجبه ممن سبقه في عد كعب الأحبار من رجال البخاري بناء على عبارة سيدنا معاوية هذه مع أنها لم تكن رواية له عن كعب .

وقبل الكلام عن بيان غرض الحافظ ابن حجر من هذا التعجب أنقل شيئاً من كلام علماء أصول الحديث يوضح لنا ما به يسمى الرجل من رجال صحيح البخاري أو غيره . قال الحافظ ابن الصلاح في مقدمته المشهورة في النوع الثالث والعشرين بصحيفة ٤١ ما نصه « ثم من انزاحت عنه الريبة منهم بالبحث عن حاله أوجب الثقة بعدالته قبلنا حديثه ولم نتوقف كالذين احتج بهم صاحبا الصحيحين وغيرهما ممن مسهم مثل هذا الجرح من غيرهم فافهم ذلك فإنه مخلص حسن » وقال العلامة ابن السبكي في الطبقات الكبرى في ترجمة الحافظ الذهبي المتقدم ما نصه نقلاً عن صاحب الترجمة « وقد كتبت في مصنفي الميزان عدداً كثيراً من الثقات الذين احتج البخاري أو مسلم أو غيرهما بهم لكون الرجل منهم

قد دون اسمه في مصنفات الجرح وما أوردتهم لضعف فيهم عندي بل ليعرف ذلك وما زال يمر بي الرجل الثقة وفيه مقال من لا يُعبأ به . ثم أستطرد إلى ذكر أسماء الذين لم يؤثر عليهم ذلك الجرح لكون البخاري أو أحد أمثاله احتج ببعضهم إلى أن ذكر منهم وهب بن منبه » ولم يذكر كعباً لأنه لم يجرح مطلقاً وأما وهب فذكره لأن ابن الفلاس كان ضعفه قبل احتجاج البخاري به كما يأتي .

وقال شيخ الإسلام في شرح الفية العراقي في مبحث (أصح كتب الحديث) في إثبات أن البخاري ومسلم هما أصح الكتب ما نصه « وما ذكر فيهما من الضعفاء كمطر الوراق وبقية وابن اسحاق ونعمان بن راشد لم يذكر على سبيل الاحتجاج بل على سبيل المتابعة والاستشهاد » .

فأنت ترى أن عباراتهم صريحة في أن كل من احتج به البخاري في صحيحه يصير ثقة ولو كان مجروحاً من قبل وأنه لا يعبأ بكلام الجارح بعد ذلك الاحتجاج وبناءعليه صار كل من الراوي والمحتج به في البخاري حكمهما واحداً في التوثيق وباعتبار أن البخاري اعتمد في تكوين كتابه على الرواة والمحتج بهم يصح أن يطلق على كل منهما أنه من رجال البخاري وأنه أخذ عنه بلا فرق بينهما في ذلك أيضاً . « وقد احتج البخاري بكعب الأحبار احتجاجاً مهماً نافعاً كما سبق فلا عجب حينئذ ممن عد كعباً من رجال البخاري . لأنه متى علم السبب بطل العجب واتضح أن صاحب التهذيب مصيب في عد كعب الأحبار من رجال البخاري وأن ذكر حرف (خ) رقماً على أخذ البخاري عن كعب صحيح لا (غلط) لأنه اعتمد عليه في شيء من كتابه ، على أنه لا غرض للحافظ ابن حجر من ذلك التعجب إلا طلب النظر في الموضوع شأن أكابر المحققين إذا اختلفت وجهة نظرهم مع من سبقهم يطلبون النظر في الأمر ليتبين الحق فيه « وجل المنزه عن الخطأ والنسيان » وعلى ذلك أدلة منها أنه صرح بطلب النظر عقب عبارته

هذه مباشرة بقوله ، وكذا رقم في الرواة عنه كعب على معاوية بن أبي سفيان رقم البخاري معتمداً على هذه القصة وفي ذلك نظر » اهـ تهذيب التهذيب .

يريد أن عبارة سيدنا معاوية قصها على الرهط من قريش ثناء على كعب لا رواية عنه ولكن قول سيدنا معاوية « عنده علم كالثمار أو البحار » يدل على أخذه عن كعب وإلا فمن أين علم ثمار علمه . ومنها أن ابن حجر أبقى حرف (خ) في كتابه تهذيب التهذيب فلو كان جازماً بغلط صاحب التهذيب في ذكر هذا الحرف لحذفه هو من كتابه : ومنها أنه لم يجرح كعباً بشيء ما في مؤلفاته بل ترجم له ونقل توثيقه عن كثيرين تأييداً لتوثيقه له .

أما السابقون على الحافظ ابن حجر في عد كعب من رجال البخاري وتوثيقه فهم الحافظ ابن سرور المقدسي في كتابه الكمال وهو متوفى سنة ٦٠٠ هـ وتابعه على ذلك الحافظ المزي في التهذيب وهومتوفى سنة ٧٤٢ هـ وهو الذي يقصده ابن حجر بقوله في عبارته « فالعجب من المؤلف » ولكن الذهبي وافق المزي في كتابه تهذيب التهذيب وهو متوفى سنة ٧٤٨ هـ ومن المتأخرين عن ابن حجر وهو موافق للمتقدمين عليه الحافظ الخزرجي في كتابه (خلاصة تهذيب الكمال) وهو متوفى سنة ٩٢٣ هـ ولم يوافق أحد ابن حجر من المتقدمين أو المتأخرين عنه في التعجب من عد كعب من رجال البخاري .

☆ ☆ ☆

الملحق

٣٨

باب الانتقاد على المنار

مبحث في الجرح والتعديل

(٢)

إثبات توثيق كعب الأحبار ووهب بن منبه

هذا ما يتعلق بكعب الأحبار في هذا الموضع ، وأما وهب بن منبه فهو من جهة عده من رجال البخاري محل اتفاق لأن البخاري روى عنه في صحيحه حديثاً صحيحاً نافعاً لأنه يتضمن إثبات كتابة العلم أي (الحديث) في زمن النبي ﷺ وذلك في كتاب العلم من صحيح البخاري كما أن البخاري احتج بوهب في أول كتاب الجنائز من صحيحه حيث قال : « وقيل لوهب بن منبه : أليس مفتاح الجنة لاإله إلا الله ؟ قال : بلى ولكن ليس مفتاح إلاَّ له أسنان ، فإن جئت بمفتاح له أسنان فتح لك وإلا لم يفتح لك » وهذا يدل على أن وهباً لم يكن جبرياً في عقيدته حيث قال في الفتح وروي عن معاذ بن جبل مرفوعاً نحوه بل كان سنياً .

وخلاصة هذا الموضع ثبوت أن كلاًّ من كعب ووهب من رجال البخاري ، الأول احتجاجاً ، والثاني احتجاجاً ورواية ، وأن ذلك توثيق لكل منهما معتبر عند رجال الحديث ، وأما كونهما من رجال بقية الكتب الستة المبينة في أول كلامنا فحسبنا دليلاً على ذلك كتاب تهذيب التهذيب نفسه وفي ذلك توثيق أيضاً

مؤكد لما قبله ، وصار تضعيف ابن الفلاس لوهب لا يعبأ به بعد احتجاج ورواية البخاري عنه ، قال ابن حجر في مقدمة فتح الباري صحيفة ٤٥٠ في الكلام على وهب بن منبه مانصه : « وثقه الجمهور وشذ الفلاس فقال : كان ضعيفاً » فأصبح هذا التضعيف لا أثر له بعد أخذ البخاري عنه . والتقليل من شأن أو عدد ماأخذه البخاري أو مسلم عن أحد الحبرين لا يصلح حجة على عدم توثيق كل منهما ، فإن المدار في ذلك على ما يدل على ثقة صاحبي الصحيحين بأحدهما ، وحديث أو احتجاج واحد كاف في الدلالة على ذلك بدليل أن علماء مصطلح الحديث لم يشترطوا تعدد الأخذ في قولهم : « كل من أخذ عنه البخاري أو مسلم فهو ثقة ولا يقبل قول من جرحه بعد » .

الموضع الثالث

(الاحتجاج بما لايحتج به لعدم صحة سنده أو لخروجه عن موضوع البحث) . وقبل الكلام في ذلك أنقل يسيراً مما قرره علماء الحديث في التحذير من جرح رجال الحديث بغير تثبت . قال العلامة ابن الصلاح في المقدمة في النوع الحادي والستين مانصه : « على الآخذ في ذلك أن يتقي الله تبارك وتعالى ويتثبت ويتوخى التساهل كيلا يجرح سليماً أو يسلم بريئاً بسمعة سوء يبقى عليه الدهر عارها ، ونقل العلامة القاسمي في كتابه الجرح والتعديل صحيفة ٤ عن علماء الحديث أنهم قالوا : أعراض المسلمين حفرة من حفر النار وقف على شفيرها طائفتان من الناس ، المحدثون والحكام » . اهـ . فأمام هذا التحذير الشديد لا يصح الاحتجاج في تجريح كعب ووهب بما نسب إليهما من الأخبار المنتقدة في بعض كتب التفسير أو التواريخ أو القصص لاحتمال أن ذلك موضوع ومنسوب إلى أحدهما من باب حسن السبك وخصوصاً ماكان من ذلك من أخبار بني إسرائيل فلشهرة الحبرين بمعرفتهما تلك الأخبار جعلها الوضاعون هدفاً لأغراضهم ، ومن ذلك الخبر الذي هو مثار هذا المبحث من أوله إلى آخره وهو مانقلتم عن ابن كثير

في التفسير عند قوله تعالى : ﴿ فألقى عصاه ﴾ من قصة سيدنا موسى مع فرعون في سورة الأعراف من أن وهباً قال : إن العصا لما صارت ثعباناً حملت على الناس فانهزموا منها فمات منهم خمسة وعشرون ألفاً قتل بعضهم بعضاً وقام فرعون منهزماً . قال ابن كثير : رواه ابن جرير والإمام أحمد وابن أبي حاتم وفيه غرابة في سياقه والله أعلم . اهـ منار .

أما غرابة السياق فمسلمة لأن اجتماع هذا العدد الذي مات فقط فضلاً عن الذي نجا على غير انتظار أمر لا يتصوره عاقل لأن دخول سيدنا موسى وأخيه على فرعون أول أمره كان على غير انتظار ، ولكن من جهة صحة سند هذه الرواية إلى وهب فإن في سند ابن جرير من هو مجهول كما قدمنا في أصل الانتقاد والرواية عن المجهول لا يعتد بها لاحتمال أن ذلك المجهول هو الواضع لها . والإمام أحمد لم يروه في مسنده كما هو ظاهر عبارتكم لأن ابن كثير صرح في عبارته أنه في الزهد وهو لم يكن من كتب الحديث المعروفة فلا مانع أن يكون في سنده انقطاع أيضاً وابن أبي حاتم تفسيره كتفسير ابن جرير ، بل إنه يروي في الموضع الواحد المتناقضات بدليل ما نقله عنه الحافظ ابن حجر في الفتح في تعيين (مجمع البحرين) في تفسير سورة الكهف حتى قال ابن حجر : وهذا اختلاف شديد فانظره . وعلى ذلك لم يوجد سند صحيح بأن هذا الخبر الغريب صدر من وهب ، وحينئذ فلا تصح مؤاخذته به ويدل على أنه موضوع على وهب أنه لم يروه أحد من أصحاب كتب الحديث المعتبرة مثل البخاري أو مسلم أو غيرهما من الكتب التي يصح للمطلع عليها أن يقطع أو يظن أن ذلك صدر منه ، وما دام أنه لم يوجد ذلك فلا محل لتوجيه اللوم إليه بناء على أمر وضعه عليه أقرب جداً من صدوره منه ، ومثل ذلك بل أقل منه ثبوتاً ما جعلتموه عمدتكم في الطعن على الحبرين أخيراً حيث قلتم بصحيفة ٧١٨ من الجزء التاسع المذكور في بقية الرد علينا ما نصه : « هذا وإن عمدتنا في جرح رواية وهب ما جاء به من الإسرائيليات التي نقطع ببطلانها وهو

آفتها كروايات كعب فيها ، وقد شوها تفسير كتاب الله بما بثا فيها (كذا) من الخرافات ، وبما أدخلا فيها (كذا) من العقائد الباطلة ومن تأييد عقائد أهل الكتاب والشهادة لكتبهم التي بين أيديهم بالصحة .

« ونكتفي في هذه وهي شرها بما نقله الحافظ ابن كثير عنه في تفسير قوله تعالى : ﴿ وإن منهم لفريقاً يلوون ألسنتهم بالكتاب ﴾ إلخ قال وهب بن منبه : إن التوراة والإنجيل كما أنزلهما الله تعالى لم يغير منهما حرف ، ولكنهم يضلون بالتحريف والتأويل وكتب كانوا يكتبونها من عند أنفسهم ﴿ ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ﴾ فأما كتب الله فإنها محفوظة ولا تحول » . رواه ابن أبي حاتم » اهـ (منار) .

فهذا رواه ابن أبي حاتم وحده فهو أقل ثبوتاً من سابقه فلا يصح أن تجرحوا وهباً بناء على مثل هذه الرواية الساقطة بقولكم بعد ذلك : « إن وهباً كان كذاباً غاشاً للمسلمين بصلاحه » . اهـ هذا مما احتججتم به وهو لم يصح الاحتجاج به لعدم صحة سنده .

وأما ما جعلتموه حجة وهو خارج عن الموضوع فهو ما ذكرتموه بصحيفة ٧٨ من الجزء الأول المذكور في أول ردكم من الإطناب في ذكر توراة اليهود وإنجيل النصارى الموجودين وجعلها حجة على كذب الحبرين لكون كثير من الأخبار التي نسبت إليهما عن بني إسرائيل لم توجد فيهما حيث قلتم : فإن توراة اليهود بين الأيدي ونحن نرى فيما رواه كعب ووهب عنها ما لا وجود له فيها البتة على كثرته إلخ . فهذا فضلاً عن خروجه عن الموضوع لما هو مقرر عند جميع علماء المسلمين من أن كتابي اليهود والنصارى الموجودين لا يصح الاحتجاج بهما لما ثبت بالقرآن والأحاديث الصحيحة من تحريفهما وتبديلهما . فقد نقضتموه بقولكم أخيراً بصحيفة ٧١٩ من الجزء التاسع المذكور في آخر ردكم علينا بما نصه : أقول إن ابن كثير قد

علم من حال كتب أهل الكتاب مالم يكن يعلم أئمة الجرح والتعديل ممن فوقه كأحمد وابن معين والبخاري ومسلم الذين لم يروا هذه الكتب كما رآها ، ولم يطلعوا على مابينه المطلعون عليها قبله من تحريفها وأغلاطها ومخالفتها لما نقطع به من أصول الإيمان بالله ورسوله ... إلخ ، كابن حزم وابن تيمية أستاذه ... إلخ . اهـ منار .

وعلى أي حالة كانت فإن ذلك لا يوجب جرح الحبرين فإن رأي ابن حزم وابن تيمية معروف لدى جمهور العلماء فيما يختص بتحريف كتابي أهل الكتاب وغيره ، وقد فصل القول في مسألة التحريف الحافظ ابن حجر في الفتح في كتاب التوحيد عند شرح باب قول الله تعالى : ﴿ بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ ﴾ ونقل كلام ابن حزم وابن تيمية وغيرهما ، ولم ينقل عن أحد الطعن على الحبرين مطلقاً .

وابن حزم متوفى سنة ٤٥٦ وابن تيمية توفي سنة ٧٢٨ وقد وثق الحبرين بعد ذلك كثير من العلماء المطلعين على أقوالهما وقد تقدم ذكرهم واستمر توثيقهما إلى الأعصر القريبة فصاحب كتاب (إظهار الحق) ممن سبق توثيقه لكعب وهو فرغ من تأليفه سنة ١٢٨٠ هو صاحب الفضيلة الشيخ الخضري الموجود وثق وهباً في كتاب تاريخ التشريع الإسلامي بصحيفة ١٥٨ وابن حزم وابن تيمية لم يصدر منه طعن على أحد الرجلين فكل ما يتعلق بكلامهما خارج عن الموضوع .

(والكلمة الختامية) أن مبحث الجرح والتعديل مبحث نقلي محض لا مجال للعقل فيه مطلقاً إلا من حيث الاطلاع على مادونه علماؤه في سجلات أسفارهم فالمجروح من جرحوه والموثق من وثقوه ، وما علينا إلا الاطلاع على أحكام في ذلك فننفذها كما صدرت والله ولي التوفيق .

☆ ☆ ☆

الملحق

٣٩

باب الانتقاد على المنار

كعب الأحبار ووهب بن منبه

في انتقاد الأستاذ الفاضل الشيخ عبد الرحمن الجمجوني علينا في جرحنا لكعب الأحبار ووهب بن منبه أغلاط وآراء غير صحيحة لو أردنا أن نبينها كلها بالتفصيل لأخذنا من صحائف المنار ما لا يسمح لنا به جمهور القراء فإنه أطال الكلام فذكر انتقاده الأول وردنا عليه وتاريخ نشره ، وأعاد بعض عباراتنا وعباراته كما أعاد ذكر شبهته على ضرر جرح الحبرين بأنه يثير شبهات الملاحدة على الإسلام وهو لاشتغاله بالزراعة كما قال لم يختبر في هذا الموضوع بعض اختبارنا في ثلث قرن قضيناه في معالجة هذه الشبهات ومناظرة هؤلاء الملاحدة وأمثالهم من خصوم الإسلام والرد عليهم قولاً وكتابة . وقد ثبت عندنا أن روايات كعب ووهب في كتب التفسير والقصص والتاريخ كانت مثار شبهات كثيرة للمؤمنين لا للملاحدة والمارقين وحدهم ، وأن المستقلين في الرأي لا يقبلون قوله إن كل من قال جمهور رجال الجرح والتعديل المتقدمون بعدالته فهو عدل وإن ظهر لمن بعدهم فيه من أسباب الجرح ما لم يظهر لهم .

وأنا لا أتكلم فيما أطال به من المباحث الخارجة عن الموضوع ولا في الأقوال والنقول في توثيق جمهور رجال الجرح والتعديل للحبرين كعب ووهب حتى النقل عن المعاصرين الذين ليسوا منهم كالقاسمي والخولي والخضري وما يتعلق بذلك من مدح بعض الأفراد أو الكتب الذي لا أنازعه فيه وإن لم يكن كله مقبولاً

عندي وإنما أتكلم في أهم ماجاء به المنتقد في مقالـه الأخير من تخطئتي في الموضوع والاستدلال عليه فأقول :

الانتقاد الأول

عبارة الحافظ الذهبي في كعب : « وله شيء في صحيح البخاري وغيره » ووقع في قولنا : وليس له شيء . ولا ندري الآن كيف وقع ذلك ؟ هل نقلناه من كتاب آخر أو سبق به القلم لما هو معلوم عندنا من أن البخاري لم يرو عنه شيئاً في صحيحه ؟ ومهما يكن من السبب فإننا نعترف بأن الذي في تذكرة الحفاظ هو الإثبات كما ذكره .

الانتقاد الثاني :

رمي معاوية لكعب بالكذب

اعترف المنتقد بأن مارواه البخاري عن معاوية من قوله : إنهم كانوا يبلون (أي يختبرون) الكذب على كعب الأحبار هو طعن شديد في عدالته ، إذا أخذ على ظاهره ، وقد رده بما يأتي :

(١) ادعى أن الصواب في العبارة أنها ثناء عليه بدليل مانقل عنه في تهذيب التهذيب (أي معاوية) من قوله فيه : ألا إن كعب الأحبار أحد العلماء إن كان عنده لعلم كالثمار وإن كنا فيه لمفرطين .

ووجه الاستدلال بهذا عند المنتقد أن بين هذا القول وذلك القول تناقضاً بين عبارتي « خليفة من خلفاء الإسلام وصحابي من أكابر الصحابة هداة الأنام ، مشهور بحصافة الرأي ومعروف بالبلاغة » إلخ ماقاله في تعظيم معاوية مما يكاد يجعله به معصوماً من الخطأ مع إجماع أئمة السنة والشيعة على أنه كان باغياً على

أمير المؤمنين علي المرتضى وترتب على بغيه عليه سفك دماء غزيرة وفتن ومعاص لم يخلص المسلمون من شرها إلى هذا اليوم ، والظاهر أنها ستبقى إلى يوم القيامة .

نعم يقول المتكلمون : إنه كان في بغيه متأولاً لا متعمداً وقد نقلوا من تأوله أنه لما احتج عليه بالحديث الصحيح في عمار بن ياسر « تقتله الفئة الباغية » قال : إنما قتله من أخرجه !! فرد عليه أمير المؤمنين علي لما بلغه ذلك أن رسول الله ﷺ هو الذي قتل عميه حمزة وجعفراً وغيرهما من شهداء بدر وسائر الغزوات . فهذا استطراد تقابل به استطراده في مدح معاوية بغير مناسبة لغرضه .

والجواب عن هذا الفهم الغريب الذي قواه بالإطراء والثناء هو أن العبارتين لا تناقض بينهما كما فهم ، ففي كل منها اعتراف بأن كعباً كان ذا علم كثير وثبوت العلم الكثير لا يقتضي نفي الكذب فكم من عالم كان أعلم من كعب الأحبار وكان يكذب . إن علم كعب كان جله عندهم ما يرويه عن التوراة وغيرها من كتب قومه وينسبه إليها ليقبل ولا شك في أنه كان من أذكى علماء اليهود قبل إسلامه وأقدرهم على غش المسلمين بروايته بعده . ومن كبار علماء التفسير الذين رماهم المحدثون بالكذب : السدّي الصغير ـ وكذا الكبير ـ والكلبي وأمثالهم كثيرون . والأستاذ المنتقد نسي ماقاله العلماء في تعريف التناقض وشروط تحققه أو لم يقرأ المنطق ، فإن كان معاوية معصوماً منه فهذه العصمة لا تخدش مافهمه هو من عبارتيه ، وهما لا تدلان عليه .

(٢) قوله : إن العبارة المذكورة لاتصلح من حيث تركيبها العربي دليلاً على أقل ألفاظ هذا التجريح قال : « فإن إسناد الكذب فيها إلى الكتاب » باعتبار مافيه من التبديل أقرب من إسناده إلى « كعب » كما قرره شراح البخاري « ولأنه أقرب مذكور » ثم ادعى أن جميع شراح البخاري فهموا من هذه العبارة

توثيق معاوية لكعب (! !) « وأن الخليفة ابتلى الكذب على الكتاب نفسه لما فيه من التحريف والتبديل بناء على عود الضمير إلى أقرب مذكور » وليس الأمر كذلك .

استدل المنتقد على هذه الدعوى بعبارة نقلها عن فتح الباري في شرحه لكلمة معاوية فتصرف فيها كما يشاء وهي لا تدل على دعواه ولا توضحه كما ادعى وإنما هي عبارة عن تفسير لفظ الكذب بقول الحافظ : « أي يقع بعض ما يخبرنا عنه بخلاف ما يخبرنا به » ولكن زاد عليها المنتقد : « فلفظ يقع يدل على أن المخبر به أمور من قبيل ما يسمونه ملاحم ولا علاقة لذلك بأمر الدين الإسلامي » .

أقول : هذا فهم غريب جداً جداً فإننا لا نعلم أن أحداً من علماء اللغة فسر كلمة يقع بما فسرها به ، فمن أين جاءته هذه الدلالة ؟ أما والله إن من يفهم مثل هذا الفهم ويكتبه في انتقاد علمي ليس جديراً بأن يرد عليه في شيء .

قال المنتقد بعد هذا : ثم نقل الحافظ ابن حجر عقب رأيه الشخصي المذكور عبارة ابن التين على طولها وعبارة ابن حبان في توثيق كعب بما يقرب من هذا المعنى . اهـ .

وأقول : الحق أن عبارة ابن التين قصيرة لا طويلة وهذا نصها : وهذا نحو قول ابن عباس في حق كعب المذكور : بدل من قبله فوقع في الكذب (قال) والمراد بالمحدثين أنداد كعب ممن كان من أهل الكتاب وأسلم فكان يحدث عنهم ، وكذا من نظر في كتبهم فحدث عما فيها ، إلا أن كعباً كان أشد منهم بصيرة وأعرف بما يتوقاه . وقال ابن حبان في كتاب الثقات : أراد معاوية أنه يخطئ أحياناً فيما يخبر به ولم يرد أنه كان كذاباً . اهـ .

وأقول : إن عبارة الحافظ وعبارتي ابن التين وابن حبان لا يدل شيء منها على ما ادعاه المنتقد وأورد العبارات لتأييده وتوضيحه وهو أن نص عبارة معاوية

العربي لا يدل على وصفه بالكذب بل يدل على الثناء عليه وتوثيقه لأنه يتعين أن يكون قوله : نبلو عليه الكذب للكتاب لا لكعب ، وإنما هي إيراد احتمال في سبب الكذب وتسميته خطأ ، ولكن الحافظ نقل احتمال عود الضمير إلى الكتاب عن مجهول وعن القاضي عياض صحة الوجهين وسيأتي مافيهما .

ثم قال المنتقد : « أما القسطلاني فابتدأ شرح الموضوع بتوجيه الاحتمالين في مرجع الضمير مباشرة ثم نقل عن الحافظ ابن الجوزي المعروف بتشدده في التعديل مانصه توثيقاً : « يعني أن الكذب فيما يخبر به عن أهل الكتاب لا منه . فالأخبار التي يحكيها عن القوم يكون في بعضها كذب ، فأما كعب الأحبار فمن خيار الأحبار » وكذا عبارة العيني والكرماني والسندي وهو آخر من كتب على البخاري فيما نعلم » اهـ .

أقول : هذا الذي عزاه إلى القسطلاني أيضاً تلبيس وإيهام ، وأجلُّه عن تسميته كذباً ككذب كعب الأحبار ، فالمقام مقام إيراد شواهد على ماادعاه من كون عبارة معاوية لاتدل بنصها العربي على إسناد الكذب إليه بل تدل على إسناد الكذب إلى الكتاب لأنه أقرب مذكور (!) والقسطلاني لم يوجه الاحتمالين في مرجع الضمير مباشرة كما فهم خطأ أو ادعى .. وإنما جزم برجوع الضمير إلى كعب وذكر رجوعه إلى الكتاب بصيغة التمريض « قيل » لأنه ضعيف بل غلط وهذا نص عبارته :

« الضمير المخفوض بعلى يعود على كعب الأحبار يعني أنه يخطئ فيما يقوله في بعض الأحيان ، ولم يرد أنه كان كذاباً ، كذا ذكره ابن حبان في كتاب الثقات . وقيل إن الهاء في « عليه » راجعة إلى الكتاب من قوله : إن كان من أصدق هؤلاء المحدثين الذين يحدثون عن أهل الكتاب . قال القاضي عياض : وعندي أنه يصح عوده على كعب أو على حديثه ، وإن لم يقصد الكذب أو يتعمده كعب إذ

لا يشترط في الكذب عند أهل السنة التعمد بل هو إخبار بالشيء على خلاف ماهو عليه ، وليس في هذا تجريح لكعب بالكذب » اهـ . ثم ذكر بعدها عبارة ابن الجوزي المارة » .

فظهر بهذا أن القسطلاني جزم بأن الضمير يعود على كعب خلافاً لما قال المنتقد ، وأنه تبرأ من قول ابن حبان بأن معاوية لم يرد بقوله إنه كان كذاباً لقوله : كذا قال ابن حبان ، وإن نص القاضي عياض ليس فيه احتمال عود الضمير إلى الكتاب بل هو راجع إلى كعب نفسه أو إلى حديثه المفهوم من فعل يحدثون . إذاً لم يقل باحتمال عوده إلى الكتاب إلا ذلك المجهول الذي عبر عنه الحافظ بقوله : « وقال غيره » بعد عبارة ابن حبان ، وقال القسطلاني في حكايته : « وقيل » .

والقول الفصل في هذه المسألة أن المتبادر من عبارة معاوية الذي يفهمه كل من يعرف اللغة العربية من إطلاقها أن الضمير راجع إلى كعب الأحبار نفسه كما فسرها ابن حجر والقسطلاني والجمهور ، وذلك أن الكتاب لم يذكر في العبارة عمدة مستقلاً فيعود عليه الضمير ، وإنما ذكر مضافاً إليه كلمة أهل ، فأهل الكتاب هم العمدة في العبارة ، وإنما قاله مجهول لا قيمة لقوله لمخالفته للمتبادر الذي جرى عليه الجمهور ، وهذا يدحض دعوى المنتقد أن عبارة معاوية لاتدل بنصها العربي إلا على عود الضمير على الكتاب ودعواه أن الجمهور جروا على هذا ، والسياق يقتضي أن تكون كلمة معاوية في ابتلاء الكذب عليه استدراكاً على ماقبلها إذ قال : إلا أننا كنا نبلو عليه الكذب ، ولا معنى لهذا الاستثناء على القول باحتمال عود الضمير إلى الكتاب .

غاية الأمر أن هؤلاء الشراح لما كانوا مقلدين لمن عدّل كعباً من رجال الجرح والتعديل أوَّلوا عبارة معاوية بما علمت من كونه غير متعمد للكذب إذ كان ناقلاً له من غيره ، وأنه كان مخطئاً لا كذاباً ... إلخ ، وهذه غفلة منهم عن الواقع وهو

أنه كان يزعم أنه ينقل عن الكتاب نفسه لأنه قرأ الكتب وما كان حبراً عند اليهود إلا بذلك ولم يكن راوياً لها عن غيره على أن التأول له بتسمية الكذب خطأ جرح له ينافي صحة روايته ولكن لا يقتضي أنه وضاع كما أثبتنا بالدليل .

(٣) ادعاؤه أن غرض معاوية مما ذكره للقرشيين في سياق الكلام عن رواة الإسرائيليات « إرشادهم إلى الثقة بما صح سنده إلى كعب مما حدّث به عن كتب أهل الكتاب القديمة » إلخ .

وضرب المنتقد مثلاً لذلك مانقله عنه الحافظ في الفتح أن النبي ﷺ موصوف في التوراة بصفة واضحة حيث قال في السطر الأول منها : « محمد رسول الله عبدي المختار مولده بمكة ومهاجره المدينة وملكه بالشام » .

أقول : ذكر المنتقد في دعواه هذه مسألة الثقة بما صح سنده عن كعب مبنية على ماسيأتي التنبيه عليه من ادعائه أن كل ما ينتقد من المرويات عنه فآفته الرواة عنه ، وهذه القاعدة لم تكن مما يخطر ببال في معاوية إذ كان معاصراً لكعب وسمع منه هو وأهل عصره ، ومن لم يسمع مروياته من أولئك القرشيين منه فقد سمعها ممن سمعها منه ، ولم يكن هذا يسمى سنداً ولا كان في زمن معاوية شيء من هذا الاصطلاح لا من هذا البحث . وسياق الكلام يأبى هذه الدعوى كما يأبى ماقبلها وهو أن معاوية ذكر عبارته عند ذكر كعب فالكلام فيه لا في الكتاب وقد فضله على غيره من المحدثين عن أهل الكتاب وجعل قوله : « وإن كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب » غاية واستدراكاً على تفضيله على غيره منهم كما أشرنا إليه في المسألة الثانية من هذا الانتقاد .

هذا وإن مااعترف المنتقد بصحته من رواية كعب عن التوراة من وصف النبي ﷺ كذب على التوراة أيضاً وبمثلها كان يخدع المسلمين ، ولو كانت هذه العبارة في التوراة لرواها من أسلم على يدي النبي ﷺ من أحبار اليهود

كعبد الله بن سلام وجماعته رضي الله عنهم ولنقلت بالتواتر ولكان لها شأن عظيم ، إذ لا يمكن للمعاندين تأويلها كما أولوا البشارات غير الصريحة بهذا المقدار .

(٤) قد افتأت المنتقد على البخاري كما افتأت على معاوية في بيانه لغرض كل منهما : غرض هذا من عبارته وغرض ذاك من ذكرها في ترجمة الباب الذي عنده للنهي عن سؤال أهل الكتاب عن شيء . قال : إن غرض البخاري يؤخذ من قول العيني في مطابقة عبارة معاوية لترجمة الباب وهو « مطابقته للترجمة في ذكر كعب الأحبار الذي كان يتحدث من الكتب القديمة ويسأل عنها أحبارهم » قال المنتقد : ومنه يعلم أن غرض البخاري هو الاحتجاج بكعب الأحبار في دفع التعارض بين النهي في الترجمة بقول النبي ﷺ : « لاتسألوا أهل الكتاب عن شيء » وبين الأمر في قول الله تعالى : ﴿ فاسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك ﴾ بأن كعباً كان ممن يسألون لأنه قرأ الكتاب من قبل ثم أسلم ... والنهي كان عن سؤال من لم يسلم ، وقد جعل المنتقد هذا الاستنباط الباطل أدل على توثيق البخاري لكعب من روايته عنه التي اعتذر عنها بعدم توفر السند الصحيح إليه كما تقدم في مقاله .

أقول : عبارة العيني لاتدل على ماستنبطه منها فإن الباب كله في النهي عن أخذ شيء عن أهل الكتاب لأن شرع الإسلام ناسخ لشرعهم ولأن نبي الإسلام خاتم النبيين ولو كان موسى حياً ماوسعه إلا اتباعه كما صح مرفوعاً ، ولأنهم لا يهدون المسلمين وقد ضلوا ، كما في أحاديث الباب وما ذكروه في شرحها ، والظاهر أن غرض البخاري من إيراد عبارة معاوية تأكيد عدم الثقة بما ينقل عنهم حتى إن كعباً الذي كان يعد من أصدق المحدثين عنهم كانوا قد اختبروا عليه الكذب ، أي فكيف يوثق بما ينقله غيره عنهم ؟ ولا ينافي هذا ماذكره بعضهم من الاعتذار عن كذب روايته بأن سببها كذب من أخذ عنهم لا كذبه هو .

هذا وإن البخاري لم يذكر في هـذا البـاب قولـه تعـالى : ﴿ فـاسـأل الـذين يقرؤن الكتاب من قبلك ﴾ فيصح قوله إنه أراد الجمع بينه وبين حـديث الترجمـة وإنما ذكره الحـافـظ في آخر الكلام عليهـا من الفتح استطراداً لمنـاسبتـه للموضوع فلا يدل إيراده له على شيء مما استنبطه المنتقد بفهمه الغريب للكلام .

والتحقيق أنه لاتعـارض بين الآيـة والأحـاديث فيحتـاج إلى الجمع بينهما وأن هذا الجمع على تقدير التعارض غير صحيح .

أمـا الأول فـإن الأمر بسؤال أهل الكتـاب في آيـة يونس ليس أمراً تكليفيـاً لا يخرج النبي ﷺ من عهدته إلا بسؤالهم فيقال إنه أمره بسؤال من آمن منهم ، بل هو أمر في معنى الخبر مبني على فرض المحال وهو شـك النبي ﷺ في الوحي الـذي أنـزل إليـه مطلقـاً أو في قصـة مـوسى من سـورة يـونس الــذي أنـزل في آخرهــا [١٠ : ٩٤] : ﴿ فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرؤن الكتـاب من قبلك ، لقد جاءك في هذه الحق فلا تكونن من الممترين ﴾ فهذا التعبير يراد به أن ما في هذه السورة من قصة موسى معروف عند أهل الكتاب في كتابهم بحيث لو سئلوا عنـه لـما استطـاعوا إنكاره . وقـد ورد في التفسير المـأثور عن ابن عبـاس رضي الله عنه أنه صلوات الله وسلامه عليه لم يشك ولم يسأل ، وروي هذا مرفوعاً أيضـاً ؛ وبعض المفسرين أورد فيهـا وجوهـاً أخرى للتقصي من جعـل هـذا الأمر بسؤالهم على ظاهره ، وليس هذا بمحل لاستيفاء تفسيرها .

وأما الثاني فلأن هذه الآية كالسورة التي أنزلت فيها مكية ولم يكن في ذلـك الوقت أحد من اليهود قد أسلم فيصح الجمع الذي قيل والأمر حقيقته للحال .

الانتقاد الثالث

جعله كعباً من رجال البخاري

نقلنا عن تهذيب التهـذيب قول الحـافـظ ابن حجر : إن صـاحب التهـذيب

أخطأ في وضعه علامة البخاري وهي حرف (خ) عند ذكره لأنها تدل على رواية البخاري عنه في صحيحه وهو لم يرو عنه شيئاً وإنما ذكر ماقاله فيه معاوية . فزعم المنتقد أن هذه التخطئة من الحافظ في غير محلها واستدل على ذلك بما استنبطه هو من كون عبارة معاوية توثيقاً لكعب وكون البخاري أراد بذكرها بيان هذه الثقة به كما تقدم آنفاً . وعد هذا الفهم منه احتجاجاً من البخاري بكعب وقال : وباعتبار أن البخاري اعتمد في كتابه على الرواة والمحتج بهم يصح أن يطلق على كل منهما أنه من رجال البخاري وأنه أخذ عنه (كذا كذا) بلا فرق بينهما (كذا كذا بحروفه) .

وبنى على هذا تصويب صاحب تهذيب الكمال في وضع علامة البخاري بجانب اسم كعب وتخطئة الحافظ ابن حجر في انتقاده له وقال : « وجل المنزه عن الخطأ » .

ثم استدل على عدم جزم الحافظ ابن حجر بغلط صاحب تهذيب الكمال ...... حرف الخاء بجانب اسم كعب في تهذيب التهذيب قال : فلو كان جازماً بغلط صاحب التهذيب في ذكر هذا الحرف لحذفه هو من كتابه (كذا !!) .

أقول : لا شك أن أهل العلم بالحديث وباللغة قد تعجبوا من نشري لانتقاد هذا الأستاذ ، وأن سائر قراء المنار سيتعجبون عند قراءة هذا الرد من صبري في كتابته وسماحي بصفحات المنار وبما هو أثمن منها وهو الوقت النفيس الذي صرف فيه . وأعتذر لهم بأن سبب هذا حسن ظني بإخلاص المنتقد وإعلامه بقيمة مبلغ فهمه ليكون عوناً له على الفهم والاستدلال كما أراد هو إفادتي وإفادة قراء المنار بنقده .

إذاً لابد لي من التصريح له بأن جميع المحدثين الذي وضعوا في كتبهم رموزاً

من الحروف لمخرجي السنن والآثار قد وضعوا حرف (خ) لرجال البخاري الذين روى عنهم في الجامع الصحيح خاصة بل لما روى عنهم الأخبار والآثار المسندة بشروطها عنده دون التعاليق فقد وضع لها صاحب تهذيب التهذيب فيه (خت) وقد وضعوا لسائر كتبه كالأدب المفرد وكتاب رفع اليدين وكتاب أخلاق العباد رموزاً أخرى معروفة . فلا يصح عندهم بحال من الأحوال أن يسمى كل من عدله ووثقه من رجال الجامع الصحيح وأن يوضع حرف (خ) رمزاً له .

فإن فرضنا أن ماا ستنبطه المنتقد من تعديله لكعب صحيح في نفسه لم يكن مجوزاً أن يعد من رواته في الجامع الصحيح الذين وضعوا لهم حرف الخاء . والبخاري قد عدل في تاريخه كثيراً من الرجال وروى عن بعضهم في تعاليق جامعه بصيغة الجزم وعن بعضهم في غير جامعه ولم يعدهم أحد من رجاله أي رجال الجامع الصحيح .

وأما استدلاله بإبقاء الحافظ ابن حجر لحرف (خ) في مختصره على ماذكر مع تصريحه بتخطئة صاحب التهذيب فيه فهو من السقطات التي نذكرها آسفين لصدورها عنه ، كما نأسف لقوله إنه لم يوافق الحافظ أحد من المتقدمين والمتأخرين على التعجب من عد كعب من رجال البخاري ، مع عدم مماراته هو في عدم روايته عنه شيئاً مسنداً في صحيحه !!! وكيف يوافقه من قبله ؟ ومن ذا الذي خطأه ممن بعده ؟ فإن فرضنا أن أحداً مثل المنتقد خطأه فماذا يضره والدليل معه ؟

☆ ☆ ☆

الملحق

٤٠

باب الانتقاد على المنار

بطلان الدفاع عن جرح كعب الأَحبار ووهب بن منبه

تتمة ما نشر في الجزء الماضي

الانتقاد الرابع

الاحتجاج بما لا يحتج به

ادعى المنتقد الفاضل أننا احتججنا في جرح الحبرين بما لا يصح الاحتجاج لعدم صحته أو لخروجه عن موضوع البحث ، قال : ومنه تفسير وهب بن منبه لقوله تعالى في قصة موسى ﴿ فألقى عصاه ﴾ .

سلم المنتقد أن ما نقلناه عن ابن كثير في ذلك أمر لا يتصوره عاقل وطعن في صحة إسناده إلى وهب عند ابن جرير والإمام أحمد في الزاهد وابن أبي حاتم في تفسيره . قال : في سند ابن جرير من هو مجهول وكتاب الزهد للإمام أحمد لم يكن من كتب الحديث المعروفة فلا يبعد أن يكون في سنده انقطاع ،وابن أبي حاتم تفسيره كتفسير ابن جرير بل إنه يروي في الموضع الواحد متناقضات ، قال : « وعلى ذلك لم يوجد سند صحيح بأن هذا الخبر الغريب صدر من وهب ويدل على أنه موضوع على وهب أنه لم يروه أحد من أصحاب كتب الحديث المعتبرة مثل البخاري أو مسلم أو غيرهما من الكتب التي يصح للمطلع عليها أن يقطع أو يظن أنه صدر منه » .

أقول : (أولاً) إذا سلمنا أن في سند ابن جرير مجهولاً فلا نسلم أن الراوي

المجهول حاله عند المؤلفين في الجرح والتعديل يقتضي أن تكون روايته موضوعة فهذا لم يقبل به أحد منهم ولا من غيرهم وإنما غايته التوقف عن الاحتجاج بما ينفرد به وليس هذا منه إذ رواه غيره .

و (ثانياً) إن طعنه في كتاب الزهد للإمام أحمد جرأة عظيمة لا ينبغي أن يقدم عليها الحريص على توثيق كعب الأحبار ووهب بن منبه لئلا يعد جرحاً لها في رواة الحديث ، فنحن لو طرحنا كل ما روي عنهما لم نخسر من الدين ولا من العلم شيئاً مهماً ، وأما الإمام أحمد فهو إمام الأئمة ، شيخ البخاري ومسلم وغيرهما من أساطين السنة ، أحد الأربعة الذين عرض عليهم البخاري صحيحه قبل أن يظهره للناس ليرى رأيهم فيه ، عمدة المحدثين في الجرح والتعديل ، صاحب المسند الذي كتبه ليكون إماماً يرجع إليه العلماء فيما اختلفوا فيه من السنة ، أفقه المحدثين وأزهد الزهاد وأورعهم ، فهل يصح أن نطعن في كتاب ألفه لهداية الناس لأجل توثيق وهب بن منبه ، ويدعي الطاعن أنه يوثق وهباً وكعباً لئلا يعد الطعن فيهما طعناً في السنة ؟ سبحان الله ! أيقول الشيخ عبد الرحمن الجمجوني المشتغل في جل أوقاته بالزراعة الذي يرجع عنه إرادة الكتابة في مثل هذا المقام إلى الكتب فيقرأمنها ما يريد أن يؤيد به رأيه الذي سنح له وقد تقدم ما يدل على مبلغ فهمه لعباراتها الجليلة ، أيقول : إن كتاب الزهد للإمام أحمد غير معروف عنده ويرتب على هذا أن يعد بعض ما روي فيه موضوعاً أي كذباً وهولم يطلع على سنده ؟ أيروي الإمام أحمد الموضوعات في كتاب ألفه لهداية الناس في الدين ولا يعد ذلك شبهة على السنة وهو إمامها الأعظم ، ثم يعد من الشبهةعليها الطعن في مرويات كعب الأحبار ووهب بن منبه الخرافية ؟

و (ثالثاً) إن طعنه في تفسير الحافظ ابن أبي حاتم مع تشبيهه بتفسير الإمام محمد بن جرير الطبري أغرب من طعنه في كتاب الزهد للإمام أحمد رحمهم الله

تعالى إننا نحن نخبره بأن هذين التفسيرين هما أعظم ما كتبه أئمة الحفاظ رواة الأثر على الاطلاق . وإذا كانوا قد اتفقوا على أن تفسير ابن جرير أجل التفاسير على الإطلاق وإن الذي يليه هو تفسير ابن أبي حاتم كما نقله السيوطي فما ذلك إلا لما في الأول من علوم اللغة والنحو والترجيح بين الروايات واستنباط الأحكام . وأما من جهة الرواية عن الصحابة والتابعين فابن أبي حاتم أشد من ابن جرير وسائر رواة التفسير تحرياً للصحيح .

قال السيوطي في سياق كلامه عن الروايات المأثورة في التفسير ورواتها بعد نقله عن الإرشاد تفصيل تفسير السديّ ما نصه : وتفسير السدي الذي أشار إليه يورد منه ابن جرير كثيراً من طريق السدي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وناس من الصحابة هكذا ولم يورد ابن أبي حاتم منه شيئاً لأنه التزم أن يخرج أصح ما ورد . والحاكم يخرج منه في مستدركه أشياء ويصححه لكن من طريق مرة عن ابن مسعود ، الخ (راجع الاتقان) .

فكيف أباح لك دينك وحرصك على الصحيح من السنة أيها المسلم أن تطعن في تفسير الحافظ ابن أبي حاتم مع تصريح أهل الحديث بأنه التزم فيه أصح ما ورد وتحامى ما تساهل في روايته الإمام ابن جرير والحاكم في مستدركه على الصحيحين وغيرهما من رواة التفسير المأثور . أتجعل روايات هذا الحافظ مع هذه الشهادة في حكم الموضوع لتبريء وهب بن منبه صاحب الخرافات من رواية من رواياته غير المعقولة ، وترى مع هذا أنك تنصر السنة وتدفع الشبه عنها ؟؟

ومن غرائب منطق هذا المنتقد أنه يجعل كلامه المفتجر قواعد وأصولاً علمية دينية يبني عليها أحكاماً كما فعل بطعنه في تفسير الحافظ ابن أبي حاتم الذي قال الحافظ السيوطي : إنه التزم فيه إيراد أصح الروايات فقد قال بعد ما تقدم :

« ومثل ذلك بل أقل منه ثبوتاً ما جعلتموه عمدتكم في الطعن على الحبرين

أخيراً . وذكر ما نقلناه عن الحافظ ابن كثير مما نقله هو عن تفسير الحافظ ابن أبي حاتم من زعم وهب بن منبه أن التوراة والانجيل لا يزالان كما أنزلهما الله تعالى لم يغير منهما حرف ـ ثم قال : « فهذا رواه ابن أبي حاتم وحده فهو أقل ثبوتاً من سابقه فلا يصح أن تجرحوا وهباً بناء على مثل هذه الرواية الساقطة » .

أقول : جعل هذه الرواية أقل ثبوتاً مما قبلها وهي التي حكم بوضعها أي كذبها ولا نعلم أن عند المحدثين شيئاً أقل ثبوتاً من الموضوع ولكن عند الأستاذ الجمجوني من فنون الحديث ما ليس عند المحدثين ومن قواعد العلم ما ليس عند أحد من العلماء . ووجه هذه الأَقلية أنه افتجر ـ أي اختلق ما لم يقل به أحد ولا يوافقه عليه أحد ـ من الطعن بكل ما رواه ابن أبي حاتم . ولما كانت كذبة وهب في مسألة عصا موسى قد رواها عنه ابن أبي حاتم وابن جرير والإمام أحمد وحكم هو بأنها موضوعة ، كان لا بد أن تكون هذه الكذبة التي رواها ابن أبي حاتم وحده فيما يظهر أقل ثبوتاً منها عنده !!!

الانتقاد الخامس

ما احتججنا به وهو خارج عن الموضوع عنده

هذا آخر انتقاد له علينا وخلاصته أننا احتججنا بالتوراة والانجيل على كذب ما رواه عنهما كعب الأَحبار ووهب بن منبه من حيث إن ما يعزوانه إليهما لا يوجد فيهما شيء منه على كثرته . قال : « فهذا فضلاً عن خروجه عن الموضوع لما هو مقرر عند جميع علماء المسلمين من أن كتابي اليهود والنصارى الموجودين لا يصح الاحتجاج بهما » الخ .

أقول : ليتأمل العلماء والعوام الملمون بالقراءة والكتابة وغير المسلمين أيضاً هذا الفهم العجيب ، والمنطق الغريب :

يقول الأستاذ الجمجوني النقادة إن قولنا فيا رواه الحبران الاسرائيلي والفارسي النسب عن التوراة والانجيل إنه لم يوجد فيهما شيء منه وعدم وجوده فيهما دليل على كذبهما فيا روياه عنهما - خارج عن الموضوع ، فما موضوع طعننا فيهما إذاً ؟ إنه قد اعترف أولاً بأن هذا الدليل هو عمدتنا في تكذيبهما في رواياتهما عن الكتب السابقة ، ثم يقول : إنه خارج عن الموضوع ، وماهو إلا عين الموضوع ، وإن لم يكن عين الموضوع فما الموضوع إذاً ؟ سبحان الخلاق العظيم ماذا في خلقه من عجائب !

ثم زعم بعد هذا أنني نقضت هذا القول بقولي : إن ابن كثير كان يعلم من كتب أهل الكتاب مالم يكن يعلمه رجال الجرح والتعديل الأولون الذين جعلوا كعباً ووهباً من الثقات في الرواية ولذلك انتقد بعض ما روي عنهما ولم يأخذه بالتسليم . فأي نقض هذا ؟؟

وقد ذكرت أيضاً أن ابن حزم وابن تيمية من علماء القرون الوسطى قد اطلعوا على كتب أهل الكتاب التي لم يطلع عليها المتقدمون الذين وثقوا الرجلين كابن حبان وغيره . قال المنتقد : ولكن لم يرد عن أحد من هؤلاء ولا من غيرهم أنه طعنوا فيهما . وهذا قول يقال ليس خارجاً عن العقل والفهم كالأقوال السابقة - ويقال في الرد عليه .

(أولا) إن هذا النفي العام يحتاج إلى دليل ولا دليل عليه فعدم علمه بالطعن لا يدل على عدمه كما أنه لا يدل على وجوده .

(ثانياً) إن من ذكرناهم لا يبحثون في جرح راو إلا إذا عرض لهم بحث في تمحيص رواياته غير الثابتة عندهم ، فمن سكت عن جرح الرجلين يمكن أن يقال إنه لم يتفق له ذلك . فان ابن حزم وابن تيمية لما تصديا للرد على أهل الكتاب ونظرا في كتبهم لأجل ذلك لم يخطر في بالهما مراجعة ما روي عن هذه الكتب

والرد عليه لأنه ليس من موضوعها بل ربما يعد حجة عليها من حيث إن بعض كبار الرواة الموثقين قد شهدوا لهذه الكتب .

(ثالثاً) إننا نرى الحافظ ابن كثير يستنكر بعض الروايات عن كعب ووهب من غير طعن في سندها لعلمه بصحته وهذا يتضمن تكذيبها وإن لم يصرح إذ موضوعه نقد المروي لأنه باطل لا الطعن في الرواة .

خلاصة الرد على الانتقاء :

إننا لم ننكر ولن ننكر أن جمهور رجال الجرح والتعديل عدوا كعباً ووهباً من الثقات في الرواية ، ولم يقبلوا طعن ابن الفلاس منهم في وهب لأنهم نقلوا عنه ما يدل على رجوعه عما رماه به من البدعة ، وان منهم من تأول تكذيب معاوية لكعب بأنه يعني به وقوع الكذب في رواياته بكذب من أخذ عنهم لا لكذبه هو أو بغير ذلك حتى قال بعضهم ما ترده العبارة العربية ولا تحتمله ولو تكلفاً .

وإننا مع هذا نقول : إنه ظهر لنا ما لم يظهر لأولئك الموثقين لهما هو أننا رأينا الشيء الكثير من رواياتها مما نقطع بكذبه كمخالفة ما رواه عنهما الثقات مما كانا يعزوانه للتوراة وغيرها من كتب الأنبياء لما عند أهل الكتاب فجزما بكذبها . وهذا مما لم يكن يعلمه المتقدمون لأنهم لم يطلعوا على كتب أهل الكتاب .

وإننا بهذا الطعن في روايتهما ندفع شبهات كثيرة عن كتب الإسلام ولا سيما تفسير كتاب الله تعالى بالمأثور عن السلف وقد حشي خرافات كثيرة يأخذها القارئون للتفسير وقصص الأنبياء بالتسليم .

وإننا إذا سلمنا للمنتقد أن كل من وثقه جمهور المتقدمين فهو ثقة وإن ظهر خلاف ذلك بالدليل - نفتح باباً آخر للطعن في أنفسنا بنبذ الدليل والأخذ ... مقدماته بالتقليد ، ومخالفة هداية القرآن المجيد ، نعم إننا نعترف بأن نقد رواة

السنة والآثار من حيث جودة الحفظ والضبط وعدم الشذوذ ونحوه من العلل قد محصه رجال الجرح والتعديل ووفوه حقه إلى درجة تقرب من الكمال ولم يبقوا لمن بعدهم فيه إلا اجتهاداً قليلاً جله فيما اختلفوا فيه .

وأما تمحيص متون الروايات وموافقتها أو مخالفتها للحق الواقع وللأصول أو الفروع الدينية القطعية أو الراجحة وغيرها فليس من صناعتهم ويقل الباحثون فيه منهم ، ومن تعرض له منهم كالإمام أحمد والبخاري لم يوفه حقه كما نراه فيما يورده الحافظ ابن حجر في التعارض بين الروايات الصحيحة له ولغيره . ومنه ما كان يتعذر عليهم العلم بموافقته أو مخالفته للواقع كظاهر حديث أبي ذر عند الشيخين وغيرهما أين تكون الشمس بعد غروبها فقد كان المتبادر منه للمتقدمين أن الشمس تغيب عن الأَرض كلها وينقطع نورها عنها مدة الليل إذ تكون تحت العرش تنتظر الإذن لها بالطلوع ثانية . وقد صار من المعلوم القطعي لمئات الملايين من البشر أن الشمس لا تغيب عن الأَرض في أثناء الليل ، وإنما تغيب عن بعض الأَقطار وتطلع على غيرها ، فنهارنا ليل عند غيرنا ، وليلنا نهار عندهم كما هو المتبادر من قوله تعالى : ﴿ يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل ﴾ وقوله جلت قدرته : ﴿ يغشي الليل النهار يطلبه حثيثاً ﴾ فنحن بعد العلم القطعي الثابت بالحس في مثل هذه المسألة وما في حكمها لا مندوحة لنا عن أحد أمرين : إما الطعن في سند الحديث وإن صححوه لأَن رواية ما يخالف القطعي من علامات الوضع عند المحدثين أنفسهم ، وأقرب تصوير للطعن فيما اشتهر رواته بالصدق والضبط أن يكون الصحابي أو التابعي منهم سمعه من مثل كعب الأَحبار . ونحن نعلم أن أبا هريرة روى عن كعب وكان يصدقه ونرى الكثير من أحاديثه عنعنة لم يصرح رضي الله عنه بسماعها من النبي ﷺ ومن القطعي أنه لم يسمع الكثير منها من لسانه ﷺ لتأخر إسلامه فمن القريب أن يكون سمع بعضها من كعب الأَحبار ومرسل الصحابي إنما يكون حجة إذا سمعه

من صحابي مثله . ومثل هذا يقال في ابن عباس وغيره ممن روى عن كعب وكان يصدقه ، وإما تأويل الحديث بأنه مروي بالمعنى ، وأن بعض رواته لم يفهم المراد منه فعبر عما فهمه كعدم فهم راوي هذا الحديث الذي ذكرنا على سبيل التمثيل المراد من قوله ﷺ أن الشمس تكون ساجدة تحت العرش الخ فعبر عنه بما يدل على أنها تغيب عن الأرض كلها ... يكون المراد من معنى سجودها أنه من قبيل قوله تعالى ﴿ والنجم والشجر يسجدان ﴾ كما أن توقف طلوعها على إذن الله تعالى ﴿ البلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه ﴾ وهو إذن التكوين لا التكليف ، وذلك أننا نؤمن بحق أن العالم كله بيد الله تعالى وتصرفه وقد أول الحديث بعض شراح الصحيحين ليوافق رأي المتقدمين من علماء الفلك فكان تأويلهم متكلفاً يرده ظاهر الحديث ولا سيما رواية مسلم ...

ومن هذا القبيل حكاية بعض الرواة ككعب ووهب عن كتب بني إسرائيل لم يكن يحيي بن معين وأحمد وأبو حاتم وابنه وأمثالهم يعرفون ما يصح من ذلك وما لا يصح لعدم اطلاعهم على تلك الكتب وعدم ظهور دليل على كذب الرواة المتقنين للكذب فيما يعزونه إليها ، فإذا ظهر لمن بعدهم في العصر أو فيما قبله أو فيما بعده ما لم يظهر لهم من كذب اثنين أو أكثر من هؤلاء الرواة فهل يكتم حسه ويكذب نفسه ويصدقهم بلسانه كذباً ونفاقاً ، أو يكتم الحق عن المسلمين لئلا يكون مخالفاً لمن قبله فيما ظهر له ولم يظهر لهم ؟ أفلم ير المنتقد الغيور على السنة أن الملاحدة الذين يتقي طعنهم في السنة بتعديل كعب ووهب يشككون المسلمين في الأصول والمسائل القطعية حتى في نصوص القرآن ؟

ثم إننا نعيد القول ونؤكده بأن ظهور كذب كعب ووهب لنا لا يترتب عليه خسراننا لشيء من أصول ديننا ولا من فروعه ، فالعمدة في الدين هو القرآن وسنن الرسول المتواترة وهي السنن العملية كصفة الصلاة والمناسك ، وبعض الأحاديث القولية التي أخذ بها جمهور السلف . وما عدا هذا من أحاديث الآحاد

التي هي غير قطعية الرواية أو غير قطعية الدلالـة فهي محل ... وإننـا نرى بعض الأئمة المجتهـدين قـد تركوا الأخـذ بكثير من الأحـاديث الصحيحـة الصريحـة حتى ما رواه الشيخـان منهـا ، ولا يزال يتبعهم الملايين من النـاس في ذلـك ولا يعـدهم سائر المسلمين ضالين عن دينهم . وقـد أورد المحقق ابن القيم ... مـائـة شـاهـد من هـذه الأحـاديث الصحيحـة التي خـالفهـا الحنفيـة وغيرهم وهم أكثر مسلمي هـذا العصر .

فماذا تكون قيمـة روايـات هـذا الإسرائيلي (كعب الأحبـار) وهـذا الفـارسي (وهب بن منبـه) وأكثرهـا خرافـات إسرائيليـة شوهت كتب تفسير كتـاب الله وغيرها من الكتب وكانت شبهاً على الإسلام يحتج بها أعداؤه الملاحدة بـأنـه كغيره دين خرافات وأوهام ، وما كان منها غير خرافة فقد تكون الشبهة فيه أكبر كالذي ذكره كعب من صفـة النبي ﷺ في التـوراة واعترف المنتقـد بصحتـه عنـه ، وقـد أعدنا ذكره في هذا الرد .

نوه المنتقد برواية البخاري لقول أبي هريرة إن عبد الله بن عمرو بن العاص كان أكثر حديثاً عن النبي ﷺ منـه لأنـه كان يكتب ، قـال : وأنـا لا أكتب ـ إذ رواه من طريق وهب عن أخيه همام . ونقول :

أولاً إن البخاري قال عقب روايته له عنه « تابعه معمر عن همـام » يعني أن وهباً لم ينفرد بهذه الرواية عن همـام بل رواهـا عنـه معمر أيضـاً . فلو أن وهبـاً لم يروها ما كنـا جهلنـاهـا ، ولو جهلنـاهـا لم يكن جهلهـا خسـارة لشيء من أصول دينـنـا ولا فروعـه ، فقول أبي هريرة ليس حجـة شرعيـة وهو لا يـدل على أن ابن عمرو كان يكتب بأمر النبي ﷺ ولا بإقراره فيصلح معارضاً لحديث نهيه ﷺ عن كتابة شيء عنه غير القرآن وإن سماه المنتقد « حديثاً صحيحاً نافعـاً » ثم قـال : كما أن البخـاري احتج بوهب في أول بـاب الجنـائز من صحيحـه حيث قـال : وقيـل

لوهب بن منبه أليس مفتاح الجنة لا إله إلا الله ؟ قال بلى ولكن ليس مفتاح إلا له أسنان فإن جئت بمفتاح له أسنان فتح لك وإلا لم يفتح لك » اهـ .

أقول :

(أولا) إن هذا تعليق لا رواية مسندة وإنما رجال الصحيح من روى عنهم المسند .

(وثانياً) أنه أورده بصيغة التمريض « قيل » قال الحافظ ابن حجر بعد الكلام على صيغة الجزم في الروايات المعلقة في صحيح البخاري ما نصه : « والصيغة الثانية وهي صيغة التمريض لا يستفاد منها الصحة إلى من علق عنه لكن فيه ما هو صحيح وفيه ما ليس بصحيح » الخ .

(وثالثاً) إن هذا القول لوهب قد انتقد عليه وخطىء به ، ولذلك قالوا لما رووا هذه العبارة مرفوعة من حديث معاذ يحتمل أن تكون مدرجة فيه ، ولم يقولوا إن وهباً هو الذي سمعها . وليس هذا المقام محلاً لبسط هذا وأمثاله ، حتى إنني لم أجعله من الانتقادات علينا ، وإن كان المنتقد قد حاول به أن يجعل وهباً من رواة أحاديث صحيح البخاري كما حاول أن يجعل كعباً من رجاله . والحق أن البخاري قدس الله سره لم يرو عن كعب شيئاً ولم يرو عن وهب حديثاً مسنداً إلى رسول الله ﷺ وإنما روى عنه عبارة وعلق عنه أخرى كما علمت آنفاً .

كلمة بيني وبين المنتقد :

قد أطال صديقنا الأستاذ الجمجموني في انتقاده هذا فاضطرنا إلى الإطالة في بيان أخطائه مع تحري الاختصار حتى لا يعود إلى مثل هذا الكلام الطويل المتهافت على أنه إذا عاد لا تنشر له مثله ولا سيما في هذا الموضوع[1] وإنما نشرنا

---

(١) قد جاءنا انتقاد آخر مفيد سننشره في الجزء التالي إن شاء الله .

هذا تكريماً له وتحسيناً للظن به على اعتقادنا أنه حسب أن ما جاءبه حجج قيمة وبراهين لا ترد وأنه أراد بإعادة كلامنا المنتقد عنده بنصوصه على كونه منشوراً في المنار ، وأكثر النقول في الجرح والتعديل من جهة عامة ، وفي توثيق الحبرين مما نعرفه ولا ننكره ولا أنكرناه من قبل ـ أراد بهذا كله إظهار جهلنا ـ وإننا لولم ننشره لظن أننا لاصرارنا على خطئنا قد امتنعنا عن إظهار هذه الحقائق لقراء مجلتنا .

لقد كان يكفي في هذا الانتقاد ورقة أو ورقتان يذكر فيها المنتقد أن جمهور رجال الجرح والتعديل قد وثقوا الحبرين وأن بعض شراح الحديث أولوا عبارة معاوية في اختبار الكذب على كعب ، وأن الروايات الخرافية عنهما يحتمل أن تكون أسانيدها اليهما غير صحيحة وما في معنى هذا .

ولو اختصره لا ختصرنا في الرد بأن جرحنا لهما إنما كان في شيء لم يكن يعرفه رجال الجرح والتعديل المتقدمون وهو وجيه يتعين قبوله لا يشكك أحداً في جمهور رواة الصحاح ولا من دونهم ـ وأن الروايات المعروفة صحتها عنهما كافية في إثبات كذبهما وعدم صحة تأويل من أول لكعب بأن الكذب من غيره لما هو معلوم بالبداهة من أن كعباً كان من كبار أحبارهم ولن يكون كذلك من لم يطلع على التوراة وكتب الأنبياء بنفسه . وأن عدم الثقة بها سترد عن كتبنا شبهات كثيرة ولا نخسر به شيئاً من علومها لغنانا بغيرها عنها .

بعد هذا كله أقول : إذا ثبت بما حررناه كذب الرجلين بما ذكر فلا يبقى مجال للشك في أنهما كانا يغشان المسلمين ويدخلان في كتبهم الدينية ورواياتهم ما يقتضي الطعن في دينهم وحينئذ لا يبقى محل لاستغراب اشتراكهما في تلك الجمعيات اليهودية والمجوسية التي كانت تكيد للإسلام والعرب .

هذا وإنني أستغفر الله تعالى لي ولأخي المنتقد ، وقد وضح للقراء ما عندي وما عنده في المسألة ولهم الحكم في ذلك ، والله يحكم بين عباده فيما هم فيه يختلفون .

ج/٥ ، م/٢٧ ، ص٣٧٧ ـ ٣٨٦ ج/٦ ، م/٢٧ ، ص٤٥٩ ـ ٤٦٢ ج/٧ ، م/٢٧ ، ص ٥٣٩ ـ ٥٤٧ ج/٨ ، م/٢٧ ، ص ٦١٠ - ٦١٩ ١٣٤٥ هـ = ١٩٢٦ م .



الملحق

٤١

معاهدة إيطالية يمنية

خرج الإمام يحي حميد الدين صاحب اليمن من عزلته السياسية السلبيـة التي ورثها عن سلفه الأئمة السابقين ، وعقد مع الـدولـة الايطـاليـة معـاهـدة سيـاسيـة اقتصادية وهو الآن يجلب الأسلحة والذخائر الحربية والطيارات من إيطـاليـة بل يجلب رجال الطليان أيضاً يستخـدمهم في تعليم الطيران وغيره ممـا يرى حكومتـه محتاجة إليه .

قد مهد رجال إيطالية في مستعمرتهم (الأريترة) السبيل لهـذه المعـاهـدة في مدة طويلة ، وقدموا لجلالة الإمام هدايا كثيرة قبل إقناعه بهـا ، ولمـا وقّع عليهـا ظهرت أمـارات السرور والابتهـاج في بـلادهم ورددتهـا جرائـدهم ، من حيث إن إنكلترا وفرنسة أوجستا خيفة منهـا ، ويروى أن إنكلترة أطلقت يـد إيطـاليـة في بلاد اليمن ،والله أعلم .

قد تكون عبارات مواد المحالفة غير منـذرة بـالخطر القريب على اليمن ، وقـد يكون الذين انتقدوا اشتمالها على تقديم ايطـاليـة على جميع الـدول فيما تحتـاج إليـه اليمن من أوربة مبالغين في انتقادهم وفي عدهم هذا منافياً للاستقلال .

ولكن في مثل هذه المسألة قواعد عامة أثبتها التاريخ :

(منها) أن التدخل التجاري مقدمة للتدخل السياسي فالتدخل العسكري .

(ومنها) أن القوي يأخذ بالمعاهدة ما له وما ليس لـه مضـاعفـاً ، والضعيف لا يستطيع أن يأخذ إلا ما يعطيه القوي لمصلحة القوي ، لا لمصلحته .

(ومنها) قول البرنس بسمارك قطب سياسة أوربة في عصره : المعاهدات حجة القوي على الضعيف .

ومنها قولهم إن التجارة تتبعها الراية . وهل كان سبب استيلاء الدولة البريطانية على الهند ، واستيلاء الدولة الهولندية على جاوه وما حولها إلا عاقبة تأليف شركتين تجاريتين في القطرين الغنيين ؟

فنسأل الله وقاية هذا القطر العربي وحفظه وحسن العاقبة له ، فإنه لم يبق لنا بعد فوات زمن النصح والانذار ، إلا الدعاء والابتهال .

ج/٩ ، م/٢٧ ، ص ٧١٥
١٣٤٥ هـ = ١٩٢٦ م

☆ ☆ ☆

الملحق

٤٢

العرب وجزيرتهم

بين الإمامين يحيى بن حميد الدين وعبد العزيز آل سعود
(وخطر الاستعمار الأوربي)

لا يزال العرب أوسع أمم الأرض أوطاناً ، ومن أكثرها حصى وتعداداً ، فهم زهاء مائة مليون نسبة منبثون في الشطر الشمالي من افريقية ، والشطر الغربي من آسية ، ولكن لم يبق لهم من الاستقلال المطلق شيء لا سيادة للأوربيين فيه ، ولا سيطرة لهم عليه ، إلا مهدهم الأول من جزيرتهم وهو اليمن وتهامة والحجاز ونجد ، وقد حل زمن تصدي المستعمرين للقضاء عليه بيديه فالاستيلاء عليه ، وهذا مثار الخوف دون غيره ، فلولا الخوف من الأجانب على هذه البقية لما كنا نئط من أثقال الهم لتعادي أمرائنا وأئمتنا فيها ، ولا نعد تقاتلهم خطراً عليها ، فإنه إما أن تبقى به البلاد على حالها .

....

إلى توحيد حكومتها أو سياستها ، لتجديد قوتها وحضارتها ، وليس الجيل العربي هو الجيل الذي انفرد بالتفرق والتمزق بالتعادي على الحكم والرياسة فيصدق من يزعم أنه لا يتحد أو لا تجمع حكمته مطلقاً أو إلا بدعوة دينية ، بل ذلك من طبائع البشر من جميع الأجيال ، فإن تعذر اليوم اتحاد العرب عامة أو عرب الجزيرة خاصة بحكومة مركزية ، فلا يتعذر اتحادهم بنظام كنظام الوحدة الألمانية ؛ فمصلحتهم تقتضيه ودينهم يقضي به .

عرب الجزيرة كلهم مسلمون ، والسواد الأعظم منهم عريق في العربية

العدنانية ، والقليل منهم يرجعون إلى عروق معروفة أو غير معروفة من غير العرب الخلص ولكنهم مستعربون ، وإنما يختلفون في المذاهب الدينية فالسواد الأعظم منهم سنيون ينتسبون إلى مذاهب الفقهاء الأربعة في الفروع ، وإلى السلف الصالح أو الأشاعرة في الأصول . وفي اليمن كثير من الزيدية ، وأصولهم الكلامية أصول المعتزلة ، وفي الأحساء بعض الشيعة الامامية ، ويوجد في بعض بلاد اليمن والحجاز جماعات من طوائف أخرى من الشيعة . وفي بلاد عمان كثير من الاباضية ولهم إمام في داخل البلاد ليس عليه من سيطرة الأجنبي ما على سلطان مسقط منهم ، وإنما كلامنا في مستقر القوة ، ومستودع السلطان والسطوة ، ومنبت الأرومة ، وهو اليمن وتهامة والحجاز ونجد .

القوة الحربية التي هي سياج الاستقلال منبثة في الجزيرة موزعة في القبائل ولكن ليس لها قيادة عامة إلا في اليمن ونجد ، والقوة الغالبة في اليمن للزيدية الذين يعتصم أكثرهم في الجبال ، ويدين لهم بالطاعة السواد الأعظم وهم من الشافعية طوعاً أوكرهاً ، ويدين كثير منهم للزعيم الادريسي فهو الذي نازع إمام الزيدية السيادة في إقليم عسير جباله وخيوفه وما انحدر عنها من سهوب تهامة وثغورها وجزائرها .

والقوة الغالبة في نجد لأعرق أهل السنة وأثبتهم في السنة ، وكأن ... من آل سعود شركاء فيها ومنازعون فيا حولها ، ثم دانت كلها في هذا العصر لعبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل فزالت إمارة آل الرشيد وكانوا أقوى المشاركين لآل سعود في عقر تلك الديار ، وزال سلطان الترك من السواحل قبل زوالها ، ودانت له هذه البلاد وملحقاتها ، ثم زالت إمارة آل عايض من عسير ثم إمارة الشرفاء آل قتادة من الحرمين بعد أن صارت ملكاً مستقلاً ، ودانت لابن سعود بلاد الحجاز كلها وقسم من بلاد عسير ، ثم انتهى الأمر بدخول إمارة السيد الادريسي في حمايته ، ودانت لسلطانه ، فقربت بذلك المسافة الشاسعة المانعة من

الوحدة العربية الحلفية ، ولم يبق إلا وضع نظام يراعى فيه اختلاف مذهبي السنة والزيدية ، وتتقي من الدسائس الأجنبيـة ، ولكن لم يكـد يتم التمهيـد لهـذا حتى كانت حكومة ايطاليـة الفـاشستيـة الموسولونيـة المهطعـة إلى الاستعمار ، المتوخيـة إحياء مجد الرومان ، قد عقدت مع الإمام يحيي معاهدة صورتها تجارية ، وروحها سياسية يقصد بها استعمار الجزيرة العربية .

انحصر استقلال جزيرة العرب في مملكتي الإمام يحيي بن حميد الدين صاحب اليمن العليا والسفلى ، والإمام عبد العزيز بن سعود سلطـان نجـد وملـك الحجـاز وعسير ، وبتنا نرجو قرب تأويل ما نسعى إليه منذ بضع عشرة سنـة من التـأليف بينهما . ومن عقد حلف عربي يحفظ بـه استقلال الجزيرة ويعود للأمـة مجـدهـا ، ولكن كثر خوض برقيات السياسة العامـة وصحف الشرق والغرب في هـذه الأيـام بامكان تصادمهما ، بل بقرب زحف قوات اليمن على عسير فالحجاز - كثر هذا بعـد عقد الإمام يحيي الاتفاق مع الدولـة الايطـاليـة ومـا تلاه (على ما قيل) من تولي ضباط الايطاليين لبعض الأعمال العسكرية في جيشه وتـدفق أسلحتهم وذخـائرهم وكذا دراهمهم ودنانيرهم على بلاده ورجاله وقبـائلـه - وانشـائهم لمحطـات التلغراف اللاسلكي في الحديدة وصنعاء لا له وحده ،بل للدولة الايطالية نفسها تخـاطب بها مستعمرتها (الارتيرة) المصاقبة لليمن وعاصمتها (رومية) أيضاً .

فإن صحت هذه الأنباء وأوقد الإمام يحيي في شيخوختـه نـار الحرب العظمى في جزيرة العرب (حمـاه الله وأعـاذه من ذلـك) فسيكـون هـو وقـومـه أول من يحترق بنارها ، بادخاله لأجرأ دول أوربة الاستعمارية فيها ، ولا يشـك أحـد من البشر يومئذ في أن هذه الدولـة هي التي استخـدمتـه في فتح بلاده لهـا وتعريضـه بقيـة الجزيرة للاستعمار الأوربي حتى البلاد الحجـازيـة المقـدسـة وحرم الله تعـالى وحرم رسـولـه ﷺ ، وإنمـا يكـون الخطر على الحجـاز قريبـاً إذا اتفقت الـدولـة الايطالية مع صديقتها الدولة البريطانيـة على القضـاء الأخير على الإسلام لا على

العرب وحدهم ، ولا خطر على الحجاز ونجد إلا من الدولة البريطانية .

قد كان أكبر مناقب الإمام يحي في نظر الأمة العربية والعالم الإسلامي كله تلك السياسة السلبية مع الأجانب التي تجلت المرة بعد المرة بفشل الدولة البريطانية وعجزها عن عقد أي اتفاق معه يفتح أدنى منفذ لتدخل نفوذها السياسي أو الاقتصادي في بلاده . وقد كان أكبر ذنوب السيد محمد علي الادريسي الكبير في نظره ما كان من موادة هذا للدولة الايطالية واستفادته من سلاحها في أثناء قتال الترك له .

ولما بدأ صاحب هذه المجلة بدعوة أمراء الجزيرة العربية وأئمتها للتآلف والتحالف على حفظ بلادهم من التدخل الأجنبي وتقويتها وترقيتها سنة ١٣٣٠ (الموافقة ١٩١١ م) كان الإمام يحي حميد الدين أول من أجابه منهم باستعداده للاتفاق والتعاون مع اخوانه أمراء الجزيرة إلا أنه استثنى جاره بالجنب السيد الادريسي واحتج على عدم امكان الاتفاق معه وإطفاء ما كان بينهما من نار الحرب بأنه « حالف أعداء الله الطاليان » - بهذا الضبط - وكان يرى أن هذا العمل لا يبيحه الشرع ولا يتفق مع مصلحة العرب . هذا وإن السيد الادريسي رحمه الله تعالى لم يعقد معهم محالفة سياسية ، ولا أعطاهم في بلاده شيئاً من الحقوق الاقتصادية .

لولا مطامع إيطالية في اليمن المعروفة لجميع المشتغلين بالسياسة ، ولولا ما يتحدث به كبار رجال السياسة في أوربة من قرب نيل مطامعها - ولولا اهتمام صحف الشرق والغرب فيها - ولولا مذاكرة الدولة البريطانية للدولة الايطالية ومفاوضتها إياها للاتفاق على مصالحها الاقتصادية وكذا السياسية والحربية في اليمن والبحر الأحمر - ولولا ما بذلت ايطالية وما تبذل في هذه السبيل - لولا هذا وغيره مما لا نقوله الآن لأمكن أن يقال **إن ما عقده الإمام الجليل مع**

ايطالية لا خوف منه ، وإن هذه المعاهدة الايطالية اليمنية كظاهر موادها التي نشرت بعيدة عن المطامع السياسية واغراء الشقاق وايقاد نار الحرب في الجزيرة العربية ، لأجل تمهيد بل تعبيد الطريق للمقاصد الاستعمارية ، على ما في المادة الثالثة من تقييده الحكومة اليمنية نفسها بجلب الرجال الفنيين من الحكومة الايطالية .

فإن وقع القتال فعلاً وكانت زحوف اليمن المتوكلية هي البادئة به علمنا علم اليقين أن أمر الإمام وجيشه قد صار آلة بيد المستعمرين الطامعين للقضاء على الأمة العربية وعلى جزيرتها المقدسة ومهد دينها ـ حاشاه الله وبرأه من ذلك .

إن الذي عرفناه من أخلاق الإمام الجليل أنه على ما أوتي من شجاعة النفس وشدة البأس ، رؤوف سلمي يكره الحرب ، وينظر إليها بعين الشرع ، لا بعين الطمع والجشع ، فيعدها من الضرورات ، لا من الضروريات ، والضرورات تقدر في الشرع بقدرها ، وهو مع ذلك رجل اقتصاد يقدر نفقاتها عند ما يوازن بين خيرها وشرها ، وما يرجى لبلاده من خيرها ويخشى عليها من ضررها ، ولولا هذا ما صبر على البيت الادريسي إلى هذا اليوم ، ولا سيا بعد وفاة السيد محمد ... مؤسس هذه الإمارة لهم . ولولا أن هذا كان يعلم أن قوة الإمام يحيى تفوق قوته لما التجأ إلى ابن السعود ونزل له عن منطقة أبها من عسير العليا ،ثم لما رضي خلفه السيد حسن في هذا العام بأن تكون إمارتهم كلها تحت سيادته . وفي ظل حمايته ، **فكيف يعقل أن يتصدى هذا الإمام السلمي الإسلامي الاقتصادي لقتال ابن السعود بعد أن آتاه الله تعالى هذا الملك العظيم الممتد من حدود اليمن إلى حدود الشام ، ومن البحر الأحمر إلى خليج فارس ، وله فيه السلطان الذي لا ينازع ، والأمر الذي لا يرد ؟**

لقد استولى هذا السلطان على منطقة أبها المجاورة لليمن ولم ينازعه الإمام

يحي فيها بالسيف والسنان ، ولا بـالقلم أو بـاللسـان ، ولقـد قتل الجند النجـدي هنـالـك ـ مع الأسف ـ جمـاً غفيراً من اليانيين ـ خطـأ ـ ولم يتخـذ الإمـام الحكيم الرشيد ذلك ذريعة لقتـال النجـديين ، ولا حجـة على وجوب اخراجهم من تلـك المنطقة من عسير ، ـ ولقد استغـاثـه الشريف علي بن حسين أيـام كان محصوراً في جـدة على السلطـان عبـد العزيـز بن السعود وعرض عليـه جعـل الحجـاز تحت سيادته ، تابعاً لمملكته ، وأن يكون هو فيه عاملاً من عماله ، فـأبى الإمـام الحكيم أن يغيثه بالرجال أو المال ،وإنما نصح له بما اقتضتـه الحـال من المقـال ، وقـد كان ابن السعود يومئذ في بؤس وضنك ، يجلب إليه المال والقوت من الأحساء ونجـد ، ـ فهل يعقـل بعـد هـذا أن يهـاجمـه الآن ، ومـاذا يرجـو في هـذا العـدوان ، ومـا يستلزمه من انفاق بـدر الأموال ، وقتل الألوف الكثيرة من الرجـال ؟ وان فرض أنه انتصر في ميادين القتال ؟ ما من شيء يمكن أن ينـالـه بهـذا النصر غير المضمون إلا وقد كان أيسر منالاً من قبل ، وقد رجح الإمـام بعقلـه وحكمتـه الزهـد فيـه ، وعدم سفك دماء المسلمين لأجله ، بل كان عرض عليه التصدي لانقاذ الحجـاز من إلحاد الملك حسين وإفساده فيه بالاستقلال أو الاشتراك مع سلطان نجد فأبى ، بل وضع له مشروع لدعوة الخلافة الإسلامية العامة فلم تستشرف نفسه له ، قناعـة بمـا أعطاه الله من ملـك اليمن ، إلا أنـه يطمع في شيء واحـد وهو الاستيلاء على اليمن وتهامته كلها ولكن بما يمكن من الاقتصاد في الدماء والمال ، ويقال إنـه يـدعي ان عسير منها ، وقد علمنا سيرته المعتدلة فيها .

لهذا كله قلنا إنه إن صدق ما يقال من عزمه على القتـال ووقع ذلـك بـالفعل فلم يجد له أحد تعليلاً إلا استيلاء الأجانب على لبـه وتسخيرهم لـه بشر ممـا سخروا أمثاله من قبله ، وإنا لنجله ونربأ بدينه وعقله أن يكون كذلك .

نعم إننا نعلم أن هنالك سعـايـة ودعـايـة من طريق آخر لإغراء العـداوة بين الإمامين ، واضرام نار القتال بين الفريقين ، وهي طريق عصبيـة التشيع والرفض

وقد بثت هذه الدعاية أولاً في جزائر الهند الشرقية الهولندية والبريطانية ثم في العراق وإيران ، ثم في مصر والهند ـ أما بين الشيعة فلجعل الحجاز تحت سيادة إمام شيعي من آل البيت ـ وماثم إلا الإمام يحيي ـ وأما بين أهل السنة فلإخراج الوهابية من الحجاز . وهؤلاء الدعاة هم الذين أكثروا اللهج في هذا العام بقوة الإمام يحيي وكثرة جيوشه وبذم الوهابيين والطعن فيهم . وكانت خطتهم تحويل الإمام يحيي عما يعهدون فيه من حب السلم والاقتصاد بحمل مسلمي مصر والهند وجاوة مع أهل العراق وإيران على مطالبته بقتال ابن السعود وإخراجه من الحجاز وإعانته على ذلك بالمال ، وقد سمعت بأذني رجلاً من أشهر هؤلاء الدعاة الذين يراسلهم الإمام ويراسلونه يصرح في مجلس فيه بعض الوجهاء هنا بأن الإمام قد استكمل أهبته الحربية لذلك وإنما ينتظر مطالبة العالم الإسلامي له بإخراج ابن السعود وقومه من الحجاز ، وإن ذلك لينتظر في أقرب وقت !!

وأما الذي أعلمه انا فهو أن المراسلات الودية بين الإمامين متصلة وقد ثبت وفد اليمن للمؤتمر الإسلامي في مكة وغيرها من أماكن الحجاز وتعاونا على توثيق عرى الصداقة بين الإمامين ، وصرح لي الملك عبد العزيز بأنه بلغ السيد حسين عبد القادر رئيس الوفد بأنه مستعد للاتفاق مع الإمام يحيي على كل ما يصون بلادهما ويرفع شأنها حتى إذا أحب عقد معاهدة عسكرية هجومية دفاعية فإنه لا يأبى ذلك ولكن هذا السيد لم يكن مفوضاً إليه مثل هذا ، وقد كاشفني بأن أهم ما يهم الإمام مسألة الادريسي لا طمعاً في إمارته بل لئلا يعقد مع الأجانب ما يفضي إلى تدخلهم في شؤون البلاد ، والحق معه في هذا كما صرحت بهذا للملك عبد العزيز ، وهذه المعاهدة الأخيرة سلبت من السيد الادريسي هذا الحق وحق التعدي على حدود اليمن ولكن بعد أن أمضى لشركة بريطانية امتيازاً عظيماً في استخراج زيت البترول من جزائر فرسان التي تعد بالعشرات ، وهي جناية يجب السعي لإبطالها إذا أمكن . وأرى أنه يحسن السعي الآن لعقد محالفة بين الإمامين

ينص فيها على حفظ الحال الحاضرة وبقاءمنطقة الادريسي شقة حياد لا يعتدي عليها أحد منهما بشروط مرضية لهما . ومن يأبى ذلك منهما أو يبدأ الآخر بالعدوان ، فهو الجاني على العرب والإسلام .



الملحق

٤٣

(نص المعاهدة الايطالية اليمانية)

مادة (١) تعترف حكومة جلالة ملك إيطاليا باستقلال حكومة اليمن وملكها جلالة الإمام يحيى الاستقلال المطلق الكامل ومع هذا فلا تتداخل حكومة ايطاليا المشار إليها في مملكة جلالة ملك اليمن الإمام بأي أمر من الأمور التي تناقض ما في الفقرة الأولى من هذه المادة .

مادة (٢) تتعهد الدولتان بتسهيل التبادل في التجارة بين بلاديها .

مادة (٣) حكومة جلالة ملك اليمن تصرح بأنها ترغب أن تجلب طلباتها من ايطاليا وذلك في الأشياء والآلات الفنية التي تساعد بجلب الفائدة في نمو اقتصاد اليمن ونفعه وكذلك في الأشخاص الفنيين ، والحكومة الايطالية تصرح بأنها تبذل جهدها حتى يصير إرسال الأشخاص والآلات الفنية بأنسب وجه في الأنواع والأثمان والرواتب .

مادة (٤) ما ذكر في المادة الثانية والثالثة لا يمنع حرية الطرفين في التجارة والمطلوبات .

مادة (٥) ليس لأحد من تجار المملكتين أن يجلب ويتجر فيا تمنعه إحدى الدولتين في بلادها ولكل من الدولتين أن تصادر ما جلب إلى بلادها مما تمنع جلبه والتجارة فيه بعد الاشعار .

مادة (٦) هذه المعاهدة لا تكون معمولاً بها إلا من حين تصل إلى جلالة ملك اليمن الإمام يحيى مصدقة من جلالة ملك ايطاليا .

مادة (٧) تكون هذه المعاهدة جارية ومعمولاً بها لمدة عشر سنوات من بعد تصديقها كما في المادة السادسة وقبل انقضاء مدة هذه المعاهدة بستة أشهر إذا أراد الطرفان تبديلها بغيرها أو تمديدها كانت المذاكرة في ذلك .

مادة (٨) ولما حرر في هذه المواد فجلالة ملك اليمن الإمام يحيى وسعادة كفاليري غاسباريني بالوكالة عن ملك ايطاليا قد أمضيا هذه المعاهدة المحررة من نسختين متطابقتين باللغة العربية والايطالية ولعدم وجود من يعرف الترجمة من اللغة الايطالية معرفة تامة لدن جلالة ملك اليمن ولأن المفاوضة التي تمت بين الطرفين بعقد المعاهدة الودية التجارية كان التفاهم فيها باللغة العربية لأن سعادة كفاليري غاسباريني قد تأكد أن النص العربي هو مطابق للنص الايطالي ...

لذلك اتفقا بأنه إذا نشأت شكوك أو اختلاف في تفسير النصين العربي والايطالي فالطرفان يعتمدان النص العربي وتفسيره بأصول اللغة العربية واعتبار هذا شرطاً .



الملحق

٤٤

اتفاقية مكة المكرمة

(بين ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها ، وبين السيد الحسن بن علي الادريسي)

رغبة في توحيد الكلمة وحفظاً لكيان البلاد العربية ، وتقوية للروابط بين أمراء جزيرة العرب ، قد اتفق صاحب الجلالة ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل السعود ، وصاحب السيادة إمام عسير السيد الحسن بن علي الادريسي على عقد الاتفاقية الآتية .

(المادة الأولى) يعترف سيادة الإمام السيد الحسن بن علي الادريسي بأن الحدود القديمة الموضحة في اتفاقية ١٠ صفر سنة ١٣٣٩ المنعقدة بين سلطان نجد وبين الإمام السيد محمد بن علي الادريسي والتي كانت خاضعة للأدارسة في ذلك التاريخ تحت سيادة جلالة ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها بموجب هذه الاتفاقية .

(المادة الثانية) لا يجوز لإمام عسير أن يدخل في مفاوضات سياسية مع أي حكومة ، وكذلك لا يجوز أن يمنح أي امتياز اقتصادي إلا بعد الموافقة غلى ذلك من صاحب الجلالة ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها .

(المادة الثالثة) لا يجوز لإمام عسير اشهار الحرب أو إبرام الصلح إلا بموافقة صاحب الجلالة ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها .

(المادة الرابعة) لا يجوز لإمام عسير التنازل عن جزء من أراضي عسير المبينة في المادة الأولى .

(المادة الخامسة) يعترف ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها بحاكمية إمام عسير الحالي على الأراضي المبينة في المادة الأولى مدة حياته ومن بعده لمن يتفق عليه الأدارسة وأهل العقد والحل التابعين لإمامته .

(المادة السادسة) يعترف ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها بأن إدارة بلاد عسير الداخلية والنظر في شؤون عشائرها من نصب وعزل وغير ذلك من الشؤون الداخلية من حقوق إمام عسير على أن تكون الأحكام وفق الشرع والعدل كما هي في الحكومتين .

(المادة السابعة) يتعهد ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها بدفع كل تعد داخلي أو خارجي يقع على أراضي عسير المبينة في المادة الأولى وذلك بالاتفاق بين الطرفين حسب مقتضيات الأحوال ودواعي المصلحة .

(المادة ٨) يتعهد الطرفان بالمحافظة على هذه المعاهدة والقيام بواجبها .

(المادة ٩) تكون هذه المعاهدة معمولاً بها بعد التصديق عليها من الطرفين الساميين .

(المادة ١٠) دونت هذه الاتفاقية باللغة العربية من صورتين تحفظ كل صورة لدى فريق من الحكومتين المتعاقدتين .

(المادة ١١) تعرف هذه المعاهدة بمعاهدة مكة المكرمة .

وقعت هذه المعاهدة في تاريخ ١٤ ربيع الآخر سنة ١٣٤٥ هـ الموافق ٢١ أكتوبر سنة ١٩٢٦ م

(الختم الملكي)   ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها

عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود

(الختم الرسمي)   إمـــام عسير : الحسن بن علي

الادريسي

تم ذلـك بحضور راقم هـذه الأحرف خـادم الإسلام ، أحمـد الشريف السنوسي

(الختم)

ج/١٠ ، م/٢٧ ، ص ٧٩١ - ٧٩٩

١٣٤٥ هـ = ١٩٢٧ م

☆ ☆ ☆

الملحق

٤٥

فاتحة المجلد الثامن والعشرين

وفيها بيان علاقتنا بالإمام عبد العزيز

ملك الحجاز وسلطان نجد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على محمد خاتم النبيين ، وعلى آله وصحبه الصالحين المصلحين ، والتابعين لهم في ذلك إلى يوم الدين .

(أما بعد) فقد تم للمنار سبعة وعشرون مجلداً صدرت في مدى ٣٠ سنة هجرية (توافق ٢٩ سنة شمسية) إذ عجزنا عن إصداره في كل شهر من سني الحرب العظمى وما تلاها من سني الغلاء والعسرة ، التي تضاعفت فيها النفقات وكثرت أفراد الفصيلة العامة ، وتكونت الأسرة الخاصة ، ونضبت الموارد التي كانت تسح من الخارج ، وشحت الموارد التي كانت تنبجس في الداخل ، ولم يتم لنا لمّ الشعث إلا منذ عامين ونصف عام ، وتلاه بفضل الله تنظيم العمل بأحسن مما كان منذ كان ، وما أضعنا على المشتركين شيئاً بهذا الإدغام ، لأننا نتقاضى قيمة الاشتراك بحساب الأجزاء لا بحساب الأعوام ، ولكن من لا وفاء لهم قد اتخذوا عجزنا عن إصدار المنار في كل شهر من سني العسرة حجة على هضم حقنا ، ونحن مازلنا نكلهم إلى وجدانهم ، واستفتاء قلوبهم وهداية إيمانهم ، وحسابهم على الله تعالى فهو يقضي بالحق بيننا وبينهم ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

الوهابية ودعوة المنار إلى مذهب السلف

أقول : لو صح ما تخيله هؤلاء معقولاً ، فخالوه أمراً مفعولاً ، فأحدثوا فيه قالاً وقيلاً - وما هو بصحيح - لما صح أن يجعل حجة على أن المنار أنشئ لجمع المال ، لا يبالي أجمعه من حرام أو حلال ، وإنما كان يعد مساعدة على خطة دينية قديمة في خدمة الإسلام ونشر العلم ، لا على دعاية سياسية حادثة لأجل الملك ، فإن المنار يدعو من أول نشأته إلى التوحيد الخالص ، ومذهب السلف الصالح ، في عقائد الإسلام وهدايته ، كما يدعو إلى فنون العصر وسنن الخلق في سياسته وقوته ، ولم يكن في ذلك الوقت ملك ولا سلطان نتهم بالطمع في مساعدته ، بل لم نكن يومئذ نعلم أن الوهابية يعتصمون بمذهب السلف ، بل كنا نصدق الدعاية التركية التي أذيعت في العالم الإسلامي منذ القرن الثالث عشر للهجرة النبوية ، وجددها السلطان عبد الحميد منذ أوائل القرن الرابع عشر لأسباب سياسية ، من أن الوهابية فرقة مبتدعة معادية للسنة وأهلها . وأول رجل سمعت منه أن هؤلاء الوهابية قوم مصلحون أرادوا إعادة هداية الإسلام إلى عهدها الأول ، وأنه كان يرجى أن يجددوا مجد الإسلام والعرب ، هو محمد مسعود (بك) المصري الكاتب المؤلف المشهور ، ثم قرأت ما كتبه في نشأتهم مؤرخ عصر ظهورهم الشيخ عبد الرحمن الجبرتي الأزهري ، ثم ما كتبه محمود فهمي المهندس المصري في تاريخه (البحر الزاخر) وصاحب (الاستقصا في تاريخ المغرب الأقصى) ثم ما كتبه الشيخ عبد الباسط الفاخوري مفتي بيروت في (تاريخ الإسلام) له ، كما أنه أتيح لي الاطلاع في أثناء ذلك على كتاب التوحيد وكتاب كشف الشبهات للشيخ الإمام المجدد الشيخ محمد عبد الوهاب رحمه الله تعالى ثم على غيره من كتبهم بالتدريج ، وأطلعت شيخنا الأستاذ الإمام على كتاب التوحيد وكشف الشبهات فأثنى عليها ، ورأيه موافقاً لرأي محمد مسعود وأنه لم تظلم طائفة من المسلمين في التاريخ بمثل ما ظلم به هؤلاء القوم ، على كثرة طعن أعوان الدول والمذاهب بعضهم في بعض .

وكنت أسمع من والدي قبل هجرتي إلى مصر شيئاً مما افتراه على الوهابية أحمد زيني دحلان وأمثاله من صنائع شرفاء مكة والترك ، وثناء على محمد علي باشا الذي أخرجهم من الحجاز بالدين والتقوى ، وأنه كنس الكعبة المعظمة ومرغ لحيته بها أو بكفافتها .

وفي شهر صفر سنة ١٣٢٠ هـ احتفل ديوان الأوقاف العامة بمرور مائة عام على تأسيس محمد علي باشا للإمارة المصرية واحتفلت به مشيخة الأزهر في الجامع الأزهر فانتقدت ذلك في المنار من حيث صرف أموال الأوقاف الإسلامية وتزيين المساجد بذكر أمراء الدنيا وسلاطينها والأوقاف إنما وقفت للتقرب إلى الله تعالى والمساجد إنما أنشئت لذكره تعالى وعبادته ...

وذكرت يومئذ حرب محمد علي للوهابية واعتقاد عموم المسلمين الجاهلين بالتاريخ أنها كانت خدمة للإسلام ، واعتقاد الخواص العارفين أنها جناية عليه ، وبينت فيا كتبته ما كنت وقفت عليه من حقيقة أمر الوهابيين في اتباعهم للسلف واعتصامهم بالسنة وسبب الطعن فيهم ، وكل ما كتبته في هذه السنين الأخيرة يدور حوله لا يزيد في بيان حقيقتهم عليه ، فأنا أدافع عن الوهابية وأثني عليهم منذ ربع قرن .

كتبت ذلك يومئذ لوجه الله وخدمة للإسلام وأنا لا آمن إيذاء أمير البلاد لي على ذلك ـ وقد فعل بقدر الإمكان في ذلك الزمان ـ وما كنت أرجو أن يكون لي تجاه هذا الإيذاء أدنى نفع من أحد من الوهابيين ، ولا أدري أن لهم أميراً يحسن أن أرسل إليه ما كتبت عنهم ، وقد صار للوهابيين حزب كبير في القطر المصري من نجباء علماء الأزهر وغيره من المعاهد الدينية وغيرها بإرشاد المنار لا تشوبه أدنى شائبة دنيوية .

علاقتنا بصاحب نجد وسببها

بعد هذا التاريخ ببضع سنين بدأت المكاتبة بيني وبين الأمير عبد العزيز بن

السعود في مسألة العرب وجزيرة العرب ووجوب الولاء والتحالف بين أبنائها لأجل حفظها من تدخل الأجانب وإعلاء شأنها بالعمران والثروة والقوة وكاتبت في ذلك نفسه الإمام يحيى بن حميد الدين والسيد محمد علي الإدريسي (رحمه الله تعالى) وأرسلت رسلاً إلى كل منهم ، وأنفقت في هذه السبيل مالاً يعد كثيراً على مثلي إن في أول كتبي إلى ابن السعود إنكاراً شديداً على شيء بلغني عنه عاتبني عليه بأنه لا يقبل مثله من غيري ، وإنما قبله مني لما بلغه من خدمتي للسنة واعتقاده أنه صدر عن إخلاص لله تعالى وتحر لخدمة الإسلام والعرب .

أجابني كل واحد من هؤلاء الأئمة باستحسان مادعوتهم إليه ، إلا أن الإمام يحيى استثنى الاتفاق مع جاره الإدريسي معللاً ذلك بأنه كان قد عقد معه اتفاقاً فغدر « وحالف أعداء الله الطليان » وأما الإمام عبد العزيز السعود فرغب إلي أن أرسل إليه رسولاً بصيراً عارفاً ليشرح له هذا المشروع من الوجهة الشرعية والسياسية لإقناع أهل الحل والعقد من قومه به . وقد أرسلت إليه رسولاً وحملته صندوقاً من الكتب الدينية وغيرها هدية للإمام . وفي أثناء ذلك استعرت نار الحرب العامة الكبرى فتعذر وصول الرسول إلى نجد ، وأخذ منه صندوق الكتب في (بمبي) من ثغور الهند ، أخذ لأجل تفتيشه ثم لم يعرف عنه شيء ولعلهم أحرقوه .

ثم قضت الحرب الكبرى بانقطاع المراسلة بيني وبين أمراء العرب المذكورين ، وكان من أحداثها دخول أمير مكة الشريف حسين بن علي في حلف البريطانيين ، وكنت قد بلغته مشروع الاتفاق الحلفي بين أئمة الجزيرة بمشافهة ولده الشريف عبد الله في مصر أطَّلعَ طِلعه فيه ، وقد استحسنه ووعد بإقناع والده به ، وكان من عواقبها أن صار حسين ملكاً سماه الإنكليز وأحلافهم ملك الحجاز وسمى نفسه ملك العرب ، وقد أظهرنا له الولاء ، لأجل إقناعه بإتمام مشروع الاتفاق الحلفي مع سائر الأمراء ، فلما تعذر ذلك وسار في الحجاز تلك

السيرة السوأى اضطررت إلى مقاومته بما علمه القراء وغير القراء ، وكان قد جدد الدعوة إلى الطعن في دين الوهابية ، وتنحل لنفسه دعوى الإمامة الرافضية الباطنية ، وأقامها في مقام التشريع الذي يراه إرثاً للهاشمية العلوية . فأريناه أن بني عمه من أنصار السنة فيهم رماح ، وكلنا له الصاع عدة أصواع .

ثم إنني عدت بعد الحرب إلى دعوة إمامي اليمن ونجد إلى الولاء ، وأفتيت في أواخر سنة ١٣٤١ هـ بوجوب إنقاذ الحجاز من إلحاد حسين بالظلم فيه ، وجعله قطراً حراً حيادياً بضمان العالم الإسلامي كله ، وكتبت في ذلك مقالاً طويلاً نشر في بعض الجرائد اليومية وفي المنار (ج ٨ م ٢٤) بينت فيه أن المخاطب بالقيام بهذا الواجب أولاً وبالذات الحكومات الإسلامية وأن أولاها بذلك أقربها إلى الحجاز ، ومن جمله : « إن كلا من إمام اليمن وسلطان نجد قادر على إنقاذ الحجاز من هذا الرجل فكيف إذا اجتمعا » ثم بينت سبب امتناع كل منهما ، وأنه إن لم تفعل الحكومات ذلك فالواجب على العالم الإسلامي أن يسعى له بتأليف جمعية إسلامية وضعنا لها نظاماً بمساعدة بعض الأصدقاء ونشرناه في المنار .

ولم أكتف بالنشر بل سعيت سعياً سرياً لحمل الإمامين يحيى وعبد العزيز على الاشتراك والتعاون على ذلك وإلا فليقم به أحدهما على انفراد . ثم تصدى الثاني لأداء هذه الفريضة للأسباب الإسلامية العامة والأسباب الخاصة بنجد التي نشرها في العالم ونقلناها في المنار فوجب علينا تأييده فيها ، وهل يعقل أن نفتيه بافتراض هذا العمل عليه حتى إذا ما اصطلى بناره ، وشرع يجاهد في سبيله بماله ورجاله ، وانبرى المبتدعون والمفسدون للطعن فيه وفي قومه نترك لهم الحبال على الغوارب ، ولا نقوم بقسطنا من الجهاد الواجب ، جهاد القلم واللسان ، وإقامة الحجة والبرهان .

إنني لم أفضل ابن السعود على غيره من أمراء العرب في شيء من ذلك السعي العام للعرب ولجزيرة العرب ، ولا من هذا السعي الخاص

بالحجاز والإسلام ، وقد كان رجائي في غيره أولاً أقوى من رجائي فيه ، ثم كان ثنائي على الإمام يحيى حميد الدين أكبر من ثنائي عليه ، حتى قالت بعض الجرائد المصرية في أثناء الخوض في مسألة الخلافة أن صاحب المنار يدعو إلى الإمام يحيى ويسعى لتوسيد منصب الخلافة إليه ، على أنني كنت أعتقد أن الإمام عبد العزيز بن السعود أرجى لخدمة الإسلام وإعلاء شأن العرب إذا هو خرج من عزلته ، وترك القبوع في ربوع إمارته ، وإذا كنت أشك في خروجه منها ، كما كنت أشك في ميل الإمام يحيى إلى تجاوز حدود اليمن إلا إلى عسير التي يعدها هو منها .

كان من عناية الله تعالى في ابن السعود أن استعمله وحده في إنقاذ حرمه وحرم رسوله ممن سمى نفسه المنقذ وقضى الله أمراً كان مفعولاً ، فلم يستجب لنا غيره من أمراء المسلمين وملوكهم ، ولا من جماعاتهم ودهمائهم ، إلا أننا أسسنا الجمعية بمصر من رجال مختارين من أولي الكفاءة والكفاية علماً وعملاً وهمة فنقحوا نظامها في مجالس كثيرة عقدوها لذلك ، وبتنا ننتظر سنوح الفرصة للعمل فكفانا الله تعالى ذلك بهذا الرجل العظيم الذي أنقذ الحجاز ، وأمنه تأميناً لم يسبق له نظير إلا في صدر الإسلام ثم ألف فيه المؤتمر الإسلامي العام ، وقد كان هذا المؤتمر أهم مقاصد جمعيتنا هذه فلم يلجئهم إلى استيكاف الأكف لجمع المال له ، ولا لدعوة رجال الخافقين إليه ، فقد أنفق هو بسخائه وجوده الواسع على إنشاء المؤتمر وضيافة رجاله هم ومن كان مع بعضهم من أتباع وخدم منذ وصلوا إلى الحجاز إلى أن خرجوا منه ، مالم يكن يتيسر لنا جمع بعضه من العالم الإسلامي إلا في عدة سنين .

كيف لا أنصر ابن السعود وأناضل خصومه من المبتدعين والخرافيين وقد فعل

كل هذا ويرجى أن يفعل ما هو أتم منه وأكمل ؟ وهو ماأفنيت شبابي وكهولتي في الدعوة إليه ، فإنني أدعو إلى مؤتمر إسلامي يعقد في مكة من زهاء ثلاثين سنة ، وهو من وسائل الإصلاح الذي أدعو إليه من التوحيد وإقامة السنن ، وتقويض هياكل الوثنية والبدع ، وتجديد إصلاح الإسلام ومجد العرب ، وقد أيقنا بطول الاختبار ، وبما ورد في دلائل النبوة من الأخبار ، أن هذا الإصلاح والتجديد لا يأتي إلا من الحجاز ، وإن كل ماقمنا به من الدعوة إليهما لم يكن إلا تمهيداً لتأييد العالم الإسلامي لها ، فقد صح في الحديث أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ وأنه يأرز إلى الحجاز وفي رواية في الصحيحين إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها ، وأنه يعقل بين المسجدين معقل الوعول من رؤوس الجبال .

إنني أشهد الله تعالى وكل من يطلع على قولي هذا أنني أشعر في سريرتي وما يكنّ قلبي بتقصير في الثناء على هذا الرجل بالجهر بكل ماأعتقده وما أرى فيه من المصلحة والنصيحة للمسلمين ، وكم طالبتني نفسي في مجالسه العامة الحافلة ، التي حضرتها بعد صلوات الجمع بمكة المكرمة بإلقاء خطاب في شكره والثناء عليه كما فعل أمامي بعض علماء الهند وفصحاء المصريين وغيرهم ، ولكنني كنت أستحي أن أقف مواقفهم ، وإن كنت أجدر بها منهم ، فقد أقمت بمكة زهاء ثلاثة أشهر ولم يسمع خطابتي ، وربما كنت أقدر على البيان وأعلم بما يحسن بيانه بالحق من كل من سمعت ، إذْ كان من الدعوى والغرور المذمومين أن أقول أكثر من ذلك ، وما أبرئ نفسي من كراهة الاتهام بالتملق والتزلف أن يعلق ببعض النفوس الصغيرة ، وأنا آمن أن يلوح في جانب من جوانب نفسه الكبيرة .

وجملة القول : أن مجلدات المنار السبعة والعشرين برهان على أنه لا يعقل أن

يكون ماكتبته في تأييد ابن السعود والدفاع عنه لغرض منفعة دنيوية ، لأنه عين ماكنت أكتبه قبل قيامه بما نصرته فيه وقبل علمي بوجوده أيضاً ، وقد لقيت فيه من الأذى ما يجهل أقرب الناس مني كل ظاهره ، وباطنه عند الله تعالى وحده .

اضطررت إلى بيان هذا كله في فاتحة هذا المجلد تذكيراً لقرائه بفصل من فصول تاريخ المنار في الإصلاح ، على السنن الذي نتناوبه منذ أعوام ، وتقوية لعزيمة إخواني أنصار الكتاب والسنة ، على أنني لاأريد بهذا التنصل والتبرؤ مما قيل بغير حق من أن مساعدة هذا الإمام أو غيره من ملوك المسلمين وأمرائهم إيانا على عملنا في خدمة الملة والأمة مما يقبح منهم فعله ، أو يحرم علينا قبوله ، بل نحن من أحق الناس به ، ولكن الإخلاص لله تعالى ونزاهة النفس ، وتحليها بأدب الشرع ، تحول دون استشرافنا له ، بله السعي له أو التعريض به ، وقد قال شيخ الصوفية الأكبر في مال السلاطين الذي يعدون من شروط طريقتهم التنزه عنه :

هو عنده للمسلمين أمانة   فإذا حباك فخذه إنك صاحبه

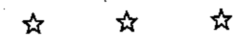
لاأقول هذا تعريضاً بطلب المساعدة من أحد وإنما افترصت هذه المناسبة للرد على جريدة من جرائد القاهرة التي جعلت هجيراها الطعن في علماء الدين ، واستكثار كل ما يأخذونه من ريع الأوقاف الخيرية مع العلم بأن ألوف الجنيهات من أموال هذه الأوقاف ينفق في أعمال غير شرعية ، فقد ذكرت هذه الجريدة أن شيخ الأزهر قد أنفق زهاء ثلاثة آلاف جنيه في أعمال مؤتمر الخلافة كان منها لفلان من العلماء كذا ولفلان كذا من أول هذه الحركة : « كما كان لفضيلة الأستاذ الورع الشيخ رشيد رضا صاحب المنار ثلاثون جنيهاً حتى في الوقت الذي كان فيه بالمدينة المنورة عند ابن السعود » .

أقول فيما يعنيني : إنني لم أكن في أول هذه الحركة كما قال ، ولم أكن آخذ شيئاً أيام وجودي في (مكة المكرمة) كما توهم . وإنما بعض المؤسسين لمؤتمر الخلافة من العلماء كانوا قد دعوني إلى مشاركتهم فيه فأبيت ، ثم أقنعني بعضهم بأنه يمكنني فيه خدمة الإسلام فقبلت ، وقد دعيت بعد الدخول في مجلس المؤتمر إلى المساعدة على إنشاء مجلة له تحريراً أو تصحيحاً ونشراً . وهو ما تعد هذه المكافأة عليه .... ولولا أن قيل لي إن هذه خدمة إسلامية نعدها تبرعاً منك لما رضيت بها ، وقد كنت أعطى منذ بضع عشرة سنة ثلاثة جنيهات من إدارة (الجريدة) مكافأة على كل مقالة من مقالات كلفني إياها مديرها ، وكنت أكتب المقالة منها في ساعة واحدة ، ولم يكن لدي من الأعمال في ذلك الوقت ربع مالدي الآن منها ، فهل يستكثر علي الآن زميلي صاحب البلاغ الأغر ٣٠ جنيهاً في الشهر في مثل ماذكرت ؟

هذا وإننا ندعو أهل العلم المخلصين إلى الكتابة إلينا بما يرون أننا أخطأنا فيه من أمور الدين أو مصلحة الأمة ـ كما هو دأبنا في كل عام ـ ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ﴾ .

منشئ المنار ومحررها
محمد رشيد رضا

ج/١ ، م/٢٨ ، ص ١ ـ ٨
١٣٤٥ هـ = ١٩٢٧ م



الملحق

٤٦

أنباء العالم الإسلامي

(اليمن) يسوءنا من أخبارها رسوخ أقدام الدولة الإيطالية فيها يوماً بعد يوم بإقدام رجلها الطماع الطماح الضاري باستعمار البلاد العربية السنيور موسوليني الجريء وما تلا تدخل هذه الدولة من استعداد الإمام يحي للحرب والكفاح ، ولا مجال للحرب هنالك إلا قتال جيرانه من العرب والمسلمين ، ويقال : إن موعد تقدم جيوشه على جاره السيد الإدريسي شهر شوال الآتي ، أعاذ الله العرب والمسلمين من هذه الفتنة التي أجمعوا على كراهتها ، والخوف من سوء عاقبتها ، ولا نستبعد على حكمة الإمام يحي إيقاد نارها ، لما نعهد من بصيرته وأخلاقه وقد شرحنا ذلك في الجزء الماضي من المنار .

ج/١ ، م/٢٨ ، ص ٧٤ ـ ٧٥
١٣٤٥ هـ = ١٩٢٧ م .



الملحق

٤٧

محاضرة مستر كراين(☆)

عن جزيرة العرب ـ أو ـ الحجاز واليمن
في جمعية الرابطة الشرقية

لأسباب عديدة قمت في هذا الشتاء برحلة في البحر الأحمر وقد سبق لي أن زرت قبل هذه المرة (جدة) وأعجبت كثيراً بمناظر البحر ، وأني طفت معظم بحار العالم فلم أر له مثيلاً بها ، فبينما ترى فيه الزرقة القاتمة تراها تخضر ثم تحمر وتميل إلى لون الذهب ، وترى شاطئاً رملياً أصفر ومن ورائه سلاسل طويلة من الجبال الوردية القفراء .

إن طراز الحياة في مواني البحر الأحمر الصغيرة لا يزال كما كان عليه منذ قرون عديدة ، ففي عرض هذا البحر تمخر السفن العظيمة بين السويس وعدن دون أن

(☆) مستر تشارلس كراين من أكارم رجال الأمة الأميركية وتولى مناصب عالية في دولتها نعرف منها أنه كان سفيراً للولايات المتحدة في الصين ،وعهدت إليه رياسة اللجنة الأميركية التي أرسلت لاستفتاء أهل سورية وغيرهم في مصير بلاد ... الحرب بناء على مبادىء صديقه مستر ولسن الذي كان رئيس جمهورية حكومته وكان صاحب الكلمة العليا لدى دول الحلف البريطاني اللاتيني لأنه هو الذي أنقذ هذه البلاد من بطشة ألمانية الكبرى . ومستر كراين قد طاف أقطار الشرق واختبر المسلمين فأحبهم وعرف فضل دينهم وعرف به كما يعلم من محاضرته هذه وقد آلمت ... من سمعها من متعصبي أبناء جلدته واخوان ملتهم وقد حضرها في نادي جمعية ... الشرقية جمهور منهم ومن المصريين والسوريين وغيرهم وكان يترجم كلامه بالعربية جعفر ولي باشا المشهور جملة جملة . وما ننشره هنا هو ترجمة ما كان كتبه ... ولكنه زاد في أثناء الالقاء مسائل وإيضاحات أخرى فنشير إلى بعضها في ...

تحدث أثراً في هذه الموانى القديمة التي ما زالت تحتفظ بعاداتها الأولى لعلاقاتها بالحج والحجاج .

إني مولع برؤية الحياة الإسلامية القديمة التي شاهدتها في مصر والشام والقسطنطينية عندما أتيت هذه البلاد منذ خمسين عاماً ، ولكن هذه البلاد الآن أضاعت رونقها القديم ، وتغير فيها طراز الحياة تغيراً محسوساً ، ويقال إن (بخارى) أيضاً أضاعت أسواقها الجميلة القديمة ، ولذلك سررت كثيراً منذ أربعة أعوام لما رأيت أن جدة لا تزال محتفظة ببهائها الإسلامي القديم ، وبحجاجها المحرمين ، وبوسائط نقليتها القديمة ألا وهي الجمل والفرس والأتان ، وأن أسواقها المعوجة الصغيرة لا تزال ملأى بالتجار الشرقيين يروحون ويغدون فيها ، وتنحصر تجارتهم في بعض الأشياء الضرورية وبعض المصنوعات اليدوية .

إن شبه جزيرة العرب هي مهد الأنبياء ومهبط الوحي ، ولما كنت أهتم كثيراً بهذه الشؤون شئت أن أتقرب بقدر الإمكان إلى حياة هذه الجزيرة التي كانت تنجب الأنبياء آونة بعد أخرى ، ومن البديهي أن البلاد المتمدنة لا تنجب أنبياء .

ومن أهم الأشياء في الجزيرة الآن الحركة الوهابية التي ترمي إلى الرجوع لحياة التقشف كما كانت عليه الحال أيام النبي محمد . نحن في الغرب نقول إن التاريخ لا يعيد نفسه ، ولكن لهذه القاعدة شواذ في الصحراء ، فالحياة فيها دائماً تعيد نفسها .

يقال إن الدين في العالم منشؤه بعض الشخصيات البارزة التي تضيء كالأنوار مثل بوذا[1] والمسيح ومحمد ، وهذه الشخصيات لها حياة خاصة وتعاليم خاصة

(١) هو زعيم الدين الذي ينتمي إليه مئات الملايين في الهند والشرق الأقصى ، والظاهر أنه كان من الأنبياء الذين ضاعت كتبهم فتمكنت الوثنية من أتباعهم .

وأتباع خاصة ، ولكنها عندما تختفي يقوم بعدها بعض الأتباع الذين كانوا مقربين إليها كثيراً ويفسرون أعمالها وينشرون أخبارها ، وهم المعروفون بالتلاميذ أو الصحابة ، ولكن النور الأصلي يضعف عندما ينتقل إليهم ، ومن بعدهم تقوم الهيئات الدينية وتنشر أعمال تلك الشخصيات حسب ما يتراءى لها ، وبذلك يزداد ضعف النور ، ولا شك أن بوذا لو بعث حياً الآن لا يوافق على أن الصينيين واليابانيين يتبعون حياته وتعاليمه وخصوصاً متى شاهد البون الشاسع بين تعاليمه الصحيحة وبين تعاليم كهنوت اللاميين[1] وأنه لا يمكن للمسيح أن يعترف بأن أوربا الحديثة المعروفة بمسيحيتها والتي يقال أنها تتبع حياته وتعاليمه هي حقيقة مسيحية[2] .

لقد أدرك محمد شيئاً من أمر هذا التحريف الذي لعب دوراً مهماً في تاريخ الديانات القديمة على مر الأيام ولذلك حدد أقواله بحديثه وأظهر بصورة واضحة علاقة المسلم مع خالقه ، ولم يترك ميداناً واسعاً لتدخل الهيئات الدينية من بعده ومع هذا كله رأينا أن الدين الإسلامي عندما ابتعد عن مركزه الأصلي في الصحراء وأخذ يتزاحم مع غيره من الديانات والمدنيات في العجم والصين مثلاً خرج عن الصراط المستقيم ، وأضاع شيئاً كثيراً من بساطته وبهائه .

ولما كانت الحياة في نجد بعيدة عن مثل هذا الضغط وبعيدة عن المدنية الحاضرة فلا شك أن هذه البلاد هي المكان الوحيد المعد لحفظ علاقة المسلم

---

(١) هم أهل التبت نسبة إلى اللام وهو لقب رئيسهم الديني .

(٢) قد خص بالذكر سوء حال أوربة بعد الحرب الكبرى إذ صار ... وبين تعاليم المسيح أشد مما كان قبلها كما أنه صرح بأنه رأى في هذا العهد أن الإسلام قد ضعف وضؤل نوره في مصر والشام والآستانة عما كان عهده قبل عشرات السنين في هذه الأمصار . وقوله هذا يؤيده قوله تعالى في المسلمين ﴿ لولا تكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم .. ﴾

الحقيقية بخالقه بصفة لا تشوبها شائبة ، وقد ظهر الآن أشياء عديدة تثبت جميعاً أن القاعدة الأساسية في الدين الإسلامي والمسيحي واليهودي هي علاقة الإنسان ... وأصبح الاعتراف بهذه الحقيقة أمراً لازباً لأن البولشفيك ينظمون دعاية عن جميع الديانات وقد وجهوا سهامهم إلى قلب هذه الحقيقة الظاهرة ألا وهي وجود الخالق وتدبيره لهذا الكون ، وقد أدرك العالم المسيحي هذا الخطر وأصبح ميلاً إلى ترك الجزئيات والتمسك بالكليات ، ويوجد في الغرب أناس كثيرون يعتقدون أن في الإمكان التأليف بين العالم المسيحي وغيره من البشر ممن يعتقدون بوجود الخالق ويسعون لطاعته . ولا شك أن العالم لم يشهد منذ أول التاريخ إلى عهدنا هذا ثورة شديدة على الدين كالثورة التي يديرها البولشفيك .

يوجد بين المسيحيين طائفة صغيرة تقول بالتوحيد وتشابه عقائدهم هذه الديانة من وجوه عديدة العقائد الإسلامية القديمة ، وقد ظهر بين أفرادها كثير من العظماء الذين أفادوا العالم فائدة تذكر فتشكر ، ففي النمسا مثلاً ظهر بعض أفراد منها للعالم ، وشغلوا وظائف سامية ، وكانوا موضع إعجاب جميع من عرفهم ، وفي أمريكا ظهر أيضاً بعض أتباع هذا المذهب المحترم وكان في مقدمتهم الرئيس (ايليوت) الذي بقي مدة أربعين سنة رئيساً لأعظم جامعة أميركية ألا وهي جامعة (هارفرد) وقد توفي في السنة الماضية عن عمر جاوز اثنين وتسعين عاماً ولا شك أنه كان أحد رجال أمريكا العظام[(١)] وقد كان يهتم كثيراً برحلاتي إلى البلاد الإسلامية ، وشعر أنه من الواجب أن يحصل تعارف بين الموحدين المسيحيين وبين المسلمين ، وكنت دائماً عند عودتي أزوره وأطلعه على جميع اختباراتي الحديثة . إنه بقي محافظاً على قواه العقلية إلى آخر دقيقة من حياته ،

---

(١) زاد في الالقاء هنا : ورؤساء المدارس عندنا أجل من رؤساء الجمهورية لأنهم الذين يربون رؤساء الجمهوريات وسائر الرجال العظام .

وكان لصوته اعظم وقع على الاميركيين كما أنه كان الخادم الأمين لحفظ الضمير الاميركي الحي ، وعندما عاد يتكلم في موضوع سياسي أو تهذيبي أو اجتماعي كان يتكلم دون خجل أو وجل .

وقبلما أنشبت المنون أظافرها فيه شعر بدنو أجله فقلت له : اسمع هذه الصلاة الإسلامية الجميلة وقرأت له ﴿ الحمد لله رب العالمين ☆ الرحمن الرحيم ☆ مالك يوم الدين ☆ إياك نعبد وإياك نستعين ☆ اهدنا الصراط المستقيم ☆ صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ وقد أعجب بهذه الصلاة الوجيزة كثيراً وكانت هي آخر العهد بيننا ، وكان صديقي هذا دائماً يتمنى الحج إلى شواطىء البحر الأحمر والتقرب من الحركة الوهابية لأنه هو نفسه كان يعيش عيشة بسيطة ويعتقد بعظم فائدة الصلاة وتأثيرها في العالم . ولكنه كان بعيداً عن الظواهر الدينية الميكانيكية[1] وسأرسل اليكم عندما أعود إلى أمريكا جميع ماقاله عظماء الأميركيين بشأن هذا الرجل الجليل عند وفاته .

إن بوذا والمسيح عاشا عيشة روحية ولم يكونا يوماً من الأيام إداريين ولا فكرا أن ينظما الحياة الدينية ، وأما محمد فكان نبياً وادارياً عظيماً ، وقد مد الله في أجله إلى أن تمكن من تنظيم الحياة الاجتماعية على أسس دينية ، وهاهو ذا ابن سعود ينسج اليوم على منواله ، ويتبع سننه في كل خطوة بحزم وعزم ، وهو يسعى لأن يوفق بين الحياة الاجتماعية وبين الشريعة الغراء . ولست مغالياً إذا قلت لكم إنه لا جنايات في مملكة ابن سعود ، وأن البدو الذين ما زالوا منذ الأزل يضربون في بلاد الله الواسعة ويغزو بعضهم بعضاً أخذوا في عهده يبنون البيوت الثابتة ، ويشتغلون بالأشغال النافعة . ولا شك أن الأمن في الطرقات أصبح مستتباً ، والتجارة في البلاد محمية ، ومال الحاج مضموناً ، وأسعار الحاجيات محددة .

(١) يعني بهذا تقاليد الكنيسة النصرانية ، وكل من عرف دين الفطرة بعد عن دين الصنعة .

فَلْيَحْيَ ابن سعود

إن الحماسة التي تدعم حركة كحركة ابن سعود الوهابية التي ترمي إلى إرجاع الدين الحنيف كما كان عليه قديماً تتعارض في بعض الأحيان مع العادات الإسلامية الحاضرة ، وليس بالعجيب أن نرى (الإخوان) في حماستهم قد هدموا أشياء كثيرة ذات قيمة تاريخية ومعنى ديني للحجاج الذين يحجون إلى هذه البلاد المقدسة وقد قتلوا أثناء حماستهم بضعة آلاف حاج من حجاج اليمن[1] بينما كانوا قادمين إلى مكة بقصد الحج ، واعتذروا عن عملهم بأن نيتهم كانت سيئة نحو الإخوان . ومع ذلك لا شك أن الأحوال الآن أحسن من ذي قبل ، وإذا مدّ الله في عمر ابن سعود فالحالة تزداد تقدماً ، والروح الاجتماعية تنتشر أكثر فأكثر بين العرب مستمدة نشاطها من بعد ابن سعود من روحه .

نزلت جدة في دار السيد محمد نصيف وهي كأنها مجمع علمي يحتوي على مكتبة عامرة يؤمه جميع أقطاب جدة وأشرافها والسيد محمد نصيف عالم محقق ورجل شريف يزوره جميع من يمر بجدة من العلماء والنبلاء قبل ذهابهم إلى مكة ، وقد اجتمعت عنده بأناس كثيرين وتكلمت معهم بصراحة زائدة ، وكانوا جميعهم عنوان اللطف بي والعطف علي ، وأفهموني حقيقة سير الحياة بالحجاز في هذه الأيام ، وبعد وصولي إلى جدة جاء سمو الأمير فيصل من مكة ورحب بي وتأكد بنفسه أن راحتي مضمونة وقال لي : إن كل شيء في جدة تحت أمري .

في الليل كنت أدعو الكثيرين ليسمعوني الأناشيد الوطنية والغناء العربي القديم والحديث . وكان بين هؤلاء المنشدين شيخان ضريران يترددان دائماً على

---

(١) السبب الصحيح لهذه الحادثة أن الملك حسيناً كان قد أثار فتنة في العسير لانتزاعها من ابن السعود والادريسي وفي أثناء القتال بين ثواره وبين الاخوان وصل حجاج اليمن فظن الاخوان أنهم مدد من الملك حسين لابن ... الذي أثاره لحربهم فأصلوهم ناراً حامية ، ثم حزنوا لما علموا أنهم من اليمن ... ابن السعود للإمام يحي ورد إليه جميع ما كان قد أخذه الاخوان من جماعته .

دار السيد محمد نصيف ، وقد أسمعاني مراراً ترتيل القرآن ، والحق يقال إن ترتيلها كان في غاية الإبداع . لا يسمح الوهابيون لأحد أن يغني غناء عادياً ولا أن يستعمل معازف موسيقية ، وقد منعوا الحجاج المصريين من جلب المحمل التي كانت العادة أن يجلبوه مع موسيقي الحج[1] ولكنهم لا يتعرضون لترتيل القرآن ، وقد تسامحوا معي في بعض الشؤون ولم يمنعوني من دعوة بعض البدو إلى داري وسماع أناشيدهم ، وقد أسمعني أحد أصحاب القوافل بعض الأناشيد التي ينشدها الحداة من رجال القافلة أثناء سيرهم في البادية .

كان ابن سعود يوم زرت جدة في طرف البادية[2] ولم أتمكن من مقابلته ، ولكنه تلطف وأرسل لي عدة برقيات تنم جميعها عن عطفه علي ، وقبل سفري ببضع ساعات أخذت وأنا على ظهر الباخرة برقية منه أعرب لي فيها كثرة أشغاله ، وأفصح عن أسفه الشديد لعدم تمكنه من مقابلتي ، وتمنى لي سفراً سعيداً[3] . والحق يقال إن ابن السعود كالإمام يحيى لا يوجد حوله رجال عاملون

---

(١) الصواب أنهم منعوا حرس المحمل من استصحاب معازف الموسيقى العسكرية فتركوها في جدة وأعادوها معهم إلى مصر عند عودة المحمل .

(٢) الصواب أنه كان في المدينة المنورة .

(٣) جاء في البلاغ ٣١٠ من بلاغات مكتب الاستعلامات السوري الذي صدر في ٢٠ يناير سنة ١٩٢٧ نص البرقيتين اللتين تبودلتا بين مستر كراين وملك الحجاز ابن السعود في رسالته للمكتب من جدة مؤرخة في ١٠ يناير وهذا نصها :

برقية المستر كراين

اسمح لي يا صاحب الجلالة قبل أن أبرح بلادكم أن أقدم لجلالتكم عظيم الامتنان لما لاقيته من الحفاوة من قبل نجلكم الكريم ومن قبل رجال حكومتكم الموقرة ولا سيا السيد محمد نصيف وإنني أضرع إليه تعالى أن يوفقكم لتوحيد صفوف شعبكم خاصة والمسلمين عامة .

وعساكم تعطفون على جميع الذين يعملون على إطاعة الله ويراقبون أعمالكم المجيدة باهتمام زائد والذين يعرفونان لشعبكم الكريم المعتصم من مفاسد العالم بصحرائه الشاسعة خدمات جليلة مقدسة في هذه الدنيا ألا وهي حفظ كيان الدين الصحيح ونشره بين العالم خالياً من كل شائبة =

يساعدونه في إدارة دفة الحكم فهو يعتمد على نفسه في كل شيء . وقد مضى عليه ثلاث سنوات ولم يزر في خلالها أرض نجد ، ولذلك ذهب هذه السنة ليزورها ولينظر في شؤون الإخوان وتنظيم أعمالهم .

السيد أحمد السنوسي :

كان من جملة الأسباب التي حملتني على القيام برحلتي هذه رغبتي في مقابلة صديقي القديم السيد أحمد السنوسي الطائر الصيت الذي تعرفت عليه في بورصة في صيف سنة ١٩١٩ وكانت تلك الرحلة التي تعرفت إليه في خلالها من أهم الرحلات التي قمت بها في هذا العالم .

قلت إني قمت برحلات عديدة في هذه الأرض وكنت دائماً أدرس نفسية البشر في أطرافها ، وقد أعجبت مراراً ببعض العقول التي لم تبلغها أيدي التهذيب وقابلت كثيراً من أصحاب هذه العقول ولا غرو أن مقابلتهم ساعة عملهم كانت نهاية الإبداع وهذه العقول لا تنمو إلا بين أصحاب الفيافي والقفار وكل ذرة لا بل كل خلية من خلايا دماغ هؤلاء الأشخاص هي حية في ذاتها ، وحساسة لكل عارض يعرض لها ، وسريعة في تنفيذ أحكامها ، وحكيمة في استنتاجاتها . وأحمد السنوسي هو أحد أصحاب هذه العقول النيرة ، ودليلي على ذلك أنه تمكن في برهة وجيزة من إيجاد مملكة تحيط بها القفار من كل الأطراف . منع الحلفاء عامة والتليان خاصة هذا الزعيم الكبير من العودة إلى بلاده وأهله بعد الحرب العظمى فاضطر أن يذهب من تركية إلى سورية فالصحراء ولا يزال إلى يومنا هذا هائماً

= وتفضلوا في الختام بقبول فائق الاحترام .

جواب جلالة الملك على برقية المستر كراين

أشكركم على حسن ظنكم بنا وأحيي فيكم هذه العاطفة الشريفة نحو أمتنا ورغبتكم في نجاحها وهذا أكبر دليل على طيب سريرتكم وسمو مبادئكم فالله أسأل أن يعلي الحق ويؤيده ، وإني آسف أن الظروف لم تمكننا من مقابلتكم فأتمنى لكم سفراً سعيداً .

على وجهه من بلاد إلى بلاد بعيداً عن أهله وعائلته[1] ومع الأسف الشديد لم يهتم به أحد وهو اليوم في العسير وقد أرسل أحد عماله إلى جدة ليفاوض ابن سعود فرأيت أن أراه لأطلع منه على أخبار السنوسي لأني قلت سابقاً إن من جملة الأسباب التي حملتني على هذه الرحلة هي مقابلة هذا الرجل العظيم ولكن لم يؤذن لي أن أقابل ذلك الرسول . و يا حبذا لواهتمت بعض الحكومات الإسلامية بشأن هذا الرجل العظيم مادام شعبه قد حرم من زعامته وحرم هومن بلاده .

ج/٢ ، م/٢٨ ، ص ١٣٢ ـ ١٣٩

١٣٤٥ هـ ـ ١٩٢٧ م



(١) « المنار » كان قد ألقى رحله بمكة المكرمة فأكرم الملك عبد العزيز مثواه ثم سافر إلى عسير حيث آل الادريسي من ذوي القربى وهو الذي وضع أساس معاهدة مكة المكرمة التي جعلت بلاد عسير وأمراءها تحت حماية ابن السعود .

الملحق

٤٨

محاضرة مستر كراين

عن جزيرة العرب ـ أو ـ الحجاز واليمن

في جمعية الرابطة الشرقية

(٢)

مدينة سواكن

زرت بعض الموانى الواقعة على الشاطئ الغربي من البحر الأحمر وكان القصد من هذه الزيارة مشاهدة مدينة (سواكن) القديمة التي اعتاد الحجاج أن يأتوا إليها من قلب إفريقية ليبحروا منها إلى مكة وكانت قديماً بلدة تجارية عظيمة ولكنها اليوم خالية خاوية . ولا تمر بعض السنين عليها حتى تنعق فيها البوم والغربان ، وذلك بسبب مزاحمة بور سودان ومصوع لها ، ويوجد في سواكن قريتان من القش وأصل سكانها من الحجاج الذين انقطعوا في الطريق ولم يصلوا لا إلى مكة ولا إلى بلادهم ، وكانت علامات الفقر الشديد بادية عليهم فلا زراعة ولا صناعة لهم ولا هم يتقنون كأهل الساحل صيد الأسماك .



الكلام على اليمن

من الحديدة إلى صنعاء

ذهبت من مصوع إلى الحديدة ميناء صنعاء وقد أعد لي الإمام جميع أسباب الراحة واستقبلني حاكم الحديدة أحسن استقبال . وهذه البلاد اليمانية الإسلامية العجيبة منزوية عن العالم أكثر من القطب الشمالي ولا يزال طراز الحياة فيها كما كان عليه قبل مئات السنين ولكنه يختلف كثيراً عنه في نجد .

لوجود جبال عالية بين صنعاء والحديدة ركبنا في رحلتنا البغال لأن البغال تسلك حيث لاتسلك الخيل ولا الجمال . وبعد ماانقضى على سفرنا من الحديدة يومان ابتدأنا نشاهد هندسة البناء في اليمن تختلف اختلافاً كلياً عن هندسة البناء في الحجاز وقد شاهدنا في طريقنا حقول شجر البن في بطون الجبال والوديان . إن هندسة البناء في جدة ومكة والمدينة متقنة وجميلة ، وتدل نوافذها الكثيرة الواسعة وأبوابها الكبيرة التي تفتح وتغلق بسهولة على حب القوم للضيافة ، وعلى عراقتهم في المدنية وميلهم إلى ضبط الأمن ، بعكس اليمن التي تدل عزلة قراها وانفرادها في الأماكن العالية الوعرة التي لا يصل الإنسان إليها إلا بصعوبة على خوف اليمانيين من غزو بعضهم بعضاً وعلى عدم استتباب الأمن[1] وتشبه أبنية هذه القرى القلاع الحصينة والدور الأول منها يخصص للحيوانات والدور الثاني للحبوب والذخيرة ولا يوجد في هذين الدورين منافذ للنور ولا الهواء وأما الأدوار الباقية وهي عادة اثنان فما فوق فتخصص للسكن ونوافذها صغيرة جداً لا يكاد يدخل منها الهواء ولا النور وجميع هذه الأعمال تدل أن تلك الأبنية بنيت على هذا الشكل قصد الدفاع عن النفس .

---

(١) المنار : إنما كان أكثر خوف أهل اليمن من الترك الذين ظلوا يغزونهم أربع قرون .

ومن المعلـوم أن القطرين اليمن والحجـاز يختلف بعضهما عن بعض اختـلافـاً عظيماً ففي الحجاز سهول واسعة وصحارى مقفرة وأمـا اليمن ففيـه الجبـال المرتفعـة والوديـان المنخفضـة[1] وتختلف الحيـاة الاجتماعيـة فيها اختلافـاً عظيمـاً فـالحجـاز المقـدس بنظر المسلمين تـأتيـه الحجـاج من جميع أطراف المعمـورة سنـويـاً لقضـاء مناسك الحج ولـذلـك ترى أهل الحجـاز مضطرين بحكم الضرورة إلى ضمان راحـة الملايين من المسلمين بعكس البلاد اليمانية التي كانت وما زالت مغلقة في وجه جميع سكان الأرض وقلمـا يـأتيهـا الـزوار أو السيـاح وأهلهـا يخشى بعضهم من بعض ويخشون الدسائس التي يدسهـا لهم جيرانهم فلـذلـك تراهم معتـادين شظف العيش ومعتصمين بالقلاع في رؤوس الجبال .

على أن الإمام أعـد لي جميع وسـائل السفر وكنت أينا حللت بـالمسـاء أجـد غرفـة معـدة لنزولي بهـا ولكنني اضطررت أحيـانـاً إلى النزول في بعض الخـانـات القديـة الواقعـة على طريق القوافل بين عـدن والقـدس . ولهـذه الخـانـات أبواب ولكن لا نوافذ لها وفيها ممر طويل وغرفـة واسعـة خصص قسم منهـا بـالحيوانـات والقسم الآخر بالعائلة صاحبة الخان وبديهي أن كثيراً من الأولاد يولدون في هذه الخانات وقد خطر لي عندما رأيتها أن المسيح ولد في مزود خان كهذه الخانات .

إن المناظر الطبيعية بين الحديدة وصنعاء جميلة للغاية وقـد مررنـا بطرقـات تعلو تسعة آلاف قدم عن سطح البحر ونزلنا في وديان عميقـة حـارة وقـد وصلنـا إلى صنعاء في الليل على حين غرة ولما كانت الشوارع لا تضـاء بـالأنوار وصلنـا إلى الدار المعدة لسكنانا بصعوبة شديدة على ما كان من معونة أنوار الجنـد لنـا . وأمـا الدار التي نزلنا بها فهي مؤلفة من دورين مبنيين بناء حديثاً جيداً وفيها حـديقـة

---

(١) في الحجـاز من الجبـال والوديـان مثـل مـا في اليمن وإنمـا الفرق بين القطرين أن اليمن قطر كثير النبات والشجر خلاف الحجاز .

تبلغ مساحتها أكثر من فدان أرض وقيل لنا : إن هذه الدار بيعت منذ بضعة أشهر بمبلغ (١٥٠) ريال أميركي أي ثلاثين جنيهاً مصرياً . وقد أخبرنا بعض الجنود الذين رافقونا في الطريق أن الجندي منهم يتناول راتباً يبلغ ريالين ونصف أميركيين في الشهر ويتناول ثلاثة أرغفة من الخبز لا يبلغ وزنها تسعمائة غرام ولا يأكل الجند تقريباً غير الخبز ولكن بعضهم يشتركون مع بعض أحياناً ويبتاعون شيئاً من اللحم ويطبخونه لأنفسهم مرة أو مرتين في الأسبوع ، ومن العجب العجاب أن يرى الإنسان هذه الجنود رغم تناولها المقادير القليلة من الغذاء تحمل البنادق الثقيلة وتتمنطق بالعتاد الكثير وتركض على أرجلها مسافات شاسعة غير مبالية بالتعب أو شاعرة بالجوع .

زارنا ذات يوم أحد أمناء سر الإمام المدعو محمد راغب بك وهو تركي الأصل ولد في القسطنطينية وترعرع في ضواحي البوسفور قرب المدارس الأميركية التي لي بها علاقات منذ زمن بعيد وقد حدثني عنها حديثاً طويلاً ومما قاله إن بعض أقربائه درسوا فيها وهذا كان لحسن حظي إذ أدخلني إلى حالة الوئام مع حضرة الإمام وكان باستطاعته أن يتوسط بيننا بطريق حكيمة .

وفي اليوم الثاني قابلنا الإمام على انفراد في غاية الحفاوة والإكرام فقال لي أنه يؤذن لي أن أذهب حيث شئت بتمام الحرية وأن آخذ رسم ماأريد أياً كان ماعدا رسم شخصه ، وأنه لم يسمح لأحد غيري قدر ماسمح لي من الحرية في صنعاء .

إن الإمام في أوائل العقد الخامس من عمره قوي البنية نشيط الحركة ولما كانت ولاية حكمه ضيقة الرقعة كان شديد الرغبة في أن يتولى إدارة شؤونها كلها بيده من جليلها إلى حقيرها . فهو يجلس كل صباح في مجلس يقصده فيه من يشاء ليسأل ما يشاء ويعرض مالديه من أنواع الشكاوى والدعاوى . وعلاوة على ذلك فإنه يذهب يومياً إلى أحد الأماكن العامة دون حارس ولا تابع من الجند فيصرف فيه نحو ساعة وقد يكون منفرداً تحت أشعة الشمس ولا يرافقه إلا رجل

بمظلته الشمسية حيث يستمع الدعاوي وينظر في المعروضات المرفوعة إليه فهو بذلك جامع في شخصه بين مقامي السلطان والخليفة معاً مستمداً قوة نفوذه من أنه سلالة الإمام علي الصحيح الخلافة .

وأما ساعة ذهابه إلى المسجد يوم الجمعة فتلك ساعة خطيرة الشأن جلالاً وبهاء يشترك في إقامة معالمها الناس أجمعون ، لأنه يوم المهرجان كل أسبوع . وعندما يمر راكباً في العربة عائداً من الصلاة فلأقل إشارة يبديها أحد الشعب يوقف المركبة ليتقبل أي معروض أو يعنى بأي أمر يرى الناس فيه على أتم استعداد لقبوله والخضوع له .

وفي المملكة اليانية جيش نظامي وجند من المتطوعة وكثيراً ما يشتركان بالإنشاد العسكري يضجان فيه بأصوات خشنة وهو يتضمن أبياتاً يرنمون بها بما أعطوا من قوة وحماسة ويقال إنها أنشودة قديمة العهد .

ثم إن الإمام وإن أبدى لي حين مقابلته مزيد المجاملة وأباح لي الحديث على غاية الإخلاص ، لم ير من الحكمة أن يظهر فرط العناية بي أمام الجمهور ، إذ كان من الضروري له أن يحتفظ بمقام الاستقلال العظيم بل بشيء من الاستخفاف بالأجانب مراعاة للقبائل الحربية المتعصبين في الحدود الشرقية من البلاد ، فإن سلطانه وأحكامه نافذة في مملكته نظير ابن السعود لمجيئها عن طريق الدين وعليها مسحة من الشدة فيه كأنه يتخذ في السلطة نوع الحكم المتحد المزدوج . لأنه مع كونه زيدي المذهب شخصياً ومدار أحكامه على هذه القاعدة ، فإن ثلث شعبه[1] على جانب البحر الأحمر من أهل السنة ومنهم عدد معين يشغل بعض المقامات الصغرى في حكومته .

---

(١) المنار : كذا في نسخة الترجمة التي أخذناها من الرابطة الشرقية والصواب أن الأكثرية الساحقة من سكان تلك السواحل شافعيون ويندر وجود الزيدية فيها .

الضرائب :

أهل اليمن من ذوي الفقر والبؤس الشديد ، ولكنهم لانزوائهم في بقعتهم وانحباسهم عن العالم الخارجي لا يشعرون بهذه الحال . وإن المرء ليأخذه العجب كيف يستطاع في هذه الفاقة أن تفرض الضرائب على اليمنيين وتجبى إلى الحد المؤذن بإقامة حكومة ولا سيا في تجهيز جيش في تلك المملكة كبير . ذلك لا ريب عائد إلى حذق من الإمام فريد . والظاهر أن معظم واردات الحكومة هو من ضريبة العشر المفروضة على الحاصلات في عامة أنواعها ، على أن الناس أباحوالي أن العشر قد يترقى بعصرهم والتضييق عليهم إلى الربع ! وأنهم لذلك متألمون ناقمون .

المباني :

قل أن ترى في مباني اليمن ما يقل عن ست من الطباق (أو الأدوار) وأما البناء فعلى درجة عظيمة من مخالفات الجمال ولم أر إلا القليل مما يدل على حسن الذوق سواء أكان في هيئة البناء أو مواده أم في ملابس الناس وغنائهم . وإنما يستثنى من ذلك بناء الجوامع . فإن منها عدداً يبدو فيه شيء من الجمال النسبي على ما فيه من بساطة الهندسة والرسم خلافاً لبناء المنازل . وبعض تلك الجوامع يرجع تاريخ تشييدها إلى عدة قرون وقد ظننت لأول الأمر أن البنائين أتوا من القسطنطينية لهندستها وبنائها ، ولكنهم أكدوا لي أن كلا الأمرين من صنع أهل البلاد أنفسهم .

تعرفي إلى الناس :

لم يكد يستقر بي المقام في صنعاء حتى بادر إلى زيارتي الجم الغفير من أهلها ، وكلما أردت أن أدرس وجهاً من وجوه حياة اليمن كان أمري ينتشر بين الطبقات فكان يوافيني واحد أو جماعة من أهل ذلك الشأن : فقابلت الرؤساء

للبنائين والتجار ورجال العسكرية ولا سيا العلماء وفيهم القاضي الكبير الذي يحمل سمة المسلم التاريخي القديم وبلغ بيننا التعارف مبلغه حتى أقبل لزيارتي المرار العديدة . ولقب (القاضي) في اليمن له معنى خاص فإنه يطلق عادة على طائفة ممتازة من جميع طلاب العلم كما أن كلمة (شيخ) تستعمل كذلك في الشمال .

سبأ وسد مأرب :

كنت شديد الرغبة في الرحلة إلى سبأ وعلى الخصوص لمشاهدة السد القديم الذي كان مصدر خصبها وزهوها . إن مؤسس هذه المدينة هو (عبد شمس) الذي ابتدع عبادة البعل أو الشمس ثم أضاف إليها القمر وخمسة كواكب سيارة أخرى فتم بذلك عددها أي السيارات السبع فكان هذا العدد أصل تلك المدينة (سبأ) وقد بنى أيضاً سداً عظيماً بين جبلين بحيث ينشأ به خزان من الماء يحيي المدينة وما حولها من الأرجاء ويهب لها الخصب والنماء .

ثم بعد ١٥٠٠ عام تصدعت جوانب السد فطغى الماء على المدينة وما جاورها من البلاد ودمر كثيراً من القرى ولعل هذه الكارثة كانت أصلاً لحديث (الطوفان) .

وأما الإمام فمع أنه شديد الحرص على إعطائي كل ما أطلب إلا أنه قال لي في شأن هذه الأمنية إن هذه الرحلة من المستحيلات ومع أن سبأ لا تبعد عن صنعاء أكثر من ٧٥ ميلاً فهو لم يتمكن من الذهاب إليها إلا بعد أن اتخذ أشد الاحتياط لما أن قبائل تلك الناحية على أعظم جانب من التعصب (الذميم) يعدون ذواتهم حراس الكنز العظيم المقدس الباقي من آثار تلك العاصمة القديمة فلا يأذنون لأجنبي أن تطأ قدمه أو يقترب منها ومما قال لي الإمام إن بعثة ألمانية ذهبت للبحث في تلك الناحية قبل الحرب العالمية فلم يبق البدو على أحد من رجالها .

حفلة استقبال لرجوع ابن الإمام من سفره :

لم ينقض على نزولي صنعاء عدة أيام حتى ورد نبأ بمجيء ابن الإمام ولي عهد إمامته بعد يوم واحد . وكان غائباً عنها ثلاث سنين على رأس فرقة من الجند في القسم الشمالي من البلاد أي (صعدة) حيث يتشعب الطريق إلى شعبتين إحداهما تتجه إلى مكة والأخرى إلى نجد ، فكانت عودته بالطبع حادثة ذات شأن . فخرجت إلى بعد خمسة أميال من المدينة مع أكثر الأهالي ولا سيما الجيش ووقفنالاستقبال القادم الكريم على أحسن ما يقال في الإجلال والاحتفال مما يدل على سمو مكانة ذلك الشاب عند عامة الشعب ذلك أن الإمام إنما يرتقي سدة الإمامة والحكم بانتخاب العظماء من شيوخ البلاد في اجتماع خاص . ولما كان ولي عهده في الحكم أحد بنيه الأحياء حق له هذا الاحتفاء والاكرام .

وبعد قدوم ذلك الأمير الخطير بأيام زرته فتوسمت فيه مخايل الحزم والعزم ودلائل الجد في الأعمال على شخصية جذابة ولكنها على صورة أضعف من شخصية والده العظيم .

ج/٣ ، م/٢٨ ، ص ٢٠٢ ـ ٢٠٨
١٣٤٥ هـ ـ ١٩٢٧ م

☆ ☆ ☆

الملحق

٤٩

محاضرة مستر كراين

عن جزيرة العرب - أو - الحجاز واليمن
في جمعية الرابطة الشرقية

(٣)

يهود اليمن :

إن قسماً يذكر من أهالي صنعاء يهود وهم يسكنون في حي خاص بهم ويقولون إنهم لقرنين مضيا كان يؤذن لهم بالسكن فيها حيث أرادوا . ولكن الحاكم في ذلك الحين أمر بذلك الفصل . وأنهم مع السماح لهم بالطواف أين شاؤا لقضاء الأعمال لم يكن يؤذن لهم بركوب غير الحمير من الدواب .

وقد زرت حي اليهود هناك مراراً عديدة وقابلت ربانيهم في معابدهم فرأيتهم كسائر مواطنيهم من أهل الفاقة ولكنهم بفضل ما أوتوا من الحذق والقبض على أزمة الحرف نراهم أرقى شيئاً من إخوانهم مما ينيلهم شيئاً من عطف الحكام مع ما بينهم وبين المسلمين من بلوى التفرقة المذهبية . وقد تعسر عليك التفرقة بين اليهودي والمسلم العربي ولا فرق من الشعر يتحتم عليه اتخاذه شعاراً له .

ثم إن هناك مسألة تاريخية تتعلق باليهود ولا سيا أول ظهورهم في اليمن ، قال لي الإمام والشيوخ إن اليهود كانوا في اليمن منذ فجر التاريخ ويروى أن (يارم) يعرب الملك الذي ملك قبل المسيح بألفي سنة فصل العبرية عن العربية

على أن الربانيين يقولون إن اليهود أتوا إلى اليمن من أورشليم سنة ٢٠٠ قبل المسيح تقريباً .

وكنت حيث أذهب في اليمن نحو الجنوب أجد يهوداً حتى في أحقر القرى وأفقرها وقد كان من بواعث دهشتي أني لقيت في قرية غاية في الفقر مبنية من القش يهودياً مرّ عليه فيها ثلاث سنين في حالة لا بأس بها يشتغل فيها صائغاً فلم يكن ينجلي لي كيف يمكن وجود سوق للصياغة في مثل تلك القرية من بلاد الدنيا ولكني فطنت للأمر لما علمت أن اليمنيين مولعون بزينة واحدة تستهوي أفئدتهم وهي الخناجر المنحنية ذات المقابض والأغماد المزينة أو المموهة بصنع الصياغ .

أعمال الإمام العمرانية :

لقد وضح أن همّ الإمام الأعظم هو جيشه العزيز . ومع ذلك فهو يقول إنه كثير العناية والاهتمام بأمر التعليم - والحق أن ذلك على قياس ضئيل محدود وباصلاح الطرق أيضاً . فقال لي إنه أصدر الأوامر لكل حاكم مدينة أن يقوم بشغل معين كل سنة يتعلق بإصلاح الطرق التي في نطاق حكمه ويظهر أن بعض الحكام أتوا شيئاً من هذا الاصلاح مع بناء الجسور (الكباري) وكنا في طريقنا إلى عدن نسلك في الأحايين آثاراً من طرق قديمة لا بد أن تكون قد بنيت بحذق وحسن نظر قبل الإسلام بنحو ألفي سنة على ما قيل . وفي سفرنا نحو الجنوب وعلى إحدى طرق القوافل المستغرقة في القدم الآتية من عدن إلى أورشليم كان من بواعث دهشتنا كثرة ما وجدنا من آثار التجارة فكثيراً ما كنا نمر وسط قافلة صغيرة من الجمال أو الحمير أو البغال وهي تسير بغاية المشقة بسبب رداءة الطرق فكان مشيها شديد الإيلام والتعسر وهي تتسلق المسالك العالية الوعرة . والظاهر أن من أسباب تلك التعسرات في الطرق هو أن يجعلوها صعبة السلوك على الأجانب الذين يقصدون تلك الجهات .

من كلامي في وداع الإمام :

في حديثي الأخير مع الإمام قبل الوداع تكلمنـا في كثير من الشؤون المتعلقـة ببلاده عسى أن أجد شيئاً أستطيع فيه خدمة مّاله ، فذكر أنه يوجد في اليمن قـدر وافر من المعادن الثمينة وأنه يرغب في الحصول على أهل العلم الواسع في المعـدنيـات ليقوموا بدرس الموجود فيها .

إنه يعسر جداً على هؤلاء الفقراء أن يزيـدوا كثيراً على مـا عنـدهم من أدوات الزينة . وكل ما يـأتونـه من الجهود العقيمـة في هـذا السبيل يؤسف لـه ويرثى ... الجندي هناك شديد الولوع بـأن يشكل في وعـاء رأسـه عـذقـاً صغيراً أخضر اللون وأمـا الرجـال والنسـاء فلرغبتهم في زيـادة التجمل كثيراً مـا يلجـأون إلى الن ... تجديهم إلا قليلاً .

إن حاكم (صعدة) السـابق المؤتلف الآن مع الإمـام أنبـأنـا أن في (صعـدة) وحولها إعتاد النـاس من قرون أن يرقصوا نوعين من الرقص يشترك فيهما الرجـال والنساء يشبهان نوعين آخرين من رقص أهل الغرب .

يوجد في اليمن جنسان آخران من الشعوب أو القبائل غير اليهود (أحدهمـا) يزعم أنـه من سلالـة قحطـان أو (يقطن) وهو من أخلص الأجنـاس البشريـة ، حسن البنية والشكل ، وقوي البأس ، عادم اللحية ، ربعة القوام عريض الجبهة ، ويميل جلـده إلى اللون النحـاسي على اختـلاف في المقـدار . وآحـاد هـذه القبيلـة يقلون من الملابس بحكم البيئة حتى إن شيوخهم ومقدميهم الذين يذهبون إلى عدن يضطرون اضطراراً إلى زيـادة شيء من المـلابس المصنـوعـة لهـذا الغرض . وأمـا الجنس الثاني فإنسانه أطول قامة وعليه مسحة من الجمـال وتراه على الغـالـب كامل اللحية كثير الملابس . ولما كانت درجة الحرارة الجويـة واحـدة في كل من البقعتين نرى أن مـذهب الفيلسـوف هربرت سبنسر تنجلي حقيقتـه في حـال هـذا الشعب

« وهو أن الزينة تسبق الاكتساء » وأما أصل هذا الجنس الثاني فيقال إنه من ذرية إسماعيل وأنه أتى من الشمال وأن دمه ودم اليهود مشتركان .

همة اليمني في العمل :

إن اليمني بما يتيسر له من عدة العمل الحاضرة يمكنه زيادة انتاجه بكده وكدحه في العمل الذي يمتد من شروق الشمس إلى غروبها حالة كون الأميركي بماله من تفوق العدة والأدوات تقدر قوته قوة أربعين حصاناً أو ما يعادل ٢٥٠ من قوة اليمني وتكون نتاج عمله على هذه النسبة . وإن من اعتاد حياة الغرب ليحار في هذا السؤال وهو : كيف يتأتى لشعب كأهل اليمن أن يعيشوا في بيئة كبيئته حيث أحوال الحياة تكاد تكون واحدة للإنسان والحيوان ، وكيف يستطيعون تحمل مشاقها وشظفها ، لكنا بالرغم من ذلك كله نراهم عائشين مع قلة وسائل العيشة والراحة ونصب العمل دون أن تبدو منهم أمارات الشكوى المؤلمة . ولقد انقضى على سكان اليمن القرون وهم في هذه الحالة من بؤس العيش وخلوهم من مادة البقاء لا يدرون شيئاً من حالة غيرهم في أمور المعيشة ومع ذلك تراهم على الجملة قانعين راضين يحمون أرضهم وحكومتهم التي منها وعن يدها تنتج لهم هذه الأحوال . أما بلاد الغرب فهي مع وجود أسباب الراحة والهناءة حتى لا أقول معدات اللذات والمسرات ترى الناس لا ينقطعون عن التشكي والتبرم من أحوالهم وهم أبداً على قدم الانفجار والقيام بإيقاد نيران الثورات كلما أتاحت لهم الفرصة وأباحت لهم الأقدار ذلك .

إن سكان الجبال في جميع الأرض معروفون بحب الاستقلال وإيثاره على كل ما سواه من أمور الحياة مشهورون بقوة البدن وشدة البأس على نسبة بيئتهم وشظف حياتها ومما يحسن ذكره ووقعه على الخواطر أني لقيت رجلين يمنيين أحدهما يهودي والآخر مسلم زارا أميركا وبعد أن أقاما فيها عدة أعوام غلبهما الحنين إلى تلك الجبال اليمنية والتي ولدا فيها ورضعا لبانها وغذيا بهوائها ومائها وإذ جد

بهما الوجد واستحكم الهيام عادا أخيراً إلى تلك الربوع ليقضيا فيها ما كتب لهما من بقية العمر .

ثم إن اليمنيين لم يكون يطيقون حكم الأتراك بحال ولا بوجه من الوجوه فلم يحولوا عن الاعتقاد بأن إمامهم هو الخليفة الحقيقي وأن لا خليفة إلا من تحدر من ذرية النبي . على أن هناك من ذراريه قوماً يدعون بالأسياد « على ما تعلمون » .

الطب والعلاج في اليمن :

ليس في اليمن شيء يسمى دواء وطباً حتى إن أحقر عشبة من أعشاب الأرض التي يتداوى بها أحياناً غير معروفة . فإذا أصيب أحدهم بألم لم يجد مفراً من تحمله ، وإذا غلبته عادية الداء قضى نحبه بحكم الطبع بلا علاج ولا دواء . على أن هناك عشبة يغلب استعمالها عندهم هي (القات) ـ فقد أتي بها من بلاد الحبشة أيام أتي بشجرة القهوة أيضاً . وعلى مقربة من ساحل البحر مدينة اشتهر فيها شجرتان غرستا فيها بادىء الأمر وهما شجرة « القات » وشجرة « القهوة » وقد تمكنت في اليمنيين عادة كعادة الانكليز وهي أنهم في نحو الساعة الرابعة من ظهر كل يوم يجلسون جماعات لتناول « القات » إذ يعدونه ممضوغاً منبهاً ويزيدونه بهجة ولذة بتعاطي أقداح الحديث كما يتعاطى الندامى كؤوس المدام . ومع ما في هذا النبات من أذى إضعاف الأعصاب فإن كل يمني حتى الجندي العادي على أجره الذي لا يستحق الذكر يجتهد في اقتصاد شيء ما في سبيل تناول « القات » . وكأن ذلك يذكرنا بعادة الكوكائين عند أهل الغرب .

عند ولادة الأولاد

إن طريقة ولادة الأم في اليمن شديدة القسوة . فالأمر الوحيد المساعد لها حينئذ هو الإتيان بمن ترقص على بطن المتألمة البائسة مدة المخاض ومع كثرة النسل فإن متوسط الوفيات منهم وافر جداً . وقد قال لي أحد حكام المدن

الكبيرة إنه قد فقد ٢٢ صبياً وهو عدد يستحق الـذكر ويستلفت الأنظـار حتى في أسرة عادية أمريكية . ومع ذلك فقد أبقت له العناية ثمانية أولاد على حالة حسنة من الصحة .

ج/٤ ، م / ٢٨ ، ص ٢٨٩ ـ ٢٩٢

١٣٤٥ هـ = ١٩٢٧ م



الملحق

٥٠

أنباء العالم الإسلامي

دعاة الشقاق للحرب بين الإمامين يحيي وعبد العزيز

لا تزال إشاعات الشر عن استعداد الإمام يحيي لإيقاد نار الحرب تطوف الأقطار فتشغل الصحف وقراءها ، ويتردد في بعض المجالس الخاصة ما هو شر مما تنشر الصحف منها . ومن هذا النوع ما ورد في مكتوبات خاصة من عدن وغيرها من أن محاضئ الفتنة من روافض الأعاجم وأنصارهم من الهنود السياسيين قد أرسلوا إلى الإمام يحيي وفداً يعرض عليه إمداده بألف ألف جنيه مساغدة له على قتال الملك ابن السعود لإخراجه من الحجاز ، ويقال : إن مع العضو الإيراني من هذا الوفد عضواً أفغانياً فياليت شعري هل هو عضو ملفق في الهند أم استطاع شاه إيران استمالة أمير الأفغان السني المصلح المدني ليساعده على هدم السنة ومعاداة أنصارها ؟ الراجح عندنا أن الوفد كله ملفق بإغواء أعداء الإسلام والعرب راجا محمود آباد وأعوانه الساعين في منع الحج ولهؤلاء حزب في بعض بلاد الشرق .

وفي سورابايا (جاوه) جريدة عربية لهذا الحزب ، تجهر بالدعوة إلى هذه الحرب ، وهي التي كان قد أسسها بعض غلاة الرفض من علوية الحضارم لدعايته في تلك البلاد التي ينتمي جميع أهلها إلى مذهب الإمام الشافعي من أئمة السنة فأحدثوا بينهم من الشقاق ما اشتهر أمره ، وكان سبباً لتأليف عدة جمعيات تطعن في العلويين أقبح الطعن بعد ما كان من الإجماع على تعظيمهم وتكريمهم ، وفاء لأسلافهم الذين نشروا الإسلام ومذهب الشافعي هنالك .

تعظم هـذه الجريـدة أمر الإمـام يحيى حميـد الـدين وتكبر قـوتـه وتغلـو في استعداده الحربي وتحبذ ماعقـده من الاتفـاق مع الـدولـة الإيطـاليـة ، وتطعن في الإمـام عبـد العزيز بن السعـود وتهـون أمره وتحقر قـوتـه ، ولا عجب فقـد سمـع بعض علمـاء مصر وفضـلائهـا من زعيم من أشهر رجـال هـذا الحـزب أنـه يفضـل استيـلاء دولـة أوربيـة على الحجـاز ويراه أضعف ضرراً من استيـلاء ابن سعـود عليه ، ولكن الإمام يحيى أعلم من هؤلاء المتهورين بحقيقة قوته وقوة ملك الحجـاز ونجـد ، وأعلم منهم بمصلحتـه ومصلحـة بـلاده ، وسيرى العـالم منتهى شـوطهم في إغرائه وتوريطه .

وأمـا نحن فـإننـا نرى أن السيـاسـة المثلى التي يجب أن يتبعهـا الإمـامـان في الجزيرة العربية هي سياسة التآلف والتحالف والتعـاون على حفـظ استقلال مهـد الإسلام أن تمتد إليه يد الاستعمار ونفوذ الأجانب ، ونرى أن من يوقد نـار الحرب منهما على الآخر هو أكبر المجرمين ولا يقبل له عذر من الأعذار ، ونرى مع هذا أن الخطر على اليمن أقوى وأقرب من الخطر على الحجاز ونجد ، ولعل الإمـام يحيى قـد شعر بزلته في الاتفاق مع إيطالية وإذاً لا يختار لنفسـه الـدخول في مـأزق يضطره إلى تمكينها من قياده ، ورسوخ قدمها في بلاده .

ج/٢ ، م/٢٨ ، ص ١٥٩ ـ ١٦٠
١٣٤٥ هـ = ١٩٢٧ م



الملحق

٥١

الانكليز في جزيرة العرب

(المنار) كتبنا هذه المقدمة لرحلة الأمير شكيب الحجازية في الشهر الماضي وهو شهر المحرم عندما تم طبعها ثم أردنا نشرها في هذا الجزء من المنار وهو الجزء (صفر) لتكون تقريظاً لها فاتفق أن رأينا في جريدة الضياء الغراء مقالاً مترجماً عن اللغة الانكليزية لرجل من كبار ساسة الانكليز كان من أكبر العاملين في سبيل استعمارهم لهذه الجزيرة بين فيها ما وصل إليه نفوذهم فيها وأنواعه وماهم مستهدفون له في هذا العصر بيقظة الأمة العربية وسعي المستيقظين منها لاعادة مجدهم واستقلال بلادهم ، لينبه دولته لما ينبغي لها من الحذر والحكمة في هذا الطور الجديد ، لهذه الأمة ذات التاريخ العجيب .

فرأيت أن أنشرها في هذا الجزء بجانب هذه المقدمة مفصلة لما أجملته فيها وحجة على صحة رأيي وصدقه في الانكليز الذي بينته في المنار مراراً كثيرة عسى أن يكون نشرها من أسباب انتشار اليقظة العربية التي نسعى لها سعيها منذ سنين كثيرة وإقناع بعض الزعماء والأمراء بما يرمي إليه هذا السياسي الانكليزي من أن الأمم إذا عرفت نفسها ، تعذر على غيرها استعبادها أو استعمارها ، فإن أكثر أمراء الجزيرة يجهلون هذه الحقيقة فلذلك خنعوا واستخذوا أمام هذه الدولة الطامعة .

وهذا نص المقالة :

بريطانيا ستخرج من جزيرة العرب

كما خرج الفرس والرومان

هكذا يقول بريطاني كبير من رجال السياسة(☆)

كانت قد وافتنا التلغرافات بنبذ مقتضبة من مقال نشرته الديلي تلغراف لجناب السر هنري دوبس مندوب العراق السامي البريطاني بين سنة ١٩٢٣ ـ ١٩٢٩ . ثم جاء بعد ذلك أصل المقال وقد رغب فيه إلى حكومته أن تكون أكثر اهتماماً وأوفر درساً للحالة الروحية التي عليها بلاد العرب ، وقد اقتطفنا من هذا المقال الخطير الجزء التالي قال : إن المناقشة الحديثة العهد التي جرت في مجلس اللوردات حول اقتراح اللورد ترانشود الذي يرمي به إلى توحيد زمام السيطرة والسياسة في الشرق الأوسط قدانتهت بالخيبة . وقد كان فحوى جواب اللورد باسفيلد يفيد أن الحكومة البريطانية تظل قابضة بيديها على جميع زمام السياسة ، وأن تنوع المصالح العديدة في البلدان المختلفة تلك المصالح المتصلة المرجع بعدة من دوائر الحكومة ، يقضي بأن تكون هذه الدوائر متصلاً بعضها ببعض اتصالاً مستمراً بتبادل الرأي والمشاورة ، وعلى هذا لا تبقى هناك فائدة في إنشاء دائرة واحدة يعهد إليها اسمياً في إدار الشؤون المتعلقة بالبلدان المذكورة .

فما هي تلك البلدان ذات المصالح والشأن في هذه القضية ، وما هي الأساليب التي تجري سياستنا عليها في تلك البلدان ؟ تلك البلدان هي : سوريا ، وهي تحت الانتداب الفرنسي ، وعلاقتها تدار من قبل وزارة الخارجية

(☆) هذا القول غير موجود فيا نشرته الضياء ولعلها تعده نتيجة له .

عن طريق باريس، فلسطين ، وهي تحت الانتداب البريطاني الذي سيتطاول أمده إلى حد غير معروف ، وتدار من قبل وزارة المستعمرات .

شرقي الاردن ، وهي أيضاً تحت انتداب مندرج في صلب معاهدة معقودة مع الأمير الحاكم ، وتدار تحت إشراف وزارة المستعمرات .

العراق ، ويرجى دخوله عضواً في عصبة الأمم في السنة المقبلة بصفته مملكة مستقلة . وعند حصول هذا يعتاض عن المندوب السامي المرتبط الآن بوزارة المستعمرات بسفير مرتبط بوزارة الخارجية .

نجد والحجاز ، ومنهما يتألف معظم جزيرة العرب ، وهما تحت حكم الملك ابن السعود الذي تدار علاقاته من قبل وزارة الخارجية بواسطة وزير مفوض .

الإمارات المستقلة والمقاطعات الواقعة في الخليج الفارسي ، وهذه الإمارات والمقاطعات داخلة في نطاق دائرة الشؤون الخارجية في حكومة الهند .

عدن ، وبعضها من الأملاك البريطانية ، وبعضها الآخر من البلاد المحمية إدارتها الداخلية مرتبطة بحكومة الهند في بومبي ، وتقوم وزارة المستعمرات بالادارة السياسية تجاه القبائل التي في الأراضي المحمية وتجاه سائر جزيرة العرب .

اليمن ، وهي تشمل جانباً من البحر الأحمر إلى شمالي عدن وهي تحت حكم الإمام يحي المنافس الكبير لابن السعود ، والمقيم السياسي في عدن يجري في علاقاته مع الإمام يحي على ما يتلقاه من إرشاد من وزارة المستعمرات .

ففي جميع هذه البلاد ، اللغة العربية هي السائدة ، والإسلام هو الدين الغالب وفي أي قطر من هذه الأقطار سرحت بصرك ، ترى الجيل الحديث من أهل السياسة من العرب يطوون صدورهم على أحلام وآمال تتعلق بتكوين بلاد عربية مستأنفة الحياة والقوة ، بحيث يكون بوسع هذه البلاد المتجددة النشأة

القبض على المراكز الخطيرة لطرق المواصلات الكبرى في العـالم بحراً وهواء ، واحراز الثروة من التجارة الحديثة العزيزة التي لا بد لها أن تمر في هذه الطرق .

هذا من ناحية ـ ومن ناحية أخرى لا يصح أن نعتقد أن أفكار النشء العربي الحديث فيما لبلادهم من الخطورة الجغرافية ـ هي مجرد تصور وخيال ، فإن تجـارة أمريكا جمعاء تخترق الآن البحر الأحمر . وجميع الطرق الهوائية على آسيا واستراليـا ـ ماعدا الاتجاه الذي تقوم به روسيا الآن ـ كل ذلك لا بد له من اجتياز العراق . وأنابيب الزيت أوشك يشرع في إنشائها بين آبار الزيت العراقيـة والبحر المتوسـط بحيث ينتهي من خط هذه الأنـابيب في طرابلس السوريـة وينتهي خـط آخر في حيفا بفلسطين . وسكك الحـديـد ستماشي أنـابيب الزيت جنباً إلى جنب . ومما لا يكون عنه مندوحة أن سكك الحديد ستمد شرقاً إلى الهند مخترقة أرجاء ايران .

وإن الأهميـة التـاريخيـة الكبرى التي كانت لهـذه البلـدان العربيـة في الزمن السـابق بـاعتبـار أنها صـاحبـة طرق التجـارة . وقـد زالت هـذه الأهميـة مؤقتـاً باكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح وستستعاد عما قريب بكاملهـا ، فينجلي من هذا أن ضمان سلامة المواصلات هـذه في الأقطـار مصلحـة حيويـة للامبراطوريـة البريطانية .

وفي جميع هذه البلاد ـ ماعدا سوريا ـ لم يبرح النفوذ البريطـاني هو المسيطر الغالب كل هذا الزمن الحديث ، وقـد ازداد هـذا النفوذ بسطـة واتسـاعـاً إلى حـد كبير بنتائج الحرب الكبرى . فيتعين علينا ـ والحالة هذه ـ أن نـأخـذ بـالوسـائل التي تحفظ هذا النفوذ حتى لا يعتوره تناقض ينشأ عن الجري على خطة مشوشة في علاقاتنا مع هذه الأقطار أو عن أي غموض أو ارتباك في إيضاح الغايـة والقصـد . أو عن خرق في السياسة . فإنه إذا سارت الحال مصابـة بـآفـة من هـذه الآفـات . فـالعرب ـ وجـذوة الأمل في إحراز الاستقـلال حـديثـة الاشتعـال في صـدورهم ـ

سينابذون مثل هذه السياسة بقسوة وعنف . وأقول بعبارة أخرى : إن سياستنا مع هذه البلاد ينبغي أن لا يفسدها أقل افتقار إلى العطف على طموح العرب إلى استعادة ماضيهم وقوتهم .

وآمال العرب هذه لا يبعد أن يكون مكتوباً لها التحقق والنجاح . وأن الأقوام العربية بعد أن هجعت سنين طوالا ، دبت فيها روح اليقظة ثانية وانطلقت فيها عوامل الحركة والحياة . وكل أمة تقدم على تجاهل ما للعرب من خطورة وعلو شأن لا بد لها من تحمل مرارة النتيجة فيصيبها مثل ما أصاب المملكتين : الرومانية والفارسية من قبل ، يوم أقدمتا على مصارحة العرب العداء عند قيام النبي ﷺ في جزيرة العرب وظهور قوته فيها ، فندمتا ولات ساعة مندم .

وإن علي أن آخذ وأعطي ملياً مع اللورد باسفيلد فإن الخلاصة الموجزة التي شرحتها بصدد أوضاعنا الحالية توضح أن وزارة الهند ووزارة المستعمرات ليستا أهلاً لتصريف هذه الشؤون ، ولا يزيد عملها أن يكون تخبطاً وارتباكاً في حين ينبغي أن نقبض على زمامه في وزارة الخارجية . فإذا لم تبدل الحالة بأحسن منها فتكون النتيجة فساد الأمر ، وفوات الفرصة ، وتضارب الغايات والمقاصد .

فالمقصد الكبير الذي أرمي إليه هو أن سياستنا إزاء القضية العربية الكبرى ينبغي أن تتفرغ بحلة متناسقة الشكل تسود الرجال العاملين فيها روح السخاء المشتقة من بعد النظرين ، وهذه الروح ينبغي أن تسيطر لا على مديري دفة الأمور في المركز ، بل يجب أن تشمل أيضاً أولئك الذين يعهد إليهم في تصريف الشؤون والادارة في مواطن الأمور وأماكنها مباشرة . اهـ .

(المنار) صرحنا في المنار مراراً كثيرة جداً بأن الدولة الانكليزية مجدّة في تأليف امبراطوية بريطانية من بلاد العرب ، وأن أمراء العرب وزعماءهم جاهلون

ما يحيط بهم ، وما يجب عليهم ، ودهاة هذه الدولة يسخرونهم لما يحاولون من سلب ملكهم واستعباد أمتهم فينقادون مذعنين ، طائعين أو كارهين ، محترمين أو محتقرين ، وغير المسخر منهم للخدمة الايجابية ، يقنعون منه بالخطة السلبية ، فلا يوجد في البلاد العربية مقاوم لهم في عمل من أعمالهم المنظمة البطيئة لاستعمار البلاد العربية وهم لا يتمون عملاً ويحكمونه إلا ويشرعون في غيره إذ يكونون قد مهدوا له .

وصاحب هذا المقال يحذرهم يقظة الشعب العربي الجديدة لما أثبته التاريخ من وثبات العرب القوية ، عقب النومات الطويلة ، وهو ينصح لهم بثلاثة أمور لا يرجى بقاء نفوذهم وامتداده في هذه الأمة بدونها .

(الأول) توحيد المرجع الذي يتولى السياسة والادارة الخاصة بالبلاد العربية جزيرتها وولاياتها وهو وزارة الخارجيرة .

(الثاني) عدم الاكتفاء بما يجرون عليه من توطيد السيطرة والنفوذ في مركز كل حكومة عربية (أي وإن كانت كلها مركزية لا شريك للحاكم العام في نفوذه فيها) فإن هذا لا يدوم إذا استيقظت الأمة ، بل لا بد من استمالة جميع الرجال العاملين في كل منها ممن ظهر وممن سيظهر في كل موطن وكل ناحية .

(الثالث) أن يكون الرجال الذين يتولون السياسة العربية والادارة الخاصة بها قادرين بما أعطوا من المرونة وروح السخاء على مداراة العواطف الوطنية وعدم تنفيرها من الانكليز (فتدبروا واعقلوا أيها المستيقظون) .

ج/١٠ ، م/ ٣١ ، ص ٧٨٨ ـ ٧٩٢
١٣٥٠ هـ = ١٩٣١ م



الملحق

٥٢

تصدير التاريخ

ببيان كنه التجديد والإصلاح الذي نهض به حكيم الشرق والإسلام

وشيخنا الأستاذ الإمام ، ووجه الحاجة إليه ، ووجوب المحافظة عليه

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾ [٢٧ : ٥] ﴿ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴾ [٧ : ١٧٠] ﴿ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ [٣ : ١٤٠] .

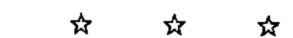
جرت سنة الله تعالى في أفراد البشر أن يؤتيهم قوى المشاعر الحسية والمدارك العقلية بالتدريج حتى يبلغ أحدهم أشده ، ويستكمل رشده ، ويستقل بنفسه بالعلم والعمل والتجارب ، وجرت سنته في الشعوب والأمم أن يمنح كلاً منهم من هداية الوحي في كل طور من أطوار حياتهم الاجتماعية ما هو مستعد له وصالح لحاله وزمانه ، على مثال سنة التدريج في الأفراد ، إلى أن استعد النوع البشري في جملته ومجموعه لفهم أعلى هداية إلهية لا يحتاج بعدها إلا لاستعمال عقله في الاهتداء بها ، في كل زمان ومكان بحسبهما ، فوهبه هداية القرآن ، وختم النبوة برسالة محمد عليه الصلاة والسلام .

ولما كان من طباع البشر أن يضعف تأثير الوحي في قلوبهم بطول الأمـد على عهد النبوة فيفسقوا عن أمر ربهم ، ويتأولوا كتبـه بـأهوائهم ، أنعم عليهم بمـا يحيي هداية النبوة فيهم ، بأن يبعث فيهم بعـد عصر النبوة مجـددين ، وأئمـة مصلحين ، يرثون الأنبياء بالدعوة إلى إصلاح ماأفسد الظـالمون في الأرض ، ويكونون حجج الله على الخلق ، وقـد بشرنـا نبينـا محمـد خـاتم النبيين وإمـام المصلحين ، بـأن الله تعـالى يبعث في هـذه الأمـة على رأس كل مـائـة سنـة من يجـدد لهـا أمر دينهـا ، ليكونوا خلفاءه فيما جدده من دين الله تعالى للأمم كلها ﴿ لئلا يكون للنـاس على الله حجة بعـد الرسل ﴾ إذا طـال عليهم الأمـد ، فقست قلوبهم ، وفسقوا عن أمر ربهم .

إنما كان المجددون يبعثون بحسب الحاجة إلى التجديد لما أبلى الناس من لباس الدين ، وهدموا من بنيان العدل بين النـاس ، فكان الإمـام عمر بن عبـد العزيز مجـدداً في القرن الثـاني لمـا أبلى قومـه بنو أميـة وأخلقـوا ، ومـا مـزقـوا بـالشقـاق وفرقوا ، وكان الإمام أحمـد بن حنبل مجـدداً في القرن الثـالث لمـا أخلق بعض بني العباس من لباس السنة ، ورشاد سلف الأمة ، باتباع ماتشابه من الكتاب ابتغـاء الفتنة وابتغاء تـأويلـه ، وتحكيم الآراء النظريـة في صفـات الله ومـا ورد في عـالم الغيب ، بـالقيـاس على مـا يتعـارض في عـالم الشهـادة . وكان الشيـخ أبـو الحسن الأشعري مجدداً في القرن الرابع بهذا المعنى ، وحجة الإسلام أبو حامد الغزالي مجدداً في أواخر القرن الخـامس وأول السـادس لمـا شبرقت نـزغـات الفـلاسفـة وزنـدقـة الباطنية ، والإمام أبو محمـد علي بن حزم الظـاهري في القرن السـادس لمـا سحقت الآراء من فقـه النصـوص الشرعيـة ، وشيـخ الإسـلام ابن تيميـة وتلميـذه ابن القيم مجـددين في آخر القرن السـابـع وأول الثـامن لجميـع مـا مـزقت البـدع الفلسفيـة والكلامية والتصوفيـة والإلحـاديـة ، من حلل الكتـاب والسنـة السنيـة ، في جميع العلوم والأعمال الدينية ، وحسبنا هؤلاء الأمثال في التجديد الديني العام .

وظهر مجددون آخرون في كل قرن كان تجديدهم خاصاً انحصر في قطر أو شعب ، أو موضع كبير أو صغير ، كأبي إسحاق الشاطبي صاحب الموافقات والاعتصام في الأندلس ، وولي الله الدهلوي والسيد محمد صديق خان في الهند ، والمولى محمد بن بير علي البركوي في الترك ، والشيخ محمد عبد الوهاب في نجد ، والمقبلي والشوكاني وابن الوزير في اليمن .

ج/١ ، م/٣٢ ، ص ٢ - ٣
١٣٥٠ هـ = ١٩٣١ م



الملحق

٥٣

السيد محمد بن عقيل بن يحيى

ذكرنا في آخر الجزء الأول من هذا المجلد (٣٢) خبر وفاة هذا السيد النبيل . وأننا شرعنا في كتابة مانرى فيه الفائدة والعبرة من سيرته ، واضطررنا إلى تقديم سيرة والدتنا بالنشر عليها . وقد سافرنا بعد ذلك إلى القدس لحضور المؤتمر الإسلامي العام وبعد العودة إلى مصر والشروع في طبع الجزء الثاني أردنا أن ننشر فيه ماكتبنا من سيرته ونزيد عليها فضلّت عنا فلم نجدها ، فلا ندري أسقطت في الورق المهمل الذي يخرجه الخادم من مكتبنا أم ضلت بين أوراق أخرى . وقد نشرت ترجمته رحمه الله في كثير من جرائد الأقطار الإسلامية ، وعقدت له حفلات تأبين في مصر وجاوة ، وإنني أفي بوعدي بنشر شيء من سيرته استأنف كتابته فأقول :

كان رحمه الله تعالى قوي الجسم والعقل ذكي الذهن ، زكي النفس ، عالي الهمة واسع الاطلاع على الكتب الإسلامية من شرعية وأدبية وتاريخية ، مختبراً لأهل هذا الزمان ، عارفاً بشؤون السياسة الدولية ، وأحوال الشعوب الشرقية والغربية ، فإن له عدة رحلات من بلاده حضرموت إلى جاوه والحجاز ومصر والهند والصين واليابان وأوربة الشرقية والغربية .

وكان قوي الذاكرة ، حسن المذاكرة ، ذا بديهة حاضرة ، وعارضة ماضية ، وعبارة سلسة في الكتابة ، لا ركاكة فيها ولا براعة ، ولا أعلم شيئاً عن حظه من الخطابة . وكنت أول عهدي بطلب العلم بطرابلس الشام أقرأ في المؤيد مقالات معزوة إلى الرحالة سيف الدين اليمني ثم علمت أنها له .

وأما أخلاقه فصف ما شئت من عزة نفس ، وسخاء كف ، وشجاعة وإقدام ، وعفة وورع ، ووفاء ومروءة ، واهتمام بالمصالح العامة القومية والملية ، ولولا أنه شغل بالتجارة لكان من أكبر زعماء الأمة العربية ودعاة الإصلاح الإسلامي فيها .

وكان كثير الزواج يجمع ما طاب له من النساء مثنى وثلاث ورباع ، وكثير النسل والإنتاج ، أخبرني سنة ١٣٣٠ هـ أن أولاده وأحفاده يزيدون على خمسين نسمة وهم متفرقون في بلاد مختلفة ، وأنه لا يعرفهم كلهم بأشخاصهم ، وأنه لا يعلم عدد من مات منهم ، ولم يكن هذا بشاغل له عن أعماله التجارية ، ولا عن أبحاثه العلمية والسياسية .

وقد نشأ على مذهب الشافعية تربية وتعليماً وعملاً ، ولكنه كان مع ذلك مستقل الفكر في المسائل العلمية والدينية إلا فيما ملك وجدانه من شعور السيادة ولوازم عصبيته .

ولما ظهر المنار في أواخر سنة ١٣١٥ هـ بدعوته الإصلاحية في الدين والاجتماع واللغة كان من السابقين إلى الاشتراك فيه ثم عني بنشره في سنغفورة وجاوه وسائر الجزائر الأندوسية ، واتصلت المودة والمكاتبة بيننا بقوة وحرارة ، ثم فترت في السنوات الأخيرة لما سأذكره ، وقد أنشأ في جاوه مع بعض الأخوان مطبعة ومجلة إسلامية سماها (الإمام) وكتب إلي أن الغرض منها نشر مقاصد المنار الإصلاحية بلغة البلاد الملاوية ، وأن جل اعتماده فيها على ما يترجمه عنه .

وأول خلاف في الآراء وقع بيننا مسألة « لعن معاوية » وكان دعاة التشيع من العلويين قد أثاروها في جاوه أو أندوسية كلها واستفتيت فيها فأفتيت بعدم الجواز وبينت ما في هذا الشقاق من الضرر والتفرق بين المسلمين بدون مصلحة راجحة تقابله ، وفيها ألف كتابه المشهور (النصائح الكافية) وعذر كل منا أخاه في اجتهاده .

ثم تفاقمت دعايـة الرفض والغلو في آل البيت وسلائلهم في تلـك الجزائر فكان من زعمائها بالتبع لأستاذه السيـد ابن شهـاب كما بينت ذلـك في ترجمـة هـذا عقب وفاته ، ولكنه لم يكن داعية لما وراء ذلك من الخرافات كعبـادة الموتى من السـادة وغيرهم من الصـالحين بـدعـائهم والطواف بقبـورهم ، ولمـا كان الغلـو والإفراط في طرفي كل أمر يثير الغلو في الطرف الآخر ، ظهر في تلـك الجزائر خصـوم كثيرون للسـادة العلـويين وتفـاقم الخـلاف ، واستشرى بـه الشقـاق ، وهـو مـا كنـا نخشـاه ونتوقعه ، وظهرت في أثناء ذلك جمعيـة عربيـة بـاسم (جمعيـة الإرشـاد) غرضهـا إنشاء المدارس ونشر التعليم الديني والمدني الذي تقتضيه حالـة العصر من الاستقلال وإحياء هداية الكتاب والسنة ومقاومة الخرافـات الفـاشيـة من طرق الابتـداع في الدين وجر ذلـك إلى إنكارهم على العلويين ترفعهم بـأنسـابهم على النـاس بمـا يعـد احتقاراً لعلمائهم وأهل الوجاهة منهم ، وأفرط بعضهم في ذلك .

وقد طلبت مني جمعية الإرشاد مرة أن أختار لهـا بعض المعلمين لـمدارسهـا من مصر فأجبتها إلى ذلك بما أمرنا الله تعالى به من التعـاون على البر والتقوى ، وإنمـا يقومان على أساس العلم ، فكتب إلي السيد محمد بن عقيل عفا الله عنا وعنه كتابـاً ينكر علي فيه مساعدة هذه الجمعية الضالة المضلة في زعمـه بل وصفهـا بمـا هو أقبح من ذلك ثم أذاع بعض العلويين أنني أنصر الإرشاديين عليهم ، وهم مخطئون ، فأنا لاأنصر إلا ماأعتقـد أنـه الحق ولو كنت أتبع الهوى لكان هواي مع العلويين لأنني منهم وأهل العلم الصحيح منهم يعلمون ذلك .

وقد علمت منه أنه ترك مذهب الشافعي لا إلى اتبـاع الـدليل بل إلى تقليـد مذهب العترة أو آل البيت (أي مذهب الزيدية) وأخبرني أنه حاول إقناع الملـك حسين بنشر هذا المذهب في الحجاز والحكم به دون مذهب أبي حنيفة الذي أجبرت دولة الترك شرفـاء مكـة على تقليـده ، فلم يقبل فغضب عليـه ، ولعل هـذا سبب مـاأرسلـه إلي من مكـة وقتئـذ في الطعن على الملـك حسين ، ووصف ظلمـه

واستبداده وقسوته في سجنه وغيره مما نشرته وقتئذ ، واعتمدت عليه في الخطاب العام الذي وجهته إلى العالم الإسلامي في القيام عليه .

ثم سعى لدى شيخ الأزهر في مصر لتقرير تدريس هذا المذهب في الأزهر فلم يقبل ، وأنا لم أنكر عليه هذا السعي لأن مذهب الزيدية في الفقه كغيره من المذاهب الأربعة التي تدرس في الأزهر وقلما يخالف بعضها في حكم إلا ويكون موافقاً لآخر منها . وإنما كنت أعارضه قولاً وكتابة هذا الغلو في العلويين الذي تأباه حالة البشر الاجتماعية في هذا العصر الذي فشت فيه فكرة المساواة وما يسمونه (الديمقراطية) وهم مهما يكن من غلوهم في تعظيم آل البيت النبوي فلن يصل إلى غلو من قبلهم من الشيعة الظاهرية والباطنية وكله عرضة للضعف فالزوال .

وقد عرضت عليه وعلى غيره في تلك الأثناء رأياً لن يجد العلويون من الحضارمة ولا من غيرهم أمثل منه لإحياء مجد آل البيت النبوي وحمل جميع المسلمين على عظيم كرامتهم وإعلاء شأنهم وتفضيلهم على غيرهم بالطوع والاختيار وهو ما سأذكره في النبذة التالية إن شاء الله تعالى .

ج/٣ ، م/٣٢ ، ص ٢٣٨ ـ ٢٤٠
١٣٥٠ هـ = ١٩٣٢ م



الملحق

٥٤

وفيات الأعيان

الأمير سيف الإسلام محمد أمير لواء الحديدة وملحقاتها

في منتصف شهر ذي الحجة الحرام خاتمة سنة ١٣٥٠ رزئت المملكة اليانية والأمة العربية بوفاة هذا الأمير الجليل ، والسيد النبيل ، النجل الثاني من أنجال جلالة أمير المؤمنين ، المتوكل على الله رب العالمين ، الإمام يحي بن حميد الدين .

توفي شهيد الشهامة الهاشمية ، والنجدة العربية ، غريقاً في سبيل إنقاذ غرقى من أتباعه في ساحل الحديدة ، فنبضت أسلاك البرق بنعيه لمصر وغيرها من الأقطار فاضطربت لها القرى والأمصار ، وأكبرت الخطب صحف الأخبار على اختلاف سياستها وأحزابها ، ونوهت بمناقب الفقيد الشهيد التي كانت خاتمتها هذه النجدة التي بذل روحه الكريمة فيها ، وتواترت التعازي البرقية والبريدية على جلالة والده العظيم من جميع الأرجاء وكان أحسن الله عزاءه وأطال بقاءه يجيب كل معز بما يليق به من الطريق الذي جاءت به تعزيته . وإننا نسجل في المنار ما كان من .... شهادته ، والمهم من ترجمته ، ملخصاً من جريدة (الإيمان) الغراء الشهرية التي تصدر في صنعاء عاصمة اليمن ثم ننشر تعزيتنا لجلالة والده الإمام ورده الكريم :

صفة استشهاده من رسالة مكاتب الجريدة في الحديدة قال :

خرج رحمه الله في يوم الخميس الموافق ١٥ ذي الحجة سنة ١٣٥٠ في جمع من خاصته إلى مكان من شاطئ البحر الأحمر يبعد عن ميناء الحديدة بنصف ساعة بالسيارة تقريباً ، وكانت الخيام قد نصبت فاستراحوا قليلاً ونزلوا يستحمون في البحر . وكان رحمه الله يجيد السباحة فمكثوا مدة ثم خرجوا بعدها إلى الخيام يتجاذبون أطراف الحديث ويتذاكرون ، وجلس سمو الأمير يحدث الجميع ـ بتلك البساطة ، وذلك التواضع الذي هو خير من عرف به ـ عن المشاريع التي يعدها لإسعاد اليمن والحديدة خصوصاً ، وعن عظيم آماله في أن يرى اليمن وسائر الأقطار العربية تخطو الخطوات الواسعة إلى الأمام في القريب العاجل ، وجلسوا طول تلك الليلة وسموه يحادثهم بعذب حديثه إلى مابعد منتصف الليل حيث قام الجميع إلى النوم فنام وقام بعد ساعة يحدث الجميع عن رؤياه التي رآها وهي « أنه خرج من جميع ماله وتصدق بالباقي على الفقراء وسافر لأداء فريضة الحج وهو باك » فجعل كل يفسر تلك الرؤيا تفسيراً تطمئن له القلوب ، ثم تناولوا طعام الإفطار بعد أداء فريضة الصلاة وجلسوا يتحدثون إلى قريب الظهر ، فأظهر سموه رحمه الله الرغبة في الاستحمام ودفع الجميع إلى البحر ولكن سرعان ماشتدت الريح وقوي المد ، وصار كل يجاهد ويغالب الموت الذي كان ينشر رايته المشئومة .

وعند ذلك تتجلى شجاعة ذلك الأمير العظيم فيندفع بنفسه يغالب الأمواج الثائرة والأمواج المتلاطمة مسرعاً لينقذ من كان في خطر ، أنقذ الأول ورجع للثاني والثالث ثم مارجع للرابع يريد إنقاذه إلا وتعلق به وفي تلك اللحظة حم القضاء ونفذت إرادة العظيم القادر فهبط إلى قاع البحر وذهب سموه إلى رحمة ربه شهيد المروءة والإنقاذ شهيد الشهامة والشجاعة ، وما علمت تلك الأمواج الثائرة التي اختطفته أنها اختطفت آمال أمة جزعت وذهلت لهول المصاب الذي عقد الألسن منها .

عصم الله تلك القلوب الدامية بجميل الصبر أما ذكراه الطيبة الطاهرة فخالدة إلى الأبد .

مولده ونشأته

ولد رحمه الله ورضي عنه في رمضان سنة ست عشرة وثلاثمائة وألف بمقام جده مولانا الإمام المنصور بالله رب العالمين أبي يحي محمد بن حميد الدين رضوان الله عليه ونشأ في حجر والده إمام الزمن أمير المؤمنين أيده الله وأمد مدته .

مغارس طالت في ربي المجد والتقت على أنبيـــــاء الله والخلفـــــاء

وعلى هذا يكون عمره الشريف عند وفاته أربعاً وثلاثين سنة وأشهراً . ونشأ بمحروس قفلة عذر وهنالك كرع من بحر الفضائل ، وجثا بين أيدي العلماء الفطاحل ، فاشترى نفيس الفوائد بنوم أجفانه ، حتى تفرد بعرفانه ، وكان المجلي على أقرانه في تحصيل العلوم ، والتحلي بمنطوقها والمفهوم . وله مشايخ كثيرون في جميع العلوم والفنون ، منهم في مبادئ الطلب الفقيه لطف بن سعد السميني والسيد الفاضل محمد بن عبد الله المقدمي الأهنومي والقاضي يحي بن محمد الغشم الآنسي والفقيه المحقق أحمد بن قاسم الشمط الأهنومي .

وعند أن قوي ساعده في الإدراك رشف من معين القاضي العلامة عبد الوهاب بن محمد المجاهد الشماحي . والقاضي المحدث إسحاق بن عبد الله المجاهد الصنعاني والسيد العلامة حسين بن محمد أبو طالب والمولى العلامة شيخ الإسلام علي بن علي اليماني . والسيد العلامة المحقق عباس بن أحمد بن إبراهيم الحسني وغيرهم كثير .

وقد أجازه كثير من أعلام العلماء الذين تشد إليهم الرحال ، وتضرب بعلو درجاتهم الأمثال ، في المعقول والمنقول ، فمن أجازه إجازة عامة والده جلالة مولانا أمير المؤمنين أيده الله ومتع الإسلام والمسلمين بمضاعفة أيامه .

وأجازه المولى العلامة الحجة شرف الإسلام القاضي الحسين بن علي العمري حفظه الله والمولى العلامة سيف الإسلام أحمد بن قاسم حميد الدين والمولى العلامة رئيس المحكمة الاستئنافية السيد زيد بن علي الديلمي والسيد العلامة الحافظ أحمد بن عبد الله الكبسي والمولى شيخ الإسلام علي بن علي اليماني ، والأستاذ العلامة خليل أسعد أفندي رئيس محكمة التدقيق الحنفية ، والسيد الحافظ أحمد بن محمد الغماري المغربي الحسني ، والأستاذ الشهير محمد حبيب الله الشنقيطي المغربي نزيل القاهرة ، وسواهم كثير وجم غفير . اهـ .

وللفقيد شعر كثير ذكر منه المترجم هذين البيتين :

وما هذه الدنيا سوى كسب مغنم ... لأجر جزيل أو لذكر مجمل

فمن جاد منها لم يكن خاسراً بها ... ولا ناقصاً والفضل للمتقبل

(المنار) كان ينبغي لكاتب الترجمة أن **يذكر ما تولاه الفقيد من الأعمال وسيرته فيها ، وسفره إلى إيطالية وما استفاده منه ، وما كان له من الآمال في خدمة أمته ووطنه التي أشرنا إليها في تعزية والده .**

تعزيتنا لجلالة الإمام الهمام

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رشيد آل رضا إلى حضرة أمير المؤمنين الإمام يحي حميد الدين سلام الله عليه وعلى آله الطاهرين .

أما بعد فإن مصابكم بنجلكم الكريم الهمام ، الأمير محمد سيف الإسلام ، لهو مصاب لنا وللأمة العربية والملة الإسلامية : هو مصاب لنا لأننا منكم نشعر بشعوركم ، ونألم لألمكم ، كما نسر بكل نعمة يسبغها الله عليكم ، وهو مصاب للأمة

العربية لأن نجلكم أمير من أعظم أمرائهـا ، وزعيم من خير زعمـائهـا ، كانت ترجو أن يكون من أرسخ دعائم نهضتها ، بعلو همته ، وزكاء قريحته ، وحسن تربيتـه ، وسعة علمه وخبرته : في شرف أرومته ، وكرم منبته ، وقد ظهرت لها بوادر أعماله الإصلاحية ، من إدارية وعسكريـة ، وشهـد لهـا سبب شهـادتـه بكبر شهـامتـه ، وإيثاره ونجدته . وهو مصاب للملة الإسلامية بما كان سيفاً من سيوفهـا المسلولـة ، ورباناً من ربابنة سفينـة نجـاتهـا المـأمولـة . فهـذا مـا بلغنـا من نعوتـه وشمائلـه ، وما روي لنا عن آرائه وآماله ، المستنبطة من أقواله وأعماله .

فأجدر بـأولي الشعور من شعوب أمتـه ، وبمحبي الاتفـاق من أهل المـذاهب المختلفة في ملته ، أن يعدوا شهادته مصيبـة عـامـة ، وكارثـة طـامـة ، تملأ القلوب حـزنـاً وخشـوعـاً ، وتفيض لهـا العيـون دمـوعـاً ، وتردد الألسن فيهـا حـوقلـة واسترجاعاً .

وأمـا أنت أيهـا الإمـام العظيم ، والأب الرؤوف الرحيم ، فلئن كنت أجـدر بحزن القلب وفيض الـدمع ، بمقتضى سلامـة الطبع وهـدي الشرع ، فـلأنت أحـق بـالصبر الجميـل ، وأحرص على صلـوات الله ورحمتـه للصـابرين المسترجعين ، بمـا أوتيت من قوة الإيمان ، وثبـات الجنـان ، وسعـة العرفـان ، وقيـامـك في محراب الإمـامـة في الـدين ، والأسوة الحسنـة في جـدك محمـد رسول الله وخـاتم النبيين ، صلوات الله عليه وعلى آله الطاهرين ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

☆ ☆ ☆

جواب جلالة الإمام

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة السيد العلامة والمرشد الفاضل الفهامة ، الشريف محمد رشيد آل رضا صاحب المنار ، حرس الله مهجته ، وأطال في الرشاد مدته ، والسلام الكريم عليه ورحمة الله وبركاته .

أيها السيد الفاضل ماأوفى كتابكم الكريم بأداء سنة الدين ، وأشفاه بياناً لحسن العزاء بمن مضى شهيداً ولحق بسلفه الصالحين ، وأراع بالفراق قبل الإمتاع ، ولبى نداء ربه ممتطياً صهوة الإسراع ، فلئن كان المصاب بوفاته عظيماً ، والرزء بمفاجأة يومه جسيماً ، قد بلغ الغاية من مرارة النكاية ، وإضرام حرارة الأحزان ، وإثارة عواصف الأشجان ، فما في كتابكم الكريم من تحلية الفقيد رحمه الله بنعوت المادح ، والتوصية بالصبر الجميل في المصاب الفادح ، والتسلية بذلك الأسلوب المرغوب من القول الشارح ، قد بلغ الغاية في الإفادة ، وحسن البيان والإجادة ، فشكراً لكم على تلك اليد البيضاء المجلوة في الكتاب ، وامتناناً يزف إليكم مقروناً بثناء مستطاب ، والله سبحانه يجبر المصاب بما نرجوه من وفور الأجر ، والإعانة على دوام الاعتصام بالصبر ، والتحلي بالرضا والتسليم ، لحكم الرب الحكيم ، وإسبال شآبيب الرحمة والرضوان على الفقيد الشهيد ، والاستعداد ليوم المعاد ، وبلوغ المراد من حسن الختام ، والدعا مستمد وشريف السلام . في ١٨ المحرم سنة ١٣٥١ هـ .

ج/٦ ، م/٣٢ ، ص ٤٧٦ ـ ٤٨٠

١٣٥١ هـ = ١٩٣٢ م



الملحق

٥٥

ويل للعرب من شر قد اقترب

« أفلح من كف يده »

(حديث صحيح)

(نشرت هذه المقالة في بعض الجرائد المصرية عند انتشار البرقيات بقرب الحرب بين المملكتين اليمانية والعربية السعودية) .

استيقظوا أيها النائمون ، تنبهوا أيها المغرورون ، استذل الإسلام في الأرض وصاح النذير بجزيرة العرب .

احتلال عسكري في مصر وسيناء ، صهيونية بريطانية في فلسطين ، تأسيس قوة بحرية في خليج العقبة الحجازي للاسطول الانكليزي ، ومرفأ له وللبواخر في حيفا ، حظائر للطيارات الحربية في مصر وشرقي الاردن والعراق ، حكم عسكري فرنسي في سورية ولبنان ، حكم انكليزي في عرب البحرين والكويت وعمان ، حكم انكليزي في عدن ، وحماية على تسع مقاطعات من عرب اليمن ، البحر الأحمر العربي الإسلامي صار بحراً انكليزياً قد تشارك إيطالية انكلترة فيه بمقامها في مصوع وما تسعى إليه من نفوذ واستعمار في تهامة اليمن ، كما شاركتها في النفوذ والاشراف على مصر بمقامها في برقة واحتلالها لجغبوب ، لم يبق للأمة العربية التي تمتد ممالكها من ساحل المحيط الغربي إلى بحر عمان والمحيط الهندي إلا جزيرة العرب ، هي البقعة الوحيدة التي ليس فيها ملك ولا حكم لمستعمري الغرب ، ولا لابس برنيطة يسيطر عليها بالأمر والنهي ، وهي مهد الإسلام ، ومهبط الوحي ،

وفيها بيت الله قبلة الصلاة ، وشعائر الله ، والمشعر الحرام ، وعرفات موقف الحجيج العام ، بل هي ملجأ الإسلام ومعقله ومأرزه الذي يأرز إليه ويعتصم به عندما تتداعى إليه الأمم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها كما ثبت في الأحاديث الصحاح ، ولذلك أوصى النبي ﷺ في مرض موته بأن لا يبقى في جزيرة العرب دينان .

ها هي ذي جزيرة العرب ، يطوقها المستعمرون الفاتحون من البر والبحر والجو ، وليس لهم فيها شبر من الأرض ، ولا أحد من أبناء جلدتهم ، الذين يتدخلون في البلاد لحمايتهم ، وفيها زهاء مليون من شجعان العرب المسلمين المسلحين ، لكنهم أعداء أنفسهم ، بأسهم بينهم شديد ، يخربون بيوتهم بأيديهم ، ويكيد لهم أبناء جنسهم ودينهم الذين في خارج بلادهم ، ويسعون لاثارة العداوة وتأريث الفتنة وإيقاد نار الحرب بينهم .

كان في هذه الجزيرة عند انتهاء الحرب العالمية أربع حكومات مستقلة : اليمن وعسير والحجاز ونجد ، وكان دعاة الجامعة العربية يدعون رؤساء هذه الحكومات إلى الاتفاق الحلفي بينهم ، فتعذر ذلك عليهم ، فسقطت حكومتان وبقي حكومتان ، إحداهما في الجنوب والأخرى في الشمال ، وكان مما سر رجال الأمة العربية والشعوب الإسلامية كافة ، أن إمامي هاتين الحكومتين الامامية والسعودية من أعظم من أنجبت الأمة عقلاً وأخلاقاً وديانة وسياسة وغيرة وحرصاً على صيانة مهد العرب ومشرق نور الإسلام من التفرق والاختلاف الذي يضعف كلا منهما ، ويفضي إلى تدخل النفوذ الأجنبي في وطنهما ، وهو لهما بالمرصاد .

وقعت في مملكة كل منهما فتن داخلية من شأنها أن تغري الطامع في بلاد جاره باغتنام الفرصة ، فلم يفقد أحد منهما رشده ، ولا تجاوز حده ، ثم عرضت لهما تجربة أخرى فاختلفا على موقع جبل عرو المشهور بامتناعه وهو في منطقة

عسير السعودية ، وقيل إن جيش سيف الإسلام ولي عهد الإمام قد اقتحم عقابه ، وأن الجيش السعودي قد زحف لحفظه واسترداد ما اقتحم منه ، وقيل إن القتال بين الدولتين واقع ، ماله من دافع ، فما لبثنا أن سمعنا ما لم يسمع بمثله أحد بين خصمين متنازعين ورأينا ما لم تر قبله عين من حكم بين حكومتين ، ذلك أن الإمام يحيى كتب إلى الملك عبد العزيز آل سعود كتابة أخوية إسلامية يحكمه في القضية راضياً بحكمه سواء أكان له أم عليه ، فما كان من هذا إلا أن حكم له على نفسه ، ونزل له عما يعتقد أنه من حقه ، فدهش لهذا التحكيم والحكم الشرق والغرب ، وفرح به العرب والعجم من المسلمين ، واغتم له دعاة التفريق والتعادي من المفسدين .

فما عدا مما بدا ؟

ما هذه الصيحة التي أفزعت المجامع ؟ ما هذه الصرخة التي مزقت المسامع مالنا نسمع في هذا الاسبوع أن زحوف الأمير أحمد سيف الإسلام القائد العام لليمن قد استولت عنوة على نجران ، واقتحمت حدود العسير بعد خيبة الوفد السعودي الذي يقيم لدى الإمام العظيم منذ شهور ، للمفاوضة في عقد معاهدة ودية حِلْفِيَّة بين المملكتين تحد الحدود ، وتسد ذرائع الخلاف ، وتحول دون أسباب الشقاق ، بل توحد قوى الدولتين وتضمن تكافلها وتعاونها على حفظ مهد الأمة العربية وقلب الإسلام وقبلته ، وحرم الله وحرم رسوله ، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه ، وسائر المعتصمين بحبل الله وحبله .

قد يدل على كذب الخبر من أصله أو على المبالغة فيه ما اشتهر عن الإمام الهمام من تقوى الله وحفظ حدوده وكراهة سفك الدماء ، ومن ترجيح السياسة السلبية على الايجابية ما لم تلجىء الضرورة إلى الثانية ، ومن الأناة وطول التروي في الأمور ، ومن الحذر الشديد من فتح أصغر المنافذ للنفوذ الأجنبي في بلاده ،

فهو لم يتورط إلا في الاتفاق المعلوم مع دولة ايطالية ، ولكن هذا الاتفاق علمه ما لم يكن يعلم فاشتد حذره وتضاعف ، ثم إنه يعلم مع هذا أن الخطر على بلاده أشد من الخطر على المملكة السعودية لمواقع ثغورها على البحر الأحمر ، ولأن ينابيع الثروة فيها أغزر ، وليس لها من مناعة القداسة الدينية ما لجارتها الحجاز .

ولكنه يطمع في ضم عسير إلى اليمن ، ويجد من دعاة الفتن خصوم الملك السعودي من يزينون له هذا الطمع ، ويسمونه حقاً من حقوقه ، لأنها بزعمهم مرسومة في مصور تخطيط البلدان من اللوح المحفوظ من توابع المملكة اليمانية الامامية ـ فلهذا يتريث بل يمتنع عقد المحالفة السياسية العسكرية الجغرافية مع ملك المملكة العربية السعودية على علمه بشدة الحاجة بل الضرورة الداعية إليها .

فإذا كان نبأ هذه الصيحة الجديدة صحيحاً وأن اليد العاملة في محاولة الاستيلاء على عسير كلها أو بعضها بعد الاستيلاء على نجران هي يد ولي العهد الشاب العسكري المتوثب . فالمعقول أن يكون قد زين للإمام الحكيم المتقي أن الفرصة الآن سانحة لتحريض قبائل عسير المجاورة لليمن على تجديد الثورة ببذل شيء من المال لهم ، وقد ضعفت القوات السعودية من البلاد بعد إخماد نار الثورة والتنكيل بمضرميها ، فإذا احتل الجيش المتوكلي ما يريد احتلاله من البلاد يرى الملك عبد العزيز نفسه أمام أمر واقع ، فيضطر إلى الاعتراف به وبناء الاتفاق عليه ، كما حكم على نفسه بالتخلي عن جبل العرو من قبل . ولما هو عليه من العسرة المالية التي تحول دون تجهيز جيش عرمرم يكافح به الثورة الجديدة وما وراءها من الجيش اليماني ، مع شدة حرصه على اتفاق الحكومتين .

هذا أقرب ما نعقله لإرضاء الإمام الحكيم العليم بالاقدام على هذا العدوان الشديد الخطر ، الذي يستهدف البادىء بالشر فيه لسخط الأمة العربية كلها والعالم الإسلامي كله ولسخط الله تعالى فوق كل شيء .

إذا فرضنـا أن الإمـام يحي لا يبـالي سخـط المسلمين البعيـدين ولا العرب القريبين ، أو لا يصدق أنهم يسخطون للتعادي والتقاتل الذي يضعف هذه البقية من البلاد العربيـة ، فهل يجهـل أن الله تعـالى يسخطـه أن يسفـك دمـاء المسلمين لأجـل تـوسيـع مملكتـه على سعتهـا ، وقـابليتهـا لعمران عظيم يغنيـه عن زيـادة مساحتها ؟ أم هل يجهل سوء عاقبة هذا القتال ، وما يستلزمـه من ألوف الرجـال وبدر الأموال التي لا يمكن تعويضهـا إلا في زمن طويل ؟ كلا إنـه ليعلم حق العلم كل مـا ذكر وأنـه ليعلم أن هـذا التعـادي والاقتتـال خطر عليـه وعلى أمتـه ومهـد دينـه ، وأن الملـك السعودي ليعلم هـذا حق العلم ، وإنمـا قللنـا من ذكره في هـذا التذكير لأن الذي روي عنه في هذه المسألة هو أفضل وأكمل ما يطلب منـه ، وهو أنـه بلـغ الإمـام أنـه لا يعتـدي ... يـدافـع إذا اعتـدى عليـه ويقبـل التحكيم في الخلاف ، والمرجو أن يقدر الإمام هذا الخطاب قدره ، وإنا لننتظر ما يجيئنا الغـد من الخبر اليقين ، فنعطيـه حقـه من النصيحـة لله ولرسـولـه ولأئمـة المسلمين وعـامتهم ، وليتـذكر الفريقـان مـا رواه أبو داود والحـاكم من قـولـه ﷺ « ويـل للعرب ، من شر قـد اقترب ، أفلـح من كف يـده » ، (والسـلام على من اتبـع الهدى) .

هـذا مـا نشر عقب انتشـار الخبر في الصحف وذعر الأمـة بـه ثم جـاءنـا كغير ...من الإمامين كليهما ما هو صريح في مبالغة الجرائـد في التشـاؤم وتبرؤهمـا من إرادة الحرب ، وتفاوضهما الودي للاتفـاق ، ولكننـا نرى أنـه لا سبيل إليـه إلا بالمعاهدة واجتناب اعتداء الحدود في عسير ونجران بعد الاتفاق عليها كما هيه .

ج/٥ ، م/٣٣ ، ص ٢٨٣ ـ ٢٨٦ .

١٣٥٢ هـ = ١٩٣٣ م

☆ ☆ ☆

الملحق

٥٦

ما بين الإمامين في جزيرة العرب

من فضل الله على الأمة العربية وعلى العالم الإسلامي أن استقر أمر الحكم في جزيرة العرب وتوطد لإمامين عاقلين تقيين ، ومليكين مكينين قويين ، قادرين على حفظ الأمن كل منهما في داخل بلاده ، وعلى حفظها من العدوان الخارجي عليها باتحادهما وتحالفهما ، ومن ثم كان عقلاء المسلمين كافة ، وعقلاء العرب خاصة ، في أشد الحرص على إيجاد هذا الاتحاد والتحالف بينهما ، وهذا ما سعى إليه الكثيرون منهم ، وكان كاتب هذا (صاحب المنار) بحمد الله وتوفيقه منهم بل أولهم ، وقد عارض هذا السعي الحميد سعي ذميم إلى إفساد ذات البين كان أشد نشاطاً ، ولكنه لم ينل منهما منالاً ، وإنما كان العائق عن عزم الحلف وإبرام الميثاق ، اختلاف بينهما في بعض الصفات النفسية والأخلاق ، فالإمام يحي حميد الدين يغلب عليه خلق المحافظة على القديم ، وطول التروي في كل جديد ، وإن كان جيداً مفيداً ، فسياسته سلبية في الغالب ، ورث هذا الخلق إرثاً ، ومرن عليه بما كان من مكافحته كأسلافه للدولة التركية قتالاً دفاعياً ، وسياسة سلبية لحفظ استقلالهم ، وحكم الإمامة في بلادهم .

وأما الملك عبد العزيز آل سعود فهو مجدد إيجابي السياسة والإدارة ، كما يعلم من تاريخه منذ كان ضيفاً في الكويت لاجئاً إلى شيخها إلى أن استعاد بعزمه وحزمه إمارة آبائه المسلوبة إلى أن صار صاحب سلطنة واسعة يديرها بالتجديد المدني فقد جدد في الحجاز في بضع سنين مالم تفعله الدولة التركية ولا بعضه في

أربعة قرون . ولهذا كان هو البادئ بدعوة الإمام يحيى إلى الاتحاد والحلف ، وكان هذا يرجئ ويسوف ، وكل منهما يعتقد أن الخير له ولبلاده ولأمته ولملته في هذا الاتفاق الحلفي ، وهو على هذا عامل بمقتضى خلقه وشعوره ، المختلفين بين إقدام وإحجام ، وإيجاب وسلب ، حتى انتهى هذا إلى تعبئة الجيوش وتوقع إيقاد نار الحرب ، والعقلاء من جميع الشعوب والملل مجمعون على أن الاتفاق السلمي خير لكل منهما من كل ما يتصور من الربح في نيل مراده ، وأن الحلف الثابت المطمئن ، خير من السلم المضطرب .

كثر تخبط الجرائد العربية في أسباب الاختلاف الذي أثار الخوف من الحرب فحمل ذلك كل فريق على نشر بيان في الحقيقة التي يراها في جريدة العاصمة التي هي لسان حاله ، فرأيت أن أنشر كلاً منهما ليبنى عليه الحكم العادل ويحفظ للتاريخ . وأبدأ بما نشر في **جريدة (الإيمان) اليمانية** ، فإني أشم من مقالها عرف المعارف الإمامية ، وهذا نصها : من العدد ٨٥ الذي صدر في جمادى سنة ١٣٥٢ هـ .

« ويل لكل أفاك أثيم

لم يكن من دأبنا ، وقد علم كل من قرائنا ما لجريدتنا من الخطة والطريقة ، إظهار الولع في تتبع هذيان المفترين وهوس الكاذبين ومقابلته بالرد على صفحات هذه الجريدة لأنا نعلم أن الحقائق من شأنها التغلب على الباطل ، وسرعان ما انكشف كذب الكاذبين فافتضحوا ، وخسروا فيما افتروه فما ظفروا ولا ربحوا ، قبل أن نعمل قلماً في رد ، أو نتكلف لبيان تضليلهم برسم أو حد ، ولو ذهبنا إلى عد ما جرى من هذا القبيل لطال أمد التعداد ، واستنفدنا كمية غير يسيرة من الوقت والمداد .

وفي هـذه البرهـة رأينـا بعض الجرائـد انـدفعت لنقـل الأخبــار القصيرة عن الوضعية في جزيرة العرب ، فقلنا : هـذه شنشنـة أخزميـة لهـا حكم مـاقبلهـا من ذهابها في مدارج الرياح ، وانكشاف كذبها مقروناً بالافتضاح .

ولكن مـامرت الأسـابيـع حتى رأينـا أحـوال أولئـك المخبرين والمفترين قـد تطـورت إلى فصـول طـوال استغرقت أعمـدة من الجرائـد ، واشتملت على كثير من المكايد والغش والخداع للعرب خصوصـاً . وللإسلام والمسلمين عمومـاً ، وكل هـذا جاء مبنياً على ماتخيلته أدمغة أولئك من وجود توتر في العلائق بين جلالة مولانـا الإمام وجلالة الملك عبد العزيز بن سعود ، وانتسج هذا الوهم بخيوط أن هنالـك وفداً سعودياً عاد من اليمن ، إلى غير ذلك من التخيلات والاستنتاجـات الفـاسـدة التي يكذبها الواقع بأعظم دافع .

فلم نجد بداً من الدخول في ميادين الرد بقصد بيان الحقيقـة وتنوير الأذهـان لأنـا رأينـا صـدى تلـك النشريـات المفتراة أثرت على نفوس ذوي الغيرة حتى كان منهم النـاصح ، ومنهم المتوجع ، ومنهم المستغرب ظنـاً بـأن تلـك النشريـات مع تكررها وطول الأخذ والرد فيهـا لهـا نصيب من الصحـة ، وأقل من هـذا كاف في إلجائنا إلى الخروج من الخطة التي ألفناها واعتادها القراء منا .

لقد عجب واستغرب جـداً كل سكان جزيرة العرب سواء كانوا في اليمن أو في الحجاز أو في نجد ما يشيعه خدمة الدرهم والدينار ، وما يشوهون به وجه الحقيقـة الذي هو أجلى من شمس النهار ، وما يختلقونـه من زعم توتر العلاقـات بين حضرة مولانا الإمام أيده الله وبين حضرة الملك عبـد العزيز بن عبـد الرحمن آل سعود ، وأن في أنحاء الجزيرة ما يعد من مقدمات الحرب ، والتأهب من الطرفين لاقتحـام مجال الطعن والضرب ، وتصوير ماانطوت عليه تلـك النفوس الشريرة من أن في البين موقف عدوان ، أو موقف دفاع ونسبة الرغبة في تحرج الحـالـة التي توهموهـا واختلقوهـا إلى جلالـة مولانـا الإمـام مـد الله في عمره ، ونسبـة حضرة سمو المـولى

العلامة سيف الإسلام شمس الدين أحمد بن أمير المؤمنين حفظه الله إلى أنه ذو تشوق لإضرام نار الحرب بين الطرفين ، كأنه من أعتام الأعلاج ، أو من ذوي الزيغ والاعوجاج .

كل هذا محض الافتراء ، وقد خاب من افترى ، فلا توتر علاقات ، ولا احتشاد ، ولا تأهب ، ولا غير ذلك مما هذى به المهوسون خدمة لأعداء الإسلام وترويجاً لبضاعة تخذيلهم ، فلم يحدث بين حضرة مولانا الإمام وبين حضرة الملك عبد العزيز بن سعود ما يقدح زند العدوان ، ولا ما يثير عجاجة تكهن هؤلاء الكهان ، ولم يجر سوى ما استمر من الجميل ، وحسن الرعاية من الجانبين ، والمراجعات الودية بين الطرفين مستمرة ، والأحوال كما هي عليه مستقرة .

وأنى يكون من مثل جلالة مولانا الإمام أيده الله سعي فيما يخالف صالح المسلمين وهو والمنة لله أولى الناس برعاية الإسلام والمسلمين ، وإقامة شريعة سيد المرسلين ، وهل يقبل ذو العقل السديد والرأي الرشيد ، أن يكون من جلالة مولانا الإمام في الحال الحاضر ميل إلى إثارة فتنة تخالف صالح الإسلام والمسلمين ، وهو الذي لم يزل دوي الصراخ من أفراد شعبه يتردد في كل آن في مقامه الشريف الإمامي بطلب الإنصاف في شهداء تنومة الذين يربو عددهم على ثلاثة آلاف شهيد قتلوا ظلماً وهم عزل من السلاح ، آمين بيت الله الحرام لأداء فريضة الحج وركن الإسلام ، وفيهم العلماء والفضلاء والأشراف ، فلم يكن من جلالته غير إرشادهم إلى الصبر والترويح عليهم بالوعود الجميلة ، لأن المصلحة العامة اقتضت في رأي جلالته أن لا يكون الإلحاح على حضرة الملك عبد العزيز في نجاز حكمه في شأنهم بعد أن حكمه مولانا الإمام عقيب الواقعة ، وأجاب بكل إنصاف ، ومرت على ذلك طوال الأعوام والسنين .

وهو الذي رأى بعينه كيف تطورت الأحوال في قطعتي عسير وما إليها

والمخلاف السليماني ، وكيف كان فصلها عن أمها اليمن ، وهي منها جغرافية ، وسكانه من أهل اليمن نسباً ، ولم يقابل ذلك بغير المراجعة الودية ، والصبر الجميل .

وهو الذي سعى السعي الكامل للاصلاح في الفتنة التي نشبت بين السيد حسن الادريسي وبين حضرة الملك عبد العزيز فلم يقل فرصة سانحة أو جاءت لما عنهي وزاجاً ، وهو الذي له المواقف الحميدة ، في كل حادث وقع بين متجاورين من قبل أن تعرف جزيرة العرب ما ولد لها من الوضعيات ، وما تكيف لها من التطورات .

أفمن كان هذا ماضيه وحاله يصح في مدارك العقول السليمة أن يكون مريداً لتأجيج نار الهيجاء ياذوي الحجى ، وهل يصح أن ينسب إليه أنه ممن يبذر البؤس لتشتعل نيران حرب البسوس ؟ كلا ثم ألف كلا ، ولكن هنالك أصابع خفية وأهواء ردية ، ونفوس شريرة ، أرادت أن تنتزع من العدم اختلافاً ، ومن صلاح الأحوال في الجزيرة العربية اختلالاً ، ومن تبادل الوداد بين جلالتي الملكين توتراً في العلائق وانقطاعاً ، فكان لتلك النفوس الشريرة ما أرادت من الاختلاق فحسب وأما الحقائق فهي على نقيض ما قالوا على طول الخط ، والهوى يعمي ويصم .

وأما ما قالوه عن حضرة صاحب السمو الملكي المولى العلامة سيف الإسلام أحمد ابن أمير المؤمنين حفظه الله فذلك عين قول الزور ، والإفك المعدود في وخيم الفجور ، فهو أعظم من تعقد على فضائل سداده الخناصر ، وتستمد من إرشاداته خقائق الصلاح السوافر ،وإنما هو بضعة من رسول الله ﷺ ومن العلماء العاملين الجامعين بين الرجال فيهم للدنيا والدين ، وهو أشد الناس رعاية للصداقة بين جلالة والده مولانا أمير المؤمنين وبين حضرة الملك عبد العزيز ، فكم قابل وسائل

ذوي الفتنة بالرد ، ومنع المتحرشين أعظم منع جاوز الحد ،وشهادة الواقع لا تحتاج إلى برهان ، وهي بمرأى ومسمع من بني الإنسان .

وإنا لنعجب أن كل ما نراه من الصيحة في الفلاة برغم أولئك المفترين لما كان في وادي نجران من سعي في إصلاح جماعات تجاوز أضرارهم أسرهم واخوانهم إلى مجاوريهم ، ولم يكن ضرهم بأقل من سفك الدماء ، والتعرض للسبيل ، ودوام الغزو والغارات ، وعدم الانقيادإلى شريعة الإسلام في شيء ، ولم يكن المراد منهم سوى ترك تلك العادات القبيحة التي ليس لها في عادات المسلمين من نصيب ، والاقبال إلى شريعة الله من بعيد منهم وقريب ، وإذا كانوا يرون أن ذلك هو العدوان ، فمتى كان نجران وهو من اليمن وإلىاليمن إلى غيره ينسب ، وفي غيره يذكر . وإلى هذه الساعة لم ينصب فيه علم لأحد غير ذويه ، ولا دان بطاعة لا لحضرة الملك عبد العزيز ولا لسواه ، ومع ما ذكرناه فإنه دفعاً لتشويش الأفكار ، ومنعاً لتحرش الفجار ، كان من مولانا الإمام قبل توجه الأجناد إلى تلك البلاد الكتابة لحضرة الملك عبد العزيز عن ذلك الشأن فرجع جواب حضرة الملك عبد العزيز حاوياً لكل إنصاف واعتراف ، فما هذا التضليل ؟ يريدون أن يجعلوا من الحادث الضئيل ، ما يروع من التهويل .

وأعظم من هذا اندلاع لسان بعض المفترين بأن الوفد السعودي الذي بارحنا قريباً قوبل بغير التجلة والاحترام وكرم الوفادة ، والاعظام في الاستقبال والاقامة وفي العودة ، وهذا محض الإفك الصريح ، فألسن الوفد هي الحكم والشاهد في هذا الشأن ، لا ما يفتريه ذوو الهذيان .

ونعود إلى ما بدأنا به فنقول لم يكن الحادي لنا إلى طروق هذا الموضوع والنزول إلى ميدانه سوى بيان الحقيقة ، فليكف المفترون أقوالهم المزورة ، وليستحيوا من جميع العالم فقد تعدد افتضاحهم مرة بعد مرة ، وليخلعوا عن جسومهم ثياب النفاق ، وليطهروا قلوبهم من الخبث والشقاق ، وليعضوا أناملهم

من الندم على ما كان ، فهم إلى التوبة أحوج من سواهم ، أخذ الله بنواصينا إلى ما فيه رضاه ، ونزهنا من العد فيمن خسر دينه ودنياه ، والله الهادي » . اهـ بنصه .

ويليه بيان وجهة الحكومة العربية السعودية نقلاً عن جريدتها (أم القرى) وهذا نصه :

« بين الرياض وصنعاء

من عدد أم القرى الذي صدر في أول رجب سنة ١٣٥٢

انتشر في الآفاق خبر ما سمي خلافاً بين الرياض وصنعاء ، ولم تشأ أن تتعرض هذه الجريدة لأمر ذلك الخلاف ، رجاء أن يحل الأمر بالتي هي أحسن لما نعلمه من محبة جلالة الملك وسيادة الإمام يحيى للاتحاد والاتفاق ، ولا نزال نرجو كما يرجو سائر العرب والمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها أن ينتشر في القريب العاجل خبر انتهاء ذلك الخلاف فيفرح المسلمون والعرب باتحادهم وإتفاقهم وجمع كلمتهم ، وكنا نود السكوت إلى النهاية حتى ننشر الخبر الحاسم في الأمر ، لولا أننا اطلعنا على كتاب من سيادة الإمام يحيى أرسله لتحسين الفقير في دمشق نشرته جريدة « فلسطين » يشير فيه سيادته للأمور التي هي موضوع الخلاف بين البلدين ، وقد سألنا من بعض المصادر المطلعة عن حقيقة ما أشار إليه سيادته في كتابه فأطلعنا على بعض المعلومات التي نوردها للرأي العام العربي والإسلامي ليكون على بينة من الأمر .

(١) دافع سيادته عن (نجله العلامة سيف الإسلام أحمد ابن أمير المؤمنين ونفى عنه حبه لاضرام نار الحرب بين الجهتين ، ونحن نثق أن نجل سيادته وسيادته لا يحبون أن تشتعل نار الحرب بين البلدين ، لأنه لا يقدم عليها طائعاً من في قلبه ذرة من إيمان ، أو مسكة من عقل ، لأن الحرب معلوم نتائجها ومضارها .

(٢) ذكر سيادته أنه (لم يحدث بينه وبين جلالة الملك ما يقدح زند العدوان وأنه لم يحدث إلا الجميل وحسن الرعاية من الطرفين وهذا شيء نتمنى أن يدوم حتى يصل الفريقان لحل المشكل ، ولا يزال جلالة الملك على اتصال برقي مع سيادته لانهاء ذلك المشكل بالتي هي أحسن ، ولا شك أن سيادته كما ذكر عن نفسه أنه من أولى الناس برعاية الإسلام والمسلمين ، وأحق الناس بمنع الافساد والفتن وإيقاد نار الشقاق بين المسلمين .

(٣) أشار سيادته إلى ما يسمعه (من شعبه السعيد مما يثير الحفيظة) عن قتل من قتل من اليمانيين في الحادثة التي تسمى حادثة العصبة أو حادثة تنومة ، وأنه ما يزال سيادته يصبر شعبه (بحسن العبارات وألوان الاعتذارات) إلى آخر ما ذكره سيادته في هذا الباب . ونرى بهذه المناسبة أن نبسط حقيقة هذه القضية ليكون الناس على بينة منها .

إنه إلى حدوث حادث العصبة لم يكن بين جلالة الملك وبين سيادة الإمام يحيى أي صلات من التعاقد والتعاهد ، ولا هناك أي مخابرة في مسابلة أو مسير ، والحادث وقع قبل أي مكاتبة أو استئذان في مرور هؤلاء ، وصادف أنه يوم مرورهم كان عبد العزيز بن إبراهيم (أمير المدينة الحالي) أميراً في أبها ومرت العصبة في (خميس) وكان لا بد لهم من وصولهم إلى مكة من مرورهم في بني شهر ، وكل جماعة بني شهر وعلى رأسهم الشبيلي أغروا بتحريضات من الملك حسين غفر الله له بقتال جلالة الملك والانتقاض عليه ، وكان ابن إبراهيم أمير أبها يعلم بوجود قوة من الإخوان مشتبكة بالقتال مع بني شهر في الطريق ، وخاف أن يحدث على العصبة حادث في طريقهم ، لأنهم سيسيرون في المحل الذي يشتبك القتال فيه فحذرهم ونصحهم بعدم التقدم في طريقهم ذلك ، فرفضوا وأصروا على المسير معتزين بقوتهم وجمعيتهم ، وصادف أنه يوم وصلوا وادي تنومة الواقع بين بني الأحمر وبني الأسمر كانت رحى القتال دائرة بشدة ، وكانت الخيالة في أسفل

الوادي ، والمشاة قد تسلقت الجبال لاحتلال الأماكن المنيعة فيها ، فوصل الخبر للخيالة أن جمعاً عظيماًجاءكم من الوادي لقتالكم ، فأرسلت الخيالة للمشاة بالعودة من الجبال لقتال الذين أتوا مع الوادي ، ورغماً عن أن وصول مثل هذا العدد في مثل تلك الساعة الرهيبة من ساعات الحرب يدعو للريبة ولعدم التساهل ، فإن جند الاخوان علىما به من شدة وغلظة وقسوة في الحروب أرسل خيالة تستطلع خبر القادمين فأعلموهم أنهم العصبة وأنهم يريدون المرور ، فأشاروا عليهم بالعودة فأبوا وصمموا على المسير وقتال من يقاتلهم ، ثم ساروا بهيئة حربية وحصل اطلاق بعض العيارات النارية منهم للإرهاب والمرور .

فلم يكن من جند الاخوان في ذلك الموقف إلا أن قابل العدوان بأشد منه ، وكانت المعركة المؤسفة التي قتل فيها من قتل ، ثم عاد الاخوان فأتموا المعركة مع جند الملك حسين وهم يعتقدون أن هذه العصبة لم تقدم في تلك الساعة من اليمن إلا نصرة للملك حسين ، وتأييداً للعصاة ، ولم يتصل الخبر بجلالة الملك حتى تأسف للحادث أي أسف وكتب لسيادة الإمام يحيى كتاباً رقيقاً يظهر أسفه لذلك الحادث ، وأمر حالاً بجمع جميع ما وجد من متاع كان مع تلك العصبة ورده إلى سيادة الإمام يحيى ، ولم يخل الاخوان من المسؤولية في ذلك رغم الشبه التي كانت لديهم في قدوم العصبة في ذلك الوقت فجازاهم بعد ذلك بالجزاء الذي يستحقون .

هذا هو الحادث كما هو بغير زيادة أونقصان ، فهل يرى ذوو الحجى والعقل أن على جلالة الملك أو على جنده تبعة شيء من ذلك الحادث بعد ما كان من نهي أمير أبها لهم عن المسير ، وبعد أن كان من الجند من منعهم من التقدم وعصيانهم للفريقين ؟ ثم لم يكن من الإمام يحيى طلب سابق بطلب الرخصة لهم ، فهل هناك أمر في الشرع يجعل حكومة جلالة الملك مسؤولة عن الحادث أو هل هناك عرف دولي يقضي بمسؤولية حكومتنا في ذلك ؟ إنا نترك الحكم في ذلك لعلماء الإسلام كما نتركه لعلماء الحقوق من الباحثين .

(٤) ذكر سيادته أنه (قد علم من تحت أديم السماء ما كان من فصل قطعة من اليمن الميمون عن أمهـا اليمن الخضراء مع علم كل ذوي العقول أو قطعتي عسير وما يليها ، وجيزان وما يليها من اليمن جغرافية ونسبا) إلى آخر ما ذكر سيادته في هذا الباب .

إن هذه القضية قضية اليمن لليمانيين ، وكلمة الوحدة اليمانية وإن عسيراً من اليمن وجيزان من اليمن ، وأكثر من هذا سمعناه قبل اليوم وكنا نعرض عن البحث فيه لاعتقادنا أن هذه دعوى لا يتمسك بها ذو دين ، ولا من يفهم معنى القوميات في العصر الحاضر ، كما أنه لا يوجد دليل ديني ولا تاريخي يعطي لصنعاء ومن فيها حق التحكم في كل ما تدعي به من اليمن .

أما الدين فإن الإسلام قد آخى بين المسلمين ولم يسمح بجعل الفروق القبلية أساساً للحكم والسلطان ، وكل من اطلع على الحديث يرى الأحاديث الكثيرة في نفي العصبية في الإسلام .

وقد روي عن رسول الله ﷺ أشد الأقوال في ذلك مما لم يرو له ﷺ لفظ مثله في نهي أو زجر حفظاً لجامعة الإسلام ، فقد روى صاحب مشكاة المصابيح في باب المفاخرة والعصبية عن أبي بن كعب قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « من تعزى بعزاء الجاهلية فأعضوه » إلى آخره رواه في شرح السنة ،وقد شرح الحديث بما لا نرى في هذه العجالة مناسبة لإيراد ما ذكره في ذلك الشرح ، على أن الرسول ﷺ يوم دخل اليمن في الإسلام أرسل معاذاً رضي الله عنه من مكة ليعلم أهلها الإسلام فلم يجعل ﷺ اليمن قومية خاصة ، ولا كياناً خاصاً ، ولا مزية خاصة ، وإنما هي بلد من بلاد العرب دخلت في الإسلام فكانت جزءاً من أجزاء بلاد الإسلام الذي لا فضل لعربي على أعجمي فيه إلا بالتقوى ، فكل دعوى في الإسلام إلى العصبية باطلة ساقطة ، الإسلام دين واحد ، والمسلمون أمة واحدة والعرب بعضهم أكفاء لبعض إلا ظنيناً بولاء أو نسب .

ومما نذكره في هذه المناسبة مع شكر الله وحمده ما قام به جلالة الملك حفظه الله تعالى في هذه الجزيرة العربية من إبطال العصبيات القبلية ومنع الغارات والشحناء بين العرب في سائر ما امتد إليه حكمه في دياره ، فقد كانت القبائل يتحامى بعضها على بعض كل يدعو قبيله ونفيره ويستعديه على أخيه ، فدعاهم لتوحيد الله ونبذ ما كانوا عليه من الشرك والضلال ، فانقادوا لذلك طوعاً أو كرها ، وجعل منهم أمة واحدة لا تشعر بغير الشعور الإسلامي ، ولا تعرف غير الإسلام مذهباً دينياً وسياسياً ولا تتخلق بغير أخلاق العرب التي أقرها الإسلام ، فالحمد لله على نعمه ، ونسأله المزيد من فضله وكرمه .

أما دعوى الوحدات الجزئية من الأمة الواحدة فقد انتشرت هذه الفكرة ويا للأسف عن طريق مدارس التبشير المسيحية في مصر وسوريا ليفسدوا على المسلمين عقائدهم الدينية وعلى العرب جامعتهم العربية السياسية ، فألقوا في أذهان الأطفال ألفاظاً طربت لها آذانهم صغاراً ، وأثرت في نفوسهم كباراً ، فظنوا أن ذلك طريق العزة لهم والمنعة ، وما علموا أن ذلك سبب لضعفهم وتفكيك لأوصالهم ، قالوا لهم نكاية بالترك والسوريين يومئذ مصر للمصريين ، ثم صاروا يقولون سوريا للسوريين ، والعراق للعراقيين ، والحجاز للحجازيين ، ونجد للنجديين ، واليمن لليمانيين ، ثم زادوا هذا الخرق اتساعاً في سوريا خاصة فقالوا في فلسطين للفلسطينيين والشام للشاميين ، وحلب للحلبيين وبيروت للبيروتيين .. الخ وهكذا كانوا .

وتفرقوا شيعاً فكل قبيلة فيها أمير المؤمنين ومنبر

متى ضعفت جامعتهم وتفككت أوصالهم ضاعت عزتهم ، وفقدوا المهم من شأنهم ، وأصل هذا دعوة دعا إليها (مونرو) رئيس في الولايات المتحدة جعل هذا شعاراً لاميركا فقال (أميركا للأميركيين) منعاً لعدوان أوربا عن أميركا ، ومثل هذا اللفظ وإطلاقه على أميركا وسير أميركا عليه ليس منه إلا حفظ لشأن

اميركا وطرد لأوربا عنها ، فأميركا دول متفرقة بينها ، ولكنها إزاء أوربا والمجموعة الدولية أمة واحدة وبلد واحد ، أما في بلاد العرب فإن هذه الدعوى السخيفة التي انتشرت فيها لم تنشر إلا من أهل السوء وأعداء العرب والإسلام ،ولم يقصد منها غير طعن العرب والإسلام في الصميم ، وتفكيك أوصال الصلات بينهم ، ومن كان فيه مسكة من دين أو قليل من العلم بعلم الاجتماع وتكوين الأمم ، برأ بنفسه عن مثل هذه النغمة التي تناقض الدين وتنافي ما بني عليه علم الاجتماع قواعده في تكوين الشعوب والأمم في العصر الحاضر ، على أن هذا الباب طويل عريض لا يتسع المجال لبسط الكلام فيه فنرجئه لفرصة أخرى ولمقام آخر ، والمهم فيه الإشارة إلى ما نرى من أمر الإسلام في مثل هذه الدعاوى المحلية والإشارة لأغراض المفسدين في تفريق شمل الأمة العربية والأمة الإسلامية .

وإذا انتقلنا من هذا البحث إلى التاريخ القريب نجد أن هذه القطعة من البلاد العربية والتي تسمى عسير منذ نشأة آل سعود الأولين كانت تابعة لهم وخاضعة لحكمهم . وظلوا فيها إلى أن وقعت الحرب بين آل سعود والترك حيث كانت الغلبة للترك ، وكان آل عايض من أمراء آل سعود في تلك الأطراف ، ثم نشأت بعد ذلك سيادة آل حميد الدين في أعالي اليمن ،كما نشأت سيادة الادريسي في بعض جهات تهامة ، إلى أن حصل على ما حصل في استرداد جلالة الملك لامارة آل عايض ثم حماية الأدارسة ثم نقض الادريسي للعهد ونكثه ثم إلحاق تهامة وعسير بالمملكة العربية السعودية التي تدين بدين الإسلام ، وتحيي مآثر العرب التي أقرها الإسلام وتنفي دعوة الجاهلية ، ولو سئلت رأيها من قبل في التقدم إلى هذه الأماكن لاختارت عدم التقدم لها ، ولكن بليت بكل ناحية من بلاد العرب بمن ينغص عليها السكون والراحة ، فتقدمت للدفاع فأعان الله حتى أعطى الله ما أعطى وهو المعطي وهو المانع لا مرد لحكمه ولا معقب لأمره .

وليس هذا مجال شرح أسباب احتلال كل قطعة من قطع البلاد العربية

لتبرير موقف حكومتنا لأن أكثر ذلك أصبح مشهوراً ومعروفاً عند أكثر المشتغلين بالقضية العربية .

ومن هذا يتبين أن دعوى صنعاء بأنها أم اليمن ، وأنها ينبغي أن تجمع اليمن إليها ، أمر ظهر من صنعاء في مواقف كثيرة ، ولو أردنا أن نسمح لأنفسنا بالاسترسال وبالتسليم جدلاً بدعوى الجاهلية لكان هناك مجال للقول بأن اليمن لليمانيين ولا يمت من في اليمن بنسب إلى قريش وقريش في الحجاز وأهل اليمن من اليمن كما أن الأدارسة لم يأتوا لتهامة إلا من إفريقيا وهو ينتسبون لقريش أيضاً . على أن هذا مما نحمي لساننا عن قوله ولا ندعو إليه وننتهي بنهي الرسول ﷺ عنه .

وسيادة الإمام يحيى سبق أن أعطى من في تهامة عهوداً ومواثيق ثم أوقع بهم أي وقيعة ، وننشر في عقب هذا المقال نص العهد الذي قطعه للزرانيق والقبائل وذلك بتوسط والي اليمن الأسبق محمود نديم ليعرف الناس حقيقة ما هو واقع في تلك النواحي ، والذي نعلمه أن جلالة الملك لم يسمع لمن في تلك الجهات نداء ، ولا أجاب لهم استصراخاً ، رغم اختلافهم مع من في صنعاء في المذهب وذلك تفادياًمن الشقاق وبعداً عن الشحناء .

ولقد كان من العجب العجاب تلك الجموع المتتابعة التي لا تزال تتابع والتي أرسلها سيادة الإمام يحيى إلى نجران وهم لم يجنوا ذنباً ولم يقترفوا معه إثماً فاحتل ديارهم وحرق بيوتهم وقطع نخيلهم وشرد بهم وهم من العرب ، ولا نعلم لهم ذنباً اللهم إلا أن يكونوا لأنهم ينتسبون إلى نجد ، وأنهم عاهدوا جلالة الملك وبايعوه على بيعة آبائهم وأجدادهم لآباء جلالته وأجداده كما نشرنا ذلك في حينه في أم القرى عدد ٣٨٨ بتاريخ ١٤ محرم سنة ١٣٥١ .

ورغم هذا كله فالذي نعلمه أن جلالة الملك لا يزال يكرر مراجعة سيادة

الإمـام يحيى لحل المشـاكل المعلقـة ويعمل كل مـا يستطيعـه في سبيل السلم ، ولنـا الأمل الكبير إن شاء الله تعالى أن تكلل المساعي بالنجـاح فيسر العرب والمسلمون بحفظ قواتهم وجمع كلمتهم .

وقد اتصلت بنا عدة وثائق عن الموقف الحـاضر توقفنـا عن نشرهـا رجـاء أن ينتهي الأمر إن شاء الله تعالى فلا تحوجنا الظروف لنشر شيء قـد يوجب انتقـاد الناس لفريق من العرب مما لا نحب أن نسمعـه إلا إذا أرغمنـا عليـه ، فلا حول ولا قوة إلا بالله . أهـ .

(المنار) هذا ما نشرتـه أم القرى من الرد على مـا كتبـه الإمـام يحيى لتحسين باشا الفقير القائد العسكري عنده الداعية له في سورية فنشره في بعض جرائـدهـا وقـد كتب في معنـاه وبلفظـه كتبـاً أخرى لأنـاس آخرين في سـوريــة ومصر ، والغرض منها كلها إقامة الحجج أنه لا يريد قتـال ملـك العربيـة السعوديـة إلا أن يبدأه بالقتال بغياً وعدوانـاً ، إذ لا يوجـد ذنب ولا سبب يبيح لـه هـذا القتـال ، ولكن في هذه المكتوبات كلها أنـه مهضوم الحقوق بسلب عسير منـه ، وإن لقومـه ثـأراً على النجـديين لا يفتئون يطـالبونـه بـه ، والـذين ينتصرون لـه على الملـك عبد العزيز ينشرون هذه المكتوبـات ، ومنهم من شرح معـانيهـا وكبرهـا ، ونوه بقوة الإمام وعظمها ، وذلك كله من أسبـاب تفـاقم الخلاف الـذي حمل جريـدة أم القرى على هذا الرد الشديد اللهجة بأسلوب دفع الشبهة وإقامـة الحجـة ، ونشرت بعده الملحق الذي أشارت إليه فيه .

ونحن قد كاتبنا كلا من الإمامين ، بمـا نراه من إصلاح ذات البين ، وجـاءنـا من كل منهما رجع مكتوباتنا ، ولم ننشر شيئـاً منهـا كعـادتنـا ، وعلمنـا أن الملـك ينكر على الإمام أموراً لم ينشرها ، بل جعلها موضوع المفـاوضـة الخـاصـة بينهما ، ولكن حشـد الجيـوش وحشرهـا على الحـدود متصـل من كل منهما ، والملـك

عبد العزيز واسع الصدر والحلم ، صريح في حزم وعزم ، إذا شرع في شيء لا ينثني عن إمضائه إلا إذا ثناه القدر ، وهو لا يطلب من الإمام يحي إلا توقيع معاهدة صريحة تقر الحدود وتضمن الحقوق بما يسد ذرائع العدوان ، فلا يتكرر ما وقع في جبل عرو ووادي نجران ، فنسأل الله أن يصلح ذات بينهما بغير قتال ، ويحسن العاقبة والمآل » .

ج/٧ ، م/٣٣ ، ص ٥٤٣ ـ ٥٥٤
١٣٥٢ هـ = ١٩٣٣ م

☆ ☆ ☆

الملحق

٥٧

تقاريظ كتاب الوحي المحمدي

قد حبذ الفضلاء هذا الكتاب أحسن التحبيذ ، وقرظوه بالممتاز من التقريظ ، وشكروا لنا ودعوا ، فمن الشكر لله تعالى وللمحسنين من الناس ، والتعاون على إذاعة دعوة الإسلام ، أن ننشر أهم ما حفظناه مما كتب إلينا ، ومما نشر في الصحف التي اطلعنا عليها .

ونبدأ بكتابين كريمين ، لملكي الإسلام الكبيرين ، الإمامين الجليلين : إمام العترة الزيدية يحي بن حميد الدين ملك اليمن الميمون ، وإمام أهل السنة والجماعة عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل ملك المملكة العربية السعودية ، وخادم الحرمين الشريفين ، أدام الله توفيقهما ، وأعز العرب والإسلام باتفاقهما وتعاونهما ، وإننا ننشرهما بحسب تاريخ ورودهما :



كتاب الإمام يحيي

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الختم

(أمير المؤمنين ، المتوكل على الله رب العالمين ، الإمام يحيي حميد الدين)

إلى السيد العلامة محمد رشيد رضا صاحب المنار حفظه الله

لقد ظفرت العيون بما تشتهيه ،وحظيت من الأماني بما تبتغيه ، بعد إرسال رائد لحظها ، وتمتعها بالوموق على تلك الرياض الأنيقة ، وينابيع التحقيق الغزيرة ،التي أودعتموها ذلكم المجموع ، النفيس المطبوع ، المسمى(بالوحي المحمدي) فإنه والحق يقال وحيد في بابه موضوعاً وتنسيقاً ، واستدلالاً وسياقاً ، يهدي إلى القلوب ، ما يرفع عنها الرين والكروب ، ويتحف المطالع ، بما تستلذه المسامع ، ويستطيبه القارىء والسامع ، وتثلج له الصدور ، وتنبعث من حقائقه أشعة النور ، فجزاك الله خيراً على هذه الخدمة الدينية التي نراها من العمل الصالح ، والمتجر الرابح ، والقصد الناجح ، وإنا لتعميم الانتفاع به ، نطلب منكم أن **ترسلوا إلينا من نسخه المصححة أخيراً مائة نسخة على حسابنا** ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

في ٢١ جمادى الآخرة سنة ١٣٥٢ هـ

ج/٩ ، م/٣٣ ،ص ٦٩٧ ـ ٦٩٨
١٣٥٢ هـ = ١٩٣٣ م

كتاب جلالة الملك عبد العزيز

(بسم الله الرحمن الرحيم)

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل

إلى حضرة الأخ المكرم السيد محمد رشيد رضا حفظه الله تعالى

السلام عليكم ورحمة الله . أما بعد فقد تلقينا كتابكم الكريم ، المؤرخ في ٢٣ من رمضان سنة ١٣٥٢ وأحطنا علما بما ذكرتم بارك الله فيكم . لقد اطلعنا على كتابكم (الوحي المحمدي) فسرنا اهتمامكم باخراجه للناس ، وقيامكم بما فرض الله من الدعوة إلى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة ، في زمن تكاثرت فيه الشبهات ممن ران الشيطان على قلوبهم فصدهم عن سبيل الله حتى ضلوا وأضلوا . فكان كتابكم من أبلغ القول في اظهار حجة الله القائمة على عباده ، يدعو من كان له قلب إلى دين الحق ، ويبين للجاحد الملحد بطلان حجته . فجزاكم الله عن الإسلام والمسلمين خيراً . وأخذ بيدكم في تأييد الدعوة الإسلامية . ونشر عقائد السلف الصالح . ووفقنا وإياكم لما فيه نصر لدينه . وإعلاء لكلمته . إنه على كل شيء قدير . والسلام .

في ٤ من ذي القعدة سنة ١٣٥٢ (الختم)

(كلمة من كتاب لامام طائفة الاباضية الهمام)

كنا أهدينا نسخة من كتاب الوحي المحمدي إلى هذا الإمام الجليل مع كتاب خاص فجاءنا كتاب منه (من نزوي ـ عمان) بعد جمع ما تقدم وما بعده قبل طبعه قال في أوله بعد البسملة

من إمام المسلمين محمد بن عبد الله الخليلي

إلى حضرة العلامة المحقق أخينا السيد محمد رشيد رضا المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أما بعد فإن رأيتم في إبطائنا في الرد على كتابكم الكريم المرسل معه مؤلفكم فذاك لا عن إهمال وعدم تقدير ، وإن لكم ولأمثالكم من إخواننا علماء الدين الحنيف منزلة كبرى في القلب لا يحلها سواهم ... (ثم قال بعد بيان العذر)

« أما مؤلفكم العظيم فهو في غنى عن التقريظ والمدح ، واعجابنا به لا يحد ، ولا شك أنه الحجة الدامغة والقول المتين ، لمن لا يدين بهذا الدين القويم ، وفقكم الله لخدمة الإسلام والمسلمين ، وبارك الله فيما تنوون وتقصدون ، وسلام الله عليكم (الامضاء)

كتاب صاحب الفضيلة

الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي

شيخ الجامع الأزهر بالأمس ، ورئيس المحكمة الشرعية من قبل ورئيس جماعة الدفاع عن الإسلام اليوم

صديقي السيد الجليل الأستاذ محمد رشيد رضا

أستطيع بعد أن فرغت من قراءة كتابكم (الوحي المحمدي) أن أقول إنكم وفقتم لفتح جديد في الدعوة إلى الدين الإسلامي القويم ، فقد عرضتم خلاصته من ينابيعه الصافية عرضاً قل أن يتيسر إلا لفرع من فروع الشجرة النبوية

المبـاركـة ، وقـد استطعتم أن توفقوا بين الـدين والعلم تـوفيقـاً لا يقـوي عليـه إلا العلماء المؤمنون ، فجزاكم الله عن الإسلام أحسن ما يجازى به المجاهدون ، ولكم مني تحية الإخاء والسلام عليكم ورحمة الله

محمد مصطفى المراغي



الملحق

٥٨

المتصدون في مصر لمنع الحرب في جزيرة العرب

..... إن كاتب هذه السطور ربما كان من أعلم الناس بحالة العرب عامة ، وحالة الإمامين العظيمين خاصة ، وهو صديق ناصح لكل منهما ، يسعى للتأليف بينهما منذ اثنتين وعشرين سنة ، وتواتر السعي والمكاتبة لكل منهما منذ اشتد الخلاف ، وقد كتبت إلى كل منهما أخيراً أن جزيرة العرب إرث محمد ﷺ لأمته ، ومعقل دينه ومأرزه ، لا ليحيي حميد الدين ولا لعبد العزيز آل سعود ، وإنما هما الأمينان على هذا الميراث ، فيجب عليهما التعاون على حفظه والدفاع عنه .

ويؤسفني أن أرى الذين تصدوا لمثل هذا السعي في مصر ، قلما يعلمون شيئاً من حقيقته ، وكنه الأخطار التي تخشى من عاقبته ، وقد دب إليهم دبيب الشقاق والتنازع فيما يفاخر بعضهم بعضاً بالسبق إليه ، وحق الأولية أو الأولوية فيه ، ولسان الحال يصيح بهم : أصلحوا ذات بينكم ، قبل أن تحاولوا الإصلاح بين من هم أقرب إلى الصلاح والإصلاح منكم ، وهما الإمامان العظيمان يحيي وعبد العزيز ، فإن الرجاء في أن يفيئا إلى أمر الله لم ينقطع منهما ، وإن وقعت الحرب بفساد الحزب الحجازي الخبيث بينهما ، وإيهامه قائد جيش اليمن بأن جميع قبائل عسير والحجاز وغيرهما ستثور على الملك السعودي في الشمال والشرق في إثر مناجزته له في الجنوب ، وتوجيه قواه إليه ، ونحن نقرأ في جرائدنا مقالاتهم الناطقة بذلك من مصادرها في اليمن وعدن ومن مصر أيضاً . ومنهم من يدافع عما نال الأجانب من الغنيمة في اليمن ، وقد شغلوا الجمهور الإسلامي عما يعملون في العقبة ، وجيوش اليمن ممتدة على طول خطوط الحدود كلها ، وقد واجهتها الجيوش السعودية فيها أو كادت .

لقد أبصر العمي ، وسمع الصم ، ونطق البكم ، ولم يبق خفياً على أحد يعقل ما يكيد أعداء الإسلام الطامعون لمهد الإسلام ، وقبلة الإسلام ، ومعقل الإسلام ، ومأرز الإسلام ، وروضة نبي الإسلام ، سيد البشر ، ومصلح البشر ، محمد عليه أفضل الصلاة والسلام .

وهب الشريف علي ملك الحجاز (بالأمس) وأمير شرق الأردن (اليوم) أعظم ثغور الحجاز ومعاقلها وحصونها البحرية البرية لأخيه الشريف عبد الله ، ألا وهو خليج العقبة ، وما يتصل به من سكة حديد الحجاز المتصلة بالمدينة المنورة ، فجعلاه تابعاً لإمارة شرق الأردن الواقعة تحت سيطرة الإنكليز ، ليتمكنوا به من السيطرة على جزيرة العرب في قلبها ، كما أحاطوا بها من أطرافها ، وليكون البحر الأحمر العربي الإسلامي بحيرة إنكليزية لا يمكن لدولة بحرية ولا برية أن تنازع الإنكليز في سلطانهم عليه ، ولا على ما يحيط به من مصر والسودان من ناحية ، ومن فلسطين والحجاز واليمن والعراق من سائر النواحي ، إذا كانوا معتصمين في هذا المعقل المنيع (خليج العقبة) الذي سيتصل بشط العرب وخليج فارس فيكون أقرب الطرق الحربية التجارية إلى الهند ، ولا تنس اتصاله بثغر حيفا على البحر الأبيض المتوسط ، بل الأمر أعظم من ذلك .

إن خليج العقبة لأمنع معقل بحري في العالم كله ، وإنه لهو الذي يمكن الإنكليز من السيطرة على جزيرة العرب المقدسة وعلى بقية بلاد الأمة العربية من العراق وسورية الجنوبية ، والبقاء في مصر والسودان المحتلة بالجنود الإنكليزية والطيارات البريطانية ، واشتهر أن الإنكليز قد شرعوا في نزع أرضه من أصحاب الأيدي عليها لامتلاك رقبة الأرض كلها من المسلمين لتكون خالصة لهم ملكاً (بالكسر) وملكاً (بالضم) .

علم الإنكليز دهاة البشر أن هذه الهبة من علي بن حسين ملك الحجاز بالأمس والطامع في عرش سورية في الغد ـ لأخيه عبد الله بن حسين أمير شرق

الأردن اليوم والطامع في لقب ملك فلسطين في غد ـ هبة غير صحيحة في الشرع الإسلامي ولا في القانون الدولي وأن لملك الحجاز الحق كله في مطالبتهم هم بردها إليه ، فراودوا الملك عبد العزيز بن السعود عنها ، وطلبوا منه إقرارها من أول العهد باستيلائه على الحجاز إلى اليوم فأبى .

أظهروا له الود فما انخدع وما ونى ، وكادوا له الكيد بعد الكيد فما عثر جواده ولا كبا .

ثارت في وجهه فتنة الدويش في نجد بإغراء حدود العراق ، فظهر عليها بعد إهراق دماء غزيرة كانت من أعظم قواته في نجد فاضطروا إلى موادته في خاتمتها .

ثم ثارت في وجهه فتنة ابن رفادة في الحجاز بتحريش الدسائس من ناحيتي شرق الأردن ومصر ، فلما رأوا ماقابلها به من حزم وعزم ، وأنه بطش بها بسرعة فقضى على الفتنة القضاء المبرم ، اضطروا إلى إظهار الوداد له ، ورضوا بعجزه عن الزحف على العقبة ، وإبقاء مسألتها معلقة .

وقد ثارت في وجهه اليوم الفتنة السوءى ، والطامة الكبرى ، وهي استجماع قوى جزيرة العرب الجنوبية كلها في اليمن ، وتوجيهها إلى قتاله في عسير فالحجاز ونجد ، وتوجيه قواه كلها إلى مكافحتها ومقاتلتها ، ودبت عقارب الدسائس لإثارة الفتن في الحجاز والعراق مرة أخرى ، حتى إذا اشتجر في الجنوب الاقران والاقتال ، واستحر بين القوتين الكبريين القتال ، تم للإنكليز اقتحام العقبة في الشمال ، ويقال : إن فتنة ابن رفادة عادت سيرتها الأولى ، وأن رسولاً تسلل من شرق الأردن إلى زعيم أو زعيمين من قبائل الحجاز سراً ، ولا تزال الأراجيف تترى .

إن أفضل ما يعمل الآن هو السعي لإصلاح ذات البين ، وعقد المحالفة بين الإمامين ، على الأساس الذي اتفقا عليه وعقدا مؤتمرأيها لأجله ، وقد سبق إلى

ذلك بالقول والفعل وفد المؤتمر الإسلامي العام ، فخاطب السيد أمين الحسيني كلاً من الإمامين في عيد الأضحى ، وجاءتني منه برقية بالخبر كلفني فيها الإبراق إليهما بتأييد وساطة المؤتمر الإسلامي ، ووصلت إلي هذه البرقية يوم الخميس ٢٩ مارس ونشر خبرها في جريدة الجهاد الغراء ، ثم نشرت الجرائد برقيات أخرى من سماحته إلى بعض الأمراء والكبراء في مصر وغيرها ، (وقد ألف الوفد بالفعل فسافر بعد كتابة ماتقدم للمنار وقبل نشره) وأيده بالبرقيات أشهر أمراء مصر وزعمائها .

فالواجب على المخلصين ممن أظهروا الرغبة في إرسال وفد أو وفود أخرى أن يؤيدوا ذلك الوفد ويضعوا ثقتهم فيه وحده ، إذ لا حاجة إلى إرسال غيره ، فرجاله ثقات معروفون بأنفسهم لا ببرقياتهم وألقابهم ، ولا يخالفهم إلا من يريد إحباط عملهم ، و ﴿ إن الله لا يصلح عمل المفسدين ﴾ .

☆ ☆ ☆

الملحق

٥٩

تحرير محل التنازع بين الإمامين

ومصلحة المسلمين عامة والعرب خاصة في عاقبته

مرت بضعة أشهر على اشتداد النزاع بين الإمامين وخوض الجرائد فيه ، ثم انقضى الشهر الذي سل فيه الحسام واشتعلت نار القتال بين الطائفتين فراعت الأمة العربية والشعوب الإسلامية ، وكانت أخبار هذه الحرب غير المتوقعة عند الجماهير من أكبر ما شغل الناس ، وكثر الذين خاطبوا الإمامين بالبرق والبريد راغبين إليهما أن يحقنا الدماء ويجنحا للسلم ويقبلا تحكيم الشرع وخواص المسلمين في النزاع ، فكان منهم محبو الصلح ومحبو الشهرة ، ولكنني لم أر لأحد ممن نشروا آراءه في الصحف المنشرة قولاً في بيان محل التنازع الواقع كما هو ، ولا في مصلحة المسلمين عامة والعرب خاصة ولا كنه مطامع الأجانب فيه ، ولا في عاقبته على كل تقدير ينتظر ، فأكثر الذين كتبوا في الجرائد وخطبوا في المجامع حتى الذين تصدوا للسعي إلى الصلح لم نسمع منهم ولا عنهم ما يدل على أنهم على علم مما ذكرنا ، بل قال رئيس جمعية في محفل جامع : إننا لا نريد أن نعرف المحق من المبطل ولا المعتدي والمعتدى عليه ، وإنما نريد السعي إلى الصلح ، أي بغير علم !!

لمحل التنازع وجهة حقيقة واقعة ، ووجهة نظرية طامعة ، ووجهة مصلحة إسلامية عامة ، ووجهة مصلحة عربية خاصة ، فأما الحقيقة الواقعة فهي أن ملك العربية السعودية قد سبق إلى وضع اليد على عسير بقسميها ، ولم يكن لإمام اليمن

يد قبله عليها ، ولكنه كان يطمع فيها ، وأن الإمام سبق إلى وضع يده على نجران بقوة السيف وكانت مستقلة بنفسها ، كما سبق الملك إلى عسير بالاتفاق مع حكامها ، والملك لا يطمع في نجران ، ولكنها متصلة بحدوده ، ولها سابق عهد وولاء له ، ولبعض قبائل (يام) من أهلها علاقة تابعية به وتدفع الزكاة له ، وهو يرى أنه يجب أن تبقى على ما كانت عليه من استقلالها لتكون فاصلاً بين المملكتين حتى لا تكون مثاراً للاعتداء .

وسبب هذا الحذر من الاتصال أن الملك يطلب منذ بضع سنين عقد معاهدة سلمية بينه وبين إمام اليمن والإمام يأبى هذا ، وقد كان هجوم جنده على نجران واحتلالها عقب رجوع الوفد السعودي الذي مكث في عاصمته صنعاء عدة أشهر يبغي عقد المعاهدة وعاد أدراجه خائباً ، فعدها الملك تمهيداً للاعتداء على ما وراءها من بلاده .

وكان قد سبق جند الإمام فاحتل جبل المرو من أمنع جبال عسير فجهز الملك جيشاً لاستعادته وكادت تقع الحرب ولكن الإمام يحيى حكم الإمام عبد العزيز في الأمر ورضي بحكمه ، فحكم له على نفسه ، وترك له هذا الجبل المنيع ، فهو يقول الآن إنه لا يأمن سير الإمام معه على هذه الخطة ، ويقول أيضاً إنه قد حرض آل الإدريسي على ثورتهم الأخيرة التي سفكت فيها دماء غزيرة ، وأنفقت ألوف كثيرة ، وهو الآن يحرضهم على القتال ، ويمدهم بالذخائر وبالمال ، وإن قيل إن المال الذي يمد هذه الفتنة هو من أفراد الحزب الوطني الحجازي المقيم في اليمن وهو الذي كان يمد الثورة التي قبلها .

ومن الحقيقة الواقعة التي لا مراء فيها أن المفاوضات الكتابية بين الإمامين بالبرق والبريد انتهت إلى الاتفاق بينهما على بقاء عسير على ما هي عليه بيد الدولة السعودية وعلى تسليم الإمام من عنده من آل الإدريسي إلى الملك ، وعلى حل

مشكلة نجران بالمفاوضة في مؤتمر أبها . وكان المرجو أن يتساهل الملك فيها لو أن وفد الإمام لم يطلب إعادة النظر في مسألتي عسير وآل الإدريسي بعد الاتفاق عليها ، فهذا الطلب هو الذي أوجب قطع الوفد السعودي للمفاوضة وصيرورة الدولتين في حالة حرب . هذه خلاصة الأمر الواقع الذي عرفه كل أحد .

وأما مسألة المصلحة العامة للعرب وللمسلمين في هذه المشكلة فالرأي الصحيح فيها من جميع نواحيها ، يتوقف على العلم بظواهرها وخوافيها ، وقوادم أجنحتها وخوافيها .

وأما شرفاء الحجاز فقد ظهر في أحدهم الاستعداد للملك فأوتيه وهو الملك فيصل رحمه الله تعالى ، وقوى المتنازعين فيها ، والخطر الأجنبي عليها ، فأما الخطر البريطاني فقد بيناه في المقالة التي قبل هذه ، وأما الطلياني فلم يظهر لنا منه شيء في هذه الفتنة ، وأما المتنازعان الظاهران فهما الإمامان الحاكمان ، ومن دونهما بقية آل الإدريسي وهم يجهزون على أنفسهم بجهلهم ، ولم يظهر بعد السيد محمد الكبير أدنى استعداد للإمارة في أحد منهم ، وقد عرف جميع المشتغلين بالسياسة مافعل علي وعبد الله في اقتطاع منطقة العقبة ومعان من الحجاز ووضعها في قبضة الإنكليز ، وعرفوا ما كان من عرض الملك علي الحجاز كله على الإنكليز باسم الحماية كما دونه الريحاني في كتابه ، وعرفوا كيف وضع عبد الله إمارة شرق الأردن تحت السيادة الإنكليزية باسم الانتداب ورضي منهم بلقب الأمير ، وراتب حقير ، ويعرفون كيف يستخدمونه الآن وسيعلمون ما هو شر منه ، كما يعلمون أن هذين الشريفين اللذين يعتقدان أنهما خلقا ليتحلى كل منهما بلقب ملك من دولة أجنبية عدو للعرب وللإسلام ليس لهما عصبية قومية ولا ثروة ولا نفوذ شخصي في الحجاز ولا في غيره ، وأنهما يطلبان ملك الحجاز وغيره من الأجانب فكيف يكون أمر الحجاز إذا ولي أحدهما أو غيرهما من أسرتهما

أمره ، إن خرج منه ابن السعود بما يكيدون له ؟ لا جرم أنه يكون مجالاً للثورات والفتن ، وتبطل فريضة الحج والعياذ بالله تعالى فالحق أنه لم يبق في جزيرة العرب إلا قوتا الإمامة الزيدية ، والمملكة السعودية فأيها أرجى لمصلحة الشعوب الإسلامية ، والأمة العربية ؟

إن الجواب الصحيح عن هذا السؤال يتوقف على العلم بحقيقة قوة إمام اليمن في بلاده وبصفة إدارته ، وإخضاعه لزعمائها وعشائرها ، ومعاملة قومه الزيدية للشافعية في تهامتها ، وبقدر استعداده لحفظ الحجاز وتأمينه للمسلمين ، إن قدر على إخراج ابن السعود منه وحل محله دون الحجازيين ، أنا لاأصف لهم ماأعلم من ذلك . وإن كثيراً منهم ليعلمون ماأعلم وأكثر مما أعلم ، وإني قد عنيت بخدمة ملك الإمام يحي وإمارته بما يعلمه هو وقليل من الناس ، وإنني لاأقول في هذا الموضوع شيئاً الآن ، وإنما أدع القول للزمان ، وربما قال كلمته الفاصلة قريباً في قوته الحربية ، وطال بعد المدى في انتظار قوته الإدارية ، ولا يعلم إلا الله مايحدث فيما بين الكلمتين مما أشار إليه الحديث : « ويل للعرب ، من شر قد اقترب » كذلك لاأقول شيئاً في استعداد ابن السعود لأمن الحجاز وعمرانه فوق ماعرفه العالم كله بالتواتر عن مشاهدة مئات الألوف من حجاج الأقطار كلها ، فما هو معلوم من تأمين الدولة السعودية للحجاز باليقين تعجز اليمن عن مثله باليقين عند العارفين وإن شك فيه غيرهم ، واليقين مقدم على الشك والظن .

وأما مصلحة الأمة العربية في جزيرتهم فالقضية القطعية فيها الآن أن يحفظ كل من الإمامين قوته لنفسه في بلاده لإبقاء ما كان على ما كان ، وعقد محالفة بينهما على السلم والأمان ، والتعاون على البر والتقوى دون الإثم والعدوان .

ج/١٠ ، م/٣٣ ، ص ٧٤٧ ـ ٧٥٢
١٣٥٢ هـ = ١٩٣٣ م[1]

---

(١) الصحيح سنة ١٩٣٤ م .

الملحق

٦٠

استطراد في إمامة الزيدية ومذهبهم

وأزيد هنا الآن أن الملكين رحمها الله تعالى لم يكونا يعلمان أصول عقيدة الزيدية وتاريخهم ، ولا أن يحيي حميد الدين يعتقد هو وقومه أنه هو الإمام الأعظم للأمة الإسلامية وأمير المؤمنين الذي يجب على جميع المسلمين اتباعه والخضوع لحكمه ، وأنه يجب عليه عند الإمكان قتال الخارجين والعاصين له ... وعلى هذه القاعدة كان يقاتل الدولة العثمانية على قوتها وادعائها لمنصب الخلافة ، نعم إنه كان يقاتلها دفاعاً ، ولكنه لو استطاع أن يهاجمها وينتزع منها جميع سلطنتها لفعل وكان مصيباً .

ولما هاجم النجديون الحجاز وخرج الملك حسين منه وبايع الحزب الوطني فيه ولده علياً وسموه ملكاً كاتب علي الإمام يحيي وعرض عليه أن ينقذ الحجاز ويضمه إلى مملكته اليانية على أن يكون هو وأهل بيته أمراء للحجاز من قبله تابعين له ، فامتنع الإمام من قبول هذا الاقتراح ، لأنه قدر بل علم أنه لا يستطيع تجهيز جيش قوي يمكنه الوصول إلى الحجاز والتغلب على النجديين ، وإدارة البلاد وحكمها بقوته وبمقتضى مذهبه ، وبلاد عسير تحول بين بلاده وبلاد الحجاز وهي معادية له وموالية لسلطان نجد ، وهو ما زال يستدل بهذا على موادته ومحاسنته للملك عبد العزيز آل سعود كما نوه بذلك في مكتوباته إلينا وإلى غيرنا .

على أنه بلغنا أنه لما قرأ نبأ سقوط ملك علي بن الحسين واستيلاء عبد العزيز بن فيصل السعودي على المدينة المنورة وجدة صلحاً فرّ الدمع من عينيه كلتيها كأنه سهم خرج منها ، وما هذا إلا أثر وجدان شريف ، وما ذاك إلا نتيجة رأي حصيف ، فعسى أن يرجح عنده الرأي الحصيف في هذه الأيام على

الوجدان ، فهو لسان كفتي الميزان ، والمصلحة الإسلامية تقتضي ترجيح العقل على الشعور ، وإلى الله تصير الأمور .

ج/١٠ ، م/٣٢ ، ص ٧٩٤ ـ ٧٩٥
١٣٥٢ هـ = ١٩٣٣ م[1]

☆ ☆ ☆

(١) الصحيح سنة ١٩٣٤ م .

الملحق

٦١

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ الأَعْلى ☆ الذي خَلَقَ فَسَوَّى ☆ وَالذي قَدَّر فَهَدَى ﴾ .

أحمده وأصلي على محمد رسوله المصطفى ، وخاتم أنبيائه المجتبى ، وعلى آله الطيبين ، وخلفائه الراشدين ، وسائر أصحابه الهادين المهديين ، وأوليائه الأئمة الوارثين ، الذين استخلفهم في الأرض لاقامة أمر الدنيا والدين ، ومن اتبعهم إلى يوم الدين ٦ : ١٦٥ ﴿ وهوَ الذي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُم فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجات لِيَبْلُوكُمْ فيما آتاكم ، إنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ العِقَابِ وَإنَّهُ لغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ .

أما بعد فإنني أذكر قراء المنار في فاتحة مجلده الرابع والثلاثين بفاتحة المجلد الذي قبله إذ عرضت عليهم فيها حال شعوب الإسلام كلها بعد حرب الأمم الكبرى ، ليجعلوا نصب أعينهم ما وقع على بعضها من الغبن والخسار ، ما أصاب بعضها من الربح والانتعاش ، وما هي عرضة له من الأمرين تجاه دول الاستعمار ، إذا وقعت الواقعة ، وجاءت الطامة الكبرى بالحرب الثانية المتوقعة ، وما يجب عليهم في دينهم ودنياهم ، وما لكل منها من الصلة والتأثير في الآخر ، فإن أكثر المسلمين عن هذا غافلون ، ﴿ فذَكِّرْ إنْ نَفَعَت الذكرَى ☆ سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى ☆ ﴾ ﴿ وَذَكِّرْ فإنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ المؤمِنين ﴾ .

لقد عرفوا من تلك الفاتحة أن وطأة دولتي الاستعمار الكبيرتين على الشعوب العربية التي نصرتها في الحرب وجاهدت معها بأموالها وأنفسها ، كانت أشد وطأة منها على الشعوب الأعجمية التي قاتلتها والتي سالمتها ، وكذلك تكون في الحرب

الآتية المتوقعة ، لأن هذه الدول دول مادية ، قد فقدت جميع الفضائل الإنسانية .

وقد انقضى العام وحال الشعوب الافريقية معها على شر ما كانت عليه من مصر إلى مراكش ، ولهي في آسية أشر ، وأدهى وأمر .

إن إنكلترة لا تزال ممعنة في إرهاق عرب فلسطين وانتزاع وطنهم منهم وإعطائه لليهود الصهيونيين ، لتجدد لهؤلاء ملكاً في قلب البلاد العربية حاجزاً بين مصر وبين الحجاز وفلسطين ، وإن فرنسة لا تزال جادة في جعل عرب سورية مللاً متعادية في الدين ، وشعوباً متفرقة في الدنيا ، ومصرة على إبقاء الأكثرين من مسلميهم محصورين في سجون المدائن الأربع داخل البلاد لا منفذ لهم إلا البحر ،ولا متسع أمامهم في طلب الرزق ، ولا حرية لهم في عمل ولا علم ولا حكم .

ولم تكن انكلترة في وقت ولا في مكان شراً من فرنسة وأظلم مما هي الآن في فلسطين ، فقد لانت فرنسا في إرهاقها للمغرب الأقصى بعض اللين ،إلا قتالها لقبائل السوس التي لم تخضع لها باسم حماية المخزن ، ولا تزال (انكلترة) بارزة أمام الأمة العربية بروز الفاتح الظافر ، المستعمر القاهر ، تنازعها حقها القومي والديني في جزيرتها المقدسة ، بأساليب دسائسها وكيدها المعروفة ، فهي قد ربحت في العام المنقضي أن خدعت الإمام يحي حميد الدين حتى غلبته على طبعه في شدة الحذر من الأجانب وفي صلابته في السياسة السلبية ، فأمضى لها معاهدة أقرها فيها على حمايتها للمقاطعات اليانية التسع ، إلى مدة جيل اجتاعي كامل هو أربعون سنة كاملة كمدة تيه بني إسرائيل ، يمكنها أن تنشئ جيلاً جديداً في هذه المقاطعات بجميع وسائل التمكين ، يكون بينه وبين سائر إخوانه في المقاطعة اليانية الإمامية بعد المشرق والمغرب : عقيدةوثقافة ورأياً وذوقاً الخ .

هذا ما فعلته في الجنوب ، وإنها لتفعل في الشمال ما هوأشد خطراً على الأمة

العربية في دينها ودنياها : إنها لتمكن لنفسها النفوذ في منطقة شرق الأردن بحيلة الانتداب ، وفي العقبة الحجازية التي سلبت من الحجاز بعد عقد صك الانتداب ، وهي حبل الوريد للجزيرة العربية ، ومجرى دمها ودهليز حياتها الحربية والسياسية والمدنية ، لكيلا تتجدد لهذه الأمة حياة مستقلة فتعجز الدولة البريطانية عن خنقها متى شاءت ، وقد تواترت الروايات من فلسطين وشرق الأردن أنها افترصت الشقاق بين ملك السعودية العربية وإمام اليمن فعادت إلى ما كانت بدأت به في أثناء فتنة ابن رفادة من تحصين خليج العقبة المنيع وامتلاك رقبة أرضه لأن صاحب الحجاز أيضاً لا يستطيع أن يعارضها في ذلك (وقد بينا هذا في الجزء الماضي من المنار) .

إن انكلترة لا تجهل أن عجز صاحب الحجاز عن معارضتها اليوم أو غداً لا يسقط حق الحجاز وحق الأمة الإسلامية وحق الدين الإسلامي نفسه في هذا الحصن الحصين من سياج الحرمين الشريفين ، بل لو فرضنا أن ملك العربية أجاز (لا سمح الله) هبة علي بن حسين هذا الموقع لأخيه عبد الله بن حسين إجازة رسمية لما كانت إجازته لهذه الهبة إلا مثل بدء إنشائها أو أضعف منها ، فالإنكليز يعلمون أنها هبة باطلة في الشرع الإسلامي وفي أصول القوانين الدولية ، فهي لا تقيدهم إلا فرصة عجز الحجاز الموقت عن منع ما يعملون فيه ، وأنه متى سنحت الفرصة لأية حكومة حجازية إلى استعادته فلا يمكنها أن تضيعها ، ولا سيا إذا قام الشعب العربي بتأييد العالم الإسلامي لمطالبتها به ، وإن ذلك لقريب واقع ، ما له من دافع .

هذه الجرأة من الدولة البريطانية على عداوة العرب والإسلام ستكون من أكبر أسباب زوال سلطانها من الشرق الأدنى والشرق الأوسط أيضاً ، وإن خليج العقبة لهو أكبر هذه الأسباب ، فهو خطر على الشرق الأدنى كله ، كما بيناه في الجزء الماضي وغيره ، وماذا تفعل الأمة العربية والشعوب الإسلامية في طغيان هذه الدولة القوية ؟

الأمة العربية في طور يقظة وسعي حثيث للوحدة والاستقلال ، والشعوب الإسلامية كلها على استعداد نفسي وعملي لتأييدها ، وناهيك بمحافظتها على مهد دينها ، وتنفيذ وصية نبيها مصلح البشر الأعظم ﷺ في مرض موته بأن لا يبقى في جزيرة العرب دينان ، وهذا التفرق بين البلاد العربية والشعوب الإسلامية لا يدوم ، وبشائر الفوز والفلاح ، تبتسم له بجميع الثغور في جميع النواح ، فعلى الأمة الإنكليزية إن كان فيها بقية من تلك العقول الناضجة ، والأخلاق الحكيمة الماضية ، لم تسلبها منها الأفكار المادية كما قال حكيمها الأكبر (هربرت سبنسر) أن تفكر في هذا الخطر عليها قبل وقوعه وتعذر تداركه .

ماذا تجدد في العام الماضي من وسائل النجاح للعرب وللإسلام ، ويجب عليهم أن يوجهوا إليه أفكارهم وأفعالهم في هذا العام ؟

أما في جزيرة العرب فقد تبين أن التنازع بين إمامي الجنوب والشمال الذي خشينا أن يكون هادماً أو مضعفاً لما كان فيها من بقايا القوة القديمة ، قد أثبت لنا دلالته على قوة عصرية جديدة ، وأن القتال الذي نشب بين جيوشهما سيكون فصداً يخرج به ما في عروق الأمة من الدم الفاسد الذي ولدته الجهالة والتقاليد المذهبية والموضعية ، التي فرقت الأمة وجعلت أقوامها شيعاً متعادية ، فمن الجهل أن نحزن لخروج هذا الدم وإن كرهنا سببه ، وأن نبرم الصلح قبل خروجه فيكون صلحاً على دخن ، لا يعقبه إلا عدوان شر منه ، ربما يتجدد في وقت يكون فيه الطامعون في الأمة العربية أقدر على الاستفادة منه مما هم الآن ، فلقد كان أخوف ما خفنا من العاقبة أن يتذرع به الأجانب لإضعافنا والدخول فيما بيننا ، فظهر أن هذا الوقت غير موات لهم ولله الحمد ، وأما هذا الخطر الآن فيجب أن نقطع عليه الطرق فيما بعده .

وظهر لنا من خلال هذه الفتنة أن القوة العربية السعودية حية صحيحة

المزاج ، سليمة من الأمراض والآفات ، وأنها على درجة من النظام العسكري والمدني فوق ما كان يتصوره الأقارب والأجانب ، وإن كانت لا تزال دون الواجب ، كما ظهر من قبل ذلك قدرة إمامها ومجددها على حفظ الأمن في الحجاز كنجد على أكمل وجه ، وعلى إيجاد أسباب الحضارة العصرية من أنواع المواصلات والصحة بأعظم مما تخوله إياه الموارد المالية والرجال العاملون ، فثبت بهذا وذاك أن الأمة العربية مستعدة أتم الاستعداد لتجديد دولة إسلامية مدنية في مهد الإسلام ومنبت أرومة العرب ، فعلى طلاب الوحدة العربية والتجديد الإسلامي الذي يعيد الحياة الإسلامية المادية والمعنوية سيرتها الأولى من حيث أشرق نورها ، وأتم الله ظهورها ، أن يؤيدوا هذا التجديد ويمدوه ويعلموا أنه مصداق قول رسول الله وخاتم النبيين ، الذي فضلهم الله باتباعه ما صدقوا فيه على جميع العالمين ، إن الإسلام ليأرز إلى جزيرة العرب ، وليعقلن الدين من الحجاز معقل الأرويَّة من رأس الجبل .

وأما القوة اليمانية العربية فإنها على قدم تأسيسها ، وكثرة عددها وعددها ، وسعة ثروة إمامها وق[illegible]ها ، وكثرة ما نوه به العرب والإفرنج من وصفها ، قد ظهر أنها ملتاثة بعلل من التربية الإدارية والسياسية في بلادها ، واختلاف التقاليد المذهبية بين شيعة الزيدية الحاكمة والسنة الشافعية المحكومة فيها ، وتجلت للأمة العربية الحقيقة التي يجب أن تعرفها من هذا القسم المهم من قومها ووطنها ، لتكون على بصيرة من علاجه ، وإعداده للاتحاد بغيره ، بدلاً من وقوفه موقف العداء له وتربص الدوائر به ، كما عني الدعاة المفسدون بتصويره ، بل لم يستح بعضهم أن ينشر في الصحف بعد هزيمة جيشه أن يذيع أن الإمام ينظم جيشاً لجباً يقوده بنفسه لفتح نجد واحتلال الرياض ، كما أذاعوا في أول الفتنة أنه سيفتح الحجاز !! ولعلنا ننشئ مقالاً خاصاً نبين فيه حقيقة حال الزيدية ، وما ينبغي أن يكونوا عليه لإصلاح شأنهم ، وتأمينهم والأمن منهم ،

مع النظر في شروط إمامتهم ، وحكم قتال البغاة عندهم ، وكنا منذ سنين قد كتبنا تقريراً أرسلناه إلى مولانا الإمام الهمام مع وفد خاص فيما يجب عليه من الإصلاح والإدارة ، فشكر ذلك لنا ، ولم ينفذ منه شيئاً .

هذا وإن من بشائر الاستغداد للوحدة العربية القريبة أن لاح لنا من جانب حكومة العراق بارقة أخرى صغيرة في صورتها كبيرة في معناها ، هي قصة تمثيلية ، في بث الدعوة إلى الوحدة العربية ، أطلق عليها اسم (مثلنا الأعلى) كانت وضعت في آخر مدة المرحوم الملك فيصل وحضر تمثيلها أول مرة معجباً به ، ثم طبعت منذ شهر أو شهرين في مطبعة الحكومة العراقية بإيعاز وزارة معارفها ، وتوجت بإهدائها إلى (روح فيصل بن الحسين) ونشرت في هذا الشهر (المحرم سنة ١٣٥٣ هـ = ١٩٣٤ م) فكانت بهذا وذاك دعاية رسمية أو شبه رسمية للوحدة العربية ، عرفنا بها ما كنا نجهل من رأي هذه الحكومة في الوحدة من بعد فيصل رحمه الله تعالى .

فهذه خلاصة ما تجدد في سبيل الوحدة العربية وحياتها الجديدة في العام الماضي نستقبله في هذا العام راجين مستبشرين .

وقد حدث فيه من الأحداث المؤسفة أن كلا من دولتي العراق والأفغان قد خسرت ملكها المحبوب الحنك ، بيد أنه حل محل كل منه نجله الشاب المثقف ، فسارت الدولتان معهما سيرتها الأولى مع والديهما بحنكة رجالها واستقرار النظام فيهما .

ومن الأنباء السارة أن حكومة الجمهورية اللادينية التركية قد رجعها الاختبار عن بعض الأعمال التي خالفت بها شريعة الاسلام وهدايته ، وأن رئيسها مصطفى كمال حضر صلاة العيد مع رجال دولته الرسميين في المسجد ، وانها لفاتحة خير تدل على ما يرجوه كثير من عقلاء الترك وغيرهم من رجوع هذه الحكومة إلى كل ما هو قطعي من هداية الإسلام .

وحدث في أحد الشعوب الإسلامية التي كانت مستعبَدة للأجنبي أن استقلت في إثر ثورة حامية الوطيس ، ألا وهو شعب تركستان الصينية ، وإنها لقوة إسلامية حربية ، تدل على أن المسلمين لم يفقدوا هذه المزية القديمة ، وإنهم لا ينقصهم في هذا العصر إلا السلك الجامع ينتظمون فيه كما قال حكيمهم السيد جمال الدين قدس الله روحه ، ولن تعيده لهم إلا هداية القرآن ، ولتؤطر لهم عليه موقظات الزمان أطراً ، بدعاية المصلحين المجددين ، وبالرغم من ألوف الملحدين والجامدين .

رب رجل مستشرق من رجال الدول القاهرة لألوف الألوف من المسلمين ، ورب رجل شرقي متفرنج يائس من حياة الشرق والشرقيين يقرآن هذه الجوانب التي تبتسم للعرب والأعاجم من المسلمين ، وتبشرهم بوحدتهم وجامعتهم فيضحكان من غرور كاتبها وتغريره بقومه وأهل ملته (التغرير والتغرة بالشخص أو الشيء تعريضه للهلاك) بزعمها أنه يخيل اليهم امكان تأسيس الوحدة العربية ، والجامعة الملية بالرغم من الدولة البريطانية التي تقطع جميع سبل الحياة في وجوههم بل بالرغم من أنوف الدول الثلاث الكبرى المتعاونة على استعبادهم ، مستعينات بجميع وسائل القوة الحربية والعلمية والمدنية والسياسية التي عندهن ، وجميع وسائل الضعف الموروثة ، التي مازالت تفرق بين المسلمين ، من المذاهب والأوطان والزعامات والآراء الالحادية ، والشهوات الحيوانية ، فلئن قضى ابن السعود السني الحنبلي ، على قوة ابن حميد الدين الشيعي الزيدي ، فليزيدن قضاؤه هذا سعير الشقاق بين السنة والشيعة ضراماً ، ولتكونن رواية « المثل الأعلى » للوحدة العربية في العراق ، مهزلة من المهازل المضحكة لأهل الآفاق ، ولتجدن من حزب الشرفاء آل الرسول ﷺ من يزداد إيماناً بفضل السيطرة الانكليزية ، على هذه الوحدة العربية الإسلامية ، ويستعين بالوطن اليهودي ، على الوطن السعودي ، فلا تكون هذه الوثبة السعودية التي تجددت بها آمال العرب والمسلمين

في نجد والحجاز ، وخفقت لها القلوب وشخصت إليها الأَبصار في مصر والشام ، إلا حـافزة للهمم ومغريـة للـدول وصنـائعهم من العرب بـالكيـد لهـا ، والإسراع إلى القضاء عليها .

مهلاً أيها الافرنجي المستشرق ، والشرقي المتفرنج ، ما أنا بجـاهل لقوى الـدول المعادية للعرب وللأسلام ، ومـا أنـا بمغرور بما نوهت بـه من المبشرات الجـديـدة لقومي وأمتي ، ولا بغافل عن مسـاويها الراسخـةبطول العمر فيها ، ولكنني أنظر إلى الشرق والغرب نظراً جـديـداً فـأرى أن الشرق كان مريضاً فـدخـل في طـور الشفـاء ، وأرجـو لـه سرعـة الإبـلال ، وأنـه ضعيف نفخت فيـه روح القـوة الصوريةوالمعنوية فـأتمنى بلوغهـاأوج الكمـال ، وأرى أن الغرب كان صحيحـاً سليم المزاج فدبت في بنيته سموم الانحلال ، وبلغت قواه ماقدر لها من وسائل الكمـال ، ثم عرض لهـا من ضعف القـوى الروحيـة والهرم مـا ينـذرهـا الـزوال ، من حيث تتجدد قوى الشرق المادية والروحية وتدخل في سن الشباب .

أما القوة المادية من حربية ومالية فقد نبغت في الشرق الأَقصى دولـة سبقت بها دول الغرب كلها ، ووقفت في وجهها وقفة المضـارع المنـازع لهـا ، فوجل منـه قديمها وجديدها ، وصفعت عصبة أممهم المنافقة صفعة على وجههـا أضحكت منهـا أمم الأَرض كلها ، وإنما ينقص هذه الأَمة (اليابان) أن تعزز قوتها المادية التـامـة من جانبيها الحربي والمالي بالقوة المعنوية من طرفيها السياسي والروحي ، في هذا العهد الذي فقدتها فيه أوربة بشدة تماديها ، وتربص دوائر السوء بينها ، وانفصـام عرى الـدين والفضيلـة التي كانت تستمسـك بهـا ، وأن اليـابـان لفـاعلـة ذلـك إن شاء الله تعالى .

وأما القوة المعنوية فحسبنا من آيات تجـددهـا في الشرق شعور شعوبـه كلهـا بالآلام وما يزيلها ، وبالآمال ومـا ينيلهـا ، ألاوإن في الشرق قوة هي فوق جميع قوى العالم الجامعة لكل ما تحيا به الأمم الحياة المعنوية والمـاديـة من جميع جوانبها

وأرجائها ، ألا وإنها روح الوحي الإلهي الذي نزل به الروح الأمين من السماء ، فألقاه إلى محمد الأمي في غار حراء ، فأحيا به الأمة العربية الامية ، فأحيت به جميع الأمم الأعجمية ، وفتحت به نصف العالم في النصف الأول من القرن الأول من ظهوره ، ثم شمل نوره العالم كله ، حتى حجبه المسلمون عن أنفسهم وعن سائر الناس ، ووضعوا مصباحه المضيء بنور الله تحت المكيال ـ كما قال المسيح عليه السلام ـ ولكن قد سخر الله المصلحين في هذا العهد لكشف المكيال عنه ، وتوجيه أبصار العقلاء إلى اقتباس النور منه ، وسيرى جميع المسلمين بأشعته أن الخلفاء الراشدين الأربعة كانوا إخواناً متعاونين على نشر هذا الدين ، وإن أئمة أهل البيت النبوي كزيد بن علي وجعفر بن محمد بن علي عليهم السلام ، وأئمة السنة من حفاظ الحديث ومستنبطي الفقه الأعلام ، ما كانوا إلا إخواناً متحابين ، وأن المفرقين بين المسلمين لأجل الملك ، والمتفرقين في الدين تعصباً لبعضهم على بعض ، هم أعداؤهم ، وأعداء الله تعالى ورسوله ﷺ وانه يجب عليهم أن يقطعوا على دعاة التعصب المذهبي ما يحملهم عليه من المنافع ، ويتفقوا على ما أجمعت عليه الأمة ، ويعذر بعضهم بعضاً فيما اختلف فيه الأئمة .

ألا وأن هذا القرآن شمس الله المشرقة لهداية جميع الأمم ، ومأدبته المنصوبة لتغذية جميع البشر ، وأن بعض علماء الإفرنج المستقلين في العقل والرأي ، ليقولون في هدايته ما يدعون به قومهم إليه ، وإن دولة اليابان الشرقية كانت آخر من فطن له ، وستكون العاقبة في سيادة الأرض لمن سبق إلى الاهتداء به ، كما بينا ذلك مفصلاً بالبرهان في كتاب (الوحي المحمدي) وإنا بهذا لموقنون وقد سبقنا إليه حكيمنا السيد جمال الدين الأفغاني وشيخنا الأستاذ الإمام ، وصرح به برناردشو الكاتب الانكليزي وغيره من الأعلام ، وقد تطلع الشمس من مغربها وإنما العاقبة للإسلام ﴿ قُلْ كُلٌّ متربصٌ فتربصوا ، فستعلمون مَنْ أصحابُ الصراط السويِّ ومن اهتدى ☆ ﴾ ﴿ والسلام على من اتبع الهدى ﴾ .

الملحق

٦٢

جزيرة العرب ـ والوحدة العربية

وسعينا لعقد الاتفاق بين الإمامين وفقهما الله تعالى

قد اضطررنا في السنة الماضية أن نصرح ببعض ما كنا نخفيه تارة ونشير إليه تارة ، أو نجمجم به آونة بعد آونة ، من أنباء سعينا إلى وحدة الأمة العربية وجعل جزيرتها مركز القوة وأساس الدولة ، وما يليها من الأرض المقدسة والمباركة موطن الحضارة ومورد الثروة ، وهو ما بدأت بوضع النظام له وتأسيس جمعية (الجامعة العربية) التي كانت خاصة بالأمراء والزعماء ، وكنت المتولي لجميع الأعمال فيها ، ومكاتبة أمراء الجزيرة وزعماء الأمصار في سورية والعراق بإمضاء (الناموس) ويرى المطلعون على مذكرات جمال باشا سفاح الترك كتاباً منها وجده في أوراق أحد شهداء الظلم بسيفه محمد المحمصاني (رحمه الله تعالى) وأما إمام اليمن وملك العربية السعودية فهما أعلم الناس بهذه الجمعية وناموسها منذ ٢٣ سنة كاملة ، وقد نشرنا يمينها في ترجمة الملك فيصل (ر ، ح) في المجلد ٣٣ من المنار .

كان أساس النظام الأول لهذه الجامعة عقد معاهدة حلفية بين أمراء الجزيرة كما بيناه في العام الماضي ، وقد انحصر هذا الحلف بعد استيلاء ابن السعود على الحجاز في جلالته وجلالة إمام اليمن المستقلين ، وأخرنا ضم سلطنة مسقط وعمان إليهما ، لما كان بين سلطانها وبين إمام الإباضية هنالك من الخلاف ، الذي سعيت إلى تلافيه واستقلال البلاد بما عرضته على السلطان فيصل بن تركي (ر ، ح) في مسقط عند زيارتي له فيها أثناء منصرفي من الهند سنة ١٣٣٠ هـ (الموافق سنة

٩١٢ م) فتعذر عليه تنفيذه ، ثم وقع بعد ذلك بسنة واحدة من الحرب الأهلية ما توقعته بالفكر والفراسة وأنذرت ذلك السلطان وقوعه ، كما يعلم ذلك شقيقه السيد نادر وبطانته في ذلك الوقت .

وكان الملك فيصل الهاشمي (ر ح) آخر من بلغته إياه وأقنعته بتوقفه على الاتفاق مع ابن السعود صاحب نجد فوافقني على ذلك كما تقدم في ترجمته وستأتي تتمتها .

ولقد كان الإمام يحي أول من كاتبته وعرضت عليه مشروع الجامعة العربية وكان ذلك قبل تأسيس جمعيتها التي أشرت إليها بالفعل ، ثم تكررت الكتابة إليه بعدها ، ومن بعده كتبت إلى السيد محمد الادريسي في عسير وإلى الأمير فالسلطان عبد العزيز السعودي إمام نجد بالأمس وملك العربية اليوم . وقد كان الإمام يحي أول من أجابني مستحسناً ما اقترحت معتذراً عن تنفيذه بالشكوى من السيد الادريسي الذي عبر عنه بالجار بالجنب ، ولمزه بالغدر ونقض العهد ، ورفض دعوة الود ، وبأنه « حالف أعداء الله الطاليان » ـ بذا اللفظ ـ ولكنه هو عاد بعده فحالفهم محالفة رسمية مكتوبة والادريسي لم يفعل هذا ، فأدع الكلام في التاريخ الماضي في مسألة الجزيرة والوحدة العربية بالحلف وغيره ، وأقول كلمة في سعيي للاتفاق بين إماميها المستقلين بعد استيلاء ابن السعود على الحجاز .

سعينا الجديد للاتفاق بين الإمامين :

لما تم للإمام عبد العزيز الاستيلاء على الحجاز أظهر رغبته في عقد مؤتمر إسلامي في مكة المكرمة في أثناء موسم الحج ، وأرسل إلي مكتوباته إلى ملوك المسلمين وأمرائهم وكبار زعمائهم في الدعوة لأرسلها من مصر وكان منهم إمام اليمن بالطبع ففعلت ـ إلا جلالة ملك مصر فأرسلها هو إليه مباشرة ـ وظهرت في إثر ذلك بوادر الجفاء بينه وبين دولة مصر ، فبادرت إلى السفر إلى مكة في شوال

لأجل السعي لدى الملك عبد العزيز في تلافي هذا الجفاء ، وتمهيد سبيل المودة والإخاء ، لما لي من لسان الصدق والإخلاص الإسلامي في اعتقاد جلالته ، وكان من ذلك ما كان ، وبسطته بوقته في المنار كما وقع لا كما يحرفه الآن بعض الكتاب .

ولما انتهى المؤتمر الإسلامي بعد أداء المناسك كلها رغب إلي الملك أن أرجىء سفري إلى مصر مدة للمحادثة معه فيما أراه من وسائل الإصلاح فأجبت بل امتثلت ، وكان أهم ما اقترحته مراراً ، وأوسعته إلحاحاً وإلحافاً وجوب عقد المعاهدة الحلفية بينه وبين الإمام يحيى ، وهو ما كان تكرر مني اقتراحه عليهما ، فكان يظهر لي قبول الاستحسان بشيء من الفتور وقلة الاهتمام ، أتأوله بضيق الوقت وسعة النطاق في موضوعات الكلام ، حتى إذا ما سنحت فرصة سمر لنا على سطح قصره حيث كنا نسهر عدت إلى إلحاحي لقرب موعد سفري فأجابني بما هو ملخص ما تقدم من الكلام متفرقاً وقال : إنني والله وبالله وتالله لا أنوي التعدي على بلاد الإمام يحيى ، وإنني أرغب أصدق الرغبة في موادته ومحالفته ، وإذا قبل اليوم أن نعقد محالفة هجومية دفاعية بيننا فلا أرجئ عقدها إلى غد ، وأذن لي أن أبلغ وكيله في المؤتمر السيد محمد عبد القادر هذا عنه . وقال : إنه مستعد للتصريح له إذا اقتضت الحال .

ثم قال ما فحواه : وأما إذا كنت تخاف أن يعتدي الإمام يحيى علينا فكن مطمئناً بأن وبال ذلك يكون عليه ، فنحن بفضل الله وعنايته أقوى منه ، بل قال : إنه يستطيع أن يطارده في بلاده من جهتين أو ثلاث ، وإنه - إن شاء - وجد من أهل البلاد التابعة له من يخرجون معه عليه ، لأن أكثرهم ساخطون لا راضون منه .

وإنني قد بلغت الشق الأول من هذا الحديث لوكيل الإمام السيد محمد

عبد القادر الذي كان عامله على الحديدة ، وكتبت إلى الإمام بـه كتـابـاً أعطيتـه لوكيله هذا بيده .

ثم تركت ذلك إلى الإمامين حتى إذا ما خاب الوفد الأخير الذي أرسله الملـك إلى صنعاء في العام المـاضي وتجـدد الشقـاق ، ورأيت من خلل الرمـاد وميض نـار مـا خشيت أن يكـون لـه ضرام ، عـدت إلى السعي لـلاتفـاق من أولـه ، بمـا يعلم تفصيله من المكتوبات الآتية (ومنها تعلم قيمـة مـا يـدعيـه محبو الشهرة من السبق إليه بإرسال البرقيات ومحاولة تأليف الوفد بعد فوات الوقت) .

أقتصر من هذه المكتوبات على أكثر مادار بيني وبين جلالة الإمام يحيى الذي كنت أشك في إقناعه لما أعلم من طباعه وسياسته السلبية ، ومن كون الخطر عليـه من الحرب أقوى ، ولأن المكاتبـة بيني وبين الملـك عبـد العزيـز فيهـا من الحريـة والصراحة التامة في جميع المسـائل مـا لا يجوز نشره إلا أن يكون بـإذنـه بعـد العلم بالمصلحة فيه ، ولأنني أعتقد أن إقناعه سهل إذا قنع الآخر بالوفاق ، لتصريحـه لي بعد إعلامي بتجهيز الجيوش وزحفها في شهر رمضان بأنه لا يبغي بذلك إلا إقنـاع يحيى بقوته ، وأنها الوسيلة الأخيرة لإقناعه بعقد المحالفة إذا كان مثلـه يكره الحرب كما يظن به ، حتى إذا ما يئس من إجابته ، وأعلن له الحرب بقطع مفاوضـة أبهـا ، علمت أن قـد بطل قولِ الألسنـة والأقلام ، وأعطي القول الفصـل للحسـام ، فلن يقبل الملـك لأحـد قـولاً إلا من بعـد حكمـه ، وهـذا هـو الرأي كما بينـاه في الجـزء الماضي ، وسيعلم الإمام ، وأنصاره بمـا يضر ولا ينفع من الكلام ، من نصح لـه عن إخلاص وعلم ، ومن غشه بالدهان وقول الإثم[1] .

---

(١) أثبتنا الرسائل في المتن (راجع ص :   فيما تقدم) .

نتيجة حرب الجزيرة وما تجب مراعاته في الصلح

لقد تجلت نتيجة الحرب بسرعة لم يكن أحد ينتظرها ، على اختلاف الآراء فيها فقد انهزمت الجيوش اليمانية أمام الجيش النجدي السعودي ـ في كل من الميدانين ـ الذي يقوده فيهما نجلا الملك : الأمير سعود ولي العهد في جهة نجران التي احتلها كلها ، والأمير فيصل في تهامة فاحتل الحديدة وما حولها ، ودان له بقية أهلها ، وأمسى الأميران يهددان عاصمة اليمن (صنعاء) من طرفيها .

ثبت عندنا في هذه الحرب أمور متعارضة أظهرها أن ضلع الرأي العام الإسلامي العام مع الملك السعودي ، وأنه لم تبث له دعاية رسمية ولا غير رسمية لا بتكبير قوته ، ولا بإطراء فوزه ، ولا بالدفاع عنه ، ولكن أحد محرري الصحف زعم أن حكومته هي التي أتقنت هذه الدعاية بجميع وسائلها دون خصمه ، وما زال يكرر هذا حتى صدقه غيره وهو لم يصدق نفسه ، وصار من القضايا المسلمات .

وأما الإمام يحي فقد بثت له دعاية واسعة بدون سعيه منها أن قوته الحربية أعظم عدداً وعدة وبأساً ونظاماً وقواداً ومالاً ، وأن قبائل الحجاز وقبائل شمر في نجد والعراق وقبائل شرق الأردن ستثور على خصمه الملك ابن سعود بله قبائل عسير الثائرة بالفعل ، حتى إذا ما دارت المعارك وانهزم الجيش اليماني في كل ميدان صاروا يكذبون أنباءها ويعدونها من الدعاية التي صارت مسلمة عندهم وعند غيرهم ، وما زالوا بالإمام على جلالة قدره حتى أنزلوه إلى ميدان تكذيب الحسيات المجمع عليها ، وأخيراً فسروها بما فسرها هو به وهو حب السلم وكراهة الحرب ، فإذا سلمنا هذا وجب أن يبنى عليه الصلح الدائم فتجعل قوة الدفاع عن الجزيرة إلى المملكة السعودية القوية الحربية ، فهل يقبل الاعتراف بهذه النتيجة لتلك المقدمات المنطقية ؟

حقاً إن الإمام يحي قد جنح للسلم ، وأنه قد آن لـه أن يقبل مـا طالما دعي إليه من إبرام العهـد ، وإن أدنى الـدرجـات لـذلـك ألا يعقـد الصلح على دخن ، ولا تتخذ المعاهدة دخلاً بين الفريقين فتكون هـدنـة يستعـد بها كل منهما لإعـادة الكرة والأخذ بالثأر ، في وقت ربما تكون الحرب وبالاً عليهما وعلى الأمـة كلهـا ، بل يجب استئصـال جـذور العـداوة من أعمـاقهـا ، ويجب أن يتـدبر وفـد الصلـح الآيات الآتية ، ويقيموا بناء الصلح وحصن المعاهدة الثابتة على أساسها .

وهي قولـه تعـالى ﴿ وأوفوا بعهـد الله إذا عـاهَـدْتُم ولا تنقضوا الأيمـان بعـد توكيدهـا وقـد جعلتم الله عليكم كفيلاً إن الله يعلم مـا تفعلون ☆ ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم أن تكون أمة هي أربى من أمة ، إنما يبلوكم الله به ، وليبينن لكم يوم القيامة مـا كنتم فيـه تختلفون ☆ ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن يضل من يشاء ويهـدي من يشـاء ولتسـألن عمـا كنتم تعملون ☆ ولا تتخذوا أيمانكم دخلاً بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها وتـذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم ﴾ .

بل أصرح بأن شر ما تنتهي بـه هـذه الحرب أن يكون كل من الفريقين كفؤاً للآخر قادراً على استئنافها عند سنوح الفرصة ، ففي هذه الحالـة تجعل الـدسـائس الأجنبية كلاً منهما خصماً للآخر تهـدده بإمـداده وتـأليبـه بـالمسـاعـدة عليـه عنـد الحـاجـة ، وأن من شرار المسلمين لمن هم شر من الأجـانب ، وقـد كان كل البلاء في هذه الفتنـة منهم ، فكل من أظهر الميل والانتصـار للإمـام يحي فيهـا سراً أو جهراً كان شراً له من كل من ظن أنهم عدو له ، ولم يكن أحد منهم مخلصاً له وإنمـا كانوا يتبعون أهواءهم .

وأما الدرجة العليـا للملـة الإسلاميـة والأمـة العربيـة فهي أن تكون لجزيرة العرب حكومة واحـدة بل للأمـة العربيـة كلهـا إذا أمكن ، فهـذه سيـاسـة الشرع

ومقتضى العقل وتجارب الأمم ، فإن لم يمكن خضوعها أو إخضاعها لحكومة واحدة من غير فتنة ترجح فيها المفسدة على المصلحة ، فالواجب أن يكون التعدد في الصورة والشكل مع الوحدة في السياسة والقصد ، كالمعروف في الوحدات الغربية كلها وسويسرة والولايات المتحدة في شمال أمريكة .

وأما اختلاف الحكومات في تكافؤ القوى ومحاولة منع العدوان بينها بالتوازن فهو مثار كل شقاق وشقاء كما نراه في دول أوربة ، فعسى أن يوفق وفد الصلح بين الإمامين لسد ذرائع الفساد ، وإحكام بناء الصلاح والاتحاد ، هداهم الله سبيل الرشاد .



الملحق

٦٣

الحرب في جزيرة العرب

إطفاء نارها ، وفوائدها وغايتها

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ .

ظهرت أمارات الحرب بين الدولتين الإسلاميتين العربيتين فساور العالم الإسلامي الروع مما يخشاه من سوء عاقبتها ، وكتبنا في ذلك مقالنا الأول الذي عنوانه الحديث النبوي « ويل للعرب ، من شر قد اقترب ، أفلح من كف يده » ونشرناه في بعض الصحف اليومية بغير إمضائنا ثم في المنار ، واتصلت المكاتبة في موضوع شر الحرب المقترب بين الكاتب والإمامين فكان جواب كل منهما أنه لا يريد الحرب ولن يكون هو المضرم لنارها باختياره . وكان كل منهما يكتب واثقاً من نفسه بما يقول عنها راجياً أن يكون أخوه مثله ، بيد أنه كان من المشكوك فيه أن يكون أمر الإمام يحي بيده ، كما أن أمر الإمام عبد العزيز بيده ، إذ كان يقال ويكتب وينشر أن قوة اليمن الحربية بيد ولي عهد الإمام وقائدها العام ، الأمير أحمد سيف الإسلام ، وأنه مخالف لوالده في الرأي ، وأنه حربي بالطبع ، وأنه كان هو المعتدي على جبل العرو من قبل وعلى نجران من بعد ، وأنه هو المحرض لآل الإدريسي على الانتقاض على الملك عبد العزيز في الثورتين السابقة واللاحقة ، وأنه هو المؤوي للمفسدين من أعضاء الحزب الحجازي ، ومحل الرجاء للمفسدين في القطر المصري ، وأنه هو المتصل بالدساسين

من أصحاب الطمع الأجنبي ، ولولا ذلك لم يسير صاحب المملكة العربية السعودية الجيش في إثر الجيش إلى حدود المملكة الشرقية والغربية .

أما والجيوش قد حشرت ، والمفاوضات البرقية بين الإمامين قد عطلت ، والنذر قد تواترت ، والقسيّ قد أوترت ، وأعصاب الأوتار [الثارات] قد وترت ، فالحرب قد وقعت ، وكان وقوعها أمراً طبيعياً لا مفر منه ، وكان سببَه الباطن دم فاسد في بنية الأمة العربية هو علة مرضها ، والمانع من اتفاقها واتحادها ، ولا شفاء لها إلا بخروجه منها ، وإنما كان يخشى أن يخرج معه دم حياتها ، باعتداء الأجانب على استقلالها ، ونقص أرضها من أطرافها .

كنت أخشى من شر اشتعال الحرب خطراً واحداً هو التدخل الأوربي باحتلال جيش إيطالية لثغور تهامة اليمن ، وإحداث انكلترة لحدث شر منه لحفظ الموازنة ، وهو الاستيلاء النهائي باسم شرق الأردن على خليج العقبة ، فلما أعلن كل من الدولتين الحياد اعتقدت أن ما كنا نكرهه من هذا القتال ، هو مصداق لقول الله تعالى الذي جعلته عنواناً لهذا المقال ، وأنه لا خير في منعه إلا بعد خروج الدم الفاسد الذي هاج فأحدثه ، وإمكان جعل جزيرة العرب في حالة استقرار ثابتة ، كما أشرت إلى هذا في مقالاتي السابقة .

الإمامان مسلمان تقيان شديدا الحذر من الطمع الأجنبي ، ولكن بين شعبيهما خلافاً في المذهب : هؤلاء سنية سلفية ، وهؤلاء شيعة زيدية اعتزالية ، بل يقال إن أكثرهم جارودية غالية ، لا كما نعرف في الكتب عن الزيدية المعتدلة ، وبين حكومتيهما خلافاً في السياسة والحدود الدولية في عسير ونجران : هؤلاء يقولون إن كلاً منهما يمانية لحماً ودماً ، ويؤيدهم الإمام نفسه ، وما كان يماطل ويماحل في عقد المحالفة إلا لأجله ، وهؤلاء يقولون إنها سعودية في الحق الواقع والتاريخ الحديث ، وزد على ذلك أن الإمام يحي يقول ويكتب وينشر أن كل

بيت في اليمن يحمل ثأراً دموياً على الدولة السعودية يطالبه بالإذن له بأخذه بالقوة الحربية وقد بدأ اليانيون بالاعتداء المرة بعد المرة ، وكل من الفريقين يعتقد أنه أقوى من الآخر ، وقد أعقب ذلك كله أن زحفت الزحوف ، وتقابلت الصفوف ، وبدأت المعارك بالفعل ، والمفسدون ينفثون وينفخون فيها فيزيدونها ضراماً ، أفيعقل كفها بدعوة محبي الصلح ، وأن يكون عقده على دَخَل ودَغَل ، وعلم بما هنالك من غل وسخيمة ، خيراً للعرب ولجزيرتهم ولجامعتيهم الإسلامية والعربية ؟ لا ، لا .

كلا إن صلحاً كهذا إن أمكن ووقع كان هدنة مؤقتة يخشى أن ينقض في وقت يكون فيه خطر الحرب أكبر ، وأن تكون معاهدته مما نهى الله عنه بقوله ﴿ ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً ﴾ الآية كما بيناه في الجزء الماضي .

فالواجب إذاً أن تكون هذه الحرب شفاء من مرض الأمة بالفعل أو بالإعداد والتهيئة على الأقل ، وأن يبنى الصلح على أساس قوي ، ولن يكون إلا بعد ظهور تفوق قوة على أخرى ، وأن يكون الأقوى حكيماً حليماً لا يبغي عظمة ولا إرهاقاً للآخر ، وهذا عين ما وقع ، وقد عرض ملك العربية السعودية على إمام اليمن شروطه التي لا يغمد السيف بدونها فقبلها ، وأرسل مندوبه إلى الحجاز لوضع المعاهدة المطلوبة فوضعت في هذا الشهر ، وعسى أن تكون كافلة لما أشرنا إليه مما يغسل أدران الماضي ويضع الأساس للوفاق والإخاء الدائم في المستقبل .

ذكرنا في الجزء الماضي ما يراه ويصرح به بعض أولي الرأي من توحيد الحكم والدولة في الجزيرة ، وقلنا إنه منتهى الكمال الشرعي والسياسي إن أمكن ، وكان يجب توخيه إذا أراد الفريقان السير بالحرب إلى آخر طاقتها كالحرب الأوربية الكبرى وهو ما كان يظن بالملك عبد العزيز السعودي بالقياس على حروبه

السابقة ، وصرح بـه أحـد الكتـاب العـارفين بشؤون البلاد وزعمـائها في جريـدة يومية مشهورة ، ولكنني قلت لهـذا الكاتب ولغيره مشـافهـة في مكتبي : إن الـذي أعلمه من اختباري الشخصي لعبد العزيز أعزه الله أنه لا يريـد الاستيلاء على اليمن ولا إزالة حكم إمـامهـا ، ولو كان يريـد ذلـك لكان كما قيل لا يصـده عنـه صـد ، ولا يقف دونه حد ، وقد فتح له بابه ، وتمهدت له أسبابه بالوصول إليـه (كما فعل في الحجاز) أو بالعجز النهائي عنه .

أما كونه قـد تمهـد لـه سبيل هـذا ويسرت لـه أسبـابـه فهو مـاعرفـه الشرق والغرب .

وأما كونـه لا يريـده وإن اعتقـد أنـه قـادر عليـه فلـه سبب معقول هو عين السبب الذي صرفه عن محاولة الاستيلاء على قطر آخر مهد لـه طريقـه من قبل ، وهو أن أعباء ملكه تثقل عليه فتنوء به أن يحملها ، ويقوم بما يجب لها من حفـظ الأمن وتعميم العدل ، وإقامة العمران ، ونشر العلم ، وما يقتضيـه ذلـك من كثرة الرجال والمال ، وهو يصرح بهذا على مسامع الناس .

ومن المعلوم أنه أقام الركن الأول من هـذه الأركان في جميع مملكتـه على أكمل وجه وهو حفظ الأمن الذي يتوقف عليه غيره ، وأن الرجال الـذين يعتمـد عليهم فيه هم أهل نجد وحدهم ، وليس فيهم من أهل الكفاية العلمية والمرانـة العمليـة من يقوم بسائر مصالح الدولة ، فقلة الرجال هي العائقة عمـا يعوز البلاد من ضروب الإصلاح ، وحسب أهل نجد الآن حفظ الأمن وإطفاء الفتن في داخلها ، وحمايتها من الاعتداء على حدودها ، وأهل نجـد لا يفضلون غيرهم من عرب الحجـاز وعسير والشام إلا بعقيدتهم السلفية ، واعتصـامهم بمـا يعلمون من أحكام الإسلام الشرعيـة إيماناً وإذعاناً ، وطاعة لربهم ثم لإمامهم سرّاً وجهراً ، فشجاعتهم وثبـاتهم مستمـدان من عقيدة التوحيد الخالص من شوائب النفاق والوثنية والمنافع الشخصية .

ومن أركان سياسة هذا الإمام فيهم المحافظة على عقيدتهم وأخلاقهم وآدابهم في محيط بيئتهم ، وليس من المصلحة تفريقهم في مملكة واسعة الأطراف ، مختلفة المذاهب والآداب والآراء ، وهم في حاجة إلى تعليم جديد يرشحهم لما اشتدت حاجة بلادهم إليه في هذا العصر من تنظيم القوى الحربية الفنية التي لا ينفع في رد العدوان الخارجي عن البلاد غيرها ، ومن تنظيم القضاء والإدارة ، وتفجير ينابيع الثروة ، مع هذه المحافظة على عقائدهم وأخلاقهم التي يفسد بدونها كل شيء .

قد استولى الجيش النجدي على تهامة اليمن بدون عناء كبير لأن أهلها ساخطون على حكومة الزيدية ، فكانوا إلباً واحداً معه عليها ، ويمكنه أن يحفظها بقوتهم وما لهم من اعتداء جيش الإمام عليها وأن يهاجم صنعاء بها ، ولكن ذلك يعقب ازدياد التعصب المذهبي بين السنة والزيدية . والمصلحة الإسلامية العربية تقتضي إزالته أو تخفيفه تمهيداً لإزالته ، وتحقيق الوحدة الإسلامية العربية في موضعه . فمراعاة هذا في الصلح ، أدنى إليها من طلبها بالغلب والقهر ، وهذا هو الذي يريده الملك عبد العزيز الفيصل ويحاول إقناع الإمام يحيى به ، فإذا كان قد اقتنع به كما يظهر لنا ، وزالت ضغائن الخلاف التي صرحنا بها آنفاً فستبنى قواعد الصلح على أساسه ، ويكون وسيلة إلى ما كنا نسعى إليه ونمهد له منذ ثلث قرن ونيف ، وقد أشرت إلى قوة الرجاء فيه ، والله هو المسئول وحده في إتمامه

ج/ ٢، م/ ٣٤، ص١٢٥ـ١٢٨

١٣٥٢ هـ = ١٩٣٤ م



الملحق

٦٤

معاهدة الطائف[☆]

بين

المملكة العربية السعودية والمملكة اليمانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده .

نحن عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ملك المملكة العربية السعودية .

بما أنه قد عقدت بيننا وبين حضرة صاحب الجلالة الملك الإمام يحي بن محمد حميد الدين ملك المملكة اليمانية معاهدة صداقة إسلامية وأخوة عربية لإنهاء حالة الحرب الواقعة لسوء الحظ بيننا وبين جلالته ، ولتأسيس علاقات الصداقة الإسلامية بين بلادينا ، ووقعها مندوب مفوض من قبلنا ومندوب مفوض من قبل جلالته ، وكلاهما حائزان للصلاحية التامة المتقابلة ، وذلك في مدينة جدة في اليوم السادس من شهر صفر سنة ثلاث وخمسين بعد الثلاثمائة والألف ، وهي مدرجة مع عهد التحكيم والكتب الملحقة بها فيما يلي :

(☆) ننشر هذه المعاهدة العظيمة الشأن بنصها ، وننشر في هذا الجزء مقالاً خاصاً في عظمة شأنها في هذا العهد وفيما يأتي بعده من تاريخ الإسلام والعرب .

معاهدة صداقة إسلامية وأخوّة عربية

بين المملكة العربية السعودية وبين المملكة اليمانية

حضرة صاحب الجلالة الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ملك المملكة العربية السعودية من جهة .

وحضرة صاحب الجلالة الإمام يحيي بن محمد حميد الدين ملك اليمن من جهة أخرى .

رغبة منهما في إنهاء حالة الحرب التي كانت قائمة لسوء الحظ فيما بينهما وبين حكومتيهما وشعبيهما ورغبة في جمع كلمة الأمة الإسلامية العربية ورفع شأنها ، وحفظ كرامتها واستقلالها .

ونظراً لضرورة تأسيس علاقات عهدية ثابتة بينهما وبين حكومتيهما وبلاديهما على أساس المنافع المشتركة والمصالح المتبادلة .

وحبّاً في تثبيت الحدود بين بلاديهما وإنشاء علاقات حسن الجوار وروابط الصداقة الإسلامية فيما بينهما وتقوية دعائم السلم والسكينة بين بلاديهما وشعبيهما .

ورغبة في أن يكونا عضداً واحداً أمام الملمات المفاجئة ، وبنياناً متراصاً للمحافظة على سلامة الجزيرة العربية ـ قررا عقد معاهدة صداقة إسلامية ، وأخوة عربية فيما بينهما ، وانتدبا لذلك الغرض مندوبين مفوضين عنهما وهما :

عن حضرة صاحب الجلالة ملك المملكة العربية السعودية حضرة صاحب السمو الملكي الأمير خالد بن عبد العزيز نجل جلالته ونائب رئيس مجلس الوكلاء .

وعن حضرة صاحب الجلالة ملك اليمن حضرة صاحب السيادة السيد عبد الله بن أحمد الوزير .

وقد منح جلالة الملكين لمندوبيهما الآنفي الذكر الصلاحية التامة والتفويض المطلق . وبعد أن اطلع المندوبان المذكوران على أوراق التفويض التي بيد كل منهما فوجداها موافقة للأصول قررا باسم ملكيهما الاتفاق على المواد الآتية :

(المادة الأولى)

تنتهي حالة الحرب القائمة بين المملكة العربية السعودية ومملكة اليمن بمجرد التوقيع على هذه المعاهدة وتنشأ فوراً بين جلالة الملكين وبلاديهما وشعبيهما حالة سلم دائم ، وصداقة وطيدة ، وأخوة إسلامية عربية دائمة ، لا يمكن الإخلال بها جميعها أو بعضها ، ويتعهد الفريقان الساميان المتعاقدان بأن يحلا بروح الود والصداقة جميع المنازعات والاختلافات التي قد تقع بينهما ، وبأن يسود علاقتهما روح الإخاء الإسلامي العربي في سائر المواقف والحالات ، ويشهدان الله على حسن نواياهما ، ورغبتهما الصادقة في الوفاق والاتفاق سراً وعلناً ، ويرجوان منه سبحانه وتعالى أن يوفقهما وخلفاءهما وورثاءهما وحكومتيهما إلى السير على هذه الخطة القويمة ، التي فيها رضاء الخالق وعز قومهما ودينهما .

(المادة الثانية)

يعترف كل من الفريقين الساميين المتعاقدين للآخر باستقلال كل من المملكتين استقلالاً تاماً مطلقاً وبملكيته عليها ، فيعترف حضرة صاحب الجلالة الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ملك المملكة العربية السعودية لحضرة صاحب الجلالة الإمام يحي وللخلفائه الشرعيين باستقلال مملكة اليمن استقلالاً تاماً مطلقاً وبالملكية على مملكة اليمن . ويعترف حضرة صاحب الجلالة الإمام يحي بن محمد حميد الدين ملك اليمن لحضرة صاحب الجلالة الإمام

عبد العزيز ولخلفائه الشرعيين باستقلال المملكة العربية السعودية استقلالاً تـامـاً مطلقاً وبالملكية على المملكة العربية السعودية . ويسقط كل منهما أي حق يدعيه في قسم أو أقسـام من بـلاد الآخر خـارج الحـدود القطعيـة المبينـة في صلب هــذه المعاهدة .

إن جلالة الإمام الملك عبد العزيز يتنازل بهذه المعاهدة عن أي حق يدعيـه من حماية أو احتلال أو غيرهما في البلاد التي هي بموجب هذه المعاهدة تابعـة لليمن من البلاد التي كانت بيد الأدارسة وغيرها . كما أن جلالة الإمام الملك يحي يتنـازل بهذه المعاهدة عن أي حق يدعيه باسم الوحـدة اليمانيـة أو غيرهـا في البلاد التي هي بموجب هذه المعاهدة تابعـة للمملكـة العربيـة السعوديـة من البلاد التي كانت بيـد الأدارسة أو آل عائض أو في نجران وبلاد يام .

(المادة الثالثة)

يتفق الفريقان الساميـان المتعـاقـدان على الطريقـة التي تكون بهـا الصلات والمراجعـات بمـا فيـه حفـظ مصـالـح الطرفين وبمـا لا ضرر فيــه على أيهما على أن لا يكون ما يمنحه أحد الفريقين الساميين المتعاقدين للآخر أقل ممـا يمنحـه لفريق ثالث . ولا يوجب هذا على أي الفريقين أن يمنح الآخر أكثر مما يقابله بمثله .

(المادة الرابعة)

خـط الحـدود الـذي يفصل بين بلاد كل من الفريقين السـاميين المتعـاقـدين موضح بالتفصيل الكافي فيما يلي ويعتبر هذا الخـط حـداً فـاصلاً قطعيـاً بين البلاد التي تخضع لكل منهما :

يبدأ خط الحدود بين المملكتين اعتباراً من النقطة الفاصلة بين ميدي والموسم على ساحل البحر الأحمر إلى جبال تهـامـة في الجهـة الشرقيـة ثم يرجع شمالاً إلى أن

ينتهي إلى الحدود الغربية الشمالية التي بين بني جماعة ومن يقابلهم من جهة الغرب والشمال ثم ينحرف إلى جهة الشرق إلى أن ينتهي إلى ما بين حدود نقعة ووعار التابعتين لقبيلة وائلة وبين حدود يام ثم ينحرف إلى أن يبلغ مضيق مروان وعقبة رفادة ثم ينحرف إلى جهة الشرق حتى ينتهي من جهة الشرق إلى أطراف الحدود بين من عدا يام من همدان بن زيد وائلي وغيره وبين يام : فكل ما عن يمين الخط المذكور الصاعد من النقطة المذكورة التي على ساحل البحر إلى منتهى الحدود في جميع جهات الجبال المذكورة فهو من المملكة اليمانية وكل ما هو عن يسار الخط المذكور فهو من المملكة العربية السعودية ، فما هو في جهة اليمين المذكورة هو ميدي وحرض وبعض قبيلة الحرث والمير وجبال الظاهر وشد والضيعة وبعض العبادل وجميع بلاد وجبال رازح ومنبه مع عرو آل المشيخ وجميع بلاد وجبال بني جماعة وسحار الشام يباد وما يليها ومحل مريصغة من سحار الشام وعموم سحار ونقعة ووعار وعموم وائلة وكذا الفرع مع عقبة نهوقة وعموم من عدا يام ووادي ظهران من همدان بن زيد هؤلاء المذكورة وبلادهم بحدودها المعلومة وكل ما هو بين الجهات المذكورة وما يليها مما لم يذكر اسمه مما كان مرتبطاً ارتباطاً فعلياً أو تحت ثبوت يد المملكة اليمانية قبل سنة ١٣٥٢ هـ كل ذلك هو في جهة اليمين فهو من المملكة اليمانية - وما هو في جهة اليسار المذكورة وهو الموسم ووعلان وأكثر الحرث والخوبة والجابري وأكثر العبادل وجميع نيفا وبني مالك وبني حريص وآل تليد وقحطان وظهران ووادعة وجميع وادعة ظهران مع مضيق مروان وعَقَبة رفادة وما خلفها من جهة الشرق والشمال من يام ونجران والحضن وزور وادعة وسائر من هو في نجران من وائلة وكل ما هو تحت عقبة نهوقة إلى أطراف نجران ويام من جهة الشرق هؤلاء المذكورون وبلادهم بحدودها المعلومة وكل ما هو بين الجهات المذكورة وما يليها مما لم يذكر اسمه مما كان مرتبطاً ارتباطاً فعلياً أو تحت ثبوت يد المملكة العربية السعودية قبل سنة ١٣٥٢ هـ كل ذلك هو في جهة يسار

الخط المذكور فهو من المملكة العربية السعودية وما ذكر من يـام ونجران والحضن وزور وادعـة وسـائر من هو في نجران من وائلـة فهـو بنـاء على مـا كان من تحكيم جلالـة الإمـام يحي لجلالـة الملـك عبـد العزيـز في يـام والحكم من جـلالـة الملـك عبد العزيز بأن جميعها تتبع المملكـة العربيـة السعوديـة وحيث إن الحضن وزور وادعة ومن هو من وائلة في نجران هم من وائلة ولم يكن دخولهم في المملكة العربية السعودية إلا لما ذكر فـذلـك لا يمنعهم ولا يمنع إخوانهم وائلـة عن التمتع بـالصلات والمواصلات والتعاون المعتاد والمتعارف به . ثم يمتد هـذا الخـط من نهـايـة الحـدود المذكورة آنفاً بين أطراف قبائل المملكة العربيـة السعوديـة وأطراف من عـدا يـام من همدان بن زيد وسائر قبائل اليمن فللمملكة اليانية كل الأطراف والبلاد اليانية إلى منتهى حـدود اليمن من جميع الجهـات . وللمملكـة العربيـة السعـوديـة كل الأطراف والبلاد إلى منتهى حدودها من جميع الجهات وكل ماذكر في هـذه المـادة من نقط شمال وجنوب وشرق وغرب فهو باعتبار كثرة اتجاه ميل خـط الحـدود في اتجاه الجهات المذكورة وكثيراً ما يميل لتداخل ما إلى كل من المملكتين . أما تعيين وتثبيت الخط المذكور ، وتمييز القبائل وتحديـد ديـارهـا على أكمل الوجوه فيكون إجراؤه بواسطة هيئـة مؤلفـة من عـدد متسـاوٍ من الفريقين بصورة وديـة أخويـة بدون حيف بحسب العرف والعادة الثابتة عند القبائل .

(المادة الخامسة)

نظراً لرغبة كل من الفريقين السـاميين المتعـاقـدين في دوام السلم والطمأنينـة والسكون وعدم إيجاد أي شيء يشوش الأفكار بين المملكتين فإنهما يتعهـدان تعهـداً متقابلاً بعدم إحداث أي بناء محصن في مسافة خمسة كيلومترات في كل جانب من جانبي الحدود في كل المواقع والجهات على طول خط الحدود .

(المادة السادسة)

يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بسحب جنده فوراً عن البلاد التي أصبحت بموجب هذه المعاهدة تابعة للفريق الآخر مع صون الأهلين والجند عن كل ضرر .

(المادة السابعة)

يتعهد الفريقان الساميان المتعاقدان بأن يمنع كل منهما أهالي مملكته عن كل ضرر وعدوان على أهالي المملكة الأخرى في كل جهة وطريق وبأن يمنع الغزو بين أهل البوادي من الطرفين وبرد كل ماثبت أخذه بالتحقيق الشرعي من بعد إبرام هذه المعاهدة وضمان ماتلف وبما يلزم بالشرع فيما وقع من جناية قتل أو جرح وبالعقوبة الحاسمة على من ثبت منهم العدوان ويظل العمل بهذه المادة سارياً إلى أن يوضع بين الفريقين اتفاق آخر لكيفية التحقيق وتقدير الضرر والخسائر .

(المادة الثامنة)

يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين تعهداً متقابلاً بأن يمتنعا عن الرجوع للقوة لحل المشكلات بينهما وبأن يعملا جهدهما لحل ما يمكن أن ينشأ بينهما من الاختلاف سواء كان سببه ومنشؤه هذه المعاهدة أو تفسير كل أو بعض موادها ، أم كان ناشئاً عن أي سبب آخر بالمراجعات الودية وفي حالة عدم إمكان التوفيق بهذه الطريقة يتعهد كل منهما بأن يلجأ إلى التحكيم الذي توضح شروطه وكيفية طلبه وحصوله في ملحق مرفق بهذه المعاهدة . ولهذا الملحق نفس القوة والنفوذ اللذين لهذه المعاهدة ويحسب جزءاً منها وبعضاً متمماً للكل فيها .

(المادة التاسعة)

يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بأن يمنع بكل ما لديه من الوسائل المادية والمعنوية استعمال بلاده قاعدةً ومركزاً لأي عمل عدواني أو شروع فيه أو استعداد له ضد بلاد الفريق الآخر كما أنه يتعهد باتخاذ التدابير الآتية بمجرد وصول طلب خطي من حكومة الفريق الآخر وهي :

١ ـ إن كان الساعي في عمل الفساد من رعايا الحكومة المطلوب منها اتخاذ التدابير فبعد التحقيق الشرعي وثبوت ذلك يؤدب فوراً من قبل حكومته بالأدب الرادع الذي يقضي على فعله ويمنع وقوع أمثاله .

٢ ـ وإن كان الساعي في عمل الفساد من رعايا الحكومة الطالبة اتخاذ التدابير فإنه يلقى القبض عليه فوراً من قبل الحكومة المطلوب منها ويسلم إلى حكومته الطالبة . وليس للحكومة المطلوب منها التسليم عذر عن إنفاذ الطلب وعليها اتخاذ كافة الإجراءات لمنع فرار الشخص المطلوب أو تمكينه من الهرب وفي الأحوال التي يتمكن فيها الشخص المطلوب من الفرار فإن الحكومة التي فرّ من أراضيها تتعهد بعدم السماح له بالعودة إلى أراضيها مرة أخرى وإن تمكن من العودة إليها يلقى القبض عليه ويسلم إلى حكومته .

٣ ـ وإن كان الساعي في عمل الفساد من رعايا حكومة ثالثة فإن الحكومة المطلوب منها والتي يوجد الشخص على أراضيها تقوم فوراً وبمجرد تلقيها الطلب من الحكومة الأخرى بطرده من بلادها وعده شخصاً غير مرغوب فيه ويمنع من العودة إليها في المستقبل .

(المادة العاشرة)

يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بعدم قبول من يفر عن طاعة دولته كبيراً كان أم صغيراً ، موظفاً كان أم غير موظف ، فرداً كان أم جماعة ،

ويتخذ كل من الفريقين الساميين المتعاقدين كافة التدابير الفعالة من إدارية وعسكرية وغيرها لمنع دخول هؤلاء الفارين إلى حدود بلاده ، فإن تمكن أحدهم أو كلهم من اجتياز خط الحدود بالدخول في أراضيه فيكون عليه واجب نزع السلاح من الملتجئ وإلقاء القبض عليه وتسليمه إلى حكومة بلاده الفار منها ، وفي حالة عدم إمكان القبض عليه تتخذ كافة الوسائل لطرده من البلاد التي لجأ إليها إلى بلاد الحكومة التي يتبعها .

(المادة الحادية عشرة)

يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بمنع الأمراء والعمال والموظفين التابعين له من المداخلة بأي وجه كان مع رعايا الفريق الآخر بالذات أو بالواسطة ويتعهد باتخاذ كامل التدابير التي تمنع حدوث القلق أو توقع سوء التفاهم بسبب الأعمال المذكورة .

(المادة الثانية عشرة)

يعترف كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بأن أهل كل جهة من الجهات الصائرة إلى الفريق الآخر بموجب هذه المعاهدة رعية لذلك الفريق .

ويتعهد كل منهما بعدم قبول أي شخص أو أشخاص من رعايا الفريق الآخر رعية له إلا بموافقة ذلك الفريق ، وبأن تكون معاملة رعايا كل من الفريقين في بلاد الفريق الآخر طبقاً للأحكام الشرعية المحلية .

(المادة الثالثة عشرة)

يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بإعلان العفو الشامل الكامل عن سائر الأجرام والأعمال العدائية التي يكون قد ارتكبها فرد أو أفراد من رعايا الفريق الآخر المقيمين في بلاده (أي في بلاد الفريق الذي منه إصدار العفو) كما أنه

يتعهد بإصدار عفو عام شامل كامل عن أفراد رعاياه الذين لجأوا أو انحازوا أو بأي شكل من الأشكال انضموا إلى الفريق الآخر عن كل جناية ومال أخذوا منذ لجأوا إلى الفريق الآخر إلى عودهم كائناً ما كان ، وبالغاً ما بلغ ، وبعدم السماح بإجراء أي نوع من الإيذاء أو التعقيب ، أو التضييق بسبب ذلك الالتجاء أو الانحياز أو الشكل الذي انضموا بموجبه . وإذا حصل ريب عند أي الفريقين بوقوع شيء مخالف لهذا العهد كان لمن حصل عنده الريب أو الشك من الفريقين مراجعة الفريق الآخرر لأجل اجتماع المندوبين الموقعين على هذه المعاهدة ، وإن تعذر على أحدهما الحضور فينيب عنه آخر له كامل الصلاحية والاطلاع على تلك النواحي ممن له كامل الرغبة والعناية بصلاح ذات البين والوفاء بحقوق الطرفين بالحضور لتحقيق الأمر حتى لايحصل أي حيف ولا نزاع وما يقرره المندوبان يكون نافذاً .

(المادة الرابعة عشرة)

يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين برد وتسليم أملاك رعاياه الذين يعفى عنهم إليهم أو إلى ورثتهم عند رجوعهم إلى وطنهم خاضعين لأحكام مملكتهم ، وكذلك يتعهد الفريقان الساميان المتعاقدان بعدم حجز أي شيء من الحقوق والأملاك التي تكون لرعايا الفريق الآخر في بلاده ولا يعرقل استثمارها أو أي نوع من أنواع التصرفات الشرعية فيها .

(المادة الخامسة عشرة)

يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بعدم المداخلة مع فريق ثالث سواء كان فرداً أم هيئة أم حكومة أو الاتفاق معه على أي أمر يخل بمصلحة الفريق الآخر أو يضر ببلاده أو يكون من ورائه إحداث المشكلات والصعوبات له أو يعرض منافعها ومصالحها وكيانها للأخطار .

(المادة السادسة عشرة)

يعلن الفريقان الساميان المتعاقدان اللذان تجمعهما روابط الأخوة الإسلامية والعنصرية العربية أن أمتهما أمة واحدة ، وأنهما لا يريدان بأحد شراً ، وأنهما يعملان جهدهما لأجل ترقية شئون أمتهما في ظل الطمأنينة والسكون ، وأن يبذلا وسعهما في سائر المواقف لما فيه الخير لبلاديهما وأمتهما غير قاصدين بهذا أي عدوان على أية أمة .

(المادة السابعة عشرة)

في حالة حصول اعتداء خارجي على بلاد أحد الفريقين الساميين المتعاقدين يتحتم على الفريق الآخر أن ينفذ التعهدات الآتية :

أولاً ـ الوقوف على الحياد التام سراً وعلناً .

ثانياً ـ المعاونة الأدبية والمعنوية الممكنة .

ثالثاً ـ الشروع في المذاكرة مع الفريق الآخر لمعرفة أنجع الطرق لضمان سلامة بلاد ذلك الفريق ومنع الضرر عنها والوقوف في موقف لا يمكن تأويله بأنه تعضيد للمعتدي الخارجي .

(المادة الثامنة عشرة)

في حالة حصول فتن أو اعتداءات داخلية في بلاد أحد الفريقين الساميين المتعاقدين يتعهد كل منهما تعهداً متقابلاً بما يأتي :

أولاً ـ اتخاذ التدابير الفعالة اللازمة لعدم تمكين المعتدين أو الثائرين من الاستفادة من أراضيه .

ثانياً ـ منع التجاء اللاجئين إلى بلاده وتسليمهم أو طردهم إذا لجأوا إليها كما هو موضح في المادة (التاسعة والعاشرة) أعلاه .

ثالثاً ـ منع رعاياه من الاشتراك مع المعتدين أو الثائرين وعدم تشجيعهم أو تموينهم .

رابعاً ـ منع الإمدادات والأرزاق والمؤن والذخائر عن المعتدين أو الثائرين .

(المادة التاسعة عشرة)

يعلن الفريقان الساميان المتعاقدان رغبتهما في عمل كل ممكن لتسهيل المواصلات البريدية والبرقية وتزييد الاتصال بين بلاديهما ، وتسهيل تبادل السلع والحاصلات الزراعية والتجارية بينهما ، وفي إجراء مفاوضات تفصيلية من أجل عقد اتفاق جمركي يصون مصالح بلاديهما الاقتصادية بتوحيد الرسوم الجمركية في عموم البلادين أو بنظام خاص بصورة كافلة لمصالح الطرفين ، وليس في هذه المادة ما يقيد حرية أحد الفريقين الساميين المتعاقدين في أي شيء حتى يتم عقد الاتفاق المشار إليه .

(المادة العشرون)

يعلن كل من الفريقين الساميين المتعاقدين استعداده لأن يأذن لممثليه ومندوبيه في الخارج إن وجدوا بالنيابة عن الفريق الآخر متى أراد الفريق الآخر ذلك في أي شيء وفي أي وقت ، ومن المفهوم أنه حينما يوجد في ذلك العمل شخص من كل من الفريقين في مكان واحد فإنهما يتراجعان فيما بينهما لتوحيد خطتهما للعمل العائد لمصلحة البلادين التي هي كأمة واحدة . ومن المفهوم أن هذه المادة لا تقيد حرية أحد الجانبين بأي صورة كانت في أي حق له ، كما أنه لا يمكن أن تفسر بحجز حرية أحدهما أو اضطراره لسلوك هذه الطريقة .

(المادة الحادية والعشرون)

يلغى ماتضمنته الاتفاقية الموقع عليها في ٥ شعبان ١٣٥٠ على كل حال اعتباراً من تاريخ إبرام هذه المعاهدة .

(المادة الثانية والعشرون)

تبرم هذه المعاهدة وتصدق من قبل حضرة صاحبي الجلالة الملكين في أقرب مدة ممكنة نظراً لمصلحة الطرفين في ذلك ، وتصبح نافذة المفعول من تاريخ تبادل قرارات إبرامها مع استثناء مانص عليه في المادة الأولى من إنهاء حالة الحرب بمجرد التوقيع ، وتظل سارية المفعول مدة عشرين سنة قمرية تامة ، ويمكن تجديدها أو تعديلها خلال الستة الأشهر التي تسبق تاريخ انتهاء مفعولها ، فإن لم تجدد أو تعدل في ذلك التاريخ تظل سارية المفعول إلى مابعد ستة أشهر من إعلان أحد الفريقين المتعاقدين للفريق الآخر رغبته في التعديل .

(المادة الثالثة والعشرون)

تسمى هذه المعاهدة بمعاهدة الطائف وقد حررت من نسختين باللغة العربية الشريفة بيد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين نسخة وإشهاداً بالواقع وضع كل من المندوبين المفوضين توقيعه .

وكتب في مدينة جدة في اليوم السادس من شهر صفر سنة ثلاث وخمسين بعد الثلاثمائة والألف .

(التوقيع)
خالد بن عبد العزيز السعود

(التوقيع)
عبد الله بن أحمد الوزير



الملحق

٦٥

بسم الله الرحمن الرحيم

عهد التحكيم بين المملكة العربية السعودية وبين مملكة اليمن

بما أن حضرة صاحبي الجلالة الإمامين الملك عبد العزيز ملك المملكة العربية السعودية والملك يحي ملك اليمن قد اتفقا بموجب المادة الثامنة من معاهدة الصلح والصداقة وحسن التفاهم المسماة بمعاهدة الطائف والموقع عليها في السادس من شهر صفر سنة ثلاث وخمسين بعد الثلاثمائة والألف على أن يحيلا إلى التحكيم أي نزاع أو اختلاف ينشأ عن العلاقات بينهما وبين حكومتيهما وبلاديهما متى عجزت سائر المراجعات الودية عن حله فإن الفريقين الساميين المتعاقدين يتعهدان بإجراء التحكيم على الصورة المبينة في المواد الآتية :

(المادة الأولى)

يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بأن يقبل بإحالة القضية المتنازع فيها على التحكيم خلال شهر واحد من تاريخ استلام طلب إجراء التحكيم من الفريق الآخر إليه .

(المادة الثانية)

يجري التحكيم من قبل هيئة مؤلفة من عدد متساوٍ من المحكمين ينتخب كل فريق نصفهم ومن حكم وازع ينتخب باتفاق الفريقين الساميين المتعاقدين وإن لم

يتفقا على ذلك يرشح كل منهما شخصاً فإن قبل أحد الفريقين بالمرشح الذي يقدمه الفريق الآخر فيصبح وازعاً وإن لم يمكن الاتفاق على ذلك تجرى القرعة على أيهما يكون وازعاً مع العلم بأن القرعة لا تجري إلا على الأشخاص المقبولين من الطرفين . فمن وقعت القرعة عليه أصبح رئيساً لهيئة التحكيم ووازعاً للفصل في القضية ، وإن لم يحصل الاتفاق على الأشخاص المقبولين من الطرفين تجرى المراجعات فيما بعد إلى أن يحصل الاتفاق على ذلك .

المنار: ج ٤، ٣٩ المجلد الرابع والثلاثون

(المادة الثالثة)

يجب أن يتم اختيار هيئة التحكيم ورئيسها خلال شهر واحد من بعد انقضاء الشهر المعين لإجابة الفريق المطلوب منه الموافقة على التحكيم لقبوله لطلب الفريق الآخر . وتجتمع هيئة المحكمين في المكان الذي يتم الاتفاق عليه في مدة لا تزيد عن شهر واحد بعد انقضاء الشهرين المعينين في أول المادة . وعلى هيئة المحكمين أن تعطي حكمها خلال مدة لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تزيد عن شهر واحد من بعد انقضاء المدة التي عينت للاجتماع كما هو مبين أعلاه ويعطى حكم هيئة التحكيم بالأكثرية ويكون الحكم ملزماً للفريقين ويصبح تنفيذه واجباً بمجرد صدوره وتبليغه . ولكل من الفريقين الساميين المتعاقدين أن يعين الشخص أو الأشخاص الذين يريدهم للدفاع عن وجهة نظره أمام هيئة التحكيم وتقديم البيانات والحجج اللازمة لذلك .

(المادة الرابعة)

أجور محكمي كل فريق عليه وأجور رئيس هيئة التحكيم مناصفة بينهما وكذلك الحكم في نفقات المحاكمة الأخرى .

(المادة الخامسة)

يعتبر هذا العهد جزءاً متماً لمعاهدة الطائف الموقع عليها في هذا اليوم السادس من شهر صفر سنة ثلاث وخمسين بعد الثلاثمائة والألف ويظل ساري المفعول مدة سريان المعاهدة المذكورة ، وقد حرر هذا من نسختين باللغة العربية يكون بيد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين نسخة .

وقراراً بذلك جرى توقيعه في اليوم السادس من شهر صفر سنة ثلاث وخمسين بعد الثلاثمائة والألف .

(التوقيع)
خالد بن عبد العزيز السعود
(التوقيع)
عبد الله بن أحمد الوزير

بسم الله الرحمن الرحيم

حرر في ٦ صفر ١٣٥٣

من خالد بن عبد العزيز إلى حضرة الأخ صاحب السيادة السيد عبد الله الوزير المندوب المفوض من قبل جلالة الإمام يحي حفظه الله .

السلام عليكم ورحمة الله . أما بعد ، فإنه بمناسبة توقيع معاهدة الطائف بيننا وبينكم نيابة عن جلالتي ملكي المملكة العربية السعودية والمملكة اليانية أحب أن أثبت لكم في كتابي هذا أنه لا يمكن اعتبار تلك المعاهدة وقبول إنفاذ مقتضاها إلا في إثبات ما يأتي :

١ ـ أن يجري تسليم الأدارسة وإخلاء جبالنا في تهامة وإطلاق رهائن أهلها حالاً .

٢ ـ أن يظل مضمون هذه المعاهدة مكتوماً ولا ينشره أحد الفريقين ولا سيما

ما يتعلق منها بمسألة الحدود لما يحدث ذلك من التشويش في تهامة خاصة وإن انسحاب جند جلالة الملك عبد العزيز يكون بكامل الصيانة والشرف من ابتداء انسحابه إلى آخره ، وكل حادث عدواني عليه في خلال تلك المدة يكون مضموناً من قبل جلالة الإمام يحي وتفضلوا بقبول فائق الاحترام .

(التوقيع)
خالد بن عبد العزيز السعود

بسم الله الرحمن الرحيم

حرر في ٦ صفر ١٣٥٣

من عبد الله الوزير إلى حضرة صاحب السمو الملكي الأمير خالد المفوض من قبل جلالة الملك عبد العزيز حفظه الله تعالى .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد فقد تلقيت كتاب سموكم تاريخ ٦ صفر ١٣٥٣ وقد أحطت علماً بما اشترطتموه سموكم لإنفاذ معاهدة الطائف التي عقدت بين الفريقين من تسليم الأدارسة وإخلاء الجبال التي كانت محتلة من قبل جنود جلالة الإمام يحي من بلاد جلالة الملك عبد العزيز وإطلاق رهائن أهلها وأن تظل هذه المعاهدة مكتومة وعلى الأخص مسألة الحدود إلى أن يتم ترتيب الاتفاق الذي اتفقنا عليه لإنفاذه وإن انسحاب جند جلالة الملك عبد العزيز يكون بكامل الصيانة والشرف من ابتداء انسحابه إلى آخره وإن كل حادث عدواني عليه في خلال تلك المدة يكون مضموناً من قبل جلالة الإمام يحي لقد أحطت علماً بذلك ويسرني أن أعلن سموكم بقبولنا وموافقتنا لاشتراطكم وأنه سيكون مرعياً من جهتنا وتفضلوا بقبول فائق الاحترام .

(التوقيع)
عبد الله بن أحمد الوزير

بسم الله الرحمن الرحيم

تحريراً في ٦ صفر ١٣٥٣

من عبد الله الوزير إلى حضرة صاحب السمو الملكي الأمير خالد المفوض من قبل جلالة الملك عبد العزيز حفظه الله .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد فأتشرف بأن أثبت هنا إلحاقاً بمعاهدة الطائف الموقع عليها من قبل سموكم نيابة عن جلالة الملك عبد العزيز والموقعة من قبلي نيابة عن جلالة الملك الإمام يحي ، وأتعهد باسم جلالة الإمام يحي بما هو آت :

١ ـ تسليم الأدارسة لجلالة الملك عبد العزيز وقد عملت الترتيبات اللازمة لتسليم السيد الحسن والسيد عبد العزيز بن محمد الإدريسي وسيسلمون حالاً لرجال سمو الأمير فيصل في تهامة ، أما السيد عبد الوهاب الإدريسي فنظراً لأنه لا يزال إلى الآن في بلاد العبادل فقد اتخذت الوسائل والوسائط لاستدعائه من تلك الأنحاء لتسليمه ، فإن لم يطع الأمر فأتعهد باسم جلالة الإمام يحي بشأنه بما يأتي :

أ ـ أن تمتنع حكومة الإمام يحي عن كل مساعدة مادية أو معنوية له وأن تمنع عنه من بلادها أي معاضدة أو معاونة .

ب ـ إذا أرادت حكومة جلالة الملك عبد العزيز القبض عليه في الأراضي التي هو فيها فإن حكومة الإمام يحي ستعمل من جهتها سائر أنواع التضييقات العسكرية التي تستطيعها لمنع فراره إلى أراضيها ، وتتعهد أن تلقي القبض عليه وعلى كل شخص اشترك معه في حركته من أي جهة وقبيل من قبائل المملكة العربية السعودية ، وأن تسلمهم لحكومة جلالة الملك عبد العزيز بغير شرط ولا قيد إذا دخلوا إلى جهات المملكة اليمانية . وأن تمنع فراره أو فرار أي شخص

من الذين اشتركوا معه في عمله إلى الخارج إذا دخلوا إلى أراضي المملكة اليانية .

٢ ـ أما من كان له تعلق بالأدارسة وحركتهم من الأشراف أو غيرهم فإذا أرادوا اللحاق بالإدريسي فلهم الأمان من قبل حكومة جلالة الملك عبد العزيز والصيانة والاحترام والإكرام اللائق بحقهم ، وإذا لم يشاءوا ذلك فإنهم يخرجون من بلاد جلالة الإمام يحي ، ولا يسمح لهم بالبقاء فيها ، وإذا عادوا إليها مرة أخرى فيطردون حالاً ، وينذرون بأنهم إذا عادوا يسلمون إلى حكومة جلالة الملك عبد العزيز ، فإن عادوا بعد طردهم فأتعهد باسم جلالة الإمام يحي بتسليمهم إلى حكومة جلالة الملك عبد العزيز بغير قيد ولا شرط .

فأرجو أن تعتبروا هذا سموكم عهداً وثيقاً له منزلة المعاهدة المعقودة بيننا وبين سموكم بهذا اليوم ، وعلى هذا عهد الله وميثاقه ، وأرجو أن يكون هذا طبقاً للاتفاق الشفوي الذي اتفقنا عليه في هذا الشأن وتفضلوا بقبول فائق الاحترام .

(التوقيع)
عبد الله بن أحمد الوزير

بسم الله الرحمن الرحيم

حرر في ٦ صفر ١٣٥٣

من خالد بن عبد العزيز إلى حضرة صاحب السيادة الأخ السيد عبد الله الوزير المندوب المفوض من قبل جلالة الملك الإمام يحي حفظه الله تعالى .

السلام عليكم ورحمة الله ، وبعد فأتشرف بأن أعلمكم باستلامي كتاب سيادتكم بتاريخ اليوم بشأن ماتعهدتم به باسم جلالة الإمام يحي بشأن الأدارسة وأتباعهم ، وأنا على ثقة بأن ماتعهدتم به سيكون تنفيذه بمقتضى الأمانة والوفاء المأمول في

جلالة الإمام يحيى ونتمنى أن يكون تنفيذ ذلك بأسرع مدة ممكنة ، وتفضلوا بقبول فائق الاحترام .

(التوقيع)
خالد بن عبد العزيز السعود

بسم الله الرحمن الرحيم

حرر في ٦ صفر ١٣٥٣

من خالد بن عبد العزيز إلى حضرة المكرم السيد عبد الله الوزير حفظه الله تعالى .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد فمناسبة توقيع معاهدة الطائف بين مملكتنا ومملكة اليمن أثبت هنا ماااتفقنا عليه بشأن تنقلات المتنقلين من رعايا المملكة العربية السعودية ، ورعايا المملكة اليمانية في البلادين أن التنقل في الوقت الحاضر يظل على ما كان عليه في السابق إلى أن يوضع بين البلدين اتفاق خاص بشأن الطريقة التي ترى الحكومتان متفقاً اتخاذها من أجل تنظيم الانتقال سواء للحج أو التجارة أو غيرها من الأغراض والمنافع ، فأرجو أن أنال جوابكم بالموافقة على ماااتفقنا عليه بهذا الشأن وتفضلوا بقبول فائق الاحترام .

(التوقيع)
خالد بن عبد العزيز السعود

بسم الله الرحمن الرحيم

حرر في ٦ صفر ١٣٥٣

من عبد الله الوزير إلى صاحب السمو الملكي الأمير خالد المفوض من قبل جلالة الملك عبد العزيز حفظه الله تعالى .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد فقد تلقيت كتاب سموكم تاريخ ٦ صفر بشأن تنقلات رعايا الفريقين بين البلادين ، وإنني على اتفاق مع سموكم في أن يكون الانتقال في الوقت الحاضر طبقاً للطريقة التي كان السير عليها من قبل إلى أن يوضع اتفاق خاص بشأن تنظيم الانتقال في المستقبل ، وإن ذلك سيكون مرعياً من جانب حكومتنا كما هو مرعي من جانب حكومتكم . وتفضلوا بقبول فائق الاحترام .

(التوقيع)
عبد الله بن أحمد الوزير

فبعد أن اطلعنا على هذه المعاهدة السالفة الذكر وعلى عهد التحكيم والكتب التي ألحقت بها ، وأمعنا النظر فيها صدقناها وقبلناها وأقررناها جملة في مجموعها ومفردة في كل مادة وفقرة منها ، كما أننا نصدقها ونبرمها ، ونتعهد ونعد وعداً ملوكياً صادقاً بأننا سنقوم بحول الله بما ورد فيها ، ونلاحظه بكمال الأمانة والإخلاص وبأننا لن نسمح بمشيئة الله بالإخلال بها بأي وجه كان طالما نحن قادرون على ذلك وزيادة في تثبيت صحة كل ماذكر فيها أمرنا بوضع خاتمنا على هذه الوثيقة ووقعناها بيدنا والله خير الشاهدين .

حرر بقصرنا في الطائف في الخامس والعشرين من شهر صفر سنة ١٣٥٣ هـ .

الختم الملوكي

(التوقيع)
عبد العزيز آل السعود

☆ ☆ ☆

الملحق

٦٦

الإصلاح والتجديد الإسلامي

في المعاهدة الإسلامية العربية ، بين الدولتين السعودية واليمانية وإقرار الإفرنج بفضل العرب عليهم

الحَمْدُ للهِ الّذي أذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إنَّ رَبَّنا لَغفُورٌ شكُور

لقد كنا في خوف ووجل في بداية هذه الحرب أن تفتح باباً بالتدخل الأجنبي في جزيرة العرب فمنّ الله علينا ووقانا هذا الشر ، ولقد كنا في خوف ووجل من نهايتها أن تضرم سعير الأضغان المذهبية ، وتؤرث أحقاد الآثار العربية ، فيتغلغل الفساد ، ويتسلسل البغي والعدوان ، فمنَّ الله علينا وبدلنا بالخوف أمناً ، وأعاضنا من الحرب سلماً ، ومن العداوة ودّاً ، ومن الاختلاف ائتلافا ، ومن التقاطع والتدابر ، أفضل وسائل التواصل والتناصر ، والتعاون على البر والتقوى ، فقد عقد الإمامان المؤمنان المسلمان العربيان العاقلان الحكيمان معاهدة أخوة إسلامية وصداقة عربية ، ترضي الله عزوجل من فوق عرشه ، وتسرّ روح رسوله المصطفى ﷺ في الرفيق الأعلى من جوار ربه ، وتغتبط بها أمته في مشارق الأرض ومغاربها ، وتفاخر بها دولتا قومه العرب الدول الغربية وأمم الحضارة كلها ، فيما تزعم من تفوقها في آداب دينها وحكمتها ، وعلومها وسياستها .

نعم إن قوم محمد وأمة محمد ﷺ لتفاخر بهذه المعاهدة السعودية اليمانية دول الأرض وأممها فتفخرهن وتفضلهن وتبذهن وتعلوهن علواً كبيراً ، فقد أراهنَّ إماما المسلمين من أخوة الإسلام وآدابه وأخلاقه وفضائله وفواضله ما أنطق أفصح صحفهن المتكلمة بألسنة أرقى شعوبهن ، وقائداً عسكرياً من أكبر قوادهن ، بهذا

الفضل الكبير لهداية الإسلام في أشد شعوبه اعتصاماً بحبله ، وأقوم من دوله بإقامة شرعه ، وأصدق ملوكه في تنفيذ حكمه ، من قوم نبيه ورسوله ، في مهد ظهوره ، ومشرق نوره ، على الدول المسيحية ، وشعوب المدنية ، على بعد التفاوت بين الفريقين (فريق المسلم العربي ،وفريق المدني الغربي ، وكذا الشرقي كاليابان والصين) في الوسائل المادية ، وفنون الحضارة ، وسعة الثروة ، وحقائق العلوم ، ودقائق الفلسفة .

رأي جريدة التيمس بل الأمةالإنكليزية في المعاهدة

عقدت جريدة التيمس فصلاً افتتاحياً بمناسبة عقد الصلح في بلاد العرب قالت فيه : « إن على إمام اليمن أن يشرح لأفراد أسرته الذين أكثروا من انتقاده ، ولرعاياه الذين تملكهم السخط والغضب الأسباب التي دعت إلى انكساره ، على أن الإمام كان سعيد الحظ من وجهة واحدة هي أن خصمه عقد معه صلحاً ينطوي على السخاء والكرم ، فلم يضم إلى ملكه بلاداً تستطيع اليمن أن تدعي فيها حقاً صحيحاً ، ولم يفرض عليه تعويضاً حربياً كما يفعل الغالب مع عدوه المغلوب ، وإنما قيده كما قيد نفسه بعهود تتضمن صداقة الجوار .

إن في معاهدة الصلح لمثلاً بل عدة أمثال ، تشهد بالتعقل والاعتدال ، أما ما تضمنته من رابطة الإخاء المشتركة بين جميع العرب ، وهي الرابطة التي ستكون من الآن فصاعداً هي العامل الوحيد في ضبط العلاقات بين المملكتين ، فعلى أعظم جانب من الأهمية وخطر الشأن ، فالوهابيون يعدون دائماً من الطوائف المتعصبة ، كما أن المعروف عن الزيود أنهم ليسوا أكثر منهم تسامحاً ، ولكن هذه الاختلافات الدينية لم تمنع الغالب والمغلوب من توقيع معاهدة صداقة إسلامية ترمي إلى تعزيز روابط الاتحاد وإعلاء هيبة الأمة العربية المستقلة وصيانة

كرامتها واستقلالها . والواقع أن مواد هذه المعاهدة تدل بصفة قاطعة على أن هـذه الكلمات لها أهمية أخرى تفوق أهميتها الرسمية .

بيـد أن هـذا التقـدم في سبيـل الـوحـدة العربيـة لا يمكن أن تهملـه الـدول الأوربية ، ولا سيا بريطانية ، التي عقدت أخيراً معاهدتها مع إمام اليمن .

وقـد نشرت معـاهـدة الصلـح في مكـة والقـاهرة ودمشـق وصنعــاء في وقت واحــد ؛ ولهــذا الأمر مغـزى يستحــق اهتمام المتطرفين من الصهيــونيين الــذين لا يستطيعون أو لا يريدون أن يدركوا أن فلسطين لا تزال بلاداً عربية تحيط بها أرض عربية .

وأما روح المعاهدة فيجدر برجـال السيـاسـةمن المسيحيين أن يقـارنوا بينهـا وبين معـاهـدات الصلح الأوربيـة الأخيرة » اهـ مـا لخصتـه البرقيـات من مقـالـة التيمس .

كلمة لجنرال انكليزي في عظمة الاتفاق الإسلامي العربي :

ونشرت الجرائـد المصريـة خلاصـة خطـاب (للجنرال هـاملتون) الانكليزي ألقاه في مأدبة أدبت له في سيلان (الهند) تكلم فيها عن الحرب في جزيرة العرب وما أطفئت به نـارهـا قبل أن يشتـد أوارهـا بـالصلح الشريف ، وأثنى بـه أحسن الثنـاء على الملكين في تسـامحهما وسرعـة تصــافيهما ، وكـون الغــالـب لم يجهـز على المغلوب ، بل لم يحاول إرهـاقـه ولا إضعـافـه ولا النيل من كرامتـه وشرف مكانتـه بأدنى انتقام يورثـه وقومـه حقـداً ، أو يحملهم ضغنـاً ، بل أمضيـا كلاهمـا اتفـاقـاً عسكرياً عادلاً نشراه على العـالم الإسلامي في صورة معـاهـدة وصـداقـة إسلاميـة عربيـة شريفـة بين أخوين متسـاويين في جميع الحقوق ، وثقت الروابـط الـوديـة القوية بين المملكتين ليقفا معاً متعاونين تجـاه كل عـدوان خـارجي يهـدد جزيرة العرب .

وشبه هذا الاتفاق الذي احتقر فيه الانتقام الشرس السيء العاقبة ـ بما فعل ولنجتون الانكليزي مع فرنسة في خاتمة حروب نابليون (نقول : ولكن بعدما كان من أشد الانتقام) وبما فعل كتشنر في الاتفاق مع البوير (نقول ولكن بعدما كان من التنكيل والتدمير) ثم قال الجنرال ما ترجمته : « إنني أقول هذا أيها السادة لأنني أرى الدول المسيحية في احتراب دائم ، ونضال هائل ، تجرد به حساماً ثقيلاً رهيباً ثم تعلقه بعد فتكه الذريع فوق رأس أوربة بخيط واه [كخيط العنكبوت] هذه حال الدول المسيحية الآن ، وهي من سوء الخطر بالقدر الذي تبصرون » .

هاتان شهادتان من شهادات كثيرة من مصدرين من أعلى مصادر انكلترة السياسية والعسكرية التي لم تكن تعترف للإسلام ولا للعرب ولا للشرق بفضل كبير مثل هذا لولا الدهشة والروعة التي فجأتها ، وإرادة التنبيه لما تعقبه هذه المعاهدة من حياة إسلامية عربية جديدة يجب أن تحسب لها أوربة كلها وانكلترة وصهيونيتها كل حساب .

فالحق الذي عرفته أوربة وعرفه العالم كله هذين الملكين العربيين ، والإمامين المسلمين ، قد ضربا للعالم ما يعبر عنه في لغة هذا العصر بالمثل الأعلى للأخلاق الإسلامية ، ولن تستطيع دول أوربة أن تقتدي بها فيها ، فالمسلمون بهداية الإسلام أرقى الأمم أخلاقاً وعدلاً وإنصافاً ، وإنما تنقصهم الفنون التي تنهض بعمران بلادهم وتجديد قوتهم في ظل هذين الإمامين العظيمين ، وبهذا يعترف العالم كله بفضل الإسلام وتوقف الكمال المدني على هدايته كما بيناه في كتاب الوحي المحمدي .

وخلاصته أن جميع ما بلغته تلك الشعوب من العلم والفلسفة والعقل والحكمة وفنون الحضارة ، وغرائب الصناعة لا يغنيها عن هداية الإسلام فيما هو أعلى منه من تزكية النفس البشرية ، وتطهيرها من أرجاس الرذائل الشيطانية ، كعبادة

الهوى والمال والشهوات والطمع والحسد والمكر والكذب والخداع ، والظلم والبغي والعدوان ، وتحليتها بأضدادها من الفضائل السامية بالايمان بالقرآن ، واتباع ملة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام .

وقد وقع التنازع بين دولتين نصرانيتين أمريكيتين مدنيتين (هما بوليفيا وباراغواي) على بقعة من الأرض لا تساوي وادياً من أودية جبل عسير الخصبة ، ولا جبلاً من جباله المنيعة ، فاستحرَّ القتال بينهما منذ سنتين ، وعجزت جميع الدول والأمم المشاركة لهما في الدين وغيره عن الاصلاح بينهما ، ووقعت قبل ذلك أرقى دول أوربة في الحرب الكبرى ، وجذبوا إليها دولة أمريكة العظمى ،وكثيراً من الدول الصغرى ، فكان من سفك الدماء ، وتقويض دعائم العمران ، بمنتهى ما وصل إليه العلم والفنون المادية من وسائل التخريب والتدمير ، مالم يعهد له التاريخ نظيراً ، ولا خطر على قلب بشر أن يحدث مثله ، حتى إذا عجز أحد الفريقين المتقاتلين عن استمرار الحرب ، وجنح إلى ما دعا إليه أقربهم إلى الإنسانية وفضيلة الدين المسيحي من السلم ، وهو الدكتور (ولسن) مصدقاً ما وضعه من شرائط الصلح ، وألقى هذا الفريق سلاحه ، قلب له هذا الفريق المنتصر ظهر المجن ، وأكرهوه على إمضاء شر معاهدة وضعها الغالب لإرهاق المغلوب وإذلاله ، كانت سبباً لما تشكو شعوب أوربة كلها من سوء عاقبته ، وهي ما نهى عنه الله تعالى بقوله : ﴿ ولا تتخذوا أيمانكم دخلاً بينكم ﴾ الخ .

الاصلاح الديني والسياسي في المعاهدة :

لقد جاء الإسلام بكل ما يحتاج إليه البشر من الإصلاح الديني والدنيوي ولولا ما نفث فيه من سموم الشقاق السياسي الذي فرق الكلمة وشق العصا لساد العالم كله ، مغربه وشماله بعد شرقه وجنوبه ، وقد وضع في هذه المعاهدة كلمتان خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان في الميزان لو رصعتا باللؤلؤ والمرجان ، في لوح من خالص العقيان ، لما وفى بقيمتها ، وما يجب من حق قدرها ، هما : الأخوة

الإسلامية ، والصداقة العربية ، فإن وضعها في معاهدة سياسية رسمية وقعها الملكان العربيان ، والإمامان الدينيان للفرقتين العظيمتين أهل السنة والجماعة من جهة ، والشيعة المعتدلة من الجهة الثانية ـ لهو أكبر رجاء وخير أملاً من كل ما كتب حكماء المسلمين المصلحين في الدعوة إلى جمع كلمة المسلمين والتأليف بينهم وإعادة مجد الإسلام وهدايته من المقالات والرسائل المتفرقة في الرسائل الخاصة والصحف العامة منذ خمسين سنة ، وأجمعها من بثثناه في مجلدات المنار من أولها إلى هذا وهو الرابع والثلاثون منها ، وقد نشرت في سبع وثلاثين سنة .

وإنه لهو أكبر رجاء وخير أملاً (أيضاً) من كل ما كتب المشتغلون بالسياسة العربية والمؤلفون لجمعياتها السياسية من الدعوة إلى وحدة هذه الأمة وإحياء حضارتها ، وتجديد مجدها ، وإعادة استقلالها ، ومن أحكمها جمعية الجامعة العربية التي كان صاحب المنار يراسل باسمها ثم باسمه هذين الإمامين وغيرهما بالدعوة إلى الحلف والاتفاق منذ سنة ١٣٣٠ إلى هذه السنة التي وصل فيها الخوف من الخيبة إلى أقصى حده ، ولم يلبث أن زال وحل محله الرجاء بفضل الله وحمده ، وإنما كان ما فعله الإمامان أكبر من كل ما ذكر لأنه تنفيذ عملي له .

إن جريدة التيمس قد صرحت بذكر ما كان يعد أكبر مانع من هذا الاتفاق من حيث غفل عنه أو جهله أكثر محرري الجرائد العربية ،وهو التعصب الديني المذهبي الذي اشتهر به أهل نجد وسكان جبال اليمن فإن الاخصائيين من كتاب الانكليز في الأمور الإسلامية يعلمون من التعصب بين السنيين والشيعة في العراق والهند ما لا يعلمه أحد في مصر التي لا يخطر لأهلها التعصب الديني ببال .

وأما صاحب المنار فقد درس هذا من جميع أنحائه ، وأحاط بما في مطاويه وأحنائه ، وطالما دعا إلى تقويم أوده ، وسعى لعلاج أدوائه ، وكان من تمهيده الخفي لهذا الاتفاق الإسلامي الجلي ما تراه في الرسالة الثالثة من رسائل كتاب

(الهدية السنية ، والتحفة الوهابية النجدية) من رأي علماء الوهابية الأعلام في الزيدية والشيعة ، وماعلقته عليه ، وهو ما قاله العلامة الشيخ عبد الله ابن الإمام المجدد الشيخ محمد عبد الوهاب في مكة المكرمة مبيناً لأهلها خطتهم ورأيهم في المذاهب وهو :

« ونحن أيضاً في الفروع على مذهب الإمام أحمد بن حنبل ، ولا ننكر على من قلد أحد الأئمة الأربعة دون غيرهم لعدم ضبط مذاهب الغير كالرافضة والزيدية والإمامية[1] ونحوهم ، لا نقرهم ظاهراً على شيء من مذاهبهم الفاسدة[2] بل نجبرهم على تقليد أحد الأئمة الأربعة » اهـ (ص ٤٤ طبعة أولى) .

وظاهر هذه العبارة أنهم لا يأذنون لأصحاب هذه المذاهب بالإقامة في الحجاز إلا إذا تركوها واتبعوا أحد مذاهب أهل السنة ، وهذا من أشد التعصب الذي كانوا يوصفون به وهو يزيد الشقاق بين المسلمين فالتمست لها تخريجاً مهدت به

(١) إن كلمة الرافضة التي وضعت لغلاة الشيعة تشمل الباطنية وآخرين دون الزيدية ومعتدلي الإمامية . والظاهر أن صاحب هذه الرسالة ووالده لم يطلعوا على كتب الزيدية في الفقه ، ولو اطلعوا عليها لعلموا أن فقههم مدون ، وكذلك الإمامية ، وإن الفرق بينه وبين فقه الأربعة قليل قلما قال أحد مجتهديه قولاً انفرد به وخالف الاجماع قبله . وكيف وهم يحتجون بالاجماع وبعمل السلف ؟ وكذا بأحاديث دواوين السنة المشهورة كالكتب الستة . وقد كان مشايخنا يقولون كما قال مشايخ نجد : ان سبب حصر التقليد في فقه الأربعة دون سائر مجتهدي الأمة هو تدوين مذاهبهم دون غيرها . وهذا غلط سببه عدم الاطلاع .

وعلقت على الثانية بما نصه :

(٢) أي لا نقر ـ بصفتنا حكام البلاد ـ أصحاب المذاهب غير المضبوطة أن يظهروا شيئاً من مذاهبهم الفاسدة بالاجماع كأقوال الباطنية بأن لأحكام العبادات معاني غير الظاهر الذي عليه العمل وبوجود إمام معصوم في كل عصر يجب اتباعه في كل ما يقول ، وكسبّ غلاة الرافضة للشيخين (رض) وبراءة الخوارج من الصهرين (رض) ومقابل قوله « ظاهراً » أنهم لا يحاسبون أحداً على ما يخفيه من أمثال هذه المسائل اهـ .

للاتفاق بأن علقت على كلمته الأولى في حاشيتها بما نصه :

وكنت جريئاً أيّ جريء في هذا التعليق وفي حواش أخرى من مطبوعات جلالته للمصلحة الإسلامية وأنا أعلم أنني لا أسلم من سخط علي قد يتبعه ضرر ، وقد حصل ، وقد ظهر الآن صحة قولي وسداده في هذه القضية وسيظهر غيره في غيرها ، ولكل أجل كتاب ، على أن علماء نجد لم ينكروا عليَّ هذه التعليقة .

وقد نشرنا ستة عشر ألف نسخة من هذا الكتاب مجاناً في الأقطار ، فكان بعد نشره وإقرار علماء نجد له من تعصب بعض علماء الشيعة في سورية والعراق أن ألفوا الكتب والرسائل في تجديد الخصام ، ومنها سفر كبير حاول ملفقه وهو من سادة علماء جبل عامل وسكان الشام ، إخراج الوهابية من حظيرة الإسلام ، ثم كان ما أظهرته الشيعة في مؤتمر النجف طعناً فيهم ، وتكفيراً لهم ، وتحريضاً عليهم ، ثم ما حدث بعد ذلك في العراق من التنازع الوطني بين أهل المذهبين ما كاد يفضي إلى حرب أهلية لولا الثورة الآشورية كما قال لنا الملك فيصل رحمه الله تعالى .

لقد كان هذا الشقاق من أول عهده شر الدواهي والمصائب التي أضعفت الإسلام ديناً ودولة ، ومنها أنه كان من أقوى الوسائل لاخضاع الانكليز لممالك الإسلام في الهند ، حتى إنهم كانوا يلقبون بعض جيوشهم بألقاب سنية ، وبعضها بألقاب شيعيةجعفرية ، وكانوا يرجون أن ينالوا مآربهم من جزيرة العرب بمثل ذلك الشقاق بين اليمن ونجد ، فخيب هذا الاتفاق أملهم ، وراعهم منه ما راعهم من اتفاق شاهي الترك وإيران ، وما يقال (ويا ليته يصح) من إحتمال إشراك العراق فيه والأفغان ، ولولا سبق إمامي جزيرة العرب إلى هذا الاتفاق ، لقيل إن الجامع بين الشاهين إنما هو نبذهما لعقائد الإسلام ، لأنه هو المفرق بزعمهم ، والحق أنه دين التوحيد والتأليف ،وإنما فرقت بين أهله السياسة ، فقد كان سببه

التنازع في الإمامة فرق طوائف الشيعة الباطنية من الإسلام ، ووقف الاثني عشرية بها عند المهدي المنتظر ، قل فانتظروا انا منتظرون ، ولنتفق الآن فخير للإسلام أن يظهر ونحن متفقون ، على أن يكون كل أحد حراً في مذهبه ولا يتعرض لمذهب غيره بما يسوءه وينفره ويشعره بأنه عدو له ، من قول أو فعل ، كتقسيمهم إلى أقلية وأكثرية ، وطلب جعل أعمال الدولة مذهبية .

كان الترك يقاتلون إمام اليمن كما قاتلوا الفرس من قبله لاختلاف المذهب في الظاهر ، وللمطمع السياسي في الباطن ، ولما حل الملك السعودي في الحجاز محلهم كان أول شيء سعى هو الاتفاق مع الإمام الزيدي وعقد الحلف معه ، وما زال يخطب وده ويطلب عهده بوسائل الرسائل وإرسال الوفود حتى تم له ذلك في هذا العام ، فمن عاد بعد اليوم إلى إثارة النزاع والخصام ، فهو عدو الله ورسوله ودينه الإسلام ، فينتقم اللهمنه والله عزيز ذو انتقام ، لأنه إنما يبغي منفعة نفسه ، والجر لقرصه ، وإن كان فيه الشقاء لأهل دينه وجنسه .

التمهيد بالمعاهدة للوحدة العربية :

لقد وضع بهذه المعاهدة أساس الوحدة العربية التي ينشدها العرب في كل مكان ، ولم يبق لاكمالها من هذا الجانب الدولي إلا إتمام ما بدأ به الملك فيصل (رحمه الله تعالى) من الاتفاق مع الدولة العربية السعودية ، وما نظن بجلالة نجله ووارث سياسته الملك غازي ورجال دولته من رجال الدعوة العربية وثورتها إلا أنهم متممون له ، وإنا نكتفي من هذه المسألة الآن بنقل برقيتي التهنئة بين الملك غازي والملك عبد العزيز أعزهما الله تعالى .

(البرقية الأولى)

جلالة الأخ الملك عبد العزيز آل سعود

لقد استبشرنا كثيراً بمعاهدة الصداقة الإسلامية والأخوة العربية بين جلالتكم

وجلالة الإمام يحيى ، والتي نرجو أن تكون خطوة جديدة لتوثيق الأخوة والاتحاد بين الأقطار العربية الشقيقة . وفقكم الله لما فيه خير الأمة العربية .

(غازي)

(البرقية الثانية)

جلالة الأخ الملك غازي

نشكر جلالتكم على ما تفضلتم به من السرور والاستبشار بمناسبة معاهدة الصداقة الإسلامية والأخوة العربية التي عقدت بيننا وبين أخي الجميع الملك الإمام يحيى . وإن الأخوة الإسلامية والعربية التي حققتها تلك المعاهدة بيننا وبين أخينا الإمام يحيى هي التي سعينا ونسعى إليها على الدوام مع العرب جميعاً ، لجمع كلمة العرب والتآخي بينهم لما فيه صلاح لهم في دينهم وعزّ لهم في دنياهم ، وستروني على الدوام إن شاء الله عاملاً على كل ما يجمع الله به شمل المسلمين عامة والعرب خاصة ، وثقتي بالله ثم بجلالتكم وبسائر رؤساء العرب أن تتكاتف جهودنا لجمع كلمتنا لما فيه حفظ كياننا وسلامة أوطاننا وعز شعبنا العربي . ونسأل الله أن يوفقنا جميعاً للعمل لما فيه حياة الأمة الإسلامية وتوطيد الأخوة العربية .

(عبد العزيز)



الملحق

٦٧

وفد الصلح والسلام

إننا وقد وفينا حادث الحرب والسلم في جزيرة العرب حقه ، وبينا مالنا فيه من موعظة وعبرة ، وشكرنا لكل من الإمامين عبد العزيز ويحيى فضله ، فلا يفوتنا أن نختم حديثه بشكر وفد السلام ، وجهاده في سبيل الله بخدمة العرب والإسلام ، فهو الذي انتدب لهذه الخدمة بالفعل من غير دعوى ولا إعلان في الصحف ، ولا تبجح بنشر المقالات وإلقاء الخطب ، ولا دعوة إلى جمع المال كما فعل الذين يقولون ما لا يفعلون ، ويسرون غير ما يعلنون ، بل قال وفعل ، وجاهد بماله ونفسه ولم يطلب مساعدة أحد .

أول من دعا إلى هذا زعيم فلسطين الأكبر ومفتيها ورئيس مجلسها الإسلامي الأعلى ، ومؤسس المؤتمر الإسلامي العام فيها : السيد محمد أمين الحسيني ، دعا نفراً من أشهر رجالات الأقطار العربية الإسلامية ذات الجوار والصلة بجزيرة العرب : سورية والعراق ومصر ، فاستجاب له من سورية زعيمها السياسي الأكبر هاشم بك الأتاسي رئيس الكتلة الوطنية الممثلة لسورية كلها ، واعتذر زعيم العراق الأكبر ياسين باشا الهاشمي بمرض عرض له .

واستجاب له من مصر محمد علي باشا علوبة من وزرائها ونوابها السابقين ، ووكيل المؤتمر الإسلامي العام ، وهو الذي سبق جميع الزعماء المصريين إلى العناية بأمر المؤتمر الإسلامي ، وسافر مع رئيسه إلى الأقطار الإسلامية لجمع الإعانات له ، وعني بخدمة المسألة العربية العامة عناية خاصة .

واستجاب له من أوربة أكبر كتاب الأمة العربية وأمير البيان فيها ، الداعي إلى وحدتها ، المحامي عن حقيقتها ، المدافع عن ملتها ، ورئيس الوفد السوري الفلسطيني في جنيف مثابة سياسة الأمم كلها ، الأمير شكيب أرسلان ، ووافى إخوانه الثلاثة طائراً من أوربة إلى مصر ، على مافي طيرانه من زيادة النفقة في هذه العسرة المرهقة ، وعلى ماقاساه من عنت الحكومة المصرية وإرهاقها إياه العسر السياسي ، الذي هو أشد على الأحرار من العسر المالي ، في مروره بأرضها من الاسكندرية إلى السويس ، وقد رأيت هذا العنت بعيني ، وذقت مرارته بنفسي ، إذ سافرت من القاهرة إلى بنها للقائه فيها والذهاب معه إلى السويس ، فلم يأذن لنا الجلاوزة المسيطرون عليه من قبل حكومتنا المصرية ـ وهم من الإنكليز ـ بسلام ولا كلام ، ثم كان المصريون منهم أشد من هؤلاء الإنكليز وطأة في القطار بعد القطار ثم في السويس ، ولم نر أحداً فهم لهذا العنت معنى .

ركبت أنا ومحمد علي باشا علوبة في قطار بورسعيد والسويس الذي يخرج من محطة مصر في نهاية الساعة السادسة مساء ، وهو يلتقي في محطة بنها بالقطار الجائي من الاسكندرية إلى مصر ، وهنالك نزل الأمير شكيب من قطار الاسكندرية وركب هو والجلاوزة المحافظون عليه في قطارنا ، وأدخلوه في المخدع المجاور لنا ، وأردت أن أسلم عليه وهو يعلم أنه ممنوع من السلام عليَّ وعلى غيري فحالوا بيننا .

ولما نزلنا في الإسماعيلية ونزل فيها السيد أمين الحسيني وهاشم بك الأتاسي القادمين من فلسطين وانتقلنا جميعاً إلى القطار الذي يحملنا إلى السويس فرق جلاوزة الأمن المصريون بين الأمير شكيب والجائين من فلسطين والجائين من مصر جميعاً فلم يسمحوا لأحد منهم في المحطة ولا في القطار أن يكلم الفريق الآخر ولا أن يسلم عليه ، فكان هذا الحجر أبعد عن العقل والفهم والشرع والعرف والقوانين من كل ما سبقه ، إلا ما يكون من الحجر الصحي في أوقات الأوبئة

والعسكري في وقت الحرب ، وإنما يكون الأول لوقاية الأصحاء من المصابين بالوباء ، والثاني لحماية الوطن وأهله من فتك الأعداء ، وكلنا أصحاء أصدقاء ولله الحمد ، جنسنا واحد ، وديننا واحد ، وحكومتنا المصرية موادة لحكومتي فلسطين وسورية ، والدولتين المسيطرتين عليهما ، ولأجلها تحجر على الأمير شكيب وتعنته ، ولا نعرف لنا وللآخرين ذنباً .

بيد أننا لما وصلنا إلى السويس نزلنا كلنا في فندق واحد فارتفع الحجر عن كل منا إلا الأمير شكيب فإن الحكومة أمرت بنقله إلى فندق آخر ، حالت فيه بينه وبين كل أحد منا ومن غيرنا ، إلا السيد محمد أمين الحسيني فقد أذنوا له أن يكلمه في مسألة السفر بأول باخرة أو بطيارة ، **ولما اجتمعا اتفقا على الإلحاح علي بالسفر مع الوفد ، فأدليت بما لديّ من الموانع المالية وغيرها فقبلوا عذري ، وكاشفتهم بما عندي من رأي ورواية في موضوع الحرب والصلح ، وحملتهم كتباً إلى جلالة ملك العرب السعودي وبعض رجال بطانته أظهرت فيه ما بيني وبينهم من التكافل والثقة بهم ، وعذري في التخلف عنهم ، وكان ذلك في ٢٧ ذي الحجة سنة ١٣٥٢ هـ .**

سافروا باسم الله إلى الحجاز فكان لهم عند جلالة الملك ما يليق بمكانتهم الشخصية والقومية ، وبسفارة وفدهم الإسلامية العربية ، من حسن الضيافة وكرم الوفادة ، وقلما اجتمع في مجلسه وفد كوفدهم في سعة معارفهم ، ودقة خبرتهم ، وصفاء نيتهم ، واتفاق رأيهم ، وحسن بيانهم ، فبسطوا له خلاصة ما يعلمونه من آراء العالم الإسلامي والشعور العربي في بلادهم وغيرها في مسألة الجزيرة العربية المقدسة ، وما يخشونه من المطامع الأجنبية ، وما وقفوا عليه في بيئاتهم الأربع من دسائسها ومطامعها ، وطالت المحاورات والمسامرات بينه وبينهم فيها ، فسر بما وقف عليه من معارفهم وحسن بيانهم وشدة غيرتهم ، وأعجبوا بما وقفوا عليه من استقلال عقله ، وبعد رأيه ، وحسن نيته ، وكمال صراحته ، وحزمه

وشجاعته ، وعدم مبالاته بدسائس المفسدين ، وسعاية المفسدين المحالين .

وكان من توفيق الله أن نجحت المفاوضات البرقية المتصلة بين جلالته وجلالة الملك الإمام يحي حميد الدين بما يوافق رأيهم ، فقبل الثاني ما اقترحه الأول لإعلان الهدنة ووقف رحى الحرب ، ووضع معاهدة الصلح ، وتلاه إرسال مندوبه الزعيم الكبير ، والسياسي النحرير ، الأستاذ العلامة السيد عبد الله بن الوزير ، مفوضاً من مقام الإمامة المتوكلية بذلك ، فوجد الوفد الإسلامي من معارف سيادته ، ودقة سياسته ، وصفاء طويته ، وصدق صراحته ، ما كان موضع العجب والإعجاب ، والثقة بما يرجون ويرجو العالم الإسلامي والعربي من الاتفاق والاتحاد .

ولما وضعت المعاهدة الإسلامية العربية العظمية الشأن بالاتفاق السري العلني من الجانبين ، التي كانت موضع إعجاب أهل الخافقين ، وحضر أعضاء الوفد توقيعها في الحجاز ، ودّعوا جلالة الملك الإمام عبد العزيز ، وسافروا مع مندوب جلالة الملك الإمام يحي حميد الدين إلى صنعاء اليمن ليشهدوا توقيعها فيها ، ثم يحضروا مبادي تنفيذها . وقد اعتذر محمد علي علوبة باشا العضو المصري عن السفر مع إخوانه إلى اليمن لكثرة ما ينتظره من الشواغل في مصر وقد تم الصلح ولله الحمد ، وحملهم كتاباً إلى جلالة الإمام يعتذر به عما كان يرجوه من الشرف بالمثول في حضرته .

سافر الوفد من جدة إلى الحديدة فاستقبلها فيها صاحب السمو الملكي الأمير فيصل السعودي بالحفاوة والتكريم ، وكان أبهج ما سرهم فيها ما رأوه من حسن التلاقي بين سموه وسيادة عبد الله بن الوزير ، فقد كان كتلاقي أخوين شقيقين طال عليهما البعاد ، فطفقا يطفئان لوعته بالتقبيل والعناق ، ثم ما رأوه من جيوش كل من الإمامين عند الحدود بين منطقة تهامة المحتلة من قبل الدولة

السعودية ، ومنطقة الجبال التي ترابط بها الجيوش المتوكلية ، وكيف كان تلاقي جماعتها تلاقي الأخوان ، ثم ما هو أعلى من ذلك وهو لقاء جلالة الإمام الهمام ، وحفاوته بضيوفه الكرام ، وما سمعوه بآذانهم من ثنائه على أخيه الإمام الملك عبد العزيز كما كان هذا يثني عليه ، ويشهد كل منهما للآخر بحسن النية ، ثم ما شاهدوه في الحديدة من تنفيذ المعاهدة بجلاء الجيوش السعودية عنها ، وتبادل تسليم الرايات وتسلمها فيها ، بما عليه اتفقا من التكريم والتعظيم العسكري والود الأخوي .

ثم سافروا من الحديدة إلى مصوع وسافر منها إلى السويس السيد أمين الحسيني وهاشم بك الأتاسي فوصلا إليها في السابع من هذا الشهر الميمون (ربيع الأول) واستقبلناهما فيها مع جماهير المستقبلين مهنئين داعين ، وتخلف الأمير شكيب ليسافر منها إلى أوربة .

كنا قد وقفنا على أطوار الحرب والصلح من أنبائها الرسمية وغير الرسمية العامة منها والخاصة بنا ، وبقي علينا أن نعلم من الوفد ما كان للصلح والمعاهدة من التأثير النفسي في قلوب الفريقين ، مما لا يعلم إلا من رؤية الوجوه المستبشرة أو الباسرة ، ومن سماع جرس الأصوات في الحديث والتفرقة بين نغماتها السارة ، والقارة والحارة ، ولا يعلم هذا وذاك إلا ممن رأى بعينيه ، وسمع بأذنيه ، وشعر بقلبه ، وأخبرنا بما روينا عنه .

هذا وإنه قد بلغنا قبل إصدار هذا الجزء أن جلالة الملك عبد العزيز وجلالة الإمام يحيى قد أبرقا إلى جلالة ملك الإنكليز يرجوانه بأن يوصي حكومته بالأذن للأمير شكيب بدخول فلسطين للقاء والدته الجليلة فيها إذ طالت غيبته عنها ، فتقبل شفاعتهما فيه ، وأبرق إليه المندوب السامي من فلسطين بالإذن له بذلك فنهنئه ونهنئ السيدة الفاضلة بهذا اللقاء الميمون ، فبارك الله لهما وعليهما .

☆ ☆ ☆

الملحق

٦٨

كتاب الإمام ، ورأيه في تفسير المنار

وفي مؤلفات صاحبه عامة وكتاب المنار والأزهر خاصة

بسم الله الرحمن الرحيم

من أمير المؤمنين ، المتوكل على الله رب العالمين ، يحيي بن محمد حميد الدين

حضرة العلامة الهمام ، والأستاذ الفاضل عز الإسلام ، السيد محمد رشيد رضا الحسيني ، مد الله عمره في طاعته ، وأدام حميد سعيه وإفادته ، وشريف السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، **تناولنا كتابكم المؤرخ ١١ رمضان الكريم** ، وقد وصل ما أرسلتموه من أجزاءتفسيركم الكبير ، وذلك أحد عشر جزءاً وشكرنا اهتمامكم بإرسالها ، وهو تفسير حري بكل اعتبار وتقدير ، وما نظرنا مؤلفاتكم إلا بعين الاكبار والاستحسان ، لما تحويه من جليل المقاصد ، وجزيل الفوائد ، وتشبعها بروح الانصاف ، وصبها في قالب ذلك النفس النفيس المعبر عن المقصود بغير تكلف ، والقيام من نصرة الإسلام بما يشفي الغليل بلا تكلف ولا تعسف ، ووصل أيضاً (المنار والأزهر) وساءنا بلوغ الأمر إلى تلك العبارات في وقت يجب أن نكون فيه جنباً إلى جنب لنصرة الإسلام ، فتداركوا الأمر بكل ممكن من الحكمة عافاكم الله تعالى .

وإنا نحثكم على إكمال التفسير المبارك ، فإكماله ينبغي أن يكون من أجل ما يتوجه إليه اهتمامكم وعنايتكم ، والمثوبة على ذلك من الله جزيله ، ومنفعة المسلمين به جليلة ، ونسأل الله تيسير ما أشرتم إليه من أسباب الكمال في إدارة البريد وسواها ،وقد أمرنا الولد عبد الله الوزير عافاه الله بإيصال مائة جنيه

بواسطة بعض المصارف بعد الوقوف على إمكان وصولها بهذه الطريقة ، ولعل هذه السطور لا تصل إليكم إلا بعد وصولها .

وتفضلوا بإرسال أحسن المصنفات في الرد على شبه النصارى الحديثة التي ينسبونها إلى الإسلام ، والدعاء مستمد ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وحرر **في ٢ شوال سنة ١٣٥٣ .**

جواب المنار ، بعد جواب صاحبه الخاص

هذا نص كتاب جلالة الإمام ، أيد الله بعلمه وحكمه العرب والإسلام ، فأما مجموعة تفسير المنار فقد أرسلت إلى مقامه العالي بأمره ، وكان قد وصل إليه بعضها متفرقاً ، وسنقر عين مقام الإمام بزيادة العناية بإكمال التفسير المطول ، وبما شرعنا فيه من كتابة التفسير المختصر المفيد .

وأما كتاب (المنار والأزهر) فقد أرسلناه معها لأنه صدر في وقت شحنها وما ساء مولانا الإمام من بلوغ الأمر في مسألة شيخ الأزهر إلى الحد الذي أشار إليه ، جدير بأن يسوء كل مسلم فكيف بمثله في مقام إمامة العلم والحكم والغيرة على الإسلام ومصالحه ، وقد بذل هذا العبد الضعيف كل وسعه في تدارك الخطب قبل تفاقمه ، وعجز مثله عن درء مفاسده ، بتكرار النصيحة للأستاذ الأكبر الشيخ محمد الظواهري ، امتثالاً للأمر النبوي المطاع « الدين النصيحة » الخ ، وبمواتاة العلامة الشيخ عبد المجيد سليم مفتي الديار المصرية في سعيه الحميد إلى الصلح ، فحال اختلاف الظواهر والبواطن من الشيخ دون نجاح السعي .

ثم أرجأت إصدار (كتاب المنار والأزهر) أكثر من سنة ونصف لعله يتذكر أو يخشى ، ويكفينا أمره بما هو أليق بمنصبه وأولى ، فكان ما جناه عليه اجتهاده أن أسخط جماعة الأزهر والمعاهد الدينية كافة من سيرته ، وصار علماؤهم وطلابهم كلهم إلبا عليه ، يشكون منه ويهتفون بإسقاطه في أزهرهم ومعاهدهم ، ويطعنون

عليه في الجرائد والمساجد والشوارع ، وتظاهرهم عليه سائر طبقات الأمة خاصيها وعاميها حتى أعيا الحكومة تدارك أمره معهم ، وكان المخرج له من ذلك استقالته من رياسته عليهم ، ولكنه ما زال يرجح جميع ضروب الإهانة ، على ما هو دونها من ذل الاستقالة ، ولو كان أمر عزله منوطاً بالحكومة وحدها لعزلته ، وأراحت نفسها والأمة منه ، فرئيسها ووزير الأوقاف فيها أعلم الناس بمساويه ولا سيما الرسمي منها ، وقد أظهر التحقيق عليه بعض ما يجهله الجمهور منها ، وقد كانت نازلته من النوازل المحلية ، فصارت من الفتن العامة الإسلامية ، فنسأل الله عز وجل أن يقي العلماء وسائر المسلمين شرها ويجزي من تولى كبرها ، بقدرته القاهرة وحكمته البالغة في الظالمين ورحمته الخاصة بالمتقين المحسنين . آمين .



فهارس المنار واليمن(☆)

١ ـ فهرس الأعلام .

٢ ـ فهرس الأماكن .

٣ ـ فهرس الأمم والأقوام والشعوب والجماعات .

٤ ـ فهرس الموضوعات .

(☆) اقتصرنا في وضع الفهارس الثلاثة الأولى ـ الأعلام ، الأماكن ، الأمم ...ـ على أصل الكتاب وحده دون ملاحقه .

أما فهرس الموضوعات فقد جعلناه لعامة الكتاب ـ الأصل وملاحقه ـ.

الأعلام

-ن-

☆ ☆ ☆

- هـ -

☆ ☆ ☆

-و-

☆ ☆ ☆

-ي-

☆ ☆ ☆

الأماكن

☆ ☆ ☆

-خ-

☆ ☆ ☆

-د-

☆ ☆ ☆

-ر-

☆ ☆ ☆

-ز-

☆ ☆ ☆

-س-

☆ ☆ ☆

- ش -

☆ ☆ ☆

- ص -

☆ ☆ ☆

- ض -

☆ ☆ ☆

- ط -

☆ ☆ ☆

- ع -

☆ ☆ ☆

الأمم والأقوام والشعوب والقبائل والأرهاط

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة
٥ ـ تقريظ المنار لكتابي شرح الأزهار لابن مفتاح وسبل السلام للعلامة ابن الأمير	١٢٣
سبل السلام لابن الأمير	١٢٥
٦ ـ مجادلات المنار في جرح وهب بن منبه	١٢٨
5	١٣١
المنـــــار ومملكــــة الإمــــام يحيي، السنــوات العشر الأخيرة (١٣٤٤ـ١٣٥٤هـ/ ١٩٢٤ـ١٩٣٥م)	١٣١
١ ـ منشور للإمام يحيي (عام ١٣٤١ هـ/١٩٢٣م)	١٣٤
محاولة التودد مع البريطانيين	١٣٧
٢ ـ تجاهل المنار لمساعي التحالف الحجازي اليمني	١٤٠
٣ ـ دعوة الإمام يحيي إلى مؤتمر الحجاز	١٤١
٤ ـ المنار والمعاهدة الإيطالية	١٤٥
٥ ـ الإمام يحيي بين إعلان الحماية السعودية على عسير وهجوم المنار عليه	١٤٨
٦ ـ رأي صاحب المنار في موضوع الخلاف والدعوة للاتحاد	١٥٣
٧ ـ صاحب المنار وعلاقته بابن سعود	١٥٩
٨ ـ هجوم المنار على دعاة الشقاق من الأعاجم والهنود	١٦٦
٩ ـ تكذيب لجريدة الإيمان حول العلاقة اليمنية الإيطالية	١٦٨
١٠ ـ وفاة السيد محمد بن عقيل وخلاف صاحب المنار معه .	١٧٠
١١ ـ المنار ينعى الأمير محمد البدر وصاحبه يعزي الإمام يحيي بابنه	١٧٤
١٢ ـ عود على بدء ، النار وإرهاصات الحرب	١٧٦
١٣ ـ مابين الإمامين في جزيرة العرب ، سلبية يحيي وإيجابية ابن سعود	١٧٩
١٤ ـ جريدة الإيمان : ويل لكل أفاك أثيم	١٨١
١٥ ـ أم القرى : بين الرياض وصنعاء	١٨٣
١٦ ـ تعليق النار وتوقع الحرب	١٨٥

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة
الملحق ١٣	٢٧٢
الفتنة في اليمن	٢٧٢
الملحق ١٤	٢٧٤
مسألة اليمن واتفاق الحكومة مع الإمام	٢٧٤
الملحق ١٥	٢٧٧
الخطر الأكبر على بلاد العرب والرأي في تلافيه .	٢٧٧
الملحق ١٦	٢٨٠
الدولة العلية واليمن .	٢٨٠
الملحق ١٧	٢٨٤
الصلح بين الدولة والإمام	٢٨٤
الملحق ١٨	٣٠٤
حديث في صلح اليمن لضابط عثماني كبير.	٣٠٤
الملحق ١٩	٣١١
حال اليمن على عهد السلطان محمود الثاني .	٣١١
الملحق ٢٠	٣١٣
اللغة العربية :	
من هم الأصليون في الجزيرة العربية القحطانيون أم العاديون .	٣١٣
تجريح ماقاله نولدكه .	٣١٩
الملحق ٢١	٣٣٠
كتاب سياسي للعبرة والتاريخ .	٣٣٠

الموضوع	الصفحة
الملحق ٢٢	٣٤١
اقتران صاحب المنار.	٣٤١
السيد الهمام آل رضا.	٣٤١
الملحق ٢٣	٣٤٢
السيد الإدريسي والحكومة العثمانية.	٣٤٢
الملحق ٢٤	٣٥١
الإرادة السلطانية بشأن الإصلاح في البلاد العربية.	٣٥١
الملحق ٢٥	٣٥٣
تركيا في بلاد العرب.	٣٥٣
الملحق ٢٦	٣٥٩
صفات البارئ تعالى، تحقيق الحق في مذاهب السلف واختلاف الخلف فيها، فتوى للإمام الشوكاني رحمه الله تعالى.	٣٥٩
الملحق ٢٧	٣٧٤
أشهر أئمة الإصلاح وكتبهم النافعة.	٣٧٤
الملحق ٢٨	٣٧٦
تحقيق الإمام الشوكاني في مسألة القياس.	٣٧٦
الاستدلال على القياس بالحديث والإجماع.	٣٧٩
الملحق ٢٩	٣٨٥
وصف بلاد العرب الجنوبية التي يسميها اليونان العربية السعيدة.	٣٨٥
الدولة المعينية	٣٨٦
الدولة السبئية	٣٨٧
حضارة اليمن القديم	٣٨٨

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة
الملحق ٤٣	٤٧١
نص المعاهدة الإيطالية اليانية.	٤٧١
الملحق ٤٤	٤٧٣
إتفاقية مكة المكرمة	
بين ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها وبين السيد الحسن بن علي الإدريسي.	٤٧٣
الملحق ٤٥	٤٧٦
فاتحة المجلد الثامن والعشرين.	
وفيها بيان علاقتنا بالإمام عبد العزيز ملك الحجاز وسلطان نجد	٤٧٦
الوهابية ودعوة المنار إلى مذهب السلف.	٤٧٧
علاقتنا بصاحب نجد وسببها	٤٧٨
الملحق ٤٦	٤٨٥
أنباء العالم الإسلامي	٤٨٥
الملحق ٤٧	٤٨٦
محاضرة مستر كراين ـ ١ ـ	
عن جزيرة العرب أو الحجاز واليمن في جمعية الرابطة الشرقية.	٤٨٦
الملحق ٤٨	٤٩٥
محاضرة مستر كراين ـ ٢ ـ	
عن جزيرة العرب أو الحجاز واليمن في جمعية الرابطة الشرقية.	٤٩٥
مدينة سواكن	٤٩٥
الكلام على اليمن	
من الحديدة إلى صنعاء	٤٩٦
الضرائب	٥٠٠

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

جريدة
بأهم المصادر والمراجع

إبش (د . يوسف)
- رحلات الإمام محمد رشيد رضا (بيروت ١٩٧١)
(المؤسسة العربية للدراسة والنشر ط ٢ / ١٩٧٩ م) .
الحبشي (عبد الله محمد)
- مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن
(مركز الدراسات والبحوث اليمني - صنعاء / ١٩٧٨ م) .
(ابن) حجر العسقلاني (أحمد بن علي)
- تهذيب التهذيب (الهند / ١٣٢٥ - ١٣٢٧ هـ) .
حوراني (البرت)
- الفكر العربي المعاصر في عصر النهضة
(بيروت / دار النهار
الخترش (د . فتوح عبد المحسن)
- تاريخ العلاقات السعودية - اليمنية
(ذات السلاسل / الكويت ١٩٨٣ م) .
رضا (محمد رشيد)
- تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده
(القاهرة)
- المنار = مجلة المنار (٣٤ مجلداً) صدرت في القاهرة (١٨٩٨ - ١٩٣٥ م) .
الريحاني (أمين)

- ملوك العرب

(بيروت / ط ١

زبارة (محمد بن محمد)

- أئمة اليمن بالقرن الرابع عشر

(المطبعة السلفية / القاهرة ط ٢) .

الزركلي (خير الدين)

- الأعلام (ط١)

سالم (د . السيد مصطفى)

- تكون اليمن الحديث

(القاهرة / ١٩٧١ م)

الشوكاني (شيخ الإسلام محمد بن علي)

- أدب الطلب (تحقيق عبد الله الحبشي / مركز الدراسات / صنعاء ١٩٨١ م) .

- البدر الطالع (القاهرة / ١٣٥٠ هـ) .

- ديوان الشوكاني (أسلاك الجوهر) .

(تحقيق ودراسة د . حسين عبد الله العمري / ط٢ / دار الفكر - دمشق ١٩٨٦ م) .

صبحي (د . أحمد محمود)

- الزيدية (الإسكندرية ١٩٨٠ م) .

العقيلي (محمد أحمد)

(تاريخ المخلاف السليماني - ط٢ - / الرياض / ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م) .

العمري (د . حسين بن عبد الله)

- فترة الفوضى وعودة الأتراك إلى صنعاء .

(دار الفكر - دمشق / ١٩٨٥ م) .

- مئة عام من تاريخ اليمن الحديث

(دار الفكر - دمشق / ١٩٨٤) .

- مصادر التراث اليمني في المتحف البريطاني

(دار المختار / دمشق / ١٩٨٠ م)

- اليمن والغرب (انظر ماكرو) .
كحالة (عمر رضا)
- معجم المؤلفين
(دمشق ، مطبعة الترقي / ١٩٦١) .
ماكرو (اريك)
- اليمن والغرب
(تعريب د . حسين عبد الله العمري)
(ط٢ / دمشق - دار الفكر / ١٩٨٧ م) .
ندوة العربي (المجلات الثقافية وتحديات العصر)
(سلسلة كتاب العربي - الكتاب الثالث / الكويت ١٥ يوليو ١٩٨٤ م) .
الهمداني (الحسن بن أحمد)
- الإكليل (العاشر ، تحقيق محب الدين الخطيب) القاهرة / ١٣٥٠ هـ .
- صفة جزيرة العرب (تحقيق القاضي محمد بن علي الأكوع) .
(طبعت بإشراف حَمد الجاسر ، بيروت / ١٩٧٤ م) .
الواسعي (عبد الواسع)
- تاريخ اليمن (المسمى فرجة الهموم والحزن ، القاهرة / ١٣٢٨ هـ) .
وهيم (طالب محمد)
- مملكة الحجاز ١٩١٦ - ١٩٢٥ (دراسة في الأوضاع السياسية)
(جامعة البصرة / ١٩٨٣ م) .

صدر للمؤلف

١ ـ تاريخ مدينة صنعاء وفي ذيله الاختصاص للعرشاني ـ تحقيق بالاشتراك مع عبد الجبار زكار .

٢ ـ حوليات النعمي التهامية ، من تاريخ اليمن الحديث ـ تحقيق .

٣ ـ در السحابة في مناقب القرابة والصحابة للشوكاني ـ تحقيق .

٤ ـ ديوان الشوكاني : أسلاك الجوهر ، والحياة الفكرية والسياسية في عصره ـ تحقيق .

٥ ـ فترة الفوضى وعودة الأتراك إلى صنعاء للحرازي ـ تحقيق .

٦ ـ في السلوك الإسلامي القويم : رسالتان للإمام الشوكاني (الابن) ـ تحقيق .

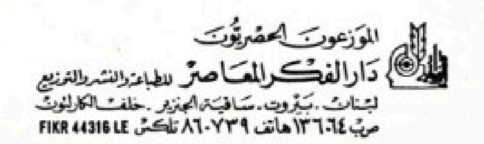
٧ ـ مصادر التراث اليمني في المتحف البريطاني .

٨ ـ مئة عام من تاريخ اليمن الحديث ـ تحقيق .

٩ ـ اليمن والغرب (١٥٧١ ـ ١٩٦٢ م) ، أريك ماكرو ـ تعريب وتعليق .

«لم يعد الوفاء بكتابة مقال أو أكثر يفي بحق (المنار) وصاحبه، ولا بحق تاريخ اليمن السياسي والثقافي المستفاد من (المنار) بصفته أحد المصادر الهامة لتاريخنا العربي والإسلامي المعاصر».

ومن خلال دراسة المؤلف الدكتور العمري لنصوص (المنار) عن اليمن استلهم «فكرة إلحاق دراسته هذه كل ما نشره (المنار) عن اليمن ليكون أيضاً مادة خاماً (بعجرها وبجرها) يستطيع أن يرجع إليها من يتعذر عليه إمكانية الاطلاع عليها أو من يرغب في مزيد من التفاصيل».


الموزعون الحصريون
دار الفكر المعاصر للطباعة والنشر والتوزيع
لبنان . بيروت . ساقية الجنزير . خلف الكارلتون
ص.ب ١٣٦٠٦٤ هاتف ٨٦٠٧٣٩ تلكس FIKR 44316 LE